

١٠٠ حبة من

من كل بيدر حبة

١٠٠ حبة من

من كل بيدر حبة

الشيخ عمر چنگنياني



دار اراس للطباعة والنشر

أربيل - إقليم كردستان العراق

جميع الحقوق محفوظة ©
دار اراس للطباعة والنشر
شارع كولان - اربيل
اقليم كردستان العراق
البريد الإلكتروني aras@araspess.com
الموقع على الانترنت www.araspublishers.com
الهاتف: 00964 (0) 66 224 49 35
تأسست دار اراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

الشيخ عمر چنگنياني
١٠٠ حبة من، من كل بيدر حبة
منشورات اراس رقم: ١٢٥٨
الطبعة الأولى ٢٠١٢
كمية الطبع: ٦٠٠ نسخة
مطبعة اراس - اربيل
رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ٢٣٨ - ٢٠١٢
الايخراج الداخلي: زياد طارق
الغلاف: آراس أكرم
التصحيح: أوميد البنا

ردمك:

ISBN: 978-9966-487-24-9

فهرست الكتاب

9 مقدمة متواضعة
11 تذكير بشيء ما كتبناه في العدد (١٩)
15 الفصل الأول
17 الحرية أولاً
20 وللحيوان حق الحرية
22 الردة عن الدين
24 هل للسلطة حق التدخل في ضمير الفرد؟
26 حرية الفكر غاية شرعية
28 العقل أس الفضائل
30 بالعمل وليس باللحبة
32 أحكام التسعير في الفقه الإسلامي
34 طلاق الغضبان
36 القتل بوازع غسل العار
39 تقسيم رباني للعباد
42 هل اللغة العربية أفضل اللغات؟
45 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
48 استعمال أدوات العمل في المصلحة الشخصية
51 أسئلة حول فريضة الزكاة
55 رؤية الهلال و النية في الصيام
57 حكم البحث عن علاج للعجز الجنسي
59 فضل ختم القرآن أكثر من مرة؟
61 حكم من يغضب عندما يرزقه الله ببنت
63 الدين والشعوذة
65 تقديم صيام الست من الشوال على قضاء الصوم الفائت
67 أموال الشركات الأجنبية في بلاد المسلمين
69 الحصار الأقتصادي
71 هذا ما أوجبه الله على الرجال

76	حب الزوجة لغير زوجها أو العكس
79	نصوص منسية في كتبنا حول آداب الجامعة
82	حكم اتیان المرأة في الدبر شرعاً!
86	حكم الشذوذ الجنسي وعلاجه في الإسلام
90	رأس السنة الهجرية وصوم عاشوراء
93	حكم تشريح جثث الموتى
96	حكم انتفاع الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر حياً أو ميتاً
99	الضوابط الشرعية لحوار الديانات
105	قبسات عن أنواع الحب في الإسلام
109	الوثائق المزورة وحكمها الشرعي
110	هكذا قالوا عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)
117	دروس في أصول العقيدة
122	شبهات حول العقيدة والرد عليها
137	استعمالات لفظة (ب رك ة) في القرآن الكريم
141	التوسط في الإسلام
148	الأحكام المترتبة على الطلاق المقترن بالعدد وتعليقه أو الحلف به
154	تتبع رخص المذاهب، بين المجيز و الممانع
157	من هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في شعبان
161	شيء من نواقض الإيمان
164	شيء من أحكام صيام ست من شوال
167	استئذان الرجل زوجته في صوم التطوع
170	تغيير المنكر بالقوة، مطلب ديني وقانوني وعقلي
175	دفاع الزوجة عن نفسها ضد زوجها
178	كون القرآن مقتبساً من اليهودية..شبهة مردودة
181	كيف يكون القرآن عالمياً وهو باللغة العربية
184	شبهة اختلاف المفسرين في آيات القرآن
187	هل تكفل الله بحفظ كل أو بعض القرآن؟
191	المعوذتان: هل هما من القرآن؟
195	دعوى اعتراف القرآن بذنب النبي
199	هل حرف الحجّاج القرآن الكريم؟
202	يارسول الله عذرا

205 بعض الاحكام المتعلقة ب الانتخابات
209 المصافحة بين الجنسين الحكم والضوابط
219 ثقافة التسامح عند المسلمين
226 نوروز الكرد والضرب على الأوتار البالية
230 كذبة نيسان السنوية
234 الموقف الإسلامي تجاه المختلفين في الدين
254 الخيل معقود بنواصيها الخير
265 الإسلام والنظام الديمقراطي
275 الشروط الواجب توافرها في الحاكم المسلم
280 سنية صيام شعبان و شعبنة أهل مكة!
286 عشر وسائل لإستقبال رمضان
290 دلائل القبول في مدرسة الثلاثين يوماً، وماذا بعد رمضان؟
301 مبدأ الشورى و صيغة التطبيق
303 نچيرقانا و سيافو العصر
311 مختصر أحكام طفل الأنابيب والتلقيح الصناعي
316 عشرة ذي الحجة، فضائلها والأعمال المستحبة فيها
320 شئ من حنين المغتربين إلى الوطن
322 الإرهاب آفة العصر
327 قليلاً من الأمانة مع الناس
329 تجدد عام أم مجرد تغيير أرقام؟
334 أمير المؤمنين سيدنا علي (رضي الله عنه)
337 شعرة معاوية التي لا تنقطع
340 شئ مما جاء في نكاح التحليل
350 اهتمام الإسلام بالشباب، في القرآن و في السنة
355 الخصائص الرئيسية في الإسلام
357 آذار شهر المناسبات أفراحا وأتراحا
360 حكمة تحريم لحم الخنزير
364 شهادة امرأتين مقام شهادة رجل
370 الفروقات بين النكاح الشرعي و الميسار
377 أحكام فقهية متعلقة بالحياة الزوجية
382 مشكلات الشباب أسبابها وعلاجها

388	الفاروق مُحَقِّقُ جِنَائِي وصَائِنُ لَشْرَفٍ وعَرْضُ الْمُسْلِمَاتِ
392	طَلَاقُ الْحَائِضِ وَ الطَّلَاقِ الْبِدْعِيِّ، بَيْنَ الْاِعْتِبَارِ وَالْاِغْلَاءِ
396	حَقُوقُ دَعَتْ اِلَيْهَا الْفِطْرَةَ وَقَرَّرَتْهَا الشَّرِيعَةُ
414	مِنْ طَرَائِفِ التَّارِيخِ وَالْاَدَبِ
421	شُعْبَانُ: شَهْرٌ تَغْفَلُ النَّاسُ فِيهِ عَنْهُ
425	حُكْمُ الْمُرَاسَلَةِ بَيْنَ الْجَنْسَيْنِ بِالْبُرِيدِ الْاِلِكْتُرُونِيِّ
428	الشَّرُورُ الْاَرْبَعَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي سُورَةِ الْفُلُقِ
434	جَدُولٌ مَقْتَرَحٌ لِلْمُسْلِمِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ
438	اَحْكَامُ زَكَاةِ الْفِطْرِ
442	اَفْطَارُ الصَّائِمِ
445	اَحْكَامُ صِيَامِ السِّتِّ مِنْ شَوَالٍ
452	اَدَابُ طَالِبِ الْعِلْمِ
456	الْهَدْوَاءُ قِيَمَةٌ جَمِيلَةٌ يَجِبُ اَنْ نَسْعَى اِلَيْهَا
474	مَسْعُودُ بَارزَانِي، حَلَالٌ عَقْدٌ وَلَمَّامٌ شَمَلٌ
477	الفصل الثاني
479	هَكَذَا رَأَيْتُ وَبَأَمِّ عَيْنِي
479	فِي مَدِينَةِ بَورِصَةَ
481	جَوْلَةٌ دَاخِلُ مَدِينَةِ بَورِصَةَ
484	اَسْتَانْبُولُ
484	مَسْجِدُ اَيَّاصُوفِيَا
487	مَسْجِدُ سُلْطَانَ اَحْمَدَ
490	قَاعَاتُ طُوبِ قَابِي
493	بَعْضُ مَحْتَوِيَّاتِ قِصُورِ طُوبِ قَابِي
496	قَاعَاتُ الْاَمَانَاتِ
498	قَاعَاتُ الْاِسْتِرَاحَاتِ
499	قَاعَةُ الْحَرِيمِ
500	أَوَّلًا: مَا يَحْرَمُ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ لِبَسِهِ
501	ثَانِيًا: مَا يَحْرَمُ عَلَى النِّسَاءِ لِبَسِهَا
502	إِلَى أَمَدٍ مَرُورًا بِأَنْقَرَةَ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة متواضعة:

أولاً: كان أول كتابة لي عبر مجلة الصوت الآخر في: العدد (١٩) ١٢/١٠/٢٠٠٤) وذلك بنشري لمقالة بعنوان: (معذرة يا شيخنا (القرضاوي)! مع اعتزازنا بالقرآن الكريم، وتعبدنا بتلاوته، ولدتنا أمهاتنا أكراداً، وسنظل كذلك بإذن الله!). ثم لم أعد إلى الكتابة فيها إلا في ١٦/٥/٢٠٠٧ حيث نشرت في عديد من متتالين مقالا تحت عنوان: (التسامح الديني وقبول الآخر و براءة الدين الإسلامي الحنيف من الإرهاب والغلو) مجلة الصوت الآخر العدد (١٤٥) ص ٢٠-٢١ في ١٦/٥/٢٠٠٧) والعدد: (١٤٦) ص ١٩-٢١ في ٢٣/٥/٢٠٠٧ وبعده بدأت بكتابة زاوية أسبوعية تحت عنوان (من كل بيدر حبة) وكانت الحبة الأولى منها بعنوان: (الحرية أولاً) في العدد ١٤٧ في ٣٠/٥/٢٠٠٧ والحمد لله لم أنقطع عن قراءة المجلة الموقرين، إلى الآن علما انه كان لي في مناسبات أخرى كتابات أخرى، كما كان في رمضان رمضانيات و وجدانيات و كان تحت عنوان (هكذا رأيت وبأم عيني).

ثانياً: سأقسم كتابي إلى تذكير و فصلين.

أما التذكير: فأختصر فيه كتابتي الأولى في المجلة.

والفصل الأول: سأنقل لكم فيه مائة حبة من حبات (من كل بيدر حبة).

وأما الفصل الثاني: فأنقل لكم فيه ما كنت أنشره تحت عنوان (هكذا رأيت وبأم

عيني).

ولا أطيل عليكم أكثر.

عمر چنگنياني

٢٠١٢

تذكير بشيء ما كتبناه في العدد (١٩) من مجلة الصوت الآخر

معذرة يا شيخنا (القرضاوي):

مع اعتزازنا بالقرآن الكريم، وتعبدنا بتلاوته، ولدتنا أمهاتنا أكراداً، وسنظل كذلك بإذن الله!

تعود معرفتي بالأستاذ الدكتور (يوسف القرضاوي) لأكثر من خمس وعشرين سنة، وذلك عبر الاطلاع على كتاباته القيمة، ومن خلال اللقاء به، أثناء انعقاد مؤتمر الدعوة وإعداد الدعات عام ١٩٧٧ في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، و عبر متابعة تصريحاته المتعاطفة، تجاه القضية الكردية العادلة، سيما بعد أحداث هلبجة الدامية، في ١٩٨٨ و ما كان عليه من الشيم الإنسانية تجاه الكرد بعد الهجرة المليونية في آذار ١٩٩١، كل هذه العوامل وما أعرفه عن الشيخ قبوله بالرأي الآخر الى أبعد حد ممكن من جهة، وما لمستته عنه من التفتح و عدم الجمود والتقليد، خصوصاً في كتابه (فتاوى معاصرة) ونقده لسيد قطب (رحمه الله) في بعض الاماكن من تفسيره، و على وجه الخصوص، تفسيره، لقوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكَ مِمَّنْ مِمَّنْ بِيُوتًا وَأَجْعَلُوا بِيُوتِكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) «٨٧ يونس». من جهة أخرى، وتقبله بكل إجلال واحترام لما كتبه عنه الشيخ الالباني (رحمه الله) في كتابه (غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام) ناقدا إياه في بعض ما أفتى به في كتابه (الحلال والحرام في الإسلام) أقول: هذه الأمور برمتها شجعتني على كتابة هذه المقالة المتواضعة، وأنا إذ أكتبها لا اريد بها الا التذكير لشيخ لطالما سألتني بعض الشباب عنه فكان ردي: إن شأني عندي أقل من أن أكتب عن ذلك الجبل العلمي الشامخ، واليوم هو كما كان، واني كما كنت ولكن آراءه الغريبة في الآونة الأخيرة، وبعض التقلبات في المواقف، دفعتني لإبداء شيء مما عندي من الملاحظات المتواضعة، أخص بالذكر، موقفين من مواقفه:

أولاً: تعاطفه اللامحدود مع الواقع المر الذي يسود المحافظات العراقية، من القتل

والدمار والسلب والنهب، و بأياد مستورة تحت شعارات ما أنزل الله بها من سلطان، وكان المتوقع من سماحته أن يكون على بصيرة تامة، بما يحدث في هذا البلد، وأن يفرق بين الحابل والنابل، فهو يعلم جيدا من كان يحكم العراق طيلة أربعة عقود! وحتما على دراية بأن الطاغية (صدام) ترك أفراخا كثيرة وراءه، ويعلم جيدا أنهم يصرفون جل طاقتهم لكي يتمكنوا من عرقلة مسيرة تقدم البلد ولو إلى حين، و يعلم يقينا أيضا مدى قابلية هؤلاء على التلون كالحرباء، وما استخدامهم للمصطلحات الشرعية - زورا - بالأمس ببعيد، وكما لا يخفى على سماحته، إن معظم تلكم الأعمال التي يقوم بها هؤلاء الفوغائيون لا يمت إلى الإسلام بصلة، وأقولها متحديا.

ثانيا: ما ذكره الشيخ خلال حديثه عن فتنة (دارفور) المخجلة، تلكم الفتنة التي تعتبر وصمة عار في جبين من وراءها، من كانوا وأيا كانت هويتهم، وقد تناقلت وكالات الأنباء أحاديث الشيخ وكان أغرب ما سمعته فيه، توسيمه كل من يستطيع أن يتكلم باللغة العربية، بأنهم عرب! ومن يجيد قراءة القرآن بأنهم عرب! ومن يستطيع أن يقرأ القرآن فهو عربي، وهي فكرة لا يخفى سماحته تبنيه لها ودفاعه عنها ويسمينا نحن العجم الذين نجد اللغة العربية بعرب اللسان، وعليه أقول:

يا شيخنا الكرم:

١- بناء على هذه الفكرة الغربية منكم، يعتبر معظم الكُرد بملايينهم الخمسين، وفارس و البشتو والهنود والباكستانيون والأتراك والبربر وشعوب جنوب شرق آسيا..... الخ كلهم عرب لأن غالبية هؤلاء الشعوب من معتنقي الدين الإسلامي الحنيف، وهم يجيدون على أقل تقدير، أداء الصلاة و قراءة الفاتحة باللغة العربية، ومع ذلك قلما تجد من يقبل منهم بالانسلاخ من هويته القومية التي اختارها الله لهم بجعلهم شعوبيا وقبائل شتى، وسؤالي هل سبقكم إلى هذا الدعوى أحد من العلماء؟ شريطة أن يكون رأيه مدعوما بالنصين صريحا؟ فلا أظنكم تملكون الجواب المقرون بالدليل.

٢- لماذا هذا الاهتمام اللامحدود باللغة العربية؟ ترى هل ورد في القرآن الكريم أو الحديث الصحيح ما يشير إلى تفضيلها على غيرها من اللغات؟ وهل فيهما ما يدل على تفضيل العرب على غيرهم من الأمم؟ وأنتم على دراية تامة بأن قوله تعالى:

(كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر و تؤمنون بالله)
١١٠: آل عمران.

لا يدل لا عن قريب ولا عن بعيد على فضل العرب إلا إذا التزموا كغيرهم بالإسلام،
ومن يتصف بتلك الأوصاف الثلاثة الواردة في النص فيستحق ذلك الوصف، فأنتم
افهم مني بقوله تعالى: (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) الحجرات ١٣.

٣- لا أظنكم بحاجة إلى التذكير، بأن كلمة العرب في القرآن الكريم قد وردت أكثر من
عشرين مرة، بصيغة (عَرَبِيٌّ)، منونة بالضم مرتين، و (عَرَبِيٍّ)، منونة بالكسر، مرة
واحدة فقط، و (عربياً) ثماني مرات، و (الأعراب) عشر مرات.
وأنتم أدرى مني بأسباب النزول، وتفاسير تلك الآيات وهل هي تدل بأي وجه من
وجوه الدلالة على ما تتبنونه من فكرة غريبة؟

٤- سماحتكم على دراية تامة بالأوامر الواردة في بعض ما يسمى بالحديث، مما
يوحي بوجود حب العرب كقولهم: (أحبوا العرب لثلاث، لأني عربي، والقرآن عربي،
وكلام أهل الجنة عربي) وهو كلام أخرجه الحاكم في مستدركه ونقله غيره في
غيره، و تلقاه الكثير من الكتاب، ومع الأسف منهم بعض الأجلة، ولكنه يعتبر من
زلات العلماء، لأن أهل العلم بالحديث قد حكموا عليه بأنه حديث موضوع ولا تصح
نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك القول الآخر المنسوب إليه: (أنا
عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي). الموضوعة، للألباني/رقمهما
١٦٠ و١٦١.

وما رواه الحاكم: (حب العرب إيمان وبغضهم نفاق)، وضعفه الذهبي بل حكم عليه
بأنه كلام لا أصل له، كما نقل ذلك عنه ابن حجر في لسان الميزان ١٨٥/٤.

٥- ولا أظن بكم ظن السوء، فأنهمكم بالتقليد و متابعة بعض العلماء على علاقتهم، حيث
يبالغ بعضهم فيقول:

(أن جنس العرب أفضل من جنس العجم: عبرانيهم وسريانيهم، رومهم، وفرسهم
وغيرهم، وأن قريشا أفضل العرب.....وليس فضل العرب، بمجرد كون النبي منهم
وإن كان هذا من الفضل، بل هم في أنفسهم أفضل). اقتضاء الصراط المستقيم
ص ٢٣١/ط/دار الأنصار.

وهي فكرة مع كل الأسف يتبناها كثير من الشوافع أيضا وبالمقابل نجد الإمام أبا حنيفة لا يبلغ بالأمر هذا المبلغ فقد قال الإمام النووي في المجموع (٣/٢٦٠):
(التاسعة: في مذهب العلماء في التكبير بالعجمية، فقد ذكرنا أن مذهبنا أنه لا يجوز تكبير الإحرام بالعجمية لمن يحسن العربية، وبه قال مالك وأبو يوسف ومحمد وأحمد وداود والجمهور، وقال أبو حنيفة: تجوز الترجمة لمن يحسن العربية وغيره).
وقال الإمام النووي في المجموع (٣/٣٤١): (مذهبنا أنه لا يجوز قراءة القرآن بغير لسان العرب سواء أمكنه العربية أم عجز عنها، وسواء كان في الصلاة أم غيرها، فإن أتى بترجمته في صلاة، بدلاً عن القراءة لم تصح صلاته، سواء أحسن القراءة أم لا، هذا مذهبنا وبه قال جماهير العلماء منهم مالك وأحمد وداود، وقال أبو حنيفة تجوز وتصح به الصلاة مطلقاً وقال أبو يوسف ومحمد يجوز للعاجز دون القادر)^١.

١. (جزء من المقال الذي نشرته في: مجلة الصوت الآخر العدد(١٩)١٢/١٠/٢٠٠٤).

الفصل الأول

الحرية أولاً

لولا أني من عشاق الورود ومغرم بتقبيلها وإستنشاق رحيقها من على أغصانها دون قطفها وتزيين المجالس والصدور بها، لعنونت لهذه الزاوية التي سوف تحل ضيفاً عليكم في كل أسبوع - بإذن الله - بـ (من كل حديقة زهرة).

والبيدر كما لا يخفي موقع جمع السنابل لإخراج الحبوب منها، والحببة الواحدة إن يبارك الله لصاحبها فيها ستصبح: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) البقرة ٢٦١.

وفي البداية أعاهدكم - قدر المستطاع -، بأنني سوف التزم بإذن الله تعالى، ببيان الهوامش وتنسيب الآراء إلى قائلها، وذلك لأن أشد ما يزعجني وجود كتابة بإسم مستعار، وأنكى منه، إضطرار الكتاب إلى ذلك، وأسوأ منهما، عدم عزو الآراء إلى أصحابها، أو عدم الإشارة إلى المراجع والمصادر، أما الذي أعشقه ولاستحي منه، هو بيان المصادر ونسبة كل رأي إلى قائله، وموضوع حبتنا اليوم:

الحرية أولاً

وقد يسأل سائل، لماذا البدء بها؟

فالجواب: - وبكل بساطة - لأن شعوبنا الشرقية عموماً، والإسلامية خصوصاً، تعاني من إفتقارها، أكثر من إفتقاد أي حق من حقوقها كبشر، ل(إن الواقع السياسي، بانعكاساته الإجتماعية والفكرية والإقتصادية، هو مفتاح القضية ولب الموضوع.

وهذا الواقع السياسي تلخصه في زماننا كلمتان إثنان: الحرية والديمقراطية. إذ تظل الحرية والديمقراطية هما المعيار الذي يمكن أن يقاس به إزدهار أي مجتمع أو إنحطاطه.

قل لي أي حجم من الحرية والديمقراطية يتمتع به أي شعب في الكرة الأرضية؟ أقول لك على أي درجة من التقدم أو الإنحطاط هو! ولست أظنني بحاجة إلى مناقشة الذين يفسرون الحرية بالإباحية، أو الذين يقرنون الديمقراطية، بالفوضي وحكم الرعاع. ففي ذلك قدر واضح من التعسف والتجاوز، على الأقل في السياق الذي نحن بصدده. كما أنني لست بحاجة، إلى الخوض في جدل حول إستخدام كلمة الديمقراطية أو الشورى (وهو الوصف المفضل إسلامياً).

إن الأهم في هذا السياق، هو المعنى والقيمة، خصوصاً وأن بعض الذين يرفضون مبدأ الديمقراطية، يسترون موقفهم برفض الكلمة، وإعتبارها من بضاعة الفكر المستورد! إن ثمة تياراً بارزاً الملامح في التفكير الإسلامي، يشدد على دور ذلك الواقع السياسي، ويعلن صراحة، أنه مفتاح التقدم والتدهور، وأن بذرة الإنحطاط تنمو في غيبة الحرية والديمقراطية، وفي ظل الظلم والإستبداد.

فهذا الماوردي في (أدب الدين والدنيا) يؤكد أن الجور يفسد ضمائر الخلق، ولكل جزء من الجور قسط من الفساد، حتى يستكمل.

وهذا ابن خلدون يخصص في مقدمته فصلاً كاملاً بعنوان (أن الظلم مؤذن بفساد العمران)، يقول فيه: إن الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم، هي: ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه، وذلك مؤذن بإنقطاع النوع البشري.

وهو المعنى الذي يكرره أحمد بن الضياف، الفقيه والمؤرخ التونسي في قوله: إن الجور هو أقوى الأسباب في تدمير البلدان وتخريب العمران وإنقراض الدول^١.

أما الإمام محمد عبده، فإنه يتنبه بوعيه الشديد ونظرته الثاقبة إلى أن قضية الحرية كل لا يتجزأ، فيقول: إن الجمود الفكري من متطلبات (سياسة الظلمة والأثرة التي تخشى الخروج من فكر واحد من حبس التقليد، فتننتشر عدواه فينتبه غافل آخر، ويتبعه ثالث، ثم ربما تسري العدوي من الدين إلى غير الدين... إلى آخر ما يكون من حرية الفكر، التي يعوذون بالله منها^٢.

ويقول عبد الرحمن الكواكبي: إنه بعد بحث ثلاثين عاماً، تمحص عندي أن أصل هذا الداء (الإنحطاط) هو الإستبداد السياسي، ودواؤه دفعه بالشورى الدستورية.

١. اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ج ١.

٢. الأعمال الكاملة ج ٣ .

ويضيف: إن البدع التي شوشت الإيمان وشوهت الديانات، تكاد كلها تتسلسل بعضها من بعض، وتتولد جميعها من غرض واحد هو المراد، الا وهو الاستعباد. ثم يصل إلى رأي أنه: قد يبلغ فعل الإستبداد بالأمة، أن يحول ميلها الطبيعي من طلب الترقى، إلى طلب التسفل، بحيث لو دفعت إلى الرفعة، لأبت وتألّت، كما يتألم الأجهر من النور! ويقول: لو ملك الفقهاء حرية النظر لخرجوا من الإختلاف في تعريف المساكين الذين جعل الله لهم نصيبا من الزكاة فقالوا: هم عبيد الإستبداد، وحصلوا كفارات فك الرقاب فشمّل هذا الرق الأكبر!^٢.

إن اسلام الفرد لا يصح الا إذا نطق - أولا- بشهادة أن لا اله الا الله، التي هي اعلان عن اعتناقه من سلطان كل الأوثان، حجرا كان أم بشرا، وهي في الوقت ذاته اسقاط لكل الأغلال التي تقيد انسانيته وضميره، قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) آل عمران ٦٤) -٤-٥.

٢. مقدمة كتاب(طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبدالرحمن الكواكبي .

٤. ولا أخجل في أن يكون بدئي بهذه الحلقة من حبات بيادري، إقتباسا واستعارة من إحدى كتابات الأستاذ فهمي هويدي، بدءاً من العنوان وانتهاء بتلكم العبارات مأخوذة من كتاب: القرآن والسلطان ٢٠-٢٣.

٥. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر، العدد١٤٧في ٣٠/٥/٢٠٠٧ .

والحيوان حق الحرية

جاء فيما صح عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قوله: (عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتهَا إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)^١.
 واستوقف القراء اليوم حول هذا النص الصحيح الصريح من لدن خير البشر (صلى الله عليه وسلم).

فكم مرة منذ نعومة أظفاري، إستمعت إلى السادة الوعاظ، وقرأت للكتاب الكرام، وهم يتحدثون عن هذا الحديث الشريف، غير أنني لم أر ولو واحدا منهم، يرشدني من خلال شرحه لتلك الكلمات المباركة، إلى ما يوحى إليه الحديث من بيان للإهتمام بالحيوان، وعلى النحو الذي وفق له الشيخ الألباني (رحمه الله)، فقد قال: (في ذلك بيان واضح أن الإسلام هو الذي وضع للناس مبدأ الرفق بالحيوان، خلافا لما يظنه بعض الجهال بالإسلام أنه من وضع الأوروبيين، بل ذلك من الآداب التي تلقوها عن المسلمين الأولين، ثم توسعوا فيها، ونظموها تنظيما دقيقا، وتبنتها دولهم، حتى صار الرفق بالحيوان من مزاياهم اليوم، حتى توهم الجهال أنه من خصوصياتهم! وغرهم في ذلك، أنه لا يكاد يرى هذا النظام مطبقا في دولة من دول الاسلام، وكانوا هم أحق بها وأهلها! وقد بلغ الرفق بالحيوان في بعض البلاد الأوروبية درجة لا تخلو من المغالاة، ومن الأمثلة على ذلك ما قرأته في مجلة (الهلال) مجلد ٢٧ ج ٩ ص ١٢٦ تحت عنوان (الحيوان والإنسان): إن محطة السكك الحديدية في (كوبنهاغن) كان يتعشش فيها الخفاش زهاء نصف قرن، فلما تقرر هدمها وإعادة بنائها، أنشأت البلدية برجاً كلفته عشرات الألوف من الجنيهات، منعا من تشرذ الخفاش.... وثار الرأي العام في بعض البلاد أخيرا حين اتخذ الحيوان وسيلة لدراسة الظواهر الطبيعية، حين أرسلت

١. سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، رقم الحديث ٢٠ إلى ٣٠.

كلبا في صاروخها، وأرسلت أمريكا قردا!!^١، واستسمح القراء الكرام، لأزيد على مقاله الشيخ، وأقتبس درسا عن الحرية ومدى إهتمام الإسلام بها، لدرجة أن الإنسان مع جلالاته وقدره عند الله، إذا ما قدر نفسه هو أيضا، سيجد بانتظاره وأمامه العذاب الأليم إذا تناولت يدها للتعدي ولو على حيوان غير مأكول اللحم كالهرة مثلا! فإذا كان هذا شأن الحيوان وعقوبة المتعدي عليه عند الله تعالى، فما بالك بمن يتربع على رقاب الناس ويجعل من نفسه عليهم إلهًا، ليتحكم بدمائهم ومقدراتهم ويقتل من يشاء منهم، أو يضعهم في غيابات الجب والزنانات المظلمة و دون منحهم أدنى حق في الدفاع عن النفس أو حتى الحياة؟ (طاغية العراق مثلا) وبأي وجه سيواجه هؤلاء الله يوم الحساب؟ ألم يباشر أو يتسبب في قتل ملايين من البشر من الكرد والعراقيين والإيرانيين و الكويتيين وغيرهم الكثير الكثير؟ وان كان هو ضربا للمثل، فما غيره من كثير من حكام الشرق بأحسن منه ولا أقدر للحرية.

فهل يظن أحد أن الحقائق تنطلي على أحد، حتى وإن كان من السذج؟ لم لا، وهل يقدر على مجازاة الطغاة غير الله تعالى؟^٢

٢. سلسلة الاحاديث الصحيحة ج ١ ص ٦٩ و ٧٠ .

٣. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر، العدد ١٤٨ في ٦/٦/٢٠٠٧ .

الردة عن الدين

وانا اكتب هذه الزاوية، على ثقة تامة بأنها لن تفي بكل المقصود ولا يمكن الوقوف عليها حصراً، للوصول إلى الجواب الشافي في المسألة، فإنها مسألة شائكة مليئة بطريقتها بالأشواك والانتقادات والردود، فهي قضية الفقهاء قديماً، وحديث المتنورين حديثاً، كما وأنها مادة دسمة للإعلاميين - وأنا واحد منهم - ولكن ليس من المعقول أن لا أقول عنها شيئاً وإن كان بيان رأيي وذكر بعض الآراء ممن أرتضي أقوالهم، فقد ذكر الفقهاء حولها آراءً إن كانت تليق بجلالتهم في أزمنتهم، فهي بالكاد يمكن قبولها في زمن لاتحكم الشريعة الإسلامية مطلقة، بقعة ما من بقاع الأرض، عملاً وتطبيقاً، وليس إدعاءً وشعارات جوفاء! لذا أرى أن التعامل مع الخيال أبعد مما يمكن أن يليق بشأن أصحاب العقول! فأتساءل: هل يعقل أن يقتل كل من خالف دينه أو أراد أن يبدل دينه وبمحض إرادته؟ والحال، لم يرد نص صريح في القرآن الكريم يشير إلى غير العقوبة الأخروية، وحسب، بإستثناء حديث ثبت بطريق الأحاد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وللعلماء القدامى والمعاصرين آراء حول العمل بحديث الأحاد سيما في مسائل العقيدة! ومن هنا أشار الاستاذ الدكتور جمال البنا حيث يقول: أشار القرآن في عدد من الآيات إلى الإرتداد عن الإسلام، منها: قوله تعالى: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (البقرة: ٢١٧)، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) (آل عمران: ١٤٩)، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ... (المائدة: ٥٤)، وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ) (محمد: ٢٥)، وهناك آيات أخرى لم تستخدم فعل (ارتد)، ولكنها تضمنت المعنى مثل قوله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ

شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (النحل: ١٠٩).

وقوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: ٥٥)، وهذه الآيات صريحة في إشارتها إلى الردة بعد الإسلام، ومع هذا فلم تُشِرْ أَقْلَ إشارة إلى عذاب دنيوي أو حدٍّ يوقع على المرتد، كما يوقع على السارق أو القاتل. وإنما كان العقاب المروع المخوف هو غضب الله.

وهذا ما يتسق مع سياسة و روح القرآن والنصوص الأخرى العديدة فيه، التي بنت الإيمان والاعتقاد على اقتناع الفرد وهدايته دون قسر أو ضغط، وحرية إلى أبعد مدى، وفي ذلك نجد قوله تعالى: (فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) (الكهف: ٢٩)، وكان في هذا - أعني النص الصريح في هذه النقطة والنصوص العديدة في الآيات الأخرى التي أكدت حرية الاعتقاد- مقنع لتحديد الموقف من المرتد، ولكن بعض الفقهاء لم يلتفتوا إلى دلالة هذه النصوص الصريحة الواضحة بحجة أن ثمة أدلة من السنة.

وإزاء تعامل الفقهاء بهذه الصورة مع هذه القضية الحساسة، سننقل هنا قولين:

١- جاء في كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) لابن رشد تحت عنوان (باب في حكم المرتد): والمرتد إذا ظُفِرَ به قبل أن يُحَارَبَ فاتفقوا على أنه يُقْتَلُ؛ لقوله (صلى الله عليه وسلم): (من بدل دينه فاقتلوه) رواه الجماعة إلا مسلماً.

٢- جاء في كتاب (الإسلام عقيدة وشريعة) للشيخ محمود شلتوت الذي يقول تحت عنوان (عقوبة الاعتداء على الدين بالردة): الاعتداء على الدين بالردة يكون بإنكار ما علم من الدين بالضرورة، أو ارتكاب ما يدل على الاستخفاف والتكذيب.

والذي جاء في القرآن عن هذه الجريمة هو قوله تعالى: (وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم مِّن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة: ٢١٧. والآية كما ترى لا تتضمن أكثر من الحكم بحبوط العمل والجزاء الأخرى بالخلود في النار.

أما العقاب الدنيوي لهذه الجناية، فيثبته الفقهاء بحديث يروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (من بدل دينه فاقتلوه)^{١-٢}

١. بإمكان القاريء الكريم العودة الي موقع (اسلام أون لاين) قسم (الفتاوي الشرعية).

٢. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر العدد (١٤٩) ص ٥٠ في ١٣/٦/٢٠٠٧.

هل السلطة حق التدخل في ضمير الفرد؟

إلى جانب ما طرحناه في الزاوية السابقة فيما إذا كان يعقل أن يقتل كل من خالف دينه أو أراد أن يبدل دينه و بمحض إرادته، نطرح اليوم سؤالاً آخر حول مدي ما للسلطة من حق التدخل في ضمائر وقلوب العباد؟! في حين نجد أنفسنا أمام باقة من الآيات التي تخاطب محمد (صلى الله عليه وسلم) بدعوته إلى الوسطية وإبعاده من كل ما يورق خاطره نتيجة عدم إيمانهم، ناهيك عن تربيته لأصحابه (بأن لا يشق أحدهم قلوب العباد) ولاتنبش ليعلم ما تحويه، وللإجابة على السؤال أنتقل بكم ثانية إلى الأستاذ جمال البنا حيث يقول: (أي تدخل للسلطة تحت أي اسم كان، وبأي صفة اتصفت، بين الفرد وضميره مرفوض بتاتاً، وأن الاعتقاد يجب أن يقوم على حرية الفرد واطمئنان قلبه.

ودليلنا ما يأتي:

أولاً: أن القرآن الكريم ذكر الردة ذكراً صريحاً في أكثر من موضع، ولم يرتب عليها عقوبة دنيوية، ولو أراد لذكر.

ثانياً: أن القرآن الكريم أوضح - بما لا يدع مجالاً للشك، وفي مئات الآيات، وبالنسبة لكل أبعاد قضية الإيمان - أن المعول والأساس هو القلب والإرادة، وصرح بأنه ليس للأنبياء من دخل في هذا بضغط أو قسر، وأنه لا إكراه في الدين، وأن من شاء فله أن يؤمن ومن شاء فله أن يكفر.

ثالثاً: أن القرآن الكريم عندما قرر حرية الاعتقاد، فإنه كان في حقيقة الحال يقرر مبدأ أصولياً تحتمه طبائع الأشياء والأصول العامة وحكم العقل والمنطق، ولو لم يقرره القرآن لفرض نفسه على المجتمع بحكم السلامة الموضوعية، ولكونه يمثل إحدى السنن التي وضعها الله تعالى للمجتمع الإنساني، ولم تأت الشرائع الإلهية لمخالفتها، وإنما جاءت لتقريره.

رابعاً: أنه لم يرد عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، أنه قتل مرتدّاً لمجرد ارتداده، على كثرة المنافقين الذين كفروا بعد إيمانهم.

خامساً: أننا لا نرد حديثاً لمجرد كونه حديثاً واحداً، وكل حديث يثبت لدينا نحترمه ونقدره، ولكن يجب علينا لكي نطبقه كمبدأ عام أن نتقصى غاية التقصي، وأن نلم بملايسات الحديث كله، وأن نتأكد من أنه قد رُوِيَ بالحرف وليس بالمعني؛ لأنه لا يجوز أن نبیح الدماء أو نقيّد الحريات مع احتمال الرواية بالمعني؛ فهذا الأسلوب في الرواية قد يغير المقصود، كما يجب الإلمام بالملايسات التي أحاطت بهذا الحديث، التي قد تجعله حكماً خاصاً لا عاماً.

وهذه كلها شبهات قوية، ويمكن لأقل منها أن ترد تطبيق حد مذكور في القرآن على فرد واحد؛ فكيف يمكن تقرير مبدأ عام يطبق على الكافة مع وجودها؟

سادساً: أن فكرة الردة اقترنت على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) بعداوة الإسلام وحرية.

فمن أمن كان يعمل لنصرته، ومن ارتد كان يعمل على حربه، ويلحق بالمشركين، كما حدث في حالة (عبد الله بن سعد بن أبي سرح)، الذي كان قد آمن ثم ارتد وأخذ يؤلب قريشاً على النبي (صلى الله عليه وسلم)، فأهدر النبي دمه، فلما كان فتح مكة لاذ بعثمان بن عفان وكان أخاه في الرضاعة، فغيبه حتى اطمأن الناس، ثم أحضره إلى النبي وطلب له الأمان فصمت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طويلاً، ثم أمّنه؛ فأسلم^{١-٢}، ولوعدنا إلى التاريخ لعرفنا أن: (الذكر المأثور للردة في التاريخ الإسلامي هو ردة القبائل العربية بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقد كانت ردة هذه القبائل في حقيقة الحال رفض دفع الزكاة.

ومن هنا كانت قولة أبي بكر المشهورة: (والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه للنبي (صلى الله عليه وسلم) لقاتلتهم عليه)، وأكثر منها صراحة قولته في حربه لمن يفرق بين الصلاة والزكاة.

فردة هذه القبائل كانت سياسية، أكثر مما كانت دينية بالمعني الذي نفهمه^٢.

١-٢. بإمكان القاريء الكريم العودة الي موقع (اسلام أون لاين) قسم (الفتاوي الشرعية).

٢. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر العدد (١٥٠) ص ٥٠ في ٢٠/٦/٢٠٠٧.

حرية الفكر غاية شرعية

أرجو أن لا أصنف بكتاباتى هذه، لدى من لا يرحمون في توزيع الألقاب والإتهامات، في قائمة المرتدين المارقين الخارجين عن الملة! بحكم تكويني وعلاقتي الإجتماعية المتنوعة، زارني أحد الشباب ممن هم على أبواب التخرج والإرتقاء على منبر من منابر مساجدنا المحتاجة إلى عودة النظر إليها وإلى من يرتقونها! وأثناء تصفحه للمجلة - الصوت الآخر - وبعد قراءته للزاوية، ضحك قائلاً: أرجو الله أن يرحمك ولا يطع على ما تكتب ضعاف النفوس والعقول والتفكر! مع شكره الجزيل، على ترجمه علي، قلت له متأسفاً: كان هناك في السبعينيات من القرن المنصرم، رجل أعور عسكري، في الحكومة الاسرائيلية، يسمي: (موشي دايان) وأثناء لقاء صحفي معه، صرح ببعض الأسرار حول مسائل عسكرية حساسة، لما قيل له كيف يجرؤ على ذكر هذه المعلومات الحساسة والصحف ستنتشر ذلك؟ أجابهم وبدون تردد: (لا تخافوا، فالعرب لا يقرؤن!). ليت الذين ألوا على أنفسهم أن يغلثوا عقولهم، أن يعودوا إلى الرشد، ويقرؤوا ولو قليلاً، ويطلع أحدهم يومياً، على أقل تقدير على برنامج تلفزيوني و يتصفح ولو صحيفة ورقية! لأنني متيقن، بأنهم على جهل تام بالالكترونيات منها، عساهم بفعلهم هذا يعرفوا شيئاً عما يدور حولهم.

عودا إلى ما بدأنا به في العديدين السابقين، يواصل البنا قوله: (رأينا أن تمحور الفكر الإسلامي حول (الله) جعل المبدأ الأعظم في المجتمع الإسلامي هو (الحق)، وأن الحرية تنطلق من الحق وتعد ممارسة له، وهو أمر صحيح، ولكنه في الوقت نفسه اقتضى استثناء حرية واحدة من هذا النطاق، وهذا الاستثناء ليس على سبيل التعارض والافتيات، ولكن على أساس أن هذه الحرية وحدها هي التي تكفل التفهم السليم لمبدأ الحق، تلك هي حرية الفكر والاعتقاد.

والحد الوحيد الذي تنتهي عنده هذه الحرية هو ذات الله تعالى وكنهه؛ لأن التفكير

الإنساني ليس مهياً لمعالجته، ولم يستطع كل الفلاسفة والمفكرين الذين حاولوا هذا من أربعة أركان الأرض، ومن سقراط حتى الآن التوصل إلى طائل من جراء الخوض فيه، ومن هنا فإن الخطر الوحيد على التفكير الذي جاء في أثر إسلامي هو التفكير في ذات الله، وبإستثناء هذه النقطة فإن الإسلام يطلق حرية الفكر دون قيد أو شرط.

والقضية التي كان على الفكر الإسلامي أن يجابهها هي أنه إذا كان الحق هو المبدأ الأعظم، فكيف يمكن تفهم هذا الحق والاعتناع به - أو بالتعبير الديني الإيمان به-؟ فإذا كان الإيمان بالحق لا يُفرض فرضاً، ولا بد فيه من الاعتناع والاطمئنان والطواعية، فلا مناص إذا من تهيئة مناخ من حرية الفكر ليتمكن أولاً تفهم (الحق) ومعالجه وأصوله وما يقتضيه أو يبني عليه... إلخ، وثانياً الاعتناع بصحة ذلك وسلامته إلى درجة الإيمان. وهكذا نجد أن حرية الفكر هي الطريق إلى الحق، ومن هنا فلا يمكن بداءة تقييدها بالحق؛ لأن هذا مصادرة لها، ومناقضة لطبيعتها.

كما أن فكرة حماية التفكير من أن يضل وأن ينتهي إلى نتائج خاطئة أو إلى متاهات هي مما لا يمكن التمسك بها؛ لأن أي سماح بفرض قيود أو حدود بتعلة حماية الفكر لن يقف عند هذه الدرجة المزعومة؛ لأن حدود الحماية تتوقف على فهم من يفرض هذه القيود لمضمون الفكر.

و يغلب أن يؤدي ضيق الأفق وسيطرة المصلحة إلى فرض أسوأ صور القيود في كل حالة يُسمح بها، كما يؤكد ذلك تاريخ حرية الفكر.

ولذلك فإن الإسلام استبعد أي صورة من صور القيود، ولم يوقفه عن ذلك خوف الضلال والإلحاد؛ لأن البديل عن هذا أسوأ منه؛ فعندما نفتح الباب على مصراعيه لحرية الفكر، ويضل البعض نتيجة لذلك، فإن من يؤمن فسيؤمن عن بينة واقتناع.

أما إذا سمحنا بالقيود والتحكم فسيكون الإيمان على دخل، ولا قيمة لهذا الإيمان، حتى وإن كثر عدد المؤمنين به^{١-٢}.

١. أرجو من القراء الكرام العودة، إلى موقع (اسلام أون لاين) قسم (الفتاوي الشرعية).

٢. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٥١ في ٢٧ حزيران ٢٠٠٧ ص ٥٠.

العقل أس الفضائل

وأنا أعيد النظر في كتاب (أدب الدنيا والدين) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي المتوفي سنة ٤٥٠هـ، - وأغلب ظني أنه كتاب إن وجد في أرفة المكتبات، سيوجد مغبرا متروكا مهجورا -، وقعت عينا على تلك العبارة الوجيزة التي عنونت بها حبتنا اليوم، وقد قال (رحمه الله) تحت تلك العبارة: (اعلم أن لكل فضيلة أسا^١، ولكل أدب ينبوعا^٢، وأس الفضائل، وينبوع الآداب، هو العقل، الذي جعله الله تعالى للدين أصلا، وللدنيا عمادا، فأوجب التكليف بكماله^٣، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، وألف به بين خلقه، مع إختلاف هممهم ومآربهم^٤، وتباين أغراضهم ومقاصدهم، وجعل ماتعدهم^٥ به قسمين: قسما وجب بالعقل، فوكده الشرع، وقسما جاز في العقل، فأوجبه الشرع، فكان العقل لهما عمادا، وروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه إلى هدي، أو يردّه عن ردي). وروي عنه أيضا أنه قال: (لكل شيء عمل دعامة^٦، ودعامة عمل المرء عقله). فبقدر عقله، تكون عبادته لربه، أما سمعتم قول الفجار: (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)^٧.

١. أسا: أصلا تقوم عليه، كأساس البناء.

٢. ينبوع: العين المنفجرة بالماء.

٣. إشارة إلى ما يذكره الفقهاء أخذا من القرآن والسنة بأن المجنون أو المعتوه، لا تكليف عليهم، ولا حرج على ما فعلوه.

٤. المآرب، جمع مأربة، بضم الراء وفتحها: وهي الحاجة.

٥. تعيدهم: تذللهم وكلفهم.

٦. الدعامة: عماد البيت وأسه.

٧. الآية ١٠ سورة الملك، وبعدها يقول سبحانه: (فاعترفوا بذنوبهم فسحقا لأصحاب السعير).

ومعنى هذا، ان الله سبحانه وتعالى، جعل عدم استعمال العقل من الذنوب الكبائر اللاتي تحمل صاحبها إلى ذلك المصير المؤلم.

وقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، ومروءته خلقه.

وقال الحسن البصري (رحمه الله): ما استودع الله أحدا عقلا الا استنقذه^٨ به يوما.
وقال بعض الحكماء: العقل أفضل مرجو، والجهل أنكى^٩ عدو.

وقال بعض الأدباء: صديق كل امريء عقله، وعدوه جهله.

وقال بعض البلغاء: خير الواهب العقل، وشر المصائب الجهل.

وقال بعض الشعراء، وهو إبراهيم بن حسان:

يزين الفتى في الناس صحة عقله وإن كان محظورا عليه مكاسبه

يشين الفتى في الناس قلة عقله وإن كرمته أعرافه ومناسبه^{١٠}

يعيش الفتى بالعقل في الناس إنه على العقل يجري علمه وتجاربه

وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الأشياء شيء يقاربه^{١١}

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه^{١٢}

لعل أحدهم يستفسر، عما نروم إليه من وراء إعادة هذا الجيل إلى ما كتبه الأولون؟

فأقول: عسانا أن نوفق لأن نأخذ بخير ما عندهم ولانعيد شر ما كان منهم، والله سبحانه قد وصف بالمدح عباده: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) الآية ١٨ سورة الزمر).

فما أحوجنا جميعا إلى أن نستمتع كثيرا، ثم نعمل بما وجدناه يعود بالخير لنا وللأمة ولقضيتنا العادلة^{١٣}.

٨. استنقذه: خلصه ونجاه.

٩. أنكى: من النكابة، وهي الضرر البليغ.

١٠. قلة عقله: فساد رأيه. وأعرافه: جمع عرق، والمراد الأصل. والمناسب: الأنساب، والنسب ما ينتمي إليه الإنسان من الآباء والأشراف.

١١. القسم بفتح فسكون: ما يقسمه الله بين الناس من الحظوظ والمواهب.

١٢. انظر: أدب الدنيا والدين، ص ١٩ - ٢٠ طبعة دار ومكتبة الهلال بيروت.

١٣. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٥٢ في ٢٠٠٧ ص ٥٠.

بالعمل وليس باللحبة

وأنا أقلب إحدى الصحف الألكترونية العربية، استوقفتني مقالة بعنوان: (اللحبة السعودية)، فجال بخاطري أنها ستأتي القراء بجديد حول أنواع اللحبة، وان السادة، هؤلاء قد وصلوا إلى نتائج علمية من وراء تربيتها! فإذا بها لا تتجاوز بعض السخرية من اللحبة المعتادة لدى رجال تلك البلدة التي قضيت شيئاً من أيام شبابي بها، من على مقاعد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة و أتم التسليم.

ولم تؤلني المقالة المليئة بالهجو، بقدر ما يؤلني أعمال البعض، من أصحاب الذقون أنفسهم! لتصورهم اللامتناهي - حفظهم الله - بأن إعفاء اللحبة التي في أحسن احوالها، تعتبر سنة من سنن المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، فلا ترك إعفائها، يعتبر إرتداداً من الدين، أو خروجاً من الملة، و لا إعفاؤها يعتبر وثيقة نجاة لمربيها، لا في الدنيا ولا في الآخرة! - وان كانت مركبا كريما و بقرة حلوبا في أعظم الأوقات، سيما في مجتمعاتنا الشرقية، النائمة، عفوا النامية - فهي ليست الا شكلا من الأشكال المحمودة دينيا، إن كانت مشفوعة بسننها و مدعمة بالعمل الصالح و مراعاة النظافة، والقيام بالواجبات والأركان والسنن والإبتعاد عن المنكرات و بشرط أن لا يكون إعفاؤها، سببا من أسباب جلب إنتباه العامة والضحك على عقولهم و إفراغ جيوبهم و اللعب بعواطفهم وابتلاع مقدراتهم، فقديما قال أجدادنا العظام من الكُرد: (بالعمل وليس باللحبة)، وقبل هذا وذاك، قال الله سبحانه وتعالى: (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) التوبة ١٠٥ .

لقد كان المرحوم (مام هزار) محقا وقيل أكثر من نصف قرن وهو يقول، في كتابه (چيشتى مجبور): (لو قدر لأحد أن يجرد هؤلاء الذين يبيعون دينهم بدنيا الناس، و

يظهرون أنفسهم بألبسة يسوعية، أن جردوا من تلكم الأشكال، سنعرف أشبه ما يكونوا بالحيوان الذي يجيد التقليد)، وقد كان المنفلوطي اعترى أعداء تلكم الصور التي تشين إلى الاسلام أكثر بكثير من الخدمة الشكلية التي يرون أنهم يقدمونها له.

قبل أيام و لأدري هل كان من حسن قدري أم من سوءه، دخلت إحد مجالس هذه المدينة، فإذا به يعج بأصحاب بعض من تلكم الأشكال التي أعرفهم عن قرب وعن كتب، وأعرف انهم كانوا إلى الأمس القريب، راكنين إلى الذين ظلموا^١، و أبواقا غير محترمين، للطاغية صدام، ومديرين للهيئات التي كانت توسم - زورا - بهيئات فتوى - التابعة لسلطان الغاشم -، فإذا بهم يظهرون تأسفهم على قنواتنا التلفزيونية و كيف أن البعض منهم يستهين بالدين وبالاسلام!، واهمين أن ذكر عيوب هؤلاء، إستهانة بمقدسات الدين، ناسين أنهم ليسوا الا عالة على الأمة وعلى الدين نفسه! اليوم أوغدا، سينتفض الناس فيتخلصوا من الأوهام والخرافات، وممن يفتخرون بتقاتل الجهلة على تقبيل أحذية أجدادهم الشريفة! و لا يعني هذا أننا لانجل أصحاب اللحي والأشكال الدينية الذين يعرفون لأنفسهم قدرها، ويعرفون للدين وللناس وللوطن وللواقع ولدماء الشهداء أقدارهم، فتاريخ هذا الشعب حافل بأسماء من تربوا في المساجد والتكايا والخانقاهات الكردستانية التي كان أصحابها إلى الأمس، يعيشون أتراح وأفراح شعبيهم المضطهد، ولكن: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا) مريم، ٥٩

ولولا هذا الإحساس منا جميعا، لما تكرر من السيد (مسعود بارزاني) اللقاء بينه وبين العلماء، مذكرا إياهم في كل مرة بماضيهم العريق وتاريخهم الزاخر بالبطولات، عسى أن يدلي الجدد بدلو الأولين^٢.

١. إشارة إلى قوله تعالى: (ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) ١١٣ هود.

٢. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٥٣ في ١١ تموز ٢٠٠٧ ص ٥٠.

أحكام التسعير في الفقه الإسلامي

ما أروع الحياة أن تمضي وبوازع الإيمان والوجدان وتأنيب الضمير، ولكن ماكل ما يطمناه المرء يدركه، إن هذا الواقع المأساوي الذي نمر به ونعايشه، من الغلاء الفاحش الذي لوقدر لأحد أبائنا الموارين تحت الثرى - وهو مستحيل - أن يعود إلينا، لبادر إلى الرجوع إلى عالمه البرزخي، لعدم تصوره وتفهمه، ماسيراه من معاناة الفقراء وهو الذي كان يروي لنا المجاعة التي رؤوها في (سفر بك)، في عهد حكم العثمانيين، المنقوش في خواطرم، غير عارف بأن البلاد والأزمة كلها تحولت إلي (سفر بلكات) شتى! مع وجود الخدمات والأموال الكثيرة، التي يحتاج التعامل معها، إلى إعادة النظر من أولياء الأمور أنفسهم.

وأنا أستمع إلى إحدى قنواتنا الفضائية الكردية، في برنامج مباشر، فإذا بأحد المتصلين يتمنى لو عدنا إلى التعامل بالمقايضة، بدل التعامل بالنقود التي كلما كبرت أرقامها نزلت قيمتها الشرائية، ولكن (اللعليات و الليتيات) لم تفد غيرنا قبل، حتى تفيدنا اليوم، فأليت على نفسي أن تكون هذه الحبة، عن بيان شيء من أحكام التسعير في الفقه الإسلامي، عسى أن يكون فيها تذكير لمن بأيديهم زمام الأمور أن يعيدوا النظر في الأسواق، غير تاركينها للتجار أن يمتصوا دماء الفقراء بإسم حرية السوق، فالتسعير: (منه ما هو ظلم محرم، ومنه ما هو عدل جائز).

فإذا تضمن ظلم الناس وإكراههم بغير حق على البيع بثمن لا يرضونه، أو منعهم مما أباح الله لهم، فهو حرام.

وإذا تضمن العدل بين الناس، مثل إكراههم على ما يجب عليهم من المعاوضة بثمن المثل، ومنعهم مما يحرم عليهم من أخذ الزيادة على عوض المثل. فهو جائز، بل واجب.

فأما القسم الأول: فمثل ماروي أنس (رضي الله عنه) قال: (غلا السعر على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالوا: يارسول الله، لو سعرت لنا؟، فقال: إن الله هو القابض الرازق، الباسط المسعر، وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطالبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال (رواه أبوداود والترمذي وصححه).

فإن كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم منهم وقد إرتفع السعر - إما لقلة الشيء، وإما لكثرة الخلق - فهذا إلى الله.

فإلزام الناس أن يبيعوا بقيمة بعينها: إكراه بغير حق.

وأما الثاني: فمثل أن يمتنع أرباب السلع عن بيعها، مع ضرورة الناس إليها إلا بزيادة على القيمة المعروفة.

فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل.

ولامعنى للتسعير إلا إلزامهم بقيمة المثل.

والتسعير ههنا إلزام بالعدل الذي ألزمهم الله به^١، ما نلاحظه هنا، وما نراه في واقع أسواقنا، ان القسم الثاني أولى به، لذا أناشد المسؤولين أن يرحموا من في الأرض، عسى أن يرحمهم من في السماء، فإن الفقراء يئنون تحت وطأة هذا الواقع الغلائي المر، لأقول فرص العمل غير متوفرة، ولأقول ليست هناك مشاريع تنموية وعمرانية، والحمد لله أولا وبفضل القيادة الرشيدة ثانيا جميعنا يرى، ولكن هذا لايعني أن كل شيء على مايرام، فالرغبة في الخير خير^٢.

١. أنظر: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية أو الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية،

للإمام ابن قيم الجوزية، ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

٢. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر ١٥٤، ١٨/تموز ٢٠٠٧ ص ٥٠ .

طلاق الغضبان

من منا لا يغضب؟ ولكن ليس كل واحد منا يبلغ به درجة اللاوعي، هي الحياة ليس كلها أفراحا، سيما حياة الإنسان الكردي و تحت وطأة و نيران وقهر مغتصبي أراضي و حاكري حرياته! الذي أريد قوله اليوم، ليس حديثا سياسيا بقدر ما هو حديث ديني بحت، والزاوية بالأصل قد خصصت لذلك.

كثيرا ما نسمع من الذين يزورون بعض العلماء، عندما يبتلون بالتلفظ بأبغض الحلال، فإذا بهم يسألون عن حالتهم التي كانوا عليها أثناء النطق بتلك الكلمة المكروهة! قبل أيام اتصل بي أحدهم ممن إختاروا، أو اضطروا إلى العيش بعيدا عن كردستان، وفي إحد البلدان الأوروبية، وقد تلفظ - كما ذكر- بالطلاق و لما راجع بعض من لا يعرف للتقوى سبيلا، ولا للعقل إحتراما، ولا للمروءة وزنا، أفتوا بأن الفراق واقع بينه وبين زوجته، والحل الوحيد أمامهم تزويج المرأة لليلة واحدة، برجل آخر، بغية تحليلها للزوج الأول! وهو الذي كان عمر (رضي الله عنه) يسميه: ب(التيس المستعار)، ولما عادا إلى البلد وإستنطقتهما، وجدت أن الحالة التي كان عليه الرجل، أثناء النطق بالكلمة - كما ذكروا - هي الحالة التي يسميها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالإنغلاق، فعرفت أن الرجل لولا تدارك الله إياه برحمته، لكان واحدا من ضحايا الفتاوي اللامسؤولة، بأيدي الذين يرون أنفسهم على شيء من العلم، والعلم عنهم بريء، براءة الذئب من دم إبن يعقوب! و بعد الاستماع إليهما أكثر، اتضح عندي بأن حالتهم أبعد ما يكون من الطلاق، لأن ما قاله الرجل، لم يكن خارجا في وقت غضب فحسب، بل جاءت نتيجة عدم التفهم للبعض، وعدم إستجابة أحد الطرفين للرغبة الفراشية التي كانت لدى المقابل، مما أثار حفيظة الرجل، فأصبح أشبه بالمجنون من كونه رجلا عاقلا قد غضب، فأليت على نفسي أن أكتب لهم بعضا مما ذكره العلماء (رحمهم الله)، فهم الذين يقولون: (لا يصح طلاق المجنون، ومثله المغمى عليه، والمدهوش: وهو الذي إعتزته حال إنفعال

لا يدري فيها ما يقول، أو يفعل، أو يصل به الإنفعال، إلى درجة يغلب معها الخلل في أقواله و أفعاله، بسبب فرط الخوف أو الحزن أو الغضب، لقوله (صلى الله عليه وسلم): (لا تطلق في إغلاق)^١.

والإغلاق: كل ما يسد باب الإدراك والقصد والوعي، لجنون، أو شدة غضب، أو شدة حزن ونحوها..... يفهم مما ذكر أن تطلق الغضب لايقع إذا اشتد الغضب، بأن وصل إلى درجة لا يدري فيها ما يقول ويفعل ولا يقصده. أو وصل به الغضب إلى درجة يغلب عليه فيها الخلل والاضطراب في أقواله وأفعاله وهذه حالة نادرة)^٢.

وأخيراً: ترى ألم يحزن لنا أن نعيد النظر في كثير من الفتاوي التي تبث هنا وهناك، وعلى وجه السرعة ودون النظر إلى أبعاد القضايا التي يبتون فيها^٣.

١. رواه أحمد وأبو داود و ابن ماجه عن عائشة، نيل الأوطار: ٢٣٥/٦، نصب الراية: ٢٢٣/٣ .

٢. أنظر: الفقه الإسلامي وأدلته، أ. و. وهبة الزحيلي، ج٩، ص ٦٨٨٢ - ٦٨٨٣ .

٣. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر العدد (١٥٥) ص ٥٠ في ٢٥ تموز ٢٠٠٧ .

القتل بوازع غسل العار

لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن القتل بوازع الدفاع عن الشرف أو (غسل العار) وسبق أن كتبت وقلت عنها الكثير، سواء عبر الصحف المحلية الكرديّة، أم تقديم برامج إذاعية، وآخر ما قدمته محاضرة في مركز كاوا الثقافي، في ١٧/تموز ٢٠٠٧، هنا في هوليير، للحديث عن أبعاد هذه القضية وعلى ضوء الآيات القرآنية والنصوص الواردة في الكتاب المقدس، فوجدتني بحاجة لأن أخص بعض ما قلته هناك:

أولاً: بتصوري وفهمي أن هذه العادة السيئة الصيت، جاءت بالأساس من تداخل الثقافات والتقاليد بين الشعوب، فالعرب وهم أقرب جار إلينا نحن الكرّد، كانوا ينظرون إلى المرأة ووجودها نوعاً من العار! يجب التخلص منه، بالقتل أو التعذيب، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) النحل ٥٨ - ٥٩ .

وقوله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) التكويد ٩٨ و٩٩ .

ثم صارت (جرائم الشرف) مصطلحاً، يطلق، على (الجرائم التي ترتكب داخل العائلة أو القبيلة، كأن يقتل الأب ابنته البكر العذراء عمداً، أو يقتل الأخ أخته عمداً، بدعوى الدفاع عن الشرف، والغيرة على العرض، حين تتهم الفتاة - صدقا أو كذبا - بإرتكاب الزنى، فتثور تائراً الأب أو الشقيق، ولا يطفى ناره ولا يمحوا علاه إلا أن يتخلص منها بقتلها)^١.

ثانياً: لدى العودة إلى الكتب المقدسة نجد في: العهد القديم (التوراة):

(لا تشته امرأة غيرك ولا عبده ولا جاريتك)^٢.

(وكل من زنى بإمرأة إسرائيلي لآخر، يقتل الزاني والزانية)^٣.

١-٢-٣. أنظر موقع إسلام أون لاين، قسم الفتاوى الشرعية.

ونجد في: العهد الجديد (الأنجيل): (أما يسوع فخرج إلى جبل الزيتون.
وعند الفجر رجع إلى الهيكل، فأقبل إليه الشعب كله. فجلس وأخذ يعلمهم.
وجاءه معلمو الشريعة والفريسيون بإمرأة أمسكها بعض الناس وهي تزني،
فأوقفوها في وسط الحاضرين، وقالوا له: يا معلم، أمسكوا هذه المرأة في الزنى.
وموسى أوصى في شريعته برجم أمثالها، فماذا تقول أنت؟، وكانوا في ذلك يحاولون
إحراجه ليتهموه.

فأنحنى يسوع يكتب بأصبعه في الأرض.
فلما الحوا عليه في السؤال، رفع رأسه وقال لهم: من كان منكم بلا خطيئة، فليرمها
بأول حجر.

وانحنى ثانية يكتب في الأرض.
فلما سمعوا هذا الكلام، أخذت ضمائرهم تبتكتهم، فخرجوا واحدا بعد واحد،
وكبارهم قبل صغارهم، وبقي يسوع وحده والمرأة مكانها.
فجلس يسوع وقال لها: أين هم يا امرأة؟، أما حكم عليك أحد منهم؟، فأجابت: لا،
ياسيدي!، فقال لها يسوع: وأنا لأحكم عليك.
إذهبي ولا تخطئي بعد الآن^٤.

(من نظر إلى امرأة ليشتتها، زنى بها في قلبه)^٥.

ونجد في: القرآن الكريم: (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) الإسراء ٣٤.
وقوله تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ
فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)
النور الآية ٢.

وقوله تعالى: (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ
مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالَّذِينَ يُرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

٤. أنظر موقع إسلام أون لاين، قسم الفتاوي الشرعية.

٥. سفر الخروج: الوصايا العشر الآية ٢٠، الفقرة ١٧ و ص ٩٣، الكتاب المقدس) و سفر اللاويين: الآية

٢٠ (الفرقة ١ - ٢٧): و الكتاب المقدس ص ١٤٨ - ١٤٩). و يوحنا ١/٨-١١ و الكتاب المقدس،

ص ١٥٥). و متي ٢٧/٥ و ٢٨-٣١ و ٣٢ و ٩/١٩ و الكتاب المقدس ص ٩-١٠ و ص ٣٣-٣٤.

فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) النور الآية ٣ و٤٠. وليس معنى هذا، أن كل أحد له حق تنفيذ الحدود، يقول العلامة ابن ضويان الحنبلي في كتابه (منار السبيل) وقد لخص فيه ما جاء في (المغني) لابن قدامة في هذه القضية: (ومن قتل شخصا في داره، وادعى أنه دخل لقتله أو أخذ ماله، أو وجدته يفجر بأهله، فأنكر الولي: فعليه القود (أي القصاص)، لأن الأصل عدم ذلك، قال في المغني: ولا أعلم فيه مخالفا.

الأصل في الجريمة: أنها سواء في حق الرجال والنساء، وليس في الشرع أن العمل الواحد يكون جريمة، بل جريمة كبيرة، بل كبرى، في حق المرأة، ولكنه لا يجرم ولا يعاقب في حق الرجل، وهذا ليس من منطلق الإسلام في شيء^٦. كما نرى الرجل يزني ابنة فلا يتمعض وجهه ولا ينكر عليه، وتزني ابنته فتثور ثأرته، ويرى إنها ارتكبت ما يوجب قتلها، والعمل محرّم على الابن والبنت معا. أجل، إن الزنى حرام في حق الرجال والنساء جميعا، وهو كبيرة من الكبائر بغض النظر عن جنس من ارتكبه^٧.

٦. سفر الخروج: الوصايا العشر الآية ٢٠، الفقرة ١٧ و ص ٩٣، الكتاب المقدس) وسفر اللاويين: الآية ٢٠ الفقرة ١ - ٢٧): و الكتاب المقدس ص ١٤٨ - ١٤٩). و يوحنا ١/٨ - ١١ و الكتاب المقدس، ص ١٥٥). و متي ٥/٢٧ - ٢٨ و ٣٢ - ٣١ و ٩/١٩ و الكتاب المقدس ص ٩ - ١٠ و ص ٣٣ - ٣٤.

٧. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر، ١٥٦، ١/٨/٢٠٠٧ ص ٥٠.

تقسيم رباني للعباد

قد لا أبالغ إن قلت سيئتهمني البعض بأن العنوان ليس إلا محض إفتراء على الله سبحانه، سيما الذين لا يقرؤون إلا بعين واحدة، وأحيانا كثيرة من وراء عوينات سودا. عندما نتصفح القرآن الكريم ونبدأ بثاني سورة منه، وهي أطول سوره على الإطلاق، نجد أن الله سبحانه وتعالى، يحدثنا من الآية ٣ إلى ٥ عن المؤمنين وصفاتهم الحميدة و إستسلامهم وإيمانهم بالغيبات، وما نسميها نحن بـ (الميتافيزيقيات) و يمدحهم بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ).

وفي الآية: ٦ إلى ٧، يحدثنا عن الذين ليس العيب فيهم أنهم لا يؤمنون بالله فقط، بل بلغ مسخ العقول والتدبر عندهم إلى درجة، لا يفيد معهم أي تذكير أو إنذار، وقد: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

أما في الآيات ٨ إلى ٢٠ (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون * وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون * وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون * وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون * الله يستهزي بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون * أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين * مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون * صم بكم عمي فهم لا يرجعون * أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين * يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا

فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فيحدثنا عن المنافقين الذين هم أخطر على المجتمعات المؤمنة وغير المؤمنة، من الذين لا يؤمنون بأي قيم من القيم السماوية، ولا بأي كتاب سماوي أو نبي مبعوث (على جميعهم السلام)، وهم الذين نسميهم نحن في أيامنا هذه، بـ(الطابور الخامس أو المائلون)، لأن الذي يعلم عداؤه، لا يكون شره مستطييراً، فيأخذ الكل الحذر منه، لكن الذي يواجهك بوجهه، و يواجه عدوك بما يرضيه، يعتبر أشد خطورة ممن يجابهك، وعليه نجد القرآن الكريم يقول عن عاقبتهم بأنهم: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) ١٤٥ النساء.

وليس حديثي بالدرجة الأولى عن هذا النوع من التقسيم، بقدر ما أريد التوقف أمام التقسيم الرباني الآخر للعباد، سيما المؤمنين منهم والمذكور في قوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) ٣٢ فاطر.

وقد حرصني على هذه الكتابة ما إستفدته من شيخي: (محمد شريف) رئيس المنتدى الفكري الإسلامي في كردستان، ونحن نتباحث الشدة المفرطة لدي بعض الذين ينصبون أنفسهم نواباً عن الله لإرسال من شاؤوا إلى الجنة من شاؤوا إلى النار، حيث قال: (لو أردنا نحن أن نصلح المجتمع كله، لطلبنا المستحيل).

فأليت على نفسي أن أعود إلى المصادر التفسيرية، فوجدت الإمام القرطبي (رحمه الله)، قد سبقه إلى الفكرة، بل واستدل على ماقاله في تفسيره للآية، بحديث نبوي (صلى الله عليه وسلم) يرويهِ المحدثون، ويسند صحيح، عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوله: (سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له)١.

فقلت في نفسي: أية مكرمة ربانية هذه؟ فليت الذين يجيدون التشدد والتكفير، عادوا بعقولهم إلى القرآن، وإلى بعض ما ذكره أهل العلم، ممن يرون التسامح الديني هو أسمى غاية دعا إليها الرسل (سلام الله عليهم) والمصلحون جميعاً.

وليت الذين يعتبرون من لا يكون في جماعتهم، يكون خارجاً عن الملة، عرفوا أن الحق مهما كان لدى البعض، لا يمكن حصره فيهم.

١. راجع تفسير القرطبي وقد عزا مخرجه الحديث إلى الحاكم و الطبراني وأحمد بن حنبل.

وليت الذين يتصدرون الفتوى، عرفوا أن الأفضل، والأحوط لدينهم، ودنياهم، أن يعودوا في فتاويهم إلى أكثر من مصدر و أكثر من مذهب، فيما إذا بحثوا في القرآن والسنة ولم يجدوا بغيتهم^٢.

٢. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٥٧ ص٥٠ في ٨/٨/٢٠٠٧.

هل اللغة العربية أفضل اللغات؟

سؤال وجه إلي، لظن بعضهم بأن نزول القرآن الكريم بهذه اللغة، أكسبها أفضلية على غيرها، وبما أن نزوله بين ظهراني العرب، فهم خير الأقسام قاطبة! كيف لا، والله سبحانه وتعالى يقول: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (١١٠: آل عمران).

مع أن الآية، لا تدل لا عن قريب ولا عن بعيد على فضل العرب، إلا إذا التزموا كغيرهم بالإسلام، ومن يتصف بتلكم الأوصاف الثلاثة الواردة في الآية، يستحق ذلك الوصف، أجبتهم بمايأتي:

أولاً: بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات ١٣.

ثانياً: بأن ورود كلمة العرب في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة، لا يدل بأي وجه من وجوه الدلالة على التفضيل. وبأن القول المشهور: (أحبوا العرب لثلاث، لأنني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي) هو كلام أخرجها الحاكم في مستدركه، وقد حكم أهل الحديث عليه، بأنه حديث موضوع^١.

ولكن غر بعض هؤلاء، قول ابن تيمية (رحمه الله): (أن جنس العرب أفضل من جنس العجم: عبرانيهم وسريانهم، رومهم، وفرسههم وغيرهم، وأن قريشا أفضل العرب..... وليس فضل العرب، بمجرد كون النبي منهم وإن كان هذا من الفضل، بل هم في أنفسهم أفضل)^٢.

١. سلسلة الأحاديث الموضوعية وأثرها السيء على الأمة/ للألباني/ رقمهما ١٦٠ و ١٦١ وما رواه الحاكم: (حب العرب إيمان وبغضهم نفاق) وضعفه الذهبي بل حكم عليه بأنه كلام لا أصل له،

كما نقل ذلك عنه ابن حجر في لسان الميزان ٤/ ١٨٥.

٢. اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٣١ ط/دار الأنصار.

وقال النووي: (مذهبنا أنه لا يجوز قراءة القرآن بغير لسان العرب سواء أمكنه العربية أم عجز عنها، وسواء كان في الصلاة أم غيرها، فإن أتى بترجمته في صلاة بدلاً عن القراءة لم تصح صلاته، سواء أحسن القراءة أم لا) ٢.

وأما ابن حزم في معرض حديثه عن كيفية ظهور اللغات أعن التوقيف أم عن اصطلاح؟، يقول: (لقد توهم قوم في لغتهم أنها افضل اللغات، وهذا لا معني له لأن وجوه الفضل معروفة وإنما هي بعمل أو اختصاص ولا عمل للغة ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة ٣.

وقد قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ٤: إبراهيم).
وقال تعالى: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) ٥٨ الدخان).

فأخبر تعالى أنه لم ينزل القرآن بلغة العرب الا ليفهم ذلك قومه عليه السلام لا لغير ذلك... وقد قال قوم: العربية افضل اللغات لأنه بها نزل كلام الله تعالى.

قال علي: وهذا لا معني له لأن الله عز وجل قد اخبرنا أنه لم يرسل رسولا الا بلسان قومه.

وقال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) ٢٤: فاطر).

وقال تعالى: (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ) ١٩٦ الشعراء).

فبكل لغة قد نزل كلام الله تعالى ووحيه وقد انزل التوراة، والأنجيل، والزبور، وكلم موسى (س) بالعبرانية، وأنزل الصحف على ابراهيم (س) بالسريانية.

فتساوت اللغات تساويا واحداً.

وأما لغة اهل الجنة وأهل النار، فلا علم لنا الا بما جاء في النص والأجماع.

ولا نص ولا اجماع في ذلك إلا أنه لا بد لهم من لغة يتكلمون بها ضرورة ولا يخلو ذلك من أحد ثلاثة اوجه لا رابع لها:

١- اما ان تكون لهم لغة واحدة من اللغات القائمة بيننا الآن.

٢- واما ان تكون لهم لغة غير جميع هذه اللغات.

٣- أو ان تكون لهم لغات شتى.

٣. المجموع (٣/٢٦٠).

٤. الإحكام في اصول الأحكام) ج ١ ص ٣٣.

لكن هذه المحاور التي وصفها الله تعالى توجب القطع بأنهم يتفاهمون بلغة اما العربية المختلفة او غيرها مما الله تعالى اعلم به.

وقد ادعى بعضهم ان اللغة العربية هي لغتهم واحتج بقول الله عز وجل: (دَعَاَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى الْعَالَمِينَ) (يونس: ١٠).

فقلت له: فقل انها لغة اهل النار لقوله تعالى عنهم: (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) ٢١: ابراهيم . ولأنهم قالوا: (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ) ٥٠: الأعراف. ولأنهم قالوا: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) ١٠: الملك. فقال لي: نعم.

فقلت له: فاقض ان موسى وجميع الأنبياء عليهم السلام، كانت لغتهم العربية، لأن كلامهم محكي في القرآن عنهم بالعربية.

فإن قلت هذا، كذبت ربك، وكذبت ربك، في قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُبَيِّنَ قَوْلَهُمْ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ٤: إبراهيم.

فصح ان الله تعالى انما يحكي لنا معاني كلام كل قائل في لغته باللغة التي بها نتفاهم، ليبين لنا عز وجل فقط، وحروف الهجاء واحدة لا تفاضل بينها ولا قبح ولا حسن في بعضها دون بعض.

وهي تلك بأعيانها في كل لغة فبطلت هذه الدعاوي الزائفة الهجينة وبالله تعالى التوفيق. وقد ادعى هذا الوسواس العامي اليهود الى ان استجازوا الكذب والल्प على الباطل بغير العبرانية، وادعوا ان الملائكة الذين يرفعون الأعمال لا يفهمون الا العبرانية فلا يكتبون عليهم غيرها، وفي هذا من السخف ماترى.

وعالم الخفيات وما في الضمائر عالم بكل لسان ومعانيه عز وجل.

(لا اله الا هو وهو حسبنا ونعم الوكيل)°.

٥. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر، العدد ١٥٨ ص ٥٠، ١٥ آب ٢٠٠٧.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أول ما يتبادر إلى ذهن كل واحد منا، لدى إطلاعه على هذا العنوان سيقول: أليس هذا الكلام هو الذي يتردد منذ مئات السنين على ألسنة الوعاظ؟ سيما من لا يجيدون إلا الكلام المعسول عن بعض المثاليات فحسب؟ وأنا بدوري لا ألومهم على هذا الفهم! ولكن لا لأنني أرتضيه، أو أتبناه - لا سمح الله -، ولكن لموافقتي إياهم، في أن معظم الذين يرددون هذه الجملة، هم ممن بالكاد يعرفون شيئا عن أبعادها! لذا مع الحاحي التام وقناعتي اللامتناهية بفرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أراني ملزما بأن أنقل إليكم بعضا من الشروط التي حددها العلماء قديما وحديثا، لأن تتوفر في المنكر الذي يراد تغييره، حيث قالوا جزاهم الله خيرا: (فريضة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهي الفريضة التي جعلها الله تعالى أحد عنصرين رئيسين في تفضيل هذه الأمة وخيريتها:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) ١١٠: آل عمران.

وكما مدح القرآن الأمرين الناهين، ذم الذين لا يأمرون بالمعروف، ولا يتناهون عن المنكر، قال تعالى: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) المائدة: ٧٨، ٧٩.

والمسلم بهذا ليس مجرد إنسان صالح في نفسه، يفعل الخير ويدع الشر ويعيش في دائرته الخاصة، لا يبالي بالخير، وهو يراه ينزوي ويتحطم أمامه، ولا بالشر وهو يراه يُعشش ويفرخ من حوله.

بل المسلم - كل مسلم - إنسان صالح في نفسه، حريص على أن يصلح غيره، وهو الذي صورته تلك السورة الموجزة من القرآن، سورة العصر: (وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ

لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ) سورة العصر.

فلا نجاة للمسلم من خسر الدنيا والآخرة، إلا بهذا التواصي بالحق والصبر، الذي قد يعبر عنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو حارس من حراس الحق والخير في الأمة.

فكل منكر يقع في المجتمع المسلم، لا يقع إلا في غفلة من المجتمع المسلم، أو ضعف وتفكك منه، ولهذا لا يستقر ولا يستمر، ولا يشعر بالأمان، ولا يتمتع بالشرعية بحال.

وأما شروط تغيير المنكر، فقد حددهه بما يأتي:

١- أن يكون محرماً مجمماً عليه: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) النساء: ٣١.

وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر).^١

فلا يدخل في المنكر إذا المكروهات، أو ترك السنن والمستحبات.

٢- ظهور المنكر: أي أن يكون المنكر ظاهراً مرئياً، فأما ما استخفى به صاحبه عن أعين الناس وأغلق عليه بابه، فلا يجوز لأحد التجسس عليه، بوضع أجهزة التصنت عليه، أو كاميرات التصوير الخفية، أو اقتحام داره عليه لضبطه متلبساً بالمنكر.

وهذا ما يدل عليه لفظ الحديث: (من رأى منكم منكراً فليغيره...) فقد ناط التغيير برؤية المنكر ومشاهدته، ولم ينطه بالسماع عن المنكر من غيره.

٣- لتغيير المنكر بالقوة، القدرة الفعلية على التغيير: أن يكون مرید التغيير قادراً بالفعل - بنفسه أو بمن معه من أعوان على التغيير بالقوة.

بمعنى أن يكون لديه قوة مادية أو معنوية تمكنه من إزالة المنكر بسهولة.

(فمن لم يستطع فبلسانه)، أي: فمن لم يستطع التغيير باليد، فليدع ذلك لأهل القدرة، وليكتف هو بالتغيير باللسان والبيان، إن كان في استطاعته.

وهذا في الغالب إنما يكون لكل ذي سلطان في دائرة سلطانه، كالزوج مع زوجته، والأب مع أبنائه وبناته، الذين يعولهم ويولي عليهم، وصاحب المؤسسة في داخل

١. رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة.

مؤسسته، والأمير المطاع في حدود إمارته أو سلطته، وحدود استطاعته.
٤: عدم خشية منكر أكبر: أي ألا يخشى من أن يترتب على إزالة المنكر بالقوة منكر أكبر منه، كأن يكون سبباً لفتنة تسفك فيها دماء الأبرياء، وتنتهك الحرمات، وتنتهب الأموال، وتكون العاقبة أن يزداد المنكر تمكناً، ويزداد المتجبرون تجبراً وفساداً في الأرض.

ولهذا قرر العلماء مشروعية السكوت على المنكر مخافة ما هو أنكر منه وأعظم، ارتكاباً لأخف الضررين، واحتمالاً لأهون الشرين.

وبعد كل هذا يجب أن يراعي أثناء التغيير، الرفق بمن يراد منه أن يعود إلى رشده ويترك ما هو عليه من المنكر، فقد ارسل الله سبحانه وتعالى نبيين من أنبيائه عليهم السلام، إلى اعنى عدو، قد بلغ به الجهل ادعاء الألوهية، ومع ذلك أمرهم باللين، (أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) طه ٤٣، ٤٤، ٢، ٣.

٢. أرجو ممن يريد التفصيل، أن يعود إلى: موقع (اسلام أون لاين، قسم الفتاوي).
٣. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر، العدد ١٥٩، ص ٥٠، في ٢٢/٨/٢٠٠٧.

استعمال أدوات العمل في المصلحة الشخصية

إن الواقع الذي يعيشه معظمنا يقول: عليك بالمال ومهما كان المصدر، فالحرام، هو الذي لا يقع باليد، لا الذي حرمه الله! سيما أغلبية الذين يملكون زمام أمور الناس ويرتقون الكراسي في بعض الأماكن المغدقة بالمال، ومع هذا هناك من يسأل عن حكم استخدامه إحدى سيارات الدولة مثلاً لأغراضه الخاصة؟ ذلك ماطلعت عليه وأحببت نقله إليكم، حيث جاء الرد هكذا^١: (إن من الموظفين العاملين في المؤسسات العامة كالوزارات والجامعات والشركات العامة من يسيئون استخدام الأموال العامة وما هو في حكمها كالتلفونات والسيارات والمعدات وغير ذلك).

وينبغي التوضيح أولاً أن أموال هذه الجهات وما في حكمها من أدوات مختلفة تعتبر من المال العام المملوك لعامة المسلمين في ذلك البلد، والمال العام له حرمة في الشرع، كالمال الخاص، بل أشد، لذا يحرم التساهل في استخدام المال العام وكأنه لا مالك له. وقد دلت الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، على حرمة الخوض في الأموال العامة، قال الله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) سورة البقرة ١٨٨.

وقال أيضاً: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) سورة النساء الآية ٢٩. وجاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن هذا المال خضرة، حلوة، فمن أخذه بحقه و وضعه في حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه، كان كالذي يأكل ولا يشبع) رواه البخاري ومسلم). وفي رواية أخرى: (وإن هذا المال خضر، حلو، ونعم صاحب المسلم هو، لمن أعطى

١ . موقع أسلام أون لاین، ركن الفتاوي، د. حسام الدين بن موسي عفانة، أستاذ الفقه وأصوله بجامعة القدس.

منه المسكين واليتيم وابن السبيل، أو كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإنه من يأخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة) رواه مسلم).

وعن خولة الأنصارية (رضي الله عنها) قالت: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إن رجلاً يخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة) رواه البخاري. (قال الحافظ ابن حجر: قوله: (يتخوضون في مال الله بغير حق) أي يتصرفون في مال المسلمين بالباطل).

(ومن العلماء من جعل المال العام كمال اليتيم بالنسبة للولي لا يتصرف فيه إلا بما يحقق مصلحة اليتيم ونقل مثل ذلك عن عمر (رضي الله عنه)، ومن القصص المشهورة عن عمر بن عبد العزيز أنه كان عنده مصباحان أحدهما للدولة يستعمله عند قضاء مصالحها والآخر مصباح شخصي له يشعله إذا انتهى من مصالح الدولة.

إذا تقرر هذا، فأعود إلى السؤال فأقول إن السيارة التي أعطتك إياها المؤسسة لتستخدمها في العمل يجب أن يكون استخدامها في نطاق العمل وما يخدمه وبالتالي لا يجوز استخدامها في الأمور الخاصة كالذهاب بها في الرحلات أو العمل عليها كسيارة أجرة ونحو ذلك فهذا كسب لا شك حرام.

ومثل ذلك استخدام تلفون المؤسسة، فينبغي أن يكون في الأصل في شؤون العمل، وأما استخدام التلفون في الأمور الشخصية، كمن يتصل بمن يريد من أهله وأقاربه خارج البلاد، مستعملاً تلفون المؤسسة، فلا يجوز ذلك.

وقد يغض النظر عن بعض الاتصالات الداخلية التي يجريها الموظف لبعض شؤونه الخاصة، وكذا استخدام بعض الأدوات اليسيرة في شؤونه الخاصة، مما تعارف الناس عليه كاستخدام ورقة أو تصويرها ونحو ذلك.

ومن المعروف أن العرف له اعتبار، فلذا الحكم عليه قد يدار، ولكن لا يجوز التوسع في هذا الباب، لأن الأصل حرمة المال العام.

وأظن أنه يوجد في بعض المؤسسات العامة، أنظمة وتعليمات لتنظيم استخدام الأموال العامة وما في حكمها كالسيارات فإن وجدت مثل هذه الأنظمة والتعليمات فيجب الالتزام بها.

وينبغي التذكير، أن الموظف، في الأصل هو بمثابة الأجير، والأجير لا بد أن يكون

أميناً، ويدخل في الأمانة حسن أداء العمل، وتشمل أيضاً الأمانة في استخدام المال العام، و الأمانة في استخدام أدوات العمل وغير ذلك.
قال الله تعالى: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) سورة القصص، الآية ٢٦.

ويقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) سورة النساء الآية ٥٨.

ويقول تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) سورة المؤمنون الآية ٨.
وعن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: (يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) رواه مسلم).

وخلاصة الأمر أن الأصل حرمة الأموال العامة وما في حكمها من الأدوات كالسيارات فلا يجوز استعمالها في الشؤون الشخصية إلا بالمقدار الذي يحقق مصلحة جهة العمل^٢.

٢. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر، العدد ١٦٠، ص ٥٠، ٢٩/٨/٢٠٠٧.

أسئلة حول فريضة الزكاة

أستسمح قرائي الكرام، من اليوم فصاعدا لأخصص زاويتكم (من كل بيدر حبة)، لما يخص الركن الثاني مما يجب على المسلم أدائه، (صيام شهر رمضان) وما يتعلق به، أو ما وصلنا من الأسئلة، وأري من الواجب علي، أن أتى في كل مرة بما يوضح لهم أمر دينهم، وكى لا أتهم بالإنحياز إلى مذهب أو آخر، سأبحث عن ما هو سهل ومليء بالسماح في الإجابات إن شاء الله تعالى، وليكن أول ما أبدأ به هو الإجابة على بعض الأسئلة حول الزكاة، لأن المسلمين بصفة عامة، يختارون هذا الشهر لإخراجها، ويقدر الإمكان ستكون الإجابة مأخوذة من المصادر الموثوقة، والمواقع العلمية، ولدي إطلاعي على موقع (الفتاوي الجامعة للمرأة المسلمة، وجدت أن هناك نماذج من الأسئلة التي تتكرر دوماً:

١- إذا أخرجت المرأة زكاة مهرها المؤخر كل عام، سينفذ المهر عن قريب فما

العمل؟

الجواب: إذا كان الزوج فقيراً فلا تزكي ما في ذمته من المهر وهكذا كل دين، فالدين الذي في ذمة فقير لا زكاة عليه لأن صاحب الدين لا يستطيع أن يستوفيه، لأن الفقير يجب إنظاره ولا يجوز طلبه ولا مطالبته ولا حبسه، بل يجب إذا علم الإنسان أن مدينه فقير، أن يعرض عنه ولا يطلب منه الوفاء، ولا يجوز أن يحبس على ذلك.

٢- هناك إسراف من بعض النساء في لبس الذهب، مع أن لبسه حلال، فما حكم

الزكاة في الذهب؟

الجواب: الذهب والحريز قد أحلا للإناث دون الرجال، كما ثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

(أحل الذهب والحريز لإناث أمتي، وحرّم على ذكورها) أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وصححه من حديث أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه).

واختلف العلماء في الزكاة، هل تجب في الحلي أم لا؟ فذهب بعض العلماء في الزكاة، إلى أنها لا تجب في الحلي الذي تلبسه المرأة وتعيّره، وقال آخرون إنها تجب، وهذا هو الصواب.

أي وجوب الزكاة فيه إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول لعموم الأدلة.

والنصاب عشرون مثقالاً من الذهب، ومائة وأربعون مثقالاً من الفضة فإذا بلغ الحلي من الذهب من القلائد أو الأسورة أو نحوها عشرين مثقالاً، وجبت فيه الزكاة، والعشرون مثقالاً تعادل ما مقداره بالجرام ٩٢ جراماً، فإذا بلغ الحلي من الذهب هذا المقدار ٩٢ جراماً، فإن عليه الزكاة، والزكاة ربع العشر كل حول.

وقد ثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن امرأة دخلت عليه، وفي يد ابنتها مسكتان من ذهب فقال: (أتعطين زكاة هذا)؟ قالت: لا، فقال: (أيسرك، أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟)، قال الراوي وهو عبد الله ابن عمرو بن العاص (رضي الله عنه): فخلعتهما فألقتهما إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وقالت: هما لله ولرسوله.

رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح وقالت أم سلمة (رضي الله عنها)، وكانت تلبس أوضاعاً من ذهب، أكنز هذا يارسول الله؟ قال (صلى الله عليه وسلم): (ما بلغ أن تؤدي زكاته فزكي فليس بكنز) رواه أبو داود والدارقطني وصححه الحاكم وأخرج أبو داود من حديث عائشة (رضي الله عنها) بسند صحيح قالت: دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفي يدي فتحات من ورق فقال: (ما هذا يا عائشة؟) فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله قال: (أتؤدين زكاتهن)؟ فقالت: لا أو ما شاء الله قال: (هو حسبك من النار) وقد صححه الحاكم كما ذكر ذلك الحافظ ابن رجب في بلوغ المرام، والمراد بالورق: الفضة، فدل ذلك على أن الذي لا يزكي، هو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة والعياذ بالله.

٣- هل تدفع الزوجة زكاة حليها لزوجها، علماً بأنه موظف، ولكنه مدينون؟

الجواب: لا حرج في دفع المرأة زكاة حليها أو غير حليها لزوجها، إذا كان فقيراً، أو غارماً لا يستطيع الوفاء، في أصح قولي العلماء لعموم الأدلة ومنها قوله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) الآية ٦٠ من سورة التوبة).

٤- هل يجوز إخراج الزكاة من شخص لأمه؟

الجواب: ليس للمسلم أن يخرج زكاته في والديه، ولا في أولاده، بل عليه أن ينفق عليهم من ماله إذا احتاجوا لذلك، وهو يقدر على الإنفاق عليهم.

٥- سؤال من امرأة: هل يجوز أن يخرج زوجي عني زكاة مالي علما أنه هو الذي أعطاني المال، وهل يجوز إعطاء الزكاة لابن أختي - المتوفي عنها زوجها - وهو شاب في مقتبل العمر ويفكر في الزواج؟

الجواب: الزكاة واجبة عليك في مالك إذا كان عندك نصاب أو أكثر من الذهب أو الفضة أو غيرهما من أموال الزكاة، وإذا أخرجها عنك زوجك بإذنك فلا بأس، وهكذا لو أخرجها عنك أبوك أو أخوك أو غيرهما بإذنك فلا بأس، ويجوز دفع الزكاة لابن أختك مساعدة له في الزواج إذا كان عاجزا عن مؤنته.

٦- هل يصح إخراج الزكاة للإبنة المتزوجة المحتاجة؟

الجواب: كل من اتصف بوصف يستحق به الزكاة فالأصل، جواز دفع الزكاة إليه، وعلى هذا فإن كان الرجل لا يمكنه أن ينفق على ابنته وأولادها فيدفع الزكاة إليها والأفضل والأحوط والأبواب للذمة أن يدفعها إلى زوجها.

٧- إذا كان لإنسان أخت شقيقة متزوجة من إنسان فقير الحال، فهل يجوز لها من زكاة إخوانها شيء؟

الجواب: نفقة المرأة واجبة على زوجها، فإذا كان فقيرا فلاخوان زوجته أن يعطوا أختهم من زكاة أموالهم لتنفق منها على نفسها وزوجها الفقير وأولاده، بل هذه الزوجة إذا كان لها مال وجبت فيه الزكاة فلها أن تعطي زكاة مالها لزوجها لينفق منها على من يعيلهم.

٨- هل يجوز للمرأة أن تخرج من مالها الخاص صدقة لأحد أقاربها الأموات دون علم زوجها، وما الحكم إذا كانت الصدقة من مال زوجها؟

الجواب: يجوز للمرأة أن تخرج من مالها الخاص صدقة عن أقاربها الأموات لوجه الله سبحانه وتعالى ليعود ثوابها ونفعها إليهم لأنها تتصرف من مالها وهي حرة في مالها في حدود ما شرعه الله.

والصدقة عمل صالح ويصل ثوابها إلى من تصدق عنه إذا تقبلها الله، أما أن

تتصدق من مال زوجها وهو لا يمنع من ذلك وعرفت من زوجها ذلك فلا مانع.
أما إذا كان زوجها يمنع من ذلك فهذا لا يجوز.

٩- إذا كان فيه نساء متزوجات وهو قرابة للرجل كبنات عم وخال وخالة وأزواجهن غير موسرين وينقصهن بعض حوائجهن الخاصة فهل يجوز دفع الزكاة لهن؟

الجواب: غير خاف أن من مصاريف الزكاة للفقراء والمساكين وتحقيق كون النساء المسؤول عنهن من الفقراء والمساكين يرجع إلى المعرفة بأحوالهن، فإذا كانت هذه الحوائج الخاصة لها تتعلق بالنفقة والكسوة والأزواج غير قادرين على ذلك فلا مانع من الدفع لهن، أما إذا كان المراد بالحوائج الخاصة شراء كماليات كالذهب ونحو ذلك فلا يجوز^١.

١. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٦١، ص ٥٠، ٢٠٠٧/٩/٥.

رؤية الهلال و النية في الصيام

بما أن ظهور هلال رمضان أو هلال شوال بين الدول الإسلامية، يتفاوت تفاوتاً ملموساً، فهل يصوم المسلمون عند رؤيته في إحدى هذه الدول؟ يقول الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله): (مسألة الهلال مختلف فيها بين أهل العلم فمنهم من يرى أنه إذا ثبت رؤية هلال رمضان في مكان على وجه شرعي فإنه يلزم جميع المسلمين الصوم، وإذا ثبت رؤية هلال شوال لزم جميع المسلمين الفطر).

وهذا هو المشهور من مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وعلى هذا فإذا رُوي في المملكة العربية السعودية، مثلاً، وجب على جميع المسلمين في كل الأمصار أن يعملوا بهذه الرؤية صوماً في رمضان وفطراً في شوال.

واستدلوا على ذلك بعموم قوله تعالى: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) البقرة ١٨٥. وعموم قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا) أخرجه البخاري (١٩٠٦)، ومسلم (١٠٨٠).

ومن العلماء من يقول: إنه لا يجب الصوم من هلال رمضان ولا الفطر في شوال، إلا لمن رأى الهلال، أو كان موافقاً لمن رآه في مطالع الهلال، لأن مطالع الهلال تختلف باتفاق أهل المعرفة.

فاذا اختلفت وجب أن يحكم لكل بلد برؤيته، والبلاد التي توافق مطالع الهلال فهي تبع له وإلا فلا.

وهذا القول هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، واستدل على هذا بقوله تعالى: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) (إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا)، أي بذات الدليل الذي استدل به من يري عموم وجوب حكم الهلال لكن وجه الاستدلال عند ابن تيمية في هذه الآية وهذا الحديث مختلف... إذ أن الحكم قد علق بالشاهد والرأي وهذا يقتضي أن من لم يشهد ومن لم ير لا يلزمه الحكم.

وعليه إذا اختلفت المطالع لانتثبت أحكام الهلال بالتعميم.
وهذا لاشك وجه قوي في الاستدلال ويؤيده النظر والقياس^١.
و مما يكثر التساؤل حوله، أحكام النية ومدى ايجابها لمن يريد أداء صوم رمضان،
وذلك لما ثبت في الحديث الصحيح (لا صيام لمن لم يبيت النية) لذلك يتطلب فهم الحديث
العودة إلى مظانها، يقول الشيخ ابن جبرين (رحمه الله): (النية هي عزم القلب على فعل
الصيام وذلك ملازم لكل مسلم يعلم أن شهر رمضان قد فرض الله صيامه فيكفي من
تبييت النية معرفته بهذه الفريضة، والتزامه لذلك ويكفي أيضا تحدث نفسه بأنه سوف
يصوم غدا إذا لم يكن عذر ويكفي أيضا تناوله لطعام السحور بهذه النية ولا حاجة إلى
أن يتلفظ بالنية للصوم أو لغيره من العبادات، فالنية محلها القلب واستصحاب حكمها
واجب في جميع النهار بأن لا ينوي الإفطار ولا إبطال الصيام)^{٢-٣}.

١. فتاوى كبار العلماء، ص ٥٤٩ .

٢. المصدر السابق، ص ٥٥٢ وبالعودة إلى: فتاوى إسلامية ١١٣/٢ .

٣. تم نشر هذه المقالة، في: مجلة الصوت الآخر ١٦٢ في ١٢/٩/٢٠٠٧ ص ٥٠ .

حكم البحث عن علاج للعجز الجنسي

أرجو أن لا يعتبر أحد اتيناني بهذه الأسئلة والإجابة عليها، من الأمور الطبية التي يكثر السؤال عنها من الواجهة الشرعية، نوعاً من التدخل في أمور الأطباء، فإننا جميعاً نكمل بعضنا، وان صح أنهم يمارسون طب الأبدان، فنحن نمارس طب الأرواح، وبالعودة إلى مسلماتنا الدينية ان شاء الله، مما ورد من الأسئلة التي طرحت على (مجمع الفقه الإسلامي)، قول بعضهم: هل يجوز البحث عن علاج للعجز الجنسي؟

الجواب: الحمد لله: يجوز البحث عن علاج للعجز الجنسي لأنه مرض وداء وقد أباح الشارع التداوي فقال، (صلى الله عليه وسلم): (نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا ووضع له شفاءً - أو دواءً - إلا داءً واحداً، فقالوا: يا رسول الله ما هو؟ قال: الهرم) رواه الترمذي (١٩٦١) وصححه الألباني (رحمه الله) في صحيح الترمذي (٢٠٢/٢).

وقال (صلى الله عليه وسلم): (ما أنزل الله داءً إلا قد أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله) رواه الإمام أحمد (٣٣٩٧) واللفظ له والبخاري (٥٢٤٦).

ويشترط في الدواء والعلاج شروط، منها:

- ١- أن لا يؤدي إلى حدوث مضرة أكبر، كمرض أشد أو هلاك، وبعض أدوية الضعف الجنسي قد تؤدي إلى ذلك.
 - ٢- أن لا يكون بمحرم كالخمر والنجاسة ولحم ما لا يجوز أكله.
 - ٣- عدم التساهل في كشف العورات.
 - ٤- أن لا يتعاطاه إلا بعد استشارة الطبيب الخبير الثقة. والله تعالى أعلم^١.
- و ورد أيضاً قولهم: يوجد في بعض الحقول الطبيّة توجّه للاستفادة من الأجنّة

١. انظر: موقع (الإسلام سؤال وجواب) الشيخ محمد صالح المنجد.

المُجهضة في عمليات زراعة الأعضاء فما حكم ذلك؟ فكان الجواب: الحمد لله: يوجد في العالم اليوم تجارة تُعرف بتجارة الأجنة يتورط فيها بعض الأطباء بتعمد إسقاط بعض الأجنة لإستثمار بيع أعضاء الجنين أو خلاياه التي تستخلص في حقن يستفيد منها بعض أغنياء المسنّين وغيرهم، وهذه من الجرائم العظيمة وفيها إزهاق الأرواح البريئة والاعتداء المتعمد بالقتل لأجل المال، وهذا من الظلم العظيم وحكمه واضح وبيّن، وأمّا عن مسألة حكم استخدام الأجنة مصدراً لزراعة الأعضاء، فقد تولى بحثها مجمع الفقه الإسلامي وأصدر فيها الفتوى الآتية:

أولاً: لا يجوز استخدام الأجنة مصدراً للأعضاء المطلوب زرعها في إنسان آخر، إلا في حالات بضوابط لا بد من توافرها:

أ- لا يجوز إحداث إجهاض من أجل استخدام الجنين لزرع أعضائه في إنسان آخر، بل يقتصر الإجهاض على الإجهاض الطبيعي غير المتعمد والإجهاض للعدو الشرعي، ولا يلجأ لإجراء العملية الجراحية لاستخراج الجنين، إلا إذا تعينت لإنقاذ حياة الأم.

ب- إذا كان الجنين قابلاً لاستمرار الحياة فيجب أن يتجه العلاج الطبي إلى استبقاء حياته والمحافظة عليها، لا إلى استثماره لزراعة الأعضاء، وإذا كان غير قابل لاستمرار الحياة فلا يجوز الاستفادة منه إلا بعد موته بالشروط الشرعية.

ثانياً: لا يجوز أن تخضع عمليات زرع الأعضاء للأغراض التجارية على الإطلاق.

ثالثاً: لا بد أن يسند الإشراف على عمليات زراعة الأعضاء إلى هيئة مخصصة موثوقة. والله أعلم^٢.

٢٠٢. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٦٣ ص ٥٠ في ١٩/٩/٢٠٠٧ .

فضل ختم القرآن أكثر من مرة؟

مما تعارف عليه الناس في هذا الشهر (رمضان)، انهم يكثرون من تلاوة القرآن الكريم، وذلك لتيقنهم بأن القرآن قد نزل في هذا الشهر الفضيل و ان الاكثار من تلاوته بحد ذاته نوع من إحياء سنن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ) البقرة ١٨٥. وقال جل شأنه: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) الدخان ٣. وقال سبحانه: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) القدر ١.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ؛ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) متفق عليه.

وعن السيدة فاطمة (رضي الله عنها) أن أباها (صلى الله عليه وسلم) أخبرها (أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه في عام وفاته مرتين). متفق عليه.

وهذا كله يدل على استحباب قراءة القرآن في رمضان وختمه مرة وأكثر، والإكثار من تلاوته ليلاً ونهاراً مع كون القراءة ليلاً أفضل وأكثر ثواباً؛ لقوله تعالى: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) المزمل ٦.

وفي الحديث القدسي: (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاعَتَهُ) رواه البخاري).

ولعل من المناسب ان نذكر الاثرياء بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا) رواه الترمذي عن زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ (رضي الله عنه) وقال: حديث حسن صحيح.

وعن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَنْ فَطَرَ فِيهِ - أَي فِي رَمَضَانَ - صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِدُنُوبِهِ وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ)، قالوا: يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يَفْطُرُ الصَّائِمَ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يُعْطِي اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَرَ صَائِمًا عَلَيَّ تَمْرَةً أَوْ عَلَى شَرْبَةِ مَاءٍ أَوْ مَذْقَةَ لَبَنٍ) أَخْرَجَهُ ابْنُ خَزِيمَةَ فِي صَحِيحِهِ.

وهذا يدل على عظيم ثواب من فطر الصائم، ولِعِظَمِ هَذَا الثَّوَابِ صَارَ دَعَاءٌ يُدْعَى بِهِ وَيُرْجَى قَبُولُهُ مِنَ اللَّهِ؛ حَيْثُ كَانَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ إِذَا طَعِمَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ: (أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان.

أي: أعطاكم الله تعالى ثواب من فطر صائماً.

وعلى المسلم أن يتنبه إلى ضرورة إخلاص النية لله تعالى في ذلك وأن يكون قصده رضا الله تعالى لا رياءً ولا سمعة حتى يكون عمله مقبولاً عند الله تعالى^١.

١. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر، العدد ١٦٤ ص ٥٠ في ٢٦/٩/٢٠٠٧.

حكم من يغضب عندما يرزقه الله بسنت

كنت أتصور أن هذه الخصلة الذميمة، مما قد ابتلي بها بعض الجهلة من بني قومي، فإذابها أعم من ذلك بكثير، وإن كنت لا القي باللوم كثيراً على نساءنا، عندما لا يتمنين البنات ولا يستقبلنها برحابة صدر، ذلك لأن ما تلمسها معظم النساء في مجتمعاتنا الشرقية، هي الاجفاف بحقها لدرجة يمكن اختصارها في عدة كلمات، وهي اعتبارها آلة متعة، أو جارية مشتراة لدى كثير من الرجال! وعليه أقول: لا القي باللائمة على نساءنا كثيراً، فإنهن قد نفن الأمرين نتيجة كونهن امرأة وذلك كنتاج حتمي لمجتمع تسوده العقلية الإستعلائية منا نحن الرجال، ومع ذلك اذكرهن وايانا بالله وبما ورد في الحديث من النهي عن ذلك، وبما وجدته من بعض النصح، في إحدي الإجابات على سؤال مماثل لما طرحه، حيث كانت الإجابة، من بعض أهل العلم: (هذا الصنيع - الغضب من ولادة البنات - ولا شك من أعمال الجاهلية الأولى، وأخلاق أهلها الأجلاف، الذين ورد ذمهم، والتشنيع عليهم في الكتاب والسنة.

وما أشبه الليلة بالبارحة، فلو زرت مستشفى للولادة في بلاد المسلمين، وقلبت طرفك في وجوه الحاضرين ممن ولد لهم بنات، وراقبت كلامهم، وسبرت أحوالهم لرأيت توافقاً عجيباً وتطابقاً غريباً بين حال كثير من هؤلاء وحال أهل الجاهلية الذين قص الله تبارك وتعالى علينا خبرهم، وأنهم: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (النحل: ٥٨-٥٩).

ومن مظاهر التسخط بالبنات أن يُكتشف في بعض المستشفيات ما برحم المرأة من ذكر أو أنثى، وذلك عبر الأشعة الصوتية، فإن كان ذكراً بشروا، وإن كان أنثى أقصروا! وهذا الأمر جد خطير.

ويترتب عليه عدة محاذير، منها:

- ١- أنه اعتراض على قدر الله عز وجل.
 - ٢- أنه رد لهبته سبحانه وتعالى بدلاً من شكره، وكفى بذلك مقتاً وتعرضاً للعقوبة.
 - ٣- أن فيه إهانة للمرأة، وخطأ من قدرها، وتحميلاً لها ما لا تطيق.
 - ٤- كما أنه دليل على السفاهة والجهل، والحماسة وقلّة العقل.
 - ٥- كما أن فيه تشبهاً بأخلاق أهل الجاهلية.
- فما أجدد بالمسلم أن يتجنب تلك المسالك، وأن ينجو بنفسه من تلك المهالك، فالتسليم لقدر الله، أمر واجب، والرضا به من صفات المؤمنين.
- ثم إن فضل البنات لا يخفي، فهن الأمهات، وهن الأخوات، وهن الزوجات، وهن نصف المجتمع ويلدن النصف الآخر، فكأنهن المجتمع كله.
- ومما يدل على فضلهن أن الله عز وجل سمى إتيانهن هبة وقدمهن على الذكور في قوله تعالى: (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) الشوري: ٤٩.
- وكذلك الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين فضلهن وحث على الإحسان إليهن كما في قوله: (من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار) رواه البخاري، ومسلم^{١-٢}.

١ . تم نقل الاجابة من موقع الإسلام سؤال وجواب .
٢ . تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٦ ص ٥٠ في ٣/١٠/٢٠٠٧ ص ٥٠ .

الدين والشعوذة

من خلال بيدركم أهنتكم بالعيد راجيا المولى أن يجعل إيماننا سعيدة ونسعد بها تحت راية الإخاء والتسامح، وقبول بعضنا للبعض، واطلب منكم السماح حيث خصصت حلقات هذه الزاوية خلال الاسابيع الماضية، بما يخص ثاني عبادة مما فرضها الله على المسلمين، واليوم ننبه إلى مسألة عقيدية معقدة، إلى حد بعيد، وهي عالم الشعوذة والمشعوذين، والإيمان بها، مما أتذكر وأنا شاب يافع، كلاما معسولا وحكمة بالغة من المنفلوطي (رحمه الله)، وهو يسرد حال الأمة، وما آلت إليها من الإيمان بالخرافات، ودجل البعض باسم الدين، في كتابه (عبرات) وقد قال بعد ما ذكر بأن الذي يرى حال بعض المسلمين، وما هم عليه من الجهل المطبق، لايلوم من يتهم الدين بأنه أفيون الشعوب!.

وهي كلمة تنسب إلى ماركس، على ما أعلم، واني بدوري لا ألوم لا كارل ماركس ولاغيره، ان قالوا اكثر من ذلك! إذا كان مايمارسه و يفعله البعض باسم الدين، من الدين، لألوم كل من يبتعد عنه من العقلاء، ولكن حقيقة الأمر أن الدين ينهى عن الشعوذة، وينكر على من يمارسها ويؤمن بها، أشد انكار، فقد روي لنا أبو هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً) صحيح مسلم ١٧٥١/٤.

وعنه أيضا، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) رواه أبو داود، ورواه أحمد والترمذي.

و روى الأربعة، والحاكم وقال صحيح على شرطهما: (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد).

قال البغوي: والعراف هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكانة الضالة، وقيل هو الكاهن.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): العراف اسم للكاهن والمنجم والرحال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق، انتهى.
والتنجيم: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، وهو من أعمال الجاهلية، وهو شرك أكبر، إذا اعتقد أن النجوم تتصرف في الكون.
وبعد هذا أيعقل أن يقبل الدين بمثل هذه الأعمال التي لا تليق إلا بمن كان مخبولاً، أو معتوهاً؟^١.

١. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٦٦ ص ٥٠ في ١٠/١٠/٢٠٠٧ .

تقديم صيام الست من الشوال على قضاء الصوم الفائت

بعد انقطاع اسبوعي للإلتغال بمراسيم العيد، - وان كان يحلو للبعض ان لا ينعم الكُرد بعيد من اعياده - ها نحن نلتقي مرة أخرى على مائدة الصوت الآخر، وفي رحاب صفحاتها المشرقة التي طالما آل على انفسهم كتابها، أن يسهروا على راحة وجدان القراء الكرام.

ولولا تخصيص زاويتي بما عنونت له، لذكرت كل من تسول له نفسه أن يدك رأسه بجبال كُردستان الشامخة، شموخ رؤس ابنائها، بما كان ينبغي ان يذكروا به، ولكن ادع ذلك لغيري من اصحاب الاقلام والعقول النيرة الحرة الأبية، ففيهم وفيما يسطرونه لكم، كل الخير والبركة.

وردتني أسئلة كثيرة حول حكم تقديم صيام الست من شوال على قضاء رمضان؟ و كما عودتكم، راجعت ما كتبه الأولون والمعاصرون فوجدتهم قد كفوني المؤنة، وهاكم الإجابة: جاء في شرح زاد المستقنع للشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي: أما من كان عليه قضاء من رمضان فلا حرج عليه أن يصوم ستاً من شوال ثم يؤخر قضاء رمضان، وذلك لحديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) الثابت في الصحيح أنها قالت: (إن كان عليّ الصوم من رمضان فلا أقضيه إلا في شعبان، لكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مني).

فقد كانت تصوم الست، وكانت تصوم عرفة، كما ثبت في الموطأ، وكانت تصوم يوم عاشوراء، ولذلك قالوا: إنه يجوز تأخير القضاء.

ومنَعَ بعض العلماء، واحتجوا بأنه كيف يَتَنَفَّلُ وعليه الفرض؟ وهذا مردود؛ لأنَّ التَّنَفُّلَ مع وجود الخطاب بالفرض فيه تفصيل: فإن كان الوقت واسعاً لفعل الفرض والنافلة ساغ إيقاع النفل قبل الفرض بدليل: أنك تصلى راتبة الظهر قبل صلاة الظهر وأنت مخاطب بصلاة الظهر، فإن الإنسان إذا دخل عليه وقت الظهر وزالت الشمس وجب

عليه أن يصلي الظهر، ومع ذلك يؤخرها فيصلّي الراتبة، ثم يصلي بعدها الظهر، فتنفل قبل فعل الفرض بإذن الشرع، فدل على أن النافلة قد تقع قبل الفرض بإذن الشرع، فلما أذن النبي (صلى الله عليه وسلم) لأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أن تؤخر القضاء دل على أن الوقت موسع.

وأما قوله (صلى الله عليه وسلم): (من صام رمضان ثم أتبعه) فهذا خارج مخرج الغالب، والقاعدة: (أن النص إذا خرج مخرج الغالب لم يعتبر مفهومه). فليس لقائل أن يقول: إن من عليه قضاء فلا يصم رمضان.

ثم نقول: لو كان الأمر كما ذكر لم يشمل الحديث من أفطر يوماً من رمضان؛ فإنه لو قضى في شوال لم يصدق عليه أنه صام رمضان حقيقة؛ وإنما صام قضاءً ولم يصم أداءً.

ولذلك: الذي تميل إليه النفس ويقوى: أنه يصوم الست، ولا حرج أن يقدمها على قضاؤه من رمضان.

وهذا هو الصحيح، فإن المرأة النفساء قد يمر بها رمضان كله وهي مفطرة، وتريد الفضل، فتصوم الست، ثم تؤخر قضاء رمضان إلى أن يتيسر لها. والله أعلم^{٢-١}.

١ . يمكن مراجعة موقع (اسلام أون لاين ركن الفتاوي الشرعية).

٢ . تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٦٧ ص ٥٠ في ٢٤/١٠/٢٠٠٧ .

أموال الشركات الأجنبية في بلاد المسلمين

لا السؤال مطروح علي ولا الإجابة من عندي، ولكن السؤال وارد دوماً، على عقول كثير ممن لا يرون من الحياة الا قشورها، ووارد على ألسنة كثير ممن يجيدون التخريب ويتمتعون برويته، أكثر من فهمهم للعمران ورؤية البلاد آمنة مطمئنة مزدهرة متقدمة، بمئة مرة، وأنا أطلع على موقع (إسلام أون لاين، ركن الفتاوي الشرعية) وجدت السؤال المثير: ما قولكم في مس حقوق الشركات الأجنبية في بلاد المسلمين؟ هل هم معاهدون مستأمنون مصونو الحقوق أم حربيون؟ وهل يجوز الشرع لأحد هضم حقوقهم، بدعوي أنهم دخلوا بلادنا وأخذوا الامتيازات من حكومتنا قهراً! وإن كان بالصورة الظاهرة بأمان ورضى، أفيدونا الجواب، ولكم الشكر والثواب؟ فكانت الإجابة - من حسن الحظ - من القائمين على إدارة الموقع، بالعودة إلى فتوى مماثل للشيخ: محمد رشيد رضا (رحمه الله): قائلًا:

(بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: إن احترام الأجانب المعاهدين أو المستأمنين واحترام أموالهم وحرمة التعدي عليهم أو عليها، من المسائل المجمع عليها بين المسلمين، المعلومة من الدين بالضرورة، فليست مما يُسأل عنه أو يستفتى فيه، لولا تأويل المضلين.

وقد أفتى من يظن الناس أنه من أهل العلم والتقوى، بأن أموال الأجانب الذين في بلادنا مباحة للمسلمين، فيجوز لمن قدر على أكل مال من الشركات الأجنبية أو الأفراد، أن يأكل ما استطاع أكله سواء كان مستخدماً فيها أم غير مستخدم، ويتأول الحكم الشرعي المجمع عليه، بأن هؤلاء الأجانب معاهدون أو مستأمنون في الظاهر ولكنهم حربيون في الواقع؛ لأنهم أخذوا الامتيازات لهذه الشركات من حكومتنا بالجبر والإكراه، لا بالرضي والاختيار، وهذا هو باطل التأويل، ومحض الكذب وقول الزور، فالامتيازات أخذت باختيار الدولة، والمعاهدات بين دولتنا ودول أصحاب هذه الشركات

لا شك فيها، وإلا كانوا محاربين، ولا حرب بيننا وبين أحد منهم، والمصلحة في هذه المعاهدات لنا ظاهرة، وإذا نقض بعضهم شيئاً من شروط العهد فليس لأحد من أفراد الرعية أن يعده محارباً ويستحل ماله ودمه، وإنما ذلك حق السلطان وأولي الأمر، ولولا ذلك لم يستقم نظام، ولم تثبت مصلحة.

ولو كان شرعنا العادل يبيح مثل هذا لما وثقت دولة من دول الأرض بعهودنا وأماننا، ولكانت معذورة في الاتحاد على استئصالنا، سبحان الله! جعل الشارع ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، ولعن من أخفر ذمتهم، كما ورد في حديث علي، كرم الله وجهه، في الصحيحين والمسند وكتب السنن الثلاثة وغيرها، ومن حديث غيره أيضاً، ومعني (يسعى بها أدناهم)، أن العبد أو الأجير من المسلمين، إذا أمن بعض الحربيين، وجب على كل مسلم أن يحترم أمانه، ويحرم عليه أن يتعدى على من أمنه، أو يؤذيه في نفسه أو ماله.

وقال الحافظ ابن المنذر: أجمع أهل العلم على جواز أمان المرأة إلا شيئاً ذكره عبد الملك بن الماجشون صاحب مالك قال: إن أمر الأمان إلى الإمام (الخليفة) ورد قوله بالحديث، واشترط أبو حنيفة في العبد أن يكون مقاتلاً ليصح تأمينه، وأما تأمين آحاد الصناع والزراع فلا خلاف فيه. والله أعلم.

هذا ما ذكره ذلك الشيخ رحمه الله تعالى، والقائمون على الموقع المذكور، فبقدر ما اعجبتني إجابة الشيخ، احببتني فيه وزادتنني الاعجاب به وبمن كانوا في مدرستهم الاصلاحية، سيما جمال الدين الافغاني (رحمه الله)، والشيخ محمد عبده (رحمه الله)، فما احوجنا نحن اليوم، إلى مفكرين فقهاء، عارفين بالنصوص وروحها، وبالواقع وبمتطلباتها^١.

١. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٦٨ ص ٥٠ في ٣١/١٠/٢٠٠٧.

الحصار الاقتصادي

هناك صفحات في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا بد من التوقف عندها، وأخذ الدروس والعبر اللزمتين منها، سيما، ماكانت تقرأ في جهتين مختلفتين، إحداهما ماتتعلق بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن حوله من الصحابة، والثانية ماتتعلق بالمقابل. يذكر لنا جميع من كتبوا في السيرة، بأن أعداء الله والدعوة، قرروا في نهاية السنة السابعة من البعثة النبوية، أن يفرضوا حصارا إقتصاديا ظالما، عليه وعلى كل من ينتمي إليه دينا أو قبيلة أو فحذا أو عوننا، واستمرت مدة تنفيذها ثلاث سنوات متتاليات، ونال الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن معه، من خلاله، امر العذاب وأنكاه، لأن الحصار كان ينطوي على فقرات ملؤها الظلم والطغيان، كما يرويه لنا الامام الزهري: (ثم إن المشركين، اشتدوا على المسلمين، كأشد ماكانوا، حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، واجتمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علانية، فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيمانا ويقينا، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أجمعوا أمرهم:

- ١- أن لا يجالسوهم.
- ٢- و لا يبايعوهم.
- ٣- و لا يدخلوا بيوتهم، حتى يسلموا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للقتل.
- ٤- و كتبوا في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق، ألا يتقبلوا من بني هاشم أبدا صلحا.
- ٥- و لا يأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل^١.

١. راجع، أصح الكلام في سيرة خير الأنام، السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، دروس وعبر، للدكتور على محمد محمد الصلابي، ج١، ص٣٤٨.

وفي رواية: (....على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، لا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، ولا يدعوا سبباً من أسباب الرزق يصل إليهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً، ولا تأخذهم بهم رافة، ولا يخالطوهم، ولا يجالسوهم، ولا يكلموهم، ولا يدخلوا بيوتهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للقتل، ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم) ومن الملفت للنظر، ان الصحيفة كانت مبدوءة بقولهم: (يا سمك اللهم)، فكانوا يسمون الله لمعاداة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فما أشبه اليوم بالبارحة، ونحن نقرأ في الصحف ونسمع الإذاعات ونرى الشاشات، كلها تروي لنا الحديث عن بعض الجهات التي تدعي الإسلام وبإسمه الكريم، دخلوا وخاضوا معاركهم السياسية، وبإسمه تسلموا الحكم، ولكن أول ما قاموا به فرض الحصار الجائر على أقرب جار مسلم لهم، اذا والله انه قياس شنيع، وادعاء فاحش^٢.

٢. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٦٩ ص ٥٠ في ٧/١١/٢٠٠٧ .

هذا ما أوجبه الله على الرجال تجاه نساءهم

يقال أن الذي يفتقد شيئاً، كثيراً ما يردده على لسانه، و يكثر من الحديث عنه، أرجو أن لا أكون من هذا النوع. و أن لا أكون ممن أكثروا من التقصير بحق شريكة الحياة، ولكن أراني ملزماً بأن أذكر أموراً شرعية، قد يتهاون فيها كثير منا، وكما عودتكم دوماً، لايهمني كثيراً من يكون القائل!، وان اختلفت معه في بعض الآراء، لايهمني أن أنقل عنه ما أقتنع به، وبكل أمانة علمية أذكره وأذكر المصدر.

جميعنا يعلم، بان الذين يكتبون أو يتحدثون باسم الدين، أغلبهم، ومع كل الأسف، يصبون جام غضبهم على النساء، وكأنهن نقمة من الله على البشر، ناسين، أو متناسين، بأننا وياهن نكمل مع بعضنا الحياة ونكونها.

ومما وقع بين يدي، وانا ابحت لكم عن وردة لأشم رحيقها واعيدها اليكم، صافية من الشوائب، هذا السؤال الطويل العريض والإجابة عليه، وكي لا يطول بنا المقام، وجددتني مضطراً لأجعله قسماً، راجياً أن يكون مذكراً لمن أفرط بحق أهله، ومحرضاً لمن أدي شيئاً من تلكم الحقوق التي أوجبها الله تعالى.

تقول السائلة: (زوجت رجلاً يكبرني بأكثر من عشرين عاماً، ولم أكن أعتبر فارق السن بيني وبينه حاجزاً يبعدي عنه، أو ينفرنني منه، لو أنه أعطاني من وجهه ولسانه وقلبه ما ينسيني هذا الفارق، ولكنه - للأسف - حرمني من هذا كله: من الوجه البشوش، والكلام الطلو، والعاطفة الحية، التي تشعر المرأة بكيانها وأنوثتها، ومكانتها في قلب زوجها.

إنه لا يبخل علي بالنفقة ولا بالكسوة، كما أنه لا يؤذيني.

ولكن ليس هذا كل ما تريده المرأة من رجلها.

إنني لا أرى نفسي بالنسبة إليه إلا مجرد طاهية طعام، أو معمل تفريخ للعيال، أو آلة للاستمتاع عندما يريد الاستمتاع.

وهذا ما جعلني أمل وأسأم وأحس بالفراغ، وأضيق بنفسي وبحياتي. وخصوصاً عندما أنظر إلى نظيراتي وزميلاتي ممن يعيشن مع أزواج يملؤون عليهن الحياة بالحب والأنس والسعادة.

ولقد شكوت إليه مرة من هذه المعاملة، فقال: هل قصرت في حقك في شيء؟ هل بخلت عليك بنفقة أو كساء؟ وهذا ما أريد أن أسأل عنه ليعرفه الأزواج والزوجات: هل المطالب المادية من الأكل والشرب واللبس والسكن هي كل ما على الزوج للزوجة شرعاً؟، وهل الناحية النفسية لا قيمة لها في نظر الشريعة الإسلامية الغراء؟.

إنني بفطرتي وفي حدود ثقافتي المتواضعة لا أعتقد ذلك.

لهذا أرجو أن توضحوا هذه الناحية في الحياة الزوجية، لما لها من أثر بالغ في سعادة الأسرة المسلمة واستقرارها. والله يحفظكم).

الجواب: (ما أدركته الأخت صاحبة السؤال بفطرتها السليمة، وثقافتها المتواضعة هو الصواب الذي جاءت به الشريعة الإسلامية الغراء.

فالشريعة أوجبت على الزوج أن يوفر لإمرأته المطالب المادية من النفقة والكسوة والسكن والعلاج ونحوها، بحسب حاله وحالها، كما قال القرآن (بالمعروف).

ولكنها لم تغفل أبداً الحاجات النفسية التي لا يكون الإنسان إنساناً إلا بها.

كما قال الشاعر قديماً:

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

بل إن القرآن الكريم يذكر الزواج باعتباره آية من آيات الله في الكون ونعمة من نعمه تعالى على عباده.

فيقول: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الروم ٢١.

فتجد الآية الكريمة تجعل أهداف الحياة الزوجية أو مقوماتها هي السكون النفسي والمودة والرحمة بين الزوجين، فهي كلها مقومات نفسية، لا مادية ولا معنى للحياة الزوجية إذا تجردت من هذه المعاني وأصبحت مجرد أجسام متقاربة، وأرواح متباعدة. ومن هنا يخطئ كثير من الأزواج - الطيبين في أنفسهم - حين يظنون أن كل ما عليهم لأزواجهم نفقة وكسوة ومبيت، ولا شيء وراء ذلك.

ناسين أن المرأة كما تحتاج إلى الطعام والشراب واللباس وغيرها من مطالب الحياة المادية، تحتاج مثلها - بل أكثر منها - إلى الكلمة الطيبة، والبسمة المشرقة، واللمسة الحانية، والقبلة المؤنسة، والمعاملة الودودة، والمداعبة اللطيفة، التي تطيب بها النفس، ويذهب بها الهم، وتسعد بها الحياة^١.

وقد ذكر الإمام الغزالي في حقوق الزوجية وآداب المعاشرة جملة منها لا تستقيم حياة الأسرة بدونها، ومن هذه الآداب التي جاء بها القرآن والسنة: حسن الخلق مع الزوجة، واحتمال الأذى منها.

قال الله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) ١٩ النساء.

وقال في تعظيم حقهن: (وَأُخِذْنَ مِنْكُمْ ميثاقاً غليظاً) ٢١ النساء.

وقال: (وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ) ٣٦ النساء قيل: هي المرأة.

قال الغزالي: واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها.

اقتداء برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد كانت أزواجه يراجعنه الكلام، وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل. وكان يقول لعائشة: (إني لأعرف غضبك من رضاك ! قالت: وكيف تعرفه ؟ قال: إذا رضيت قلت: لا، وإله محمد، وإذا غضبت قلت: لا وإله إبراهيم. قالت: صدقت، إنما أهجر اسمك!).

ومن هذه الآداب التي ذكرها الغزالي: أن يزيد على احتمال الأذى منها، بالمداعبة والمرح والملاعبة، فهي التي تطيب قلوب النساء.

وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يمزح معهن، وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق، حتى روي أنه كان يسابق عائشة في العدو.

وكان عمر رضي الله عنه - مع خشونته يقول: ينبغي أن يكون الرجل في أهله مثل الصبي، فإذا التمسوا ما عنده وجدوا رجلاً.

وفي تفسير الحديث المروي (إن الله يبغض الجعظري الجواظ) قيل: هو الشديد على أهله، المتكبر في نفسه.

وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى: (عتل) قيل: هو الفظ اللسان، الغليظ القلب على أهله. والمثل الأعلى في ذلك كله هو النبي صلى الله عليه وسلم فرغم همومه

١. إلى هنا تم نشر هذه المقالة، في مجلة الصوت الآخر العدد (١٧٠) ص ٤٢ في ١١/١٤/ ٢٠٠٧.

الكبيرة، ومشاغله الجمعة، في نشر الدعوة، وإقامة الدين، وتربية الجماعة، وتوطيد دعائم الدولة في الداخل، وحمايتها من الأعداء المتربصين في الخارج.

فضلاً عن تعلقه بربه، وحرصه على دوام عبادته بالصيام والقيام والتلاوة والذكر، حتى أنه كان يصلي بالليل حتى تتورم قدماه من طول القيام، ويبكي حتى تبلل دموعه لحيته.

أقول: برغم هذا كله، لم يغفل حق زوجاته عليه، ولم ينسه الجانب الرباني فيه، الجانب الإنساني فيهن، من تغذية العواطف والمشاعر التي لا يغني عنها تغذية البطون، وكسوة الأبدان. يقول الإمام ابن القيم في بيان هديه (صلى الله عليه وسلم) مع أزواجه: (وكانت سيرته مع أزواجه: حسن المعاشرة، وحسن الخلق، وكان يسرب إلى عائشة بنات الأنصار يلعبن معها).

وكانت إذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه فوضع فمه موضع فمها وشرب وكان إذا تعرقت عرقاً - وهو العظم الذي عليه لحم - أخذه فوضع فمه موضع فمها. وكان يتكىء في حجرها، ويقراً القرآن ورأسه في حجرها، وربما كانت حائضاً.

وكان يأمرها وهي حائض فتتزر (تلبس الإزار، لتكون المباشرة من فوق الثياب). ثم يباشرها.

وكان يقبلها وهو صائم. (وكان من لطفه وحسن خلقه أنه يمكنها من اللعب ويريها الحبيشة، وهم يلعبون في مسجده، وهي متكئة على منكبيه تنظر وسابقها في السير على الأقدام مرتين، وتدافعاً في خروجهما من المنزل مرة).

وكان يقول: خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي).

وكان إذا صلى العصر دار على نسائه، فدنا منهن واستقرأ أحوالهن.

فإذا جاء الليل انقلب إلى صاحبة النوبة خصها بالليل.

وقالت عائشة: كان لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندهن في القسم، وقل يوم إلا كان يطوف علينا جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ التي هو في نوبتها، فيبيت عندها). (زاد المعاد، ج١، ص٧٨، ٧٩، ط. السنة المحمدية). وإذا تأملنا ما نقلناه هنا من هديه (صلى الله عليه وسلم)، في معاملة نسائه، نجد أنه كان

يهتم بهن جميعاً، ويسأل عنهن جميعاً، ويدنو منهن جميعاً، ولكنه كان يخص عائشة بشيء زائد من الاهتمام، ولم يكن ذلك عبثاً ولا محاباة، بل رعاية لبقارتها، وحدائث سنها، فقد تزوجها بكرةً صغيرة لم تعرف رجلاً غيره عليه السلام.

وحاجة مثل هذه الفتاة ومطالبها من الرجل أكبر حتماً من حاجة المرأة الثيب الكبيرة المجربة منه.

ولا أعني بالحاجة هنا مجرد النفقة أو الكسوة أو حتى الصلة الجنسية، بل حاجة النفس والمشاعر أهم وأعمق من ذلك كله.

ولا غرو أن رأينا النبي (صلى الله عليه وسلم)، ينتبه إلى ذلك الجانب ويعطيه حقه، ولا يغفل عنه، في زحمة أعبائه الضخمة، نحو سياسة الدعوة، وتكوين الأمة، وإقامة الدولة.

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) المتحنة ٢٦-٣.

٢. يمكن مراجعة: (موقع اسلام أون لاين، ركن الفتاوى الشرعية).

٣. تم نشر هذه المقالة، في مجلة الصوت الآخر العدد: (١٧١) ص٤٢ في ٢١/١١/٢٠٠٧.

حب الزوجة لغير زوجها أو العكس

تقول إحدى السيدات: (أنا سيدة متزوجة منذ أربع سنوات، ولي طفلة وأعيش مع زوجي الحبيب حياة يملؤها الحب والسعادة والتفاهم والله الحمد.

مشكلتي تكمن في ما قبل الزواج. أنا ملتزمة ومن أسرة متدينة، تعرفت قبل الزواج على شخص عن طريق الإنترنت وكان ملتزماً أيضاً، وكنا نتبادل المواقع الإسلامية والأناشيد الدينية، وقد أرسل لي مرة أشرطة محاضرات وتلاوات لعدة مشايخ، وهو من دولة خليجية قريبة منا.

وكان حريصاً عليّ وكان يخاف عليّ ويعاملني كأخت وليس كحبيبة ودارت بيننا عدة مكالمات ولكنها كانت للسلام وللإطمئنان على بعض.

ولم نتبادل مشاعر الحب أبداً ولو بكلمة ولكني كنت أحبه ومتيقنة أيضاً بأنه يحبني ولكن لاختلاف الأصول والعادات والتقاليد من الصعب التفكير به كزوج.

وأخبرني بعد فترة أنه بصدد الارتباط والزواج.

فرحت له كثيراً ولكن في ذات الوقت كنت أتألم لأنه سوف يبتعد عني، فقد تعودت على الحديث معه يومياً على الإنترنت، ولكن والله الحمد بعد ثلاثة أشهر تقدم لخطبتي زوجي وتزوجت. مشكلتي الآن أنني لم أستطع نسيان حبيبي السابق.

تراني بين فترة وأخرى أرسله عبر البريد الإلكتروني للإطمئنان عليه وعلى أولاده، ودائماً ما أفكر فيه.

أحاول جاهدة نسيانه ولكني لا أستطيع.

أراني بدون شعور أرسل إليه. ما يؤلني حقا هو زوجي..

هل ما أفعله يعتبر خيانة له؟، صحيح أنني لا أبادل هذا الشخص كلمات حب وغزل.

وكل منا ارتبط بشريك حياته، ولكن مجرد معرفتي به يجعلني أشك في خيانتني لزوجي وهذا الشيء يؤلني حقا.

أرجوكم ساعدوني هل ما أفعله صحيح أم لا؟ وإذا كان لا فكيف أتخلص ممن ملك تفكيري ولم أستطع نسيانه على الرغم من مرور أربع سنوات؟ ولكم مني جزيل الشكر. الجواب: أهلا وسهلا بك، مشكلتك سيدتي تتعلق بتأثير الإنترنت على حياتنا الاجتماعية، وسأعلق على الفكرة العامة قبل أن أتطرق لمشكلتك حتى تستفيدي ويستفيد قراء صفحتنا.

حينما دخلت الإنترنت إلى بيتنا في عالمنا، كان لها أثر على الأسرة كلها فمن الناحية الإيجابية أسهمت في التواصل والاتصال بين الأسرة التي يعيش أحد أفراد أسرتها بالخارج؛ فأصبحنا نعرف أخباره وربما نسمع صوته بل ونراه على جهاز الكمبيوتر، وأجد بعض الأسر يتركون كاميرات الفيديو مفتوحة ٢٤ ساعة للتواصل مع أبنائهم وأحفادهم في الخارج ليشعروا كأنهم يعيشون معا في بيت واحد.

ومن الناحية السلبية كان للإنترنت في تيسير الاتصال بأشخاص خارج نطاق الأسرة وأصبح من يبحث عن هذا الاتصال نوعين من البشر: نوع مهووس بالتعارف والتحرر، ونوع آخر محافظ لم تتح له فرصة التحدث ولو بالكتابة مع الجنس الآخر.

ولنتقل من هذه النقطة إلى مشكلتك؛ لأنها خاصة بك، فقد أوضحت أنك من النوع الملتزم المحافظ وبالفعل كانت علاقتك بذلك الشاب في حدود الالتزام لفترة ثم ظهرت المشكلة ليس نتيجة تبادل الأناشيد الدينية وأشرطة المحاضرات!! نعم المشكلة - في اعتقادي - ترجع إلى الأفكار والخيالات الرومانسية والحب الذي نسج حول الاتصال المحرم بينكما، فحين تقولين إنه (كان يخاف عليك وحريص عليك).

هذا الخوف والحرص هو كلام (مكتوبا كان أم مسموعا).

ولا نعرف هل هذا الخوف تصرف حقيقي مطمئن على أرض الواقع.

وتقولين أيضا (كنت أحبه) فمن أين جاء الحب دون لقاء أو تعارف أو حوار؟ أفهم أنك تشعرين بمشاعر جميلة تسمينها حبا، ولكن ليس هذا هو الحب الحقيقي فالحب فيه تبادل للمصالح، والحب هو أفعال وتصرفات ومواقف وليس مجرد إعجاب من طرف واحد.

خاصة أنه إعجاب بالكلام وليس بالشخص نفسه، وأجد لديك فكرة أخرى لا أعرف من أين جاءت فتقولين: (إنك متيقنة من أنه يحبك).

هل أخبرك بحبه؟، هل مجرد أنه يتصل بك أو يرد على (إيميلاتك) يعني أنه يحبك؟! لقد وضعت يدك على المشكلة حينما قلت إنك تعودتِ على الحديث معه يوماً عبر الإنترنت.

بالفعل التعود هو ما جعلك تفكرين فيه، خاصة أن الاتصال لا يزال مستمراً إلى يومنا هذا.

ما تفعليه يدخل في نطاق الخيانة الزوجية، فهناك خيانة فكرية وأخرى فعلية. لقد من الله عليك بزواج كريم وورزقك بطفل جميل، وأصبح لديك أسرة صغيرة بارك الله فيها ومن الحلول المقترحة:- أن تجربي استخدام الإنترنت في الاطلاع ومتابعة مواقع أخرى والمشاركة فيها بدلا من تبادل الإيميلات.- اقترحي على زوجك تبادل الإيميلات.

ابدئي أنت بإرسال إميل لطيف له فقد يكون باباً جديداً للتقارب بينكما.- استخدمي خيالك الخصب في التفكير بزواجك وحبك له.- الأمر ليس بالصعب ولكن النية، والبداية هي نصف الطريق.

وأخيرا طالما أنك في حالة ألم فالحل بيدك.

توكلي على الله وادعي وصلى وستجدين أن الحل أيسر مما تتوقعين، وأن قطع الاتصال به أمر ممكن وليس مستحيلاً^{١-٢}.

١ . لقد تم نقل هذه الرسالة من موقع إسلام أون لاين ركن (فاسألوا أهل الذكر).

٢ . تم نشر هذا في مجلة الصوت الآخر العدد (١٧٢) ص٤٢ في ٢٨/١١/٢٠٠٧ .

نصوص منسية في كتبنا حول آداب المجامعة

كثيرا ما نتهم نحن المسلمين بعدم تعمقنا وتفهمنا للثقافة الجنسية، ظانين بأن ديننا هو المانع من الدخول في تفاصيل تلكم القضايا، وحق لهم ذلك، لأن هؤلاء الطاعنين يقرؤنا نحن ولايكترسون بما كتبه الأولون في ذلك ومايكتبه علماءنا المعاصرون، لذا أحببت أن أذكر في هذه الصفحة ببعض ماكتبه الأقدمون وما يقوله الجدد:

٠١ ذكر في متن (تنوير الأبصار) وشرحه (الدر المختار) من كتب الحنفية جواز أن ينظر الرجل من امرأته إلى ما ظهر منها وما بطن، ولو إلى فرجها، بشهوة وبغير شهوة).

٠٢ وفي (الهداية) قال: وكان ابن عمر يقول: (الأولى أن ينظر ليكون أبلغ في تحصيل اللذة).

٠٣ وعن أبي يوسف: سألت أبا حنيفة عن الرجل يمس فرج امرأته، وهي تمس فرجه، ليتحرك عليها، هل ترى بذلك بأساً؟ قال: لا، وأرجو أن يعظم الأجر).
(حاشية رد المحتار على الدر المختار ٢٣٤/٥).

ولعله يشير إلى الحديث الصحيح: (وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم)، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: نعم، أليس إذا وضعها في حرام كان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر. أتحتسبون الشر، ولا تحتسبون الخير؟! رواه مسلم.
فرضي الله عن أبي حنيفة ما كان أفاقه!

٠٤ وبعد سرده لهذه النصوص يقول: (د.القرضاوي) ما ينقل عن المجتمع الأمريكي وغيره من المجتمعات الغربية من أن لهم عادات في اللقاء الجنسي بين الزوجين، تخالف ما درجنا عليه في أوطاننا مثل التعري عند الجماع، أو نظر الرجل إلى فرج امرأته، أو لعب المرأة بذكر زوجها وتقبيله ونحو ذلك مما قد يدفعهم إليه ما أصيبوا به من برود

جنسي نتيجة لانتشار الإباحية والتحلل والعري، مما يجعل الرجل وربما المرأة أيضاً في حاجة إلى مثيرات غير عادية.

فهذه أشياء قد تنكرها أنفسنا، وتنفر منها قلوبنا، وتستسخرها عقولنا، ولكن هذا شيء وتحريمها باسم الدين شيء آخر ولا ينبغي أن يقال في شيء: حرام، إلا أن يوجد في القرآن والسنة الصحيحة، النص الصريح على حرمة، وإلا، فالأصل الإباحة.

ولا نجد هنا النص الصحيح الصريح الدال على حرمة هذا السلوك مع الأزواج، وهذا ما جعلني في زيارتي لأمريكا، في مؤتمرات اتحاد الطلبة المسلمين، وزياراتي للمراكز الإسلامية في عدد من الولايات، إذ سئلت عن هذا الأمر وهو غالباً يأتي من المسلمات الأمريكيات أن أميل إلى التيسير لا التعسير، والتسهيل لا التشديد، والإجازة لا المنع.

لحديث: (احفظ عورتك إلا عن زوجتك وما ملكت يمينك) ولقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) المؤمنون ٦٥.

وهذا ما ذهب إليه، وشدد النكير على من خالفه الإمام ابن حزم، حيث لم يصح لديه نص يمنع من ذلك، ولهذا لم يجد فيه أي كراهة أصلاً.

فقال في (المحلى): (وحلال للرجل أن ينظر إلى فرج امرأته، زوجته وأمته التي يحل له وطؤها، وكذلك لهما أن ينظرا إلى فرجه، لا كراهية في ذلك أصلاً.

برهان ذلك الأخبار المشهورة من طريق عائشة، وأم سلمة، وميمونة أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن) أنهن كن يغتسلن مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، من الجنابة من إناء واحد. (انظر المحلى ١/٢٦٧ و ٢٨٣ و ٢٨٩).

وفي خبر ميمونة بيان أنه عليه الصلاة والسلام كان بغير مؤزر، لأن في خبرها أنه (صلى الله عليه وسلم) أدخل يده في الإناء، ثم أفرغ على فرجه وغسله بشماله (انظر المحلى ١/٢٦٧ و ٢٨٣ و ٢٨٩)، فبطل بعد هذا أن يلتفت إلى رأي أحد.

ومن العجب أن يبيح بعض المتكلمين من أهل الجهل وطء الفرج ويمنع من النظر إليه، ويكفي في هذا قول الله عز وجل: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) المؤمنون ٦٥.

فأمر عز وجل بحفظ الفرج إلا على الزوجة، وملك اليمين، فلا ملامة في ذلك، وهذا عموم في رؤيته ولمسه ومخالطته.

وما نعلم للمخالف تعلقاً إلا بآثر سخيّف عن امرأة مجهولة عن أم المؤمنين: (ما رأيت فرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قط). وآخر - في غاية السقوط - عن أبي بكر بن عياش، وزهير بن محمد، كلاهما عن عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي، وهؤلاء: ثلاث الأثافي والديار البلاقع! أحدهم كان يكفي في سقوط الحديث). (المحلي، المسألة ١٨٨٣.

والحديث الذي استدل به ابن حزم في صحيح البخاري عن ابن عباس عن ميمونة أم المؤمنين قالت: (سترت النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يغتسل من الجنابة فغسل يديه، ثم صب بيمينه على شماله، فغسل فرجه وما أصابه) الحديث رقم (٢٨١) ٣٨٧/١ من البخاري مع فتح الباري ط السلفية). الحديث.

وفي الصحيح أيضاً عن عائشة قالت: (كنت أغتسل أنا والنبي (صلى الله عليه وسلم) من إناء واحد من قدح يقال له: الفرق). (انظر: الحديث رقم ٢٥٠ من المصدر السابق وأطرافه في: ٢٦١، ٢٦٣، ٢٧٣، ٢٩٩ وغيرها).

وذكر الحافظ في (الفتح) استدلال ببعض العلماء بالحديث المذكور على جواز نظر الرجل إلى عورة امرأته وعكسه.

قال: (ويؤيده ما رواه ابن حبان من طريق سليمان بن موسى: أنه سئل عن الرجل ينظر إلى فرج امرأته فقال: سألت عطاء، فقال: سألت عائشة، فذكرت هذا الحديث بمعناه، وهو نص في المسألة. والله أعلم).

١. تم نشر هذه المقالة في مجلة الصوت الآخر العدد (١٧٣) ص٤٢ في ٢٠٠٧/١٢١/٥.

حكم إتيان المرأة في الدبر شرعا!

ذكرنا في الحلقة الماضية شيئا مما ورد من آداب الجامعة في كتبنا الفقهية، ومما يكثر التساؤل عنه، حول تلك العلاقة الكريمة، حكم إتيان المرأة في الدبر، ترى، هل تحرم الزوجة بإتيانها في الدبر، أم لا؟ لأن الشائع على ألسنة كثيرين جريان ذلك مجرى، يحرم من ورائه الزوجان على بعضهما، فأحببنا أن نطلعكم على هذا الفتوى الوارد على لسان (الدكتور حسام عفانه - أستاذ الفقه وأصوله بجامعة القدس بفلسطين -) قائلا: إن شريعة الإسلام المباركة قد بينت للناس كل الأحكام التي يحتاجون إليها في جميع نواحي حياتهم ومن ذلك طريقة المعاشرة الزوجية الصحيحة والموافقة للفطرة الإنسانية.

يقول الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذْيٌ فَأَعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) سورة البقرة الآية ٢٢٢.

وقال الله تعالى في الآية بعدها: (نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) سورة البقرة الآية ٢٢٣ .
قال أهل التفسير إن المراد هو إتيان الزوجة في محل الولد وهو المحل الذي أمر الله عز وجل أن تؤتي الزوجة فيه ومن المعلوم عند الناس كافة، أن محل الولد هو القبل لا الدبر. انظر تفسير القرطبي ٩٠/٣.

وقد وردت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أحاديث كثيرة في تحريم إتيان الزوجة في دبرها فمن ذلك: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (ملعون من أتى امرأة في دبرها). - رواه أحمد وأبو داود وهو حديث حسن.
وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (من أتى

حائضاً أو امرأةً في دبرها أو كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم))، رواه أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود.

وعن خزيمة بن ثابت (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نهى أن يأتي الرجل امرأته في دبرها. رواه أحمد وابن ماجه. - وعن علي (رضي الله عنه)، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لا تأتوا النساء في أعجازهن أو قال في أدبارهن). رواه أحمد. - وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال في الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى رواه أحمد.

وعن علي بن طلق قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يقول لا تأتوا النساء في أستاهن فإن الله لا يستحي من الحق) رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن - وصححه ابن حبان.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لا ينظر الله إلى رجل يأتي امرأته في دبرها) رواه الترمذي وحسنه وصححه ابن حبان.

وعن خزيمة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن، رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي وهو حديث صحيح. وهذه الأحاديث وإن كان في بعضها كلام لأهل الحديث فهي صالحة للاحتجاج ومثبتة لتحريم إتيان الزوجة في دبرها، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني عن هذه الأحاديث: (طرقها كثيرة فمجموعها صالح للاحتجاج به) فتح الباري ٢٤١/٨.

وقال الشوكاني: (ولا شك أن الأحاديث المذكورة في الباب القاضية بتحريم إتيان النساء في أدبارهن يقوي بعضها بعضاً) نيل الأوطار ٢٢٨/٦.

وقد أخذ أهل العلم من هذه النصوص تحريم إتيان المرأة في دبرها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وطء المرأة في دبرها حرام في قول جماهير العلماء) مختصر الفتاوى المصرية (ص ٣٧).

ولم يصح عن أحد من العلماء إباحت ذلك وما روي من أقوال منسوبة لبعض أهل العلم بإباحت ذلك فهي أقوال ضعيفة شاذة وغير ثابتة عنهم. قال الحافظ ابن كثير: (وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري: حدثني إسرائيل بن روح سألت مالك بن أنس: ما تقول في إتيان النساء في أدبارهن؟، قال: ما أنتم إلا قوم عرب، هل يكون الحرث إلا موضع الزرع؟، لا تعدوا الفرج، قلت: يا أبا عبد الله، إنهم يقولون إنك تقول ذلك - أي

إباحة الوطاء في الدبر- قال: يكذبون عليّ يكذبون عليّ، فهذا هو الثابت عنه، وهو قول أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل وأصحابهم قاطبة، وهو قول سعيد بن المسيب وأبي سلمة، وعكرمة، وطاوس، وعطاء، وسعيد بن جبير، وعروة بن الزبير، ومجاهد بن جبر، والحسن وغيرهم من السلف أنهم أنكروا ذلك أشد الإنكار، ومنهم من يطلق على فعله الكفر، وهو مذهب جمهور العلماء). تفسير ابن كثير ١/٢٦٥^١.

وقال القرطبي: (والصحيح في هذه المسألة ما بيناه - تحريم الوطاء في الدبر - وما نسب إلى مالك وأصحابه من هذا باطل وهم مبرعون من ذلك لأن إباحة الإتيان مختصة بموضع الحرث لقوله تعالى (نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شَتَّمتُمْ وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَأْتُمُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) ٢٢٣ البقرة).

و هذا هو الحق وقد قال أصحاب أبي حنيفة: إنه عندنا ولائط الذكر سواء في الحكم. وقال ابن العربي في قبسه: قال لنا الشيخ الإمام فخر الإسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين فقيه الوقت وإمامه: وقد حرم الله تعالى الفرج حال الحيض لأجل النجاسة العارضة.

فأولى أن يحرم الدبر لأجل النجاسة اللازمة.

وقال مالك لابن وهب وعلى بن زياد لما أخبراه أن ناساً بمصر يتحدثون عنه أنه يجيز ذلك، فنفر من ذلك، ويأدر إلى تكذيب الناقل فقال: كذبوا عليّ، كذبوا عليّ، كذبوا عليّ!، ثم قال: ألستم قوما عرباً؟ ألم يقل الله تعالى: (نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ) وهل يكون الحرث إلا في موضع المنبت!، وما استدلل به المخالف من أن قوله عز وجل: (أَنِّي شَتَّمتُمْ) شامل للمسالك بحكم عمومها فلا حجة فيها، إذ هي مخصصة بما ذكرناه، وبأحاديث صحيحة حسان وشهيرة رواها عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اثنا عشر صحابياً بمتون مختلفة، كلها متواردة على تحريم إتيان النساء في الأدبار، ذكرها أحمد بن حنبل في مسنده، وأبو داود والنسائي والترمذي وغيرهم.

وقد جمعها أبو الفرج بن الجوزي بطرقها في جزء سماه (تحريم المحل المكروه). ولشيخنا أبي العباس أيضاً في ذلك جزء سماه (إظهار إدبار، من أجاز الوطاء في الأدبار).

١. إلى هنا تم نشر هذه المقالة في مجلة الصوت الآخر العدد (١٧٤) ص ٤٢، ١٢/١٢/٢٠٠٧.

قلت: وهذا هو الحق المتبع والصحيح في المسألة، ولا ينبغي لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرج في هذه النازلة على زلة عالم بعد أن تصح عنه. وقد حذرنا من زلة العالم.

وقد روي عن ابن عمر تكفير من فعله، وهذا هو اللائق به (رضي الله عنهما). وكذلك كذب نافع من أخبر عنه بذلك، كما ذكر النسائي، تفسير القرطبي ٩٤/٣-٩٥ وقد اعتبر الشيخ ابن حجر المكي إتيان المرأة في دبرها من كبائر الذنوب وهذا هو الحق الذي تؤيده الأدلة فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد لعن من فعل ذلك واللعن لا يكون إلا على كبائر الذنوب. انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر ٦٢/٢. وذكر الشيخ ابن القيم حكماً كثيرة في حرمة وطء المرأة في دبرها فقال: (وإذا كان الله حرم الوطء في الفرج لأجل الأذى العارض فما الظن بالحش - الدبر - الذي هو محل الأذى اللازم؟).

للمرأة حق على الزوج في الوطء ووطؤها في دبرها يفوت حقها ولا يقض وطرها ولا يُحصَل مقصودها.

فإنه يذهب بالحياء جملة والحياء هو حياة القلوب فإذا فقدتها القلب استحسن القبيح واستقبح الحسن وحينئذ فقد استحکم فساده) زاد المعاد ٣/٢٦٢-٢٦٣ وقد أثبت العلم الحديث انتقال عدد كبير من الأمراض الجنسية الخطيرة عن طريق الوطء في الدبر أو اللواط ومنها داء نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) وهو مرض قاتل غالباً ما ينتشر بين الشاذين جنسياً الذين يمارسون اللواط (أكثر من ٧٠٪ من حالات الإيدز) الموسوعة الطبية الفقهية ص ٤٥٦.

وخلاصة الأمر أنه يحرم إتيان المرأة في دبرها وأنه من كبائر الذنوب. ولا يجوز للمرأة أن تطاوع زوجها في ذلك فإن فعله فيجب عليهما أن يتوبا إلى الله توبة صادقة ولا يعودا لذلك مستقبلاً ولا علاقة لإتيان المرأة في دبرها بالطلاق أو تحريم الزوجة. والله أعلم^{٢-٣}.

٢. ننصح بالعودة إلى موقع (إسلام أون لاين) ركن (فاسألوا أهل الذكر).

٣. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد (١٧٥) ص ٤٢، ٢٦/١٢/٢٠٠٧.

حكم الشذوذ الجنسي وعلاجه في الإسلام

أورد الشيخ محمد المنجد، حول قبح وشناعة فاحشة الشذوذ الجنسي، والآثار المترتبة عليها من حيث المخاطر الصحية، وبيان سعة رحمة الله للتائبين، وطرق العلاج لمن ابتلي بها، نرى من المفيد الاقتباس منها:

أولاً: قبح وشناعة فاحشة اللواط: فقد قال ابن القيم - عن قوم لوط - : ذكر جمهور الأمة، وحكاه غير واحد إجماعاً للصحابه: ليس في المعاصي مفسدة أعظم من مفسدة اللواط، وهي تلي مفسدة الكفر، وربما كانت أعظم من مفسدة القتل - كما سنبينه إن شاء الله تعالى - قالوا: ولم يبتل الله تعالى بهذه الكبيرة قبل قوم لوط أحداً من العالمين، وعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أمة غيرهم، وجمع عليهم أنواعاً من العقوبات: من الإهلاك، وقلب ديارهم عليهم، والخسف بهم، ورجمهم بالحجارة من السماء، وطمس أعينهم، وعذبهم، وجعل عذابهم مستمراً، فنكل بهم نكالاً لم ينكله بأمة سواهم، وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة، التي تكاد الأرض تميد من جوانبها إذا عملت عليها، وتهرب الملائكة إلى أقطار السموات والأرض إذا شهدوها خشية نزول العذاب على أهلها فيصيبهم معهم، وتعج الأرض إلى ربها تبارك وتعالى، وتكاد الجبال تزول عن أماكنها. عليهم أنواعاً من العقوبات: من الإهلاك، وقتل المفعول به خير له من وطئه، فإنه إذا وطأه الرجل قتله قتلاً لا تُرجي الحياة معه، بخلاف قتله فإنه مظلوم شهيد، وربما ينتفع به في آخرته.

وقال: وأتفق أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على قتله، لم يختلف منهم فيه رجلان، وإنما اختلفت أقوالهم في صفة قتله، فظن بعض الناس ذلك اختلافاً منهم في قتله، فحكاها مسألة نزاع بين الصحابة، وهي بينهم مسألة إجماع.

ومن تأمل قوله سبحانه: (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) ١٣٢ الإسراء، وقوله في اللواط: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ

العالمين) ٢٨ العنكبوت)، تبيين له تفاوت ما بينهما؛ فإنه سبحانه نكّر الفاحشة في الزنا، أي: هو فاحشة من الفواحش، وعرفّها في اللواط، وذلك يفيد أنه جامع لمعاني اسم الفاحشة. (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) ٢٨ العنكبوت)، ثم أكد سبحانه شأن فحشها بأنها لم يعملها أحد من العالمين قبلهم فقال: (ما سبقكم بها من أحد من العالمين)، ثم زاد في التأكيد بأن صرّح بما تشمئز منه القلوب، وتنبو عنها الأسماع، وتنفر منه أشد النفور، وهو إتيان الرجل رجلاً مثله ينكحه كما ينكح الأنثى، فقال:

(أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) ٢٩ العنكبوت).

ثم أكد سبحانه قبح ذلك بأن اللوطية عكسوا فطرة الله التي فطر عليها الرجال، وقلبو الطبيعة التي ركبها الله في الذكور، وهي شهوة النساء دون الذكور، فقلبو الأمر، وعكسوا الفطرة والطبيعة فاتوا الرجال شهوة من دون النساء، ولهذا قلب الله سبحانه عليهم ديارهم فجعل عاليها سافلها، وكذلك قلبهم، ونكسوا في العذاب على رؤوسهم.

ثم أكد سبحانه قبح ذلك بأن حكم عليهم بالإسراف وهو مجاوزة الحد، فقال: (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) ١٨١ الأعراف.

فتأمل هل جاء ذلك - أو قريب منه - في الزنا^١.

وأكد سبحانه ذلك عليهم بقوله: (وَلَوْطًا اتَّبِعْتَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسِقِينَ) ١٧٤ الأنبياء)، ثم أكد سبحانه عليهم الذم بوصفين في غاية القبح فقال: (إنهم كانوا قوم سوء فاسقين) الأنبياء، وسماهم مفسدين في قول نبيهم فقال: (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) العنكبوت ٣٠، وسماهم ظالمين في قول الملائكة لإبراهيم عليه السلام: (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) ٣١ العنكبوت.

فتأمل من عوقب بمثل هذه العقوبات ومن ذمه الله بمثل هذه الذمات.

ثانياً: ما تسببه هذه الفاحشة من مضار صحيّة: قال الدكتور محمود حجازي في كتابه (الأمراض الجنسية و التناسلية) - وهو يشرح بعض المخاطر الصحية الناجمة عن

ارتكاب اللواط -: إن الأمراض التي تنتقل عن طريق الشذوذ الجنسي (الواط) هي:

١- مرض الأيدز، وهو مرض فقد المناعة المكتسبة الذي يؤدي عادة إلى الموت.

١. إلى هنا تم نشر هذه المقالة: في مجلة الصوت الآخر العدد (١٧٦) ص ٥٨، ٤/١/٢٠٠٨ .

- ٢- التهاب الكبد الفيروسي.
- ٣- مرض الزهري.
- ٤- مرض السيلان.
- ٥- مرض الهربس.
- ٦- التهابات الشرج الجرثومية.
- ٧- مرض التيفوئيد.
- ٨- مرض الأميبيا.
- ٩- الديدان المعوية.
- ١٠- ثواليل الشرج.
- ١١- مرض الجرب.
- ١٢- مرض قمل العانة.
- ١٣- فيروس الساييتو ميالك الذي قد يؤدي إلى سرطان الشرج.
- ١٤- المرض الحبيبي للمفاوي التناسلي.

ثالثاً: التوبة منه: ومما سبق يتبين عظم وقبح وشناعة هذه الفاحشة، وما يترتب على فعلها من آثار ضارة، ومع ذلك فالباب مفتوح لتوبة العاصين، والله تعالى يفرح بتوبتهم.

وتأمل قول الله تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَمًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (٦٨-٧٠ الفرقان).

وعند التأمل في قوله تعالى: (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) يتبين لك فضل الله العظيم. وقد قال المفسرون هنا معنيين للتبديل:

الأول: تبديل الصفات السيئة بصفات حسنة كإبدالهم بالشرك إيماناً وبالزنا عفة وإحصاناً وبالكذب صدقاً وبالخيانة أمانة وهكذا.

والثاني: تبديل السيئات التي عملوها بحسنات يوم القيامة.

رابعاً: وأما العلاج لمن ابتلي بهذه المصيبة:

- ١- الابتعاد عن الأسباب التي تيسر لك الوقوع في هذه المعصية وتذكرك بها مثل: إطلاق البصر، والنظر إلى النساء أو الشاشات. - الخلوة بأحد من الرجال أو النساء.
- ٢- اشغل نفسك دائماً بما ينفكك في دينك أو دنياك كما قال الله تعالى: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ) (٧ و٨ الشرح).
- فإذا فرغت من عمل في الدنيا فاجتهد في عمل من عمل الآخرة كذكر الله وتلاوة القرآن وطلب العلم وسماع الأشرطة النافعة. وإذا فرغت من طاعة فابدأ بأخرى، وإذا فرغت من عمل من أعمال الدنيا فابدأ في آخر.
- وهكذا، لأن النفس أن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فلا تدع لنفسك فرصة أو وقت فراغ تفكر في هذه الفاحشة.
- ٣- قارن بين ما تجده من لذة أثناء هذه الفاحشة، وما يعقب ذلك من ندم وقلق وحيرة تدوم معك طويلاً، ثم ما ينتظر فاعل هذه الفاحشة من عذاب في الآخرة، فهل ترى أن هذه اللذة التي تنتضي بعد ساعة يقدمها عاقل على ما يعقبها من ندم وعذاب، ويمكنك لتقوية الفناعة بهذا الأمر والرضا به القراءة في كتاب ابن القيم (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي).
- ٤- العاقل لا يترك شيئاً يحبه إلا لمحبوب أعلى منه أو خشية مكروه.
- وهذه الفاحشة تفوت عليك نعيم الدنيا والآخرة، ومحبة الله لك، وتستحق بها غضب الله وعذابه ومقتته. فقارن بين ما يفوتك من خير، وما يحصل لك من شر بسبب هذه الفاحشة، والعاقل ينظر أي الأمرين يقدم.
- وأهم من ذلك كله: الدعاء والاستعانة بالله عز وجل أن يصرف عنك هذا السوء، واغتتم أوقات الإجابة وأحوالها، كالسجود، وقبل التسليم من الصلاة، وثلاث الليل الآخر، ووقت نزول المطر، وفي السفر، وفي الصيام، وعند الإفطار من الصيام. أهـ والله أعلم^{٢-٣}.

٢. ننصح بالعودة إلى موقع إسلام أون لاين، ركن (فاسألوا أهل الذكر).

٣. مجلة الصوت الآخر، العدد (١٧٧) ١/٩/٢٠٠٨، ص ٥٠.

رأس السنة الهجرية وصوم عاشوراء

مع تهنئتي الحارة بحلول السنة الهجرية للجميع اضع بين يدي القراء الكرام كتنكير ببعض الحقائق التاريخية والدينية، هذه النصوص، من السنة والسيرة، راجيا المولى القبول:

أولاً: تحديد يوم وصول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الهجرة إلى يثرب (المدينة لاحقاً): يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٣، ص ٥٢: (وبلغ الانصار مخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من مكة وقصده المدينة، وكانوا يخرجون كل يوم، إلى الحرة، ينتظرونه أول النهار، فإذا اشتد حر الشمس، رجعوا على عادتهم، إلى منازلهم، فلما كان يوم الاثنين، ثاني عشر ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من النبوة، خرجوا على عادتهم، فلما حمي حر الشمس رجعوا، وصعد رجل من اليهود على أطم من أطام المدينة، لبعض شأنه، فرأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مبيضين، يزول بهم السراب، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة، هذا جدكم الذي تنتظرونه، فبادر الانصار إلى السلاح، ليتلقوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)).

ثانياً: تحديد غرة محرم كبداية للسنة الهجرية: يقول الدكتور علي محمد محمد الصلابي، في كتابه: (فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره) طبعة دار الايمان ص ١٥٥ و ١٥٤): (كان أول من وضع التاريخ بالهجرة عمر (رضي الله عنه)، ويحكي سبب ذلك عدة روايات:

١- فقد جاء عن ميمون بن مهران، أنه قال: دفع إلى عمر (رضي الله عنه) صك محله في شعبان، فقال عمر: شعبان هذا الذي مضى، أو الذي هو آت، أو الذي نحن فيه؟، ثم جمع أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال لهم: ضعوا للناس شيئاً يعرفونه، فقال قائل: اكتبوا على تاريخ الروم، فقبل انه يطول، وانهم يكتبون من عند ذي

القرنين، فقال قائل: اكتبوا تأريخ الفرس، قالوا: كلما قام ملك طرح ما كان قبله، فأجتمع رأيهم على ان ينظروا كم قام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة، فوجدوه أقام عشر سنين، فكتب أو كتب التأريخ على هجرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (محض الصواب (٣١٦\١) ابن الجوزي ص ٦٩).

٢- وعن عثمان بن عبيدالله، (ابن أبي رافع مولى النبي (صلى الله عليه وسلم) يروي عن أبيه، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: جمع عمر بن الخطاب المهاجرين والانصار (رضي الله عنهم) فقال: متى نكتب التأريخ؟ فقال له علي بن ابي طالب (رضي الله عنه): منذ خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) من أرض الشرك، - يعني من يوم هاجر - قال: فكتب ذلك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) المستدرك (٣/١٤) وصححه ووافقه الذهبي).

٣- (وعن ابن المسيب قال: أول من كتب التأريخ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لسنتين ونصف من خلافته، فكتب لست عشرة من المحرم بمشورة علي ابن ابي طالب (رضي الله عنه) تاريخ الاسلام للذهبي، ص ١٦٣).

٤- (وقال ابو الزناد - عبدالله بن زكوان القرشي، ثقة فقيه، التقريب ص ٣٠٢ - استشار عمر في التأريخ فأجمعوا على الهجرة) محض الصواب (٣١٧\١).

٥- (وروى ابن حجر في سبب جعلهم بداية التأريخ في شهر محرم، وليس في ربيع الاول، الشهر الذي تمت فيه هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الصحابة الذين أشاروا على عمر، وجدوا أن الأمور التي يمكن أن يؤرخ بها أربعة، هي مولده ومبعثه، وهجرته، ووفاته، ووجدوا أن المولد والمبعث لا يخلون من النزاع، في تعيين سنة حدوثه، وأعرضوا عن التأريخ بوفاته، لما يثيره من الحزن والاسى عند المسلمين، فلم يبق إلا الهجرة، وإنما اخروه من ربيع الأول إلى محرم، لأن ابتداء العزم على الهجرة كان من محرم، إذ وقعت بيعة العقبة الثانية في ذي الحجة، وهي مقدمة الهجرة، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هو هلال محرم، فناسب أن يجعل مبتدأ... ثم قال ابن حجر: وهذا انسب ما وقعت عليه من مناسبة الابتداء بمحرم) فتح الباري (٢٦٨\٧)، الخلافة الراشدة، يحيى اليعقوبي ص ٢٨٦.

ثالثا: صوم يوم عاشوراء: يروي لنا الامام النووي في كتابه: (رياض الصالحين: ص، (٤٤٧)، طبعة المكتب الاسلامي) باب: (٢٢٧- باب فضل صوم يوم عرفة و عاشوراء

وتاسوعاء) (١٢٥٩- وعن ابن عباس (ر.ض)، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه، متفق عليه ١٢٦٠، -عن أبي قتادة (ر.ض)، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، سئل عن صيام يوم عاشوراء، فقال: يُكْفَرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ) رواه مسلم ١٢٦١، - عن ابن عباس (ر.ض) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع) رواه مسلم^١.

١. مجلة الصوت الآخر، العدد (١٧٨) ١/١٦، ٢٠٠٨، ص ٥٠.

حكم تشريح جثث الموتى

سألني أحدهم عبر الهاتف، عن (حكم تشريح جثث الموتى) في وقت كنت مستغرقاً بالنظر إلى تلك الرفات الطاهرة، من الوجبة الثانية من الكُرد المؤنفلين، يرحمهم الله تعالى، وأنا لم أفهم كثيراً هدفه من السؤال عن الحكم، إلا أنني أخذت المسألة بقوة وحملتها محمل الجد، ويعد تنبعي لذلك وعودتي إلي: موقع (المجمع الفقهي الإسلامي) وجدت القرار الآتي:

قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي بشأن موضوع (تشريح جثث الموتى)

أما بعد: فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧ م إلى يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧ م قد نظر في موضوع (تشريح جثث الموتى) وبعد مناقشته وتداول الرأي فيه أصدر القرار الآتي: بناء على الضرورات التي دعت إلى تشريح جثث الموتى والتي يصير بها التشريح مصلحة تربو على مفسدة انتهاك كرامة الإنسان الميت؛ قرر مجلس المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي ما يأتي:

أولاً: يجوز تشريح جثث الموتى لأحد الأغراض الآتية:

أ- التحقيق في دعوى جنائية لمعرفة أسباب الموت أو الجريمة المرتكبة وذلك عندما يشكل (قد تكون سقطت كلمة على في هذا الموضوع) القاضي معرفة أسباب الوفاة ويتبين أن التشريح هو السبيل لمعرفة هذه الأسباب.

ب- التحقق من الأمراض التي تستدعي التشريح ليتخذ على ضوءه الاحتياطات الوقائية والعلاجات المناسبة لتلك الأمراض. ج

ج- تعليم الطب وتعلمه كما هو الحال في كليات الطب.

ثانياً: في التشريح لغرض التعليم تراعي القيود الآتية:

أ - إذا كانت الجثة لشخص معلوم يشترط أن يكون قد أذن هو قبل موته بتشريح جثته أو أن يأذن بذلك ورثته بعد موته ولا ينبغي تشريح جثة معصوم الدم إلا عند الضرورة.

ب - يجب أن يقتصر في التشريح على قدر الضرورة كيلا يعبت بجثث الموتى.

ج - جثث النساء لا يجوز أن يتولى تشريحها غير الطبيبات إلا إذا لم يوجدن.

ثالثاً: يجب في جميع الأحوال دفن جميع أجزاء الجثة المشرحة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين.

ملحظ: وقع على هذا القرار كل من:

١ - الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - (الرئيس).

٢ - د. عبد الله عمر نصيف (نائب الرئيس).

٣ - د. محمد بن جبير.

٤ - عبد الرحمن البسام.

٥ - مصطفى أحمد الزرقاء.

٦ - محمد محمود الصواف.

٧ - أبو الحسن على الحسن الندي.

٨ - محمد رشيد راغب قباني.

٩ - محمد الشاذلي النيفر.

١٠ - أبو بكر جومي.

١١ - د. أحمد فهمي أبو سنة.

١٢ - محمد الحبيب بن الخوجه.

١٣ - محمد سالم عبد الودود.

١٤ - د. طلال عمر بافقيه (مقرر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي).

واعترض أو تحفظ بعض المشائخ على النحو الآتي:

١ - د. بكر عبد الله أبو زيد (مخالف فلا أوافق على جواز تشريح جثة المسلم والتحقق من الأمراض).

- ٢ - صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (لا أوافق على تشريح جثة المسلم لغرض التعليم الطبي ولي اعتراض مفصل حول ذلك).
- ٣- محمد بن عبد الله بن سبيل (متحفظ في تشريح جثة المسلم في الفقرة ج من البند الأول).

وتخلف عن حضور هذه الدورة كل من:

- ١ - فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي.
 - ٢ - فضيلة الشيخ صالح بن عثيمين.
 - ٤ - فضيلة الشيخ عبد القدوس الهاشمي.
 - ٥ - معالي اللواء الركن محمود شيت خطاب.
 - ٦ - فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف.
 - ٧ - فضيلة الشيخ مبروك مسعود العوادي.
- (هذا القرار نقل بنصه مع الملحظ من كتاب الفشل الكلوي و زرع الأعضاء للدكتور محمد علي البار)^١.

١ . مجلة الصوت الآخر، العدد (١٧٩) ٢٣/١/٢٠٠٨. ص. ٥٠ .

حكم انتفاع الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر حياً أو ميتاً

قد يسأل البعض عن سر اختيارنا لمثل هذه الفتاوي وعن مصادرها هذه، ولكن إذا عرفنا أننا نأخذ العلم من أهله لذات العلم دون النظر إلى القائل، إلا بالقدر الذي يطمئنا من صدقهم، يتلاشى معظم ما عنده من الاشكاليات، هذا من جهة ومن جهة أخرى قد لانجد بغيتنا لدى كثير ممن حولنا، ونقول ذلك تأسفاً، ولعرفة حكم انتفاع (الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر حياً أو ميتاً) رجعنا إلى بعض المواقع الإسلامية، فوجدنا: أن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الرابع بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٨-٢٣ جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ، الموافق ٦-١١ فبراير ١٩٨٨. بعد إطلاعنا على الأبحاث الفقهية والطبية الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع (انتفاع الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر حياً أو ميتاً).

وفي ضوء المناقشات التي وجهت الأنظار إلى أن الموضوع أمر واقع فرضه التقدم العلمي والطبي، وظهرت نتائجها الإيجابية المفيدة والمشوبة في كثير من الأحيان بالأضرار النفسية والاجتماعية الناجمة عن ممارسته دون الضوابط والقيود الشرعية التي تصان بها كرامة الإنسان، مع أعمال مقاصد الشريعة الإسلامية الكفيلة بتحقيق كل ما هو خير ومصلحة غالبية للفرد والجماعة، والداعية إلى التعاون والتراحم والإيثار. وبعد حصر هذا الموضوع في النقاط التي يتحرر فيها محل البحث وتنضبط تقسيماته وصوره وحالاته التي يختلف الحكم تبعاً لها. قرر ما يأتي:

من حيث التعريف والتقسيم:

أولاً: يقصد هنا بالعضو أي جزء من الإنسان، من أنسجة وخلايا ودماء ونحوها، كقرنية العين.

سواء أكان متصلاً به، أم انفصل عنه.

ثانياً: الانتفاع الذي هو محل البحث، هو الاستفادة دعت إليها ضرورة المستفيد

لاستبقاء أصل الحياة، أو المحافظة على وظيفة أساسية من وظائف الجسم كالبصر ونحوه.

على أن يكون المستفيد يتمتع بحياة محترمة شرعاً.

ثالثاً: تنقسم صور الانتفاع هذه إلى الأقسام الآتية:

١- نقل العضو من حي.

٢- نقل العضو من ميت.

٣- النقل من الأجنة.

الصورة الأولى: وهي نقل العضو من حي، تشمل الحالات التالية:

نقل العضو من مكان من الجسد إلى مكان آخر من الجسد نفسه، كنقل الجلد والغضاريف والعظام والأوردة والدم ونحوها.

وينقسم العضو في هذه الحالة إلى ما تتوقف عليه الحياة وما لا تتوقف عليه. أما ما تتوقف عليه الحياة، فقد يكون فردياً، وقد يكون غير فردي، فالأول كالقلب والكبد، والثاني كالكلية والرئتين. وأما ما لا تتوقف عليه الحياة، فممنه ما يقوم بوظيفة أساسية في الجسم ومنه ما لا يقوم بها.

ومنه ما يتجدد تلقائياً كالدم، ومنه ما لا يتجدد، ومنه ما له تأثير على الأنساب والموروثات، والشخصية العامة، كالخصية والمبيض و خلايا الجهاز العصبي، ومنه ما لا تأثير له على شيء من ذلك.

الصورة الثانية: وهي نقل العضو من ميت: ويلاحظ أن الموت يشمل حالتين:

الحالة الأولى: موت الدماغ بتعطل جميع وظائفه تعطلاً نهائياً لا رجعة فيه طبيياً.

الحالة الثانية: توقف القلب والتنفس توقفاً تاماً لا رجعة فيه طبيياً.

فقد روعي في كلتا الحالتين قرار المجمع في دورته الثالثة.

الصورة الثالثة: وهي النقل من الأجنة، وتتم الاستفادة منها في ثلاث حالات: حالة الأجنة التي تسقط تلقائياً.

حالة الأجنة التي تسقط لعامل طبي أو جنائي.

حالة (اللقائح المستنبطة خارج الرحم).

من حيث الأحكام الشرعية:

أولاً: يجوز نقل العضو من مكان من جسم الإنسان إلى مكان آخر من جسمه، مع مراعاة التأكد من أن النفع المتوقع من هذه العملية أرجح من الضرر المترتب عليها، وبشرط أن يكون ذلك لإيجاد عضو مفقود أو لإعادة شكله أو وظيفته المعهودة له، أو لإصلاح عيب أو إزالة دمامة تسبب للشخص أذى نفسياً أو عضوياً.

ثانياً: يجوز نقل العضو من جسم إنسان إلى جسم إنسان آخر، إن كان هذا العضو يتجدد تلقائياً، كالدم والجلد، ويراعى في ذلك اشتراط كون البازل كامل الأهلية، وتحقق الشروط الشرعية المعتبرة.

ثالثاً: تجوز الاستفادة من جزء من العضو الذي استؤصل من الجسم لعلّة مرضية لشخص آخر، كأخذ قرنية العين لإنسان ما عند استئصال العين لعلّة مرضية.

رابعاً: يحرم نقل عضو تتوقف عليه الحياة كالقلب من إنسان حي إلى إنسان آخر.

خامساً: يحرم نقل عضو من إنسان حي يعطل زواله وظيفته أساسية في حياته وإن لم تتوقف سلامة أصل الحياة عليها كنقل قرنية العينين كليهما، أما إن كان النقل يعطل جزءاً من وظيفة أساسية فهو محل بحث ونظر كما يأتي في الفقرة الثامنة.

سادساً: يجوز نقل عضو من ميت إلى حي تتوقف حياته على ذلك العضو، أو تتوقف سلامة وظيفته أساسية فيه على ذلك.

بشرط أن يأذن الميت أو ورثته بعد موته، أو بشرط موافقة وليّ المسلمين إن كان المتوفي مجهول الهوية أو لا ورثة له.

سابعاً: وينبغي ملاحظة أن الاتفاق على جواز نقل العضو في الحالات التي تم بيانها، مشروط بأن لا يتم ذلك بوساطة بيع العضو.

إذ لا يجوز إخضاع أعضاء الإنسان للبيع بحال مال.

أما بذل المال من المستفيد، ابتغاء الحصول على العضو المطلوب عند الضرورة أو مكافأة وتكريماً، فمحل اجتهاد ونظر.

ثامناً: كل ما عدا الحالات والصور المذكورة، مما يدخل في أصل الموضوع، فهو محل بحث ونظر، ويجب طرحه للدراسة والبحث في دورة قادمة، على ضوء المعطيات الطبية والأحكام الشرعية^١.

١. تم نشرها في مجلة الصوت الآخر، العدد (١٨٠) ٣٠/١/٢٠٠٨، ص ٥٠.

الضوابط الشرعية لحوار الديانات

قبيل بدايات نشرنا لهذه الأعمدة، عبر مجلتنا الحبيبة (الصوت الآخر) نشرنا بحثاً مختصراً حول حسن الجوار والعلاقات بين أتباع الديانات السماوية، سيما أتباع الدين الإسلامي الحنيف، و أتباع دين سيدنا المسيح عليه و على الأنبياء جميعاً السلام، وق دوجدتني اليوم، مغرماً بالعودة إلى هذا المبحث ثانية، وذلك للحاجة إلى التذكير دوماً، (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذُّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) ٥٥ الذاريات، ولأن مثل هذه الأمور تتجدد دوماً بتجدد الأحداث، و بحاجة إلى ضوابط قد تسهل علينا الوصول إلى بعض ما ننشده من وراء كتاباتنا ومحاولاتنا الجادة، وكما عودتكم فأنني كأبار النحل لايهمني القائل بقدر مايهمني القول الحق الذي قيل، ولدي عودتي إلى موقع (إسلام أون لاين) ركن (فاسألوا أهل الذكر) وجدنا سؤالاً مطروحاً والإجابة عليه، وعلى النحو الآتي: نسمع كثيراً عن حوار الديانات فهل هذا يجوز؟ وهل في حال الجواز هناك ضوابط شرعية له؟.

الجواب: بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: ناقش مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا في مؤتمره الخامس الذي انعقد في المنامة بالبحرين في الفترة من ١٤ - ١٧ من شهر ذي القعدة ١٤٢٨ الموافق ٢٤ - ٢٧ من شهر نوفمبر ٢٠٠٧ هذا الموضوع المؤجل من الدورة الرابعة وانتهوا فيه إلى ما يأتي: لقد ناقش المجتمعون التوصيات الصادرة عن الدورة التدريبية الرابعة للمجمع حول اللقاءات مع ممثلي الديانات المختلفة (إنتر فيث ديالوج) وأكدوا أن فكرة الحوار والتواصل مع مختلف الملل فكرة عريقة في تراثنا الإسلامي، في إشارة إلى ما كان في القرن الرابع من مجالس القاضي أبي بكر الباقلاني مع أهل الملل المختلفة ومحاورتهم في أجواء تبتعد عن التراشق بالتهمة والتقاذف بالمناكر التي تغلب على كثير من المناظرات في واقعا المعاصر، وقد دقق المؤتمرون هذه التوصيات وراجعوا بعض عباراتها، وانتهوا إلى إصدارها في صورة القرار الآتي:

- ١- الإنترنت أو اللقاءات مع ممثلي الديانات المختلفة تعبير مجمل، يطلق على عدة معانٍ، منها ما هو مشروع، ومنها ما هو ممنوع.
- ٢- فإن قصد به الدعوة إلى الله تعالى، والقيام بحجته على عباده، وبيان الحق للمسترشدين، ودفع صيال المعاندين والمعتدين، فذلك سعي مشكور وعمل صالح مبرور.
- ٣- وإن قصد به مجرد التعريف بالحق في أمم تجهله، وأوساط تنكره، إزالة للوحشة من قلوبهم، وكسرا لحاجز النفرة من نفوسهم، ثم يقررون لأنفسهم بعد ذلك ما يريدون فذلك في ذاته من السعي المشكور والعمل المبرور.
- ٤- وإن قصد به السعي لإيجاد تعايش آمن بين أصحاب الديانات المختلفة تحقق به الدماء وتسكن به الثائرة، ويتمكن الناس معه من التقلب في أسفارهم آمنين، ويتمكن معه حملة الحق من تبليغ رسالتهم والإعذار إلى مخالفهم بعيدا عن أجواء التوتر والشحناء والخصومات، فهذا مقصود مشروع وغاية محمودة.
- ٥- وإن قصد به التوصل إلى صيغة لتحقيق المصالح الحياتية المشتركة بين البشر لا سيما بين من ينتمون إلى إقليم واحد أو تجمعهم روابط مشتركة تمس الحاجة معها إلى مثل هذا التعاون فلا حرج في ذلك ولا تثريب على أصحابه، فقد جعل الله الأرض مشتركا بين عباده جميعا: برهم وفاجرهم مسلمهم وكافرهم صالحهم وطالحهم، فقال تعالى: (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) ١٠ الرحمن. وقال تعالى: (كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) ٢٠ الاسراء. وهذا هو أساس عمارة البلدان واستتباب العمران.
- ٦- أما إن قصد به الدمج بين الديانات، والخلط بين الملل، والسعي إلى إيجاد إطار عقدي مشترك يمسح خصوصياتها العقدية، وقد يبلغ الأمر مبلغ طباعة القرآن مع غيره من الكتب الدينية الأخرى في غلاف واحد، فذلك عدوان على الملل جميعا، بل هو الغش الديني والثقافي الذي يتجاوز في خطره وضرره الغش التجاري الذي تجرّمه النظم والقوانين في مختلف الثقافات والحضارات.
- ٧- الأصل في لقاءات الإنترنت أنها عمل علمي ومهارة دعوية، فهي تقوم على العلم الشرعي مع التمكن من الخطاب العام ومعرفة عادات البلد وأهله ونظامه، فلا مدخل فيها للعامة وأشباه العامة، وينبغي فيمن يتصدر لهذا المجال أن يكون لديه

من العلم ما يقيه فتنة الشبهات، ومن التدين ما يقيه فتنة الشهوات، وأن يكون لديه من القدرة على الحوار ما يتمكن به من عرض الحق، والدفاع عنه، ورد شبهات خصومه.

٨- ضرورة التأكيد على أن رسالة الإسلام تمثل جوهر رسالات الأنبياء جميعاً في صورتها الأصلية والكاملة والخاتمة، وأنها موجهة إلى البشرية جمعاء بما في ذلك أتباع الأنبياء الذين بعثوا قبل بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم).

٩- الأصل في الحوار مع أهل الكتاب أن يكون بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وأن تكون غايته ظهور الحق وهداية الخلق وإزالة الشبهة، وأن لا تشويه شائبة من الاستفزازية أو الاستعلائية سواء في مضمون الخطاب أم في طريقة أدائه، فإن أهل الإسلام أعرف الناس بالحق وأرحم الناس بالخلق^١.

١٠- الأصل في البلاغ أن يكون مبيناً، وفيمن يقوم به أن يكون على بصيرة، وأن يؤكد على مسائل الاتفاق ويبدأ بها، وأن يقيم الحجة في مسائل الخلاف ولا يعتذر عنها، وأن يبدأ بتقرير الأصول قبل الفروع، وأن يرد الجزئيات إلى الكليات، وأن تكون له في ذلك كله نية صالحة.

١١- لا ينبغي على المحاور أن يضيق واسعا، فما كان له مسأغ في النظر تجاوزه وإن كان مرجوحاً عنده، فإن باب المناظرة أوسع من باب النظر.

١٢- البر والقسط هو أساس التعامل مع المسلمين من غير المسلمين، ولأهل الكتاب منهم خصوصية تتمثل فيما جاءت به الشريعة من حل ذبائهم ونكاح نسائهم، الأمر الذي لا تشاركهم فيه الملل الأخرى.

١٣- البر والقسط المأمور به في التعامل مع غير المسلمين لا يستلزم الاعتقاد بما يدينون، ولا يقتضي مخالفة المسلم لما يعتقد من أن الإسلام ناسخ لما سبقه من الملل، وإن لم يدين به لم يتحقق له النجاة في الآخرة.

١٤- لا حرج في إقامة لقاءات الإنترنت في مساجد المسلمين أو في معابد غيرهم، على أن تراعى حرمة المساجد وعدم التشويش على من فيها من المصلين، بناء على

١. إلى هنا تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر، العدد (١٨١) ٢/٦/٢٠٠٨. ص ٥٠.

الصحيح من أقوال أهل العلم من جواز دخول غير المسلمين إلى ما سوى المسجد الحرام من سائر المساجد، ولا حرج إذا حضرت الصلاة أن يصلي المسلمون في معابد الملل الأخرى، مع تجنب استقبال التماثيل، وأن يأذنوا لغير المسلمين بالصلاة في مساجدهم إذا لم يكن ذلك على وجه الاعتیاد، وفي قواعد الشريعة ومقاصدها دليل على ذلك.

١٥- ومن رغب في مشاركة المسلمين في صلاتهم من غيرهم فلا يمنع من ذلك إذا ترجحت مصلحة تأليف قلبه بذلك، على أن يكون في صف مستقل، أو على الأقل في طرف الصف حتى لا يقطع اتصال الصف، مع الاتفاق على أن الإيمان شرط في صحة جميع الأعمال وفي قبولها.

١٦- ولا حرج فيما قد يقع في بعض هذه اللقاءات من التهادي بين المسلمين وغيرهم، فهو من جملة البر والقسط الذي أمرنا به في التعامل مع المسالمين من غير المسلمين، ما لم تمنع من حق، أو تحمل على باطل، أو تمثل إعانة عليه.

١٧- وما تفتتح به هذه اللقاءات أو تختتم به من دعاء مشترك إذا لم يتضمن دعاء لغير الله ولم يشتمل على عبارات شركية فلا حرج فيه، لما ورد في بعض الآثار من الإذن لغير المسلمين بشهود صلاة الاستسقاء، ويجب أن يتفق المشاركون في هذه الحوارات على مبادئ تضمن عدم المساس بالخصوصيات العقدية للمشاركين.

١٨- وما يتخلل هذه اللقاءات من أنشطة مشتركة منها ما يكون من جنس العبادات ومنها ما يكون من جنس العادات، فما كان من جنس العبادات لا تشرع المشاركة فيه لتردده بين كونه عبادة بدعية أو عبادة شركية، وما كان من جنس العادات فلا حرج في المشاركة فيه عند الاقتضاء تألفاً للقلوب واستصلاحاً للأحوال.

١٩- ولا حرج في التحالف في هذه اللقاءات وغيرها على نصرة المظلوم من المشتركين أو من غيرهم، والتعاون على أعمال البر العامة مما يمثل منفعة مشتركة لعموم البشر، وفي حلف الفضول وصحيفة المدينة دليل على ذلك.

٢٠- على قيادات الجالية الإسلامية العناية بلقاءات الإنترفيث وتدريب الدعاة المتمكنين للقيام بهذا الأمر، والانفتاح على الجاليات الأخرى للإفادة منه في نصرة حقوقهم الاجتماعية والمدنية و ما يعود على جاليتهم بالنفع. والله أعلم.

كفالة الحرية الدينية لغير المسلمين

وفي النهاية أرى من المفيد التذكير ببعض ماورد في كتاب (فقه السنة) للعلامة (سيد سابق) حول (كفالة الحرية الدينية لغير المسلمين):

- ١- عدم إكراه أحد منهم على ترك دينه أو إكراهه على عقيدة معينة، يقول الله سبحانه وتعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) البقرة ٢٥٦.
- ٢- من حق أهل الكتاب أن يمارسوا شعائر دينهم، فلا تهدم لهم كنيسة ولا يكسر لهم صليب يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): أتركوهم وما يدينون به.
- بل من حق زوجة المسلم اليهودية أو النصرانية أن تذهب إلى الكنيسة أو إلى المعبد ولاحق لزوجها في منعها من ذلك.
- ٣- أباح لهم الاسلام ما أباحه لهم دينهم من الطعام وغيره فلا يقتل لهم خنزير، و لاتراق لهم خمر مادام ذلك جائزا عندهم وهو بهذا وسع عليهم أكثر من توسعته على المسلمين الذين حرم عليهم الخمر والخنزير.
- ٤- لهم الحرية في قضايا الزواج والطلاق والنفقة، و لهم أن يتصرفوا كما يشاؤون فيها دون أن توضع لهم قيود أو حدود.
- ٥- حمي الإسلام كرامتهم وحقوقهم وجعل لهم الحرية في الجدل و المناقشة في حدود العقل والمنطق مع التزام الأدب والبعد عن الخشونة والعنف. يقول الله سبحانه وتعالى:
(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) العنكبوت ٤٦.
- ٦- سوي بينهم وبين المسلمين في العقوبات في رأي بعض المذاهب. وفي الميراث سوي في الحرمان بين الذمي والمسلم فلا يرث الذمي قريبه المسلم ولا يرث المسلم قريبه الذمي.
- ٧- أحل الإسلام طعامهم والأكل من ذبائحهم والتزوج بنسائهم. يقول الله سبحانه وتعالى:
(الْيَوْمَ أَحْلَلْتُ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا
آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ
فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) المائدة ٥.

٨- أباح الإسلام زيارتهم وعبادة مرضاهم وتقديم الهدايا لهم ومبادلتهم البيع والشراء
ونحو ذلك من المعاملات فمن الثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم، مات ودرعه
مرهونة عند يهودي في دين له عليه.

وكان بعض الصحابة إذا ذبح شاة يقول لخادمه إبدأ بجارنا اليهودي.

قال صاحب البدائع: ويسكنون في أمصار المسلمين ويبيعون ويشترون لأن حق
الذمة شرع ليكون وسيلة إلى إسلامهم وتمكينهم من المقام في أمصار المسلمين أبلغ
في هذا المقصود وفيه أيضا منفعة المسلمين بالبيع والشراء)^{٢-٣}.

٢. راجع: السيد سابق، فقه السنة ج ٢ ص ٦٠٣ .

٣. تم نشر تنمة هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر، العدد (١٨٢) ١٣/٢/٢٠٠٨، ص ٥٠ .

قبسات عن أنواع الحب في الإسلام

وأنا منهمك بأعمالي كمقدم ومهيء لثلاثة برامج اذاعية دينية أسبوعياً، وكتاباتي ومتطلبات الأهل، والتي كلما ركضت ورائها لم أصل إلى النهاية المرجوة، فاذا بعيد الحب يدخل علي بكل ما يحمله من المعاني الحقيقية والأسطورية، وسواء إرتضيته كعيد، أم اعتبرته شيئاً من مبتكرات البشر، وكغيره من الأيام والليالي والساعات، لا يمر دون ان نسأل عنه، فكان ما حدث مشاركتي لبعض البرامج عبر إحدى القنوات الفضائية الكردية، واكتفي بما قلته وكتبته في حينه، حيث مضي عليه أيام، ولكن أرى لزاماً على أن اتطرق لموضوع الحب في الإسلام و بيان شيء من أنواعه، و كما عودتكم كأبار النحل اني وجدت حكمة أجدني صاحبها، وقد وجدت في موقع (اسلام أون لاين) ما يشفي غليلي، و قد ذكروا أنواعاً من الحب، بدأ من حب العبد لله وحب الله للعبد وانتهاء بما بين العبيد:

أولاً: حب الله ورسوله أسمى الحب:

والحب في الإسلام غير مرتبط بموسم ولا بيوم من أيام العام، وإنما مرتبط بحقيقة ووجود الإنسان نفسه، فالحب موجود كل يوم وليس بدرجة واحدة بل بدرجات متعددة أسماها حب الله تعالى ويرغب الإسلام فيه، ويحاول إيجاد أقوام يحبون الله تعالى كما ينبغي بشوق وبود تامين يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) المائدة ٥٤، ويقول الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) البقرة ١٦٥).

فالحب في الله تعالى أسمى الحب والتنافس فيه على أشده.
ولا أدل على التسامي في الحب من قوله صلى الله عليه وسلم:
(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما،
وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما
يكره أن يلقى في النار) متفق عليه.
والمقصد من هذا الحب أن يكون المسلم على صلة دائمة بالله تعالى وأن يكون متعلقا
به سبحانه وتعالى طلبا في رجائه وحباً له، مما يجعله دائم الطاعة لا يفكر في المعصية
فمن أحب أطاق وعمل بشوق.

ثانياً: حب المسلمين والولاء لهم:

ويأتي بعد ذلك حب المسلمين والولاء لهم فجاء التشريع بالحض على ذلك فجعل
اكتمال الإيمان بحبهم، والحب حق للأخ على أخيه قال رسول الله (صلى الله عليه
وسلم): (للمسلم على المسلم ست بالمعروف: يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه،
ويشتمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويتبع جنازته إذا مات، ويحب له ما يحب
لنفسه) رواه الترمذي.

وقال صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ولم يعرف حق كبيرنا،
وليس منا من غشنا، ولا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه) رواه
السيوطي في جامعته وحسنه، فجعل اكتمال الحب بحبك لأخيك ما تحبه لنفسك.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) متفق
عليه. ولا أدل على هذه المعاني كلها من قوله تعالى: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) ٤٥ المائدة.

فجعل القوم المرغوب في وجودهم في هذه الحياة قوم يحبون الله تعالى ويلين بعضهم
رحمة وحباً لبعض^١ وجعل من الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (رجلان
تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) مما يدل على عظم الحب في الله تعالى.

والأحاديث في ذلك كثيرة والأجر في ذلك أكثر.

المقصد:

١. إلى هنا تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر، العدد (١٨٣) ٢٠/٢/٢٠٠٨، ص. ٥٠.

- ١- ربط الحب بالحق الواجب عليك يدل على البذل في أدائه والرغبة في الوفاء به.
- ٢- ربط الحب بالماديات والمعنويات "أن تحب له ما تحب لنفسك" يدل على أكثر من معني منها عدم الحرص على الدنيا، حب الخير للآخرين، اليقين في أن ما أصابك هو لك لا لغيرك، وبالتالي فحبك الخير لأخيك ينزع من النفس شهوة التملك، وأثرة الذات، وحب النفس.
- ٣- التعلق بالثواب الآخروي في هذه الأمور يجعل الوجهة في الحب ليست المصلحة الدنيوية ولكن ما عند الله تعالى وهو خير وأبقى.

ثالثاً: حب الوطن والوفاء له:

وقد يظن البعض أن حب الوطن ليس من الإيمان والحقيقة غير هذا لما يأتي:
أولاً: ورود أدلة تبين أن للوطن حبا والقلوب بها متعلقة ومنها ما رواه الهندي في كنز العمال حيث يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (ويها يا أصيل! دع القلوب تقر).
ومنها ما قاله النبي (صلى الله عليه وسلم)، عن مكة: (ما أطيبك من بلد وأحبك إلى ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك) أخرجه الترمذي، رواه السيوطي.
ثانياً: بنظرة مقاصدية لموضوع الجهاد في سبيل الله تعالى نجد أن من أغراضه حفظ الأوطان، والدفاع عن الظلم، وغير ذلك.
ثالثاً: من المقاصد أيضاً نجد أن من مهام الإمام أن يدافع عن البلاد والعباد، والسبب الأسمى حرية العبادة، ولن تتحقق إلا بوجود وطن.
فمجرد الدفاع عن الوطن يدل على حب هذا الوطن والارتباط به، وإلا لأمرنا أن نترك الديار لطمع طامع ونذهب لغيرها لعبادة الله تعالى.

رابعاً: حب الوالدين:

حب الوالدين ليس كأي حب وإنما هو حب من نوع آخر فقد أوصى به الله تعالى حيث جعل سبحانه وتعالى الإحسان لهما قرين العبادة: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) (الإسراء).
ويقول تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْنَا مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) (الأنعام).

فالأمر بالإحسان لهما وجعله قرين العبادة لله تعالى وبعد عدم الشرك به سبحانه يدل على عظم مكانتهما، ولا أدل على ذلك مما يأتي:

أولاً: حبهما كان سبباً في التفريج على أهل الغار الذي سدت الصخرة بابه ولم يكن لهم ملجأ إلا الدعاء بالعمل الصالح.

ثانياً: التوصية بهما دائماً يدل على مكانتهما ووجوب حبهما المقرون بالشكر والعرفان.

ثالثاً: الذهاب للجهاد في الله تعالى يتوقف في أحد أنواعه على رضاهما "انذهب ففيهما فجاهد". فذا كله يدل على عظم المكانة ووجوب البر.

خامساً: حب الزوجة والولد:

وهو الحب الحلال فلا شك أن العاطفة تجاه الجنس الآخر عاطفة فطرية فكل من الطرفين يحتاج الآخر ويرغب فيه، والحب الحقيقي لا يتحكم فيه الإنسان فهو شيء فطري يدل على هذا قوله (صلى الله عليه وسلم): (اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) رواه أبو داود والترمذي وصححه السيوطي. وجعل الإسلام الزواج طريقاً لهذا الحب ومكلاً له^٢.

٢. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر، العدد (١٨٤) ٢٧/٢/٢٠٠٨، ص. ٥٠.

الوثائق المزورة وحكمها الشرعي

وأنا انظر إلى احد برامج قناة العربية الفضائية، في أواسط (شباط) فاذا بها تطالعنا على احد الاسواق البغدادية (مريدي) وتطلعنا على ما لا يمكن للعاقل ان يصدقه! إلى اية درجة وصلت الأمور بالناس؟ إلى أية درجة من اللامبالاة وعدم الخوف من الله سبحانه وتعالى؟ كيف لا وقد نظرنا الى من يعتز بأنه قد تخرج من عنده و في ذلك السوق، أكثر بكثير ممن خرجته الجامعات العراقية! والآفة الكبرى أن يتمتع أصحاب تلكم الشهادات، والوثائق المزورة، بالمكانة والوظائف، ويتم تعيينهم بها! هذا الذي لا تحمد عقباه، فقد ولد البرنامج لدي الطمع في أن أخص (حب) اليوم من (بيدر) نا بذلك، راجيا من الله، أن يكون فيه نوع من التذكير، لمن سولت له نفسه ارتكاب تلكم المعاصي، عساهم أن يعودوا إلى رشدهم: يقول، الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله): (الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن التزوير حرام في دين الله، لقول الله تعالى:

(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) الحج: ٣٠.

ومن التزوير المحرم التزوير في الوثائق والشهادات، لأن التزوير فيها لا يخرج عن حد التزوير المنهي عنه، قال الحافظ ابن حجر: (ضابط المزور وصف الشيء على خلاف ما هو به).

وجاء في الموسوعة الفقهية: التزوير يشمل التزوير والغش في الوثائق والسجلات ومحاكاة خطوط الآخرين وتوقيعاتهم بقصد الخداع والكذب. إنتهى.
فكل هذه المعاني موجودة في تزوير الشهادة العلمية، وعليه فيحرم تزوير الشهادة، وما ترتب على التزوير من مال يأخذه المزور بناء على هذه الشهادة حرام أيضاً، و التزوير والغش من الأخلاق المذمومة في الكتاب والسنة. والله أعلم^١.

١. تم نشرها في مجلة الصوت الآخر العدد ١٨٥ ص ٥٠، ٢٠٠٨/٣/٥.

هكذا قالوا عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)

و نحن قد دخلنا في شهر ربيع الأول، ذلكم الشهر الذي يحتفي فيه المسلمون بميلاد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم)، أجدني ملزما بأن أخص زاويتي هذه بالحديث عن بعض الجوانب من تقييم شخصيته الكريمة، ولكن كتغيير نوعي، أخذ بمناظركم الكريمة للإطلاع على بعض مآقاله الآخرون عنه (صلى الله عليه وسلم) وإن كنا بعد قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم -٤، لا نحتاج إلى تقييم أحد من خلق الله له (صلى الله عليه وسلم)، ولكنني مع عدم موافقتي لكثير مما يجري في هذه المناسبة، من الخرافات بمناسبة مولده، أريد من خلال هذه الزاوية، أن ادعو إلى ما يجب أن نتحلى به من الانصاف بحق الآخرين، ففي وقت يتجرأ البعض على رسم كاريكاتيري، ليس معنى ذلك أن كل من كان غربيا هكذا يتصور، أو هكذا يتصرف ويسيء الأدب، بل هناك مئات من أصحاب الأقلام النيرة قد قالوا في حق الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ما يغفل عنه كثير من عامة المسلمين، واليكم بعضا مما قالوا، وقد نقلته بأمانة من موقع: (قبسات من حياة الرسول) (صلى الله عليه وسلم) قسم (قالوا عن محمد (صلى الله عليه وسلم)):

١- يقول (ادوارد جيبون و سيمون، في كتابه: (تاريخ الإمبراطورية العربية الإسلامية) ط، لندن، (١٨٧٠) ص (٥٤) يقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله، هي عقيدة الإسلام البسيطة والثابتة.

إن التصور الفكري للإله (في الإسلام) لم ينحدر أبدا إلى وثن مرئي أو منظور. ولم يتجاوز توقيير المسلمين للرسول أبدا حد اعتباره بشرا، وقيدت أفكاره النابضة بالحياة شعور الصحابة بالامتتان والعرفان تجاهه، داخل حدود العقل والدين).

٢- يقول (ديوان شند شرمه، في كتابه: (أنبياء الشرق). طبعة كلكتا (١٩٣٥) ص ١٢٢: لقد كان محمد روح الرأفة والرحمة وكان الذين حوله يلمسون تأثيره ولم يغب عنهم أبدا).

٢- يقول: (جون وليام دريبر، الحاصل على دكتوراه في الطب والحقوق في كتابه، تاريخ التطور الفكري الأوروبي، طبعة لندن (١٨٧٥) المجلد الأول، ص ٢٢٩ و ٢٣٠: ولد في مكة بجزيرة العرب عام ٥٦٩ بعد المسيح، بعد أربع سنوات من موت جوستينيان الأول،^١ الرجل الذي كان له من دون جميع الرجال، أعظم تأثير على الجنس البشري. وهو محمد).

٤- يقول (ر. ف. س. بودلي في: (الرسول) لندن (١٩٤٦) ص ٩: (إنني أشك أن أي إنسان لا يتغير لكي يلائم ويوافق التغيرات الكثيرة جدا في ظروفه الخارجية، كما لم يتغير محمد).

٥- يقول (هـ. أ. رجب^٢ في كتاب، المحمدية، طبعة لندن (١٩٥٣) ص ٣٣: إنه من المسلم به عالميا بصفة عامة أن إصلاحاته (أي محمد) رفعت من قدر المرأة ومنزلتها ووضعها الاجتماعي والشرعي).

٦- ويقول (جون أوستن، في مقال له بعنوان: محمد نبي الله، في مجلة ت. ب. وكاسل الأسبوعية في ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٧ بعد المسيح: لقد أصبح محمد بالفعل في خلال ما يربو قليلا عن العام ما يمكن أن نسميه بالحاكم الروحي والدنيوي للمدينة، ويده على الرفاعة التي كان مقدرًا لها أن تهز العالم)^{٣-٤}، إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجروا أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجادا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانيهم.

لكن هذا الرجل محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يقدر الجيوش ويسن التشريعات

١. جوستينيان أويوستينيانوس الأول (٤٨٢ - ٥٦٥ بعد المسيح): امبراطور بيزنطي (٥٢٧ - ٥٦٥ بعد المسيح) جمع الشرائع الرومانية ودونها. المورد، (١٩٩٠).
٢. هو: هاملتون الكسندر جب، (١٨٩٥): مستشرق إنجليزي. عني بتعريف الغربيين بالتراث الإسلامي. المورد، (١٩٩٠).
٣. إدوارد جيبون (١٧٣٧ - ١٧٩٤ بعد المسيح). مؤرخ إنجليزي، يعتبر أعظم المؤرخين الإنجليز في عصره. المورد، (١٩٩٠).
٤. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في مجلة الصوت الآخر العدد ١٨٦، ١٩/٣/٢٠٠٨ ص ٥٠.

ويقيم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ.

ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والديانات والأفكار والمعتقدات الباطلة.

لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر من الله، كان طموح النبي (صلى الله عليه وسلم) موجهًا بالكلية إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك، حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته (صلى الله عليه وسلم) وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطي النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحداية الله، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث.

فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية)، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو المادية والمماثلة للحوادث).

لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة). هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم) الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم).

بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؟^٥

٧- يقول (مونتجومري: إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيذا وقائدا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه.

فافتراض أن محمدا مدع افتراض يثير مشكلات أكثر ولا يحلها.

٥. لومارتان من كتاب، تاريخ تركيا، باريس، ١٨٥٤، الجزء ١١، صفحة ٢٧٦-٢٧٧.

بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد) ^٦.

٨- يقول (بوسورث سميث: لقد كان محمد قائداً سياسياً وزعيماً دينياً في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها) ^٧.

٩- يقول (جيبون أوكلي: ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور.

فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له ذات الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن، رغم مرور اثني عشر قرناً من الزمان.

لقد استطاع المسلمون الصمود يداً واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية.

فقول (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) هو ببساطة شهادة الإسلام. ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله.

ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدي البشر، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين) ^{٨-٩}.

١٠- يقول (زويمر: إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبلغياً فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به

٦. مونتجومري وات، من كتاب "محمد في مكة"، ١٩٥٣، صفحة ٥٢ .

٧. بوسورث سميث، من كتاب "محمد والمحمدية"، لندن ١٨٧٤، صفحة ٩٢ .

٨. إدوارد جيبون وسيمون أوكلي، من كتاب "تاريخ إمبراطورية الشرق"، لندن ١٨٧٠، (صفحة ٥٤).

٩. ملاحظة إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٨٧، ١٨٧/٤/٢، ٢٠٠٨/٥٠٥٠ .

وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء^{١٠}.

١١- يقول (سانت هيلر: كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحرية، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجتريحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً إلى دين الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجل الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة)^{١١}.

١٢- يقول (إدوار مونته: عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أذكى وأدين وأرحم عرب عصره، وأشدهم حفاظاً على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم)^{١٢}.

١٣- يقول (برناردشو: إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا)^{١٣}.

إن رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصب، قد رسموا لدين محمد صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية، لكنني اطّلت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية، بل يجب أن يسمى منقذ البشرية، وفي رأيي أنه لو تولّى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر لقد كان دين محمد (صلى الله عليه وسلم)، موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة..

١٠. الدكتور زويمر الكندي مستشرق كندي ولد ١٨١٣ - ١٩٠٠ قال في كتابه (الشرق وعاداته).

١١. العلامة برتلي سانت هيلر الألماني مستشرق ألماني ولد في درسدن ١٧٩٣ - ١٨٨٤ قال في كتابه (الشرقيون وعقائدهم).

١٢. الفيلسوف إدوار مونته الفرنسي مستشرق فرنسي ولد في بلدته لوكادا ١٨١٧ - ١٨٩٤ قال في آخر كتابه (العرب).

١٣. برناردشو الإنكليزي ولد في مدينة كانيا ١٨١٧ - ١٩٠٢ له مؤلف أسماه (محمد)، وقد أحرقتة السلطة البريطانية.

(حيوية تعني دائم النشاط)، ويقول: وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة).

يعني كل جد جديد في الحياة يستطيع هذا الدين الذي جعله الله - عز وجل - لكل زمان ومكان أن يهضم هذه التطورات، وأن يجعل لها أحكاماً وأن ينظمها في مجريات الحياة.

هو الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة، وأرى واجباً أن يدعى محمد - صلى الله عليه وسلم - منقذ الإنسانية، وإن رجلاً كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث فسوف ينجح في حل مشكلاته.

يعني لو جاءت شريعة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقادت العالم اليوم فسوف تنجح في حل مشكلاته.

ولقد وجد برناردشو في شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ما دعاه إلى أن يصفه بأنه منقذ البشرية فقال: (لقد عمد رجال الاكليروس في العصور الوسطى إلى تصوير الإسلام في أهلك الألوان، وذلك بسبب الجهل وبسبب التعصب الذميمة، والواقع أنهم كانوا يسرفون في كراهية محمد وكراهية دينه ويعدون خصماً للمسيح، أما أنا فأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية وأعتقد أن رجلاً مثله إذا تولى زعامة العالم الحديث، نجح في حل مشكلاته وأحل في العالم السلام والسعادة وما أشد حاجة العالم اليوم إليهم)^{١٤}.

١٤- يقول (السير موير: إن محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم)^{١٥}.

١٥- يقول (سنستن الأسوجي: إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزاي، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصراً على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى

١٤. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٨٨\٩\٤\٢٠٠٨ ص ٥٠.

١٥. السير موير الإنكليزي في كتابه (تاريخ محمد).

النصر الميين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ)^{١٦}.

١٦- يقول (المستر سنكس: ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة. إلى أن قال: إن الفكرة الدينية الإسلامية، أحدثت رقياً كبيراً جداً في العالم، وخلصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان. ولقد توصل محمد - بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق - إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة)^{١٧}.

١٧- يقول (آن بيزيت: من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل، أحد رسل الله العظماء، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس فإنني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم. هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وقيماً لها طيلة ٢٦ عاماً ثم عندما بلغ الخمسين من عمره - السن التي تخبو فيها شهوات الجسد - تزوج لإشباع رغباته وشهواته؟! ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأشخاص. فلو نظرت إلى النساء اللاتي تزوجهن لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سبباً إما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه أو الحصول على شيء يعود بالنفع على أصحابه أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية)^{١٨-١٩}.

١٦. العلامة سنرستن الآسوجي: مستشرق أسوجي ولد عام ١٨٦٦، أستاذ اللغات السامية، ساهم في دائرة المعارف، جمع المخطوطات الشرقية، محرر مجلة (العالم الشرقي) له عدة مؤلفات منها: (القرآن الإنجيل المحمدي) ومنها: (تاريخ حياة محمد).

١٧. المستر سنكس الأمريكي: مستشرق أميركي ولد في بلدته بالاي عام ١٨٣١، توفي ١٨٨٣ في كتابه: (ديانة العرب).

١٨. آن بيزيت: حياة وتعاليم محمد دار مدارس للنشر (١٩٣٢).

١٩. تم نشر هذه المقالة في مجلة الصوت الآخر العدد ١٨٩، ١٦/٤/٢٠٠٨ ص ٥٠.

دروس في أصول العقيدة

لكثرة ما اسمع بين فينة وأخرى، ومن حين لآخر على السنة بعض المتطفلة على العلوم الاسلامية، - وأحياناً، العالة عليها - أراني ملزماً لأخصص زاويتنا هذه للتذكير ببعض الأصوليات العقيدية، التي أخذتها الأجيال من بعضها، وبما ان مثل هذه الأمور ليست خاضعة للإجتهد، بل هي مستقاة من النصوص الصحيحة والصريحة، انتقل بكم إلى مقتطفات من كتاب: (الموسوعة الميسرة، في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (مع شيء من التهذيب والتصريف المفيد)، أخذاً من موقع الكاشف الالكتروني).

قواعد وأصول العقيدة

قواعد وأصول العقيدة، في مجال التلقي والاستدلال تتمثل في الآتي:

- ١- مصدر العقيدة هو كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وإجماع الأولين الصالحين.
- ٢- كل ما ورد في القرآن الكريم، هو شرع للمسلمين وكل ما صحَّ من سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجب قبوله وإن كان أحاداً.
- ٣- المرجع في فهم الكتاب والسنة هو النصوص التي تبينها، وفهم الأولين الصالحين ومن سار على منهجهم.
- ٤- أصول الدين كلها قد بينها النبي (صلى الله عليه وسلم) فليس لأحد تحت أي ستار، أن يحدث شيئاً في الدين زاعماً أنه منه.
- ٥- التسليم لله ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) ظاهراً وباطناً، فلا يعارض شيء من الكتاب أو السنة الصحيحة بقياس ولا ذوق ولا كشفٍ مزعوم ولا قول شيخ موهوم ولا إمام ولا غير ذلك.

- ٦- العقل الصريح موافق للنقل الصحيح ولا تعارض قطعياً بينهما وعند توهم التعارض يقدم النقل على العقل.
- ٧- يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة وتجنب الألفاظ المستحدثة.
- ٨- العصمة ثابتة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة، أما أحادها فلا عصمة لأحد منهم، - على خلاف في ذلك بين بعض المذاهب الإسلامية- والمرجع عند الخلاف يكون للكتاب والسنة مع الاعتذار للمخطئ من مجتهدي الأمة.
- ٩- الرؤيا الصالحة حق وهي جزء من النبوة والفراسة الصادقة حق وهي كرامات ومبشرات - بشرط موافقتها للشرع - غير أنها ليست مصدراً للعقيدة ولا للتشريع.
- ١٠- المرء في الدين مذموم والمجادلة بالحسنى مشروعة، ولا يجوز الخوض فيما صح النهي عن الخوض فيه.
- ١١- يجب الالتزام بمنهج الوحي في الرد، ولا ترد المستحدثة بمستحدثة أخرى، ولا يقابل الغلو بالتفريط ولا العكس.

التوحيد العلمي الاعتقادي:

- ١- الأصل في أسماء الله وصفاته: إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه أو أثبتته له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غير تمثيل؛ ولا تكييف؛ ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله (صلى الله عليه وسلم) من غير تحريف ولا تعطيل، كما قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ١١: الشورى ، مع الإيمان بمعاني ألفاظ النصوص، وما دلت عليه.
- ٢- الإيمان بالملائكة الكرام إجمالاً، وأما تفصيلاً، فيما صحَّ به الدليل من أسمائهم وصفاتهم، وأعمالهم بحسب علم المكلف.
- ٣- الإيمان بالكتب المنزلة جميعها .
- ٤- الإيمان بأنبياء الله، ورسله (صلى الله عليه وسلم)، وأنهم أفضل ممن سواهم من البشر، ومن زعم غير ذلك فقد كفر.
- ٥- الإيمان بانقطاع الوحي بعد محمد (صلى الله عليه وسلم) وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ومن اعتقد خلاف ذلك كفر.

٦- الإيمان باليوم الآخر، وكل ما صح فيه من الأخبار، وبما يتقدمه من العلامات والأشراط.

٧- الإيمان بالقدر، خيره وشره من الله تعالى، وذلك بالإيمان بأن الله تعالى علم ما يكون قبل أن يكون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون إلا ما يشاء، والله تعالى على كل شيء قدير وهو خالق كل شيء، فعال لما يريد.

٨- الإيمان بما صحّ الدليل عليه من الغيبات، كالعرش والكرسي، والجنة والنار، ونعيم القبر وعذابه، والصراط والميزان، وغيرها دون تأويل شيء من ذلك.

٩- الإيمان بشفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) وشفاعة الأنبياء والملائكة، والصالحين، وغيرهم يوم القيامة. كما جاء تفصيله في الأدلة الصحيحة.

١٠- رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة وفي المحشر حق، ومن أنكرها أو أولها فهو زائع ضال، وهي لن تقع لأحد في الدنيا.

١١- كرامات الأولياء والصالحين حق، وليس كل أمر خارق للعادة كرامة، بل قد يكون استدراجاً. وقد يكون من تأثير الشياطين والمبطلين، والمعيار في ذلك موافقة الكتاب والسنة، أو عدمها.

١٢- المؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وكل مؤمن فيه من الولاية بقدر إيمانه^١.

التوحيد الإرادي الطلبي (توحيد الألوهية):

١- الله تعالى واحد أحد، لا شريك له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته وهو رب العالمين، المستحق وحده لجميع أنواع العبادة.

٢- صرف شيء من أنواع العبادة كالإهداء، والاستغاثة، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكل، والخوف، والرجاء، والحب، ونحوها لغير الله تعالى شرك أكبر، أي كان المقصود بذلك، ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلًا، أو عبداً صالحاً، أو غيرهم.

٣- من أصول العبادة أن الله تعالى يُعبد بالحب والخوف والرجاء جميعاً، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال.

١. ملاحظة إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٩٠ ٢٣/٤/٢٠٠٨.

- ٤- التسليم والرضا والطاعة المطلقة لله ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) والإيمان بالله تعالى حكماً من الإيمان به رباً وإلهاً، فلا شريك له في حكمه وأمره. وتشريع ما لم يأذن به الله، والتحاكم إلى الطاغوت، واتباع غير شريعة محمد (صلى الله عليه وسلم) وتبديل شيء منها كفر، و من زعم أن أحداً يسعه الخروج عنها فقد كفر.
- ٥- لا يعلم الغيب إلا الله وحده، واعتقاد أن أحداً غير الله يعلم الغيب كُفر، مع الإيمان بأن الله يُطلع بعض رسله على شيء من الغيب.
- ٦- اعتقاد صدق المنجمين والكهان كفر، وإتيانهم والذهاب إليهم كبيرة.
- ٧- الوسيلة المأمور بها في القرآن هي ما يُقرب إلى الله تعالى من الطاعات المشروعة.

الإيمان:

- ١- الإيمان قول، وعمل، يزيد، وينقص، فهو: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.
- فقول القلب: اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان: إقراره.
- وعمل القلب: تسليمه وإخلاصه، وإذعانه، وحبه وإرادته للأعمال الصالحة.
- وعمل الجوارح: فعل المأمورات، وترك المنهيات.
- ٢- مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة وإن عذب منهم بالنار من عذب، ولا يخلد أحد منهم فيها قط.
- ٣- لا يجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه.
- ٤- الكفر من الألفاظ الشرعية وهو قسمان: أكبر مخرج من الملة، وأصغر غير مخرج من الملة ويسمى أحياناً بالكفر العملي.
- ٥- التكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبه في حق المعين إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع. والتكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم، ومراجعة العلماء الثقات في ذلك.

القرآن والكلام:

القرآن كلام الله (حروفه ومعانيه) مُنزل غير مخلوق؛ منه بدأ؛ وإليه يعود، وهو معجز دال على صدق من جاء به (صلى الله عليه وسلم). ومحفوظ إلى يوم القيامة.

القدر:

- من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر خيره وشره، من الله تعالى، ويشمل:
- ١- الإيمان بكل نصوص القدر ومراتبه؛ (العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق)، وأنه تعالى لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.
 - ٢- هداية العباد وإضلالهم بيد الله، فمنهم من هداه الله فضلاً. ومنهم من حقت عليه الضلالة عدلاً.
 - ٣- العباد وأفعالهم من مخلوقات الله تعالى، الذي لا خالق سواه، فالله خالق لأفعال العباد، وهم فاعلون لها على الحقيقة.
 - ٤- إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى، وإثبات الأسباب بمشيئة الله تعالى^٢.

٢. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٩١ ، ٣٠/٤/٢٠٠٨ .

شبهات حول العقيدة والرد عليها

في العديدين السابقين، ذكرت دروساً من أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة، وسأخص، هذه الحلقة، بالحديث عن بعض من الشبهات حول العقيدة، وإن كانت تلكم الشبهات أوهى من بيت العنكبوت، ولكني أراني ملزماً بذكرها، ولا أدعي العلم، ولكن ككل مرة، اقتبس مما قاله الأولون وما يكتبه المعاصرون من أصحاب الأعلام النيرة المنصفة، وبالعودة إلى المواقع الشرعية، سيما شبكتي (اسلام اليوم و اسلام أون لاين/فاسألوا أهل الذكر) فقد جاء، فيهما: (الأنبياء عليهم السلام هم أشرف الخلق وأزكاهم، وأتقاهم لله وأخشاهم، ومقامهم مقام الاصطفاء والاجتباء، وواجب الخلق نحوهم التأسّي والافتداء).

فالواجب أن يُحفظ لهم هذا المقام، وأن ينزهوا عن مد الألسن إليهم بالنقد والاتهام، غير أن نفوساً قد غلبها الفسق، مدت ألسنتها إلى الأنبياء بالعيب والتهم، فلم تدع نبياً - إلا ما ندر - لم ترمه بدعوى العيب والإثم، تريد بذلك انتقاصهم، والحط من أقدارهم، بل والطعن في القرآن الكريم الذي ذكر عنهم أحوالهم، فكان الذب عن أنبياء الله عز وجل متعيناً، صونا لدين الله، وحفظاً لحق أنبيائه عليهم السلام.

لكن قبل الخوض في تفاصيل رد ما رمي به الأنبياء عليهم السلام، نحب أن نبين أن المقرر عند السلف أن الأنبياء عليهم السلام لا يتصور في حقهم الخطأ في مقام الوحي والتبليغ، أما في غير ذلك من صغائر الذنوب مما ليس في فعله خسة ولا دناءة، فإنه إن صدر من أحدهم شيء فإنه لا يقر عليه، بل يتبعه بالتوبة والإنابة.

وبهذا يبطل ما تعلق به الطاعنون من قولهم: كيف يجوز على الأنبياء الخطأ وهم في مقام الأسوة والقُدوة؟ ونجيب على ذلك بالقول: إن الخوف من أن يحصل اللبس في مقام التأسّي بالأنبياء إنما يتصور فيما لو أخطؤوا، واستمروا على الخطأ، ثم لم ينبهوا عليه، فيشتبه حينئذ على المقتدي الحال التي يجب فيها متابعة النبي من الحال الأخرى،

أما إن نهبوا على التقصير فلن يحصل اشتباه، بل سيتحول المجال إلى مجال متابعة من وجه آخر، وهو المتابعة في حسن الرجوع إلى الله سبحانه بالتوبة، وبهذا يسلم للأنبياء مقام القدوة والأسوة، ويحصل لهم شرف التعبد لله عز وجل بالتوبة إليه سبحانه.

وقد تبين لنا من خلال بحثنا أن ما أورده الطاعنون في حق الأنبياء - بعد استبعاد المكذوب عليهم - لا يخرج عن أن يكون سوء فهم للنص، أو أن يكون شيئاً وقع منهم قبل نبوتهم، أو أمراً فعلوه وكان على خلاف الأولى، أو خطأ تابوا منه فتاب الله عليهم، فلا يحق لأي كان أن يتخذ ذلك ذريعة لانتقاصهم وتلمهم.

وقد فصلنا فيما يأتي هذه الوجوه، وقررناها بأمثلتها حتى يتضح للقارئ الكريم أن نتاج الدراسة الجادة لشبهات الطاعنين في الإسلام لن يكون إلا في صالح الإسلام، وأن الحق لا يزيده طعن الطاعنين إلا ثباتاً وظهوراً:

الوجه الأول: ما نسب إلى الأنبياء من مطاعن مبناهما على سوء الفهم، من ذلك ما ادعوه في حق إبراهيم عليه السلام من أنه قد وقع في الشرك بادعائه ربوبية الكواكب، مستشهدين على ذلك بقوله تعالى:

(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) الأنعام: ٧٥-٧٩.

والجواب على ذلك أن إبراهيم عليه السلام إنما قال ما قال في مقام المناظرة والمخاصمة لقومه، إذ استعرض لهم الكواكب شمساً وقمرًا ونجمًا، وبين لهم بالدليل العقلي انتفاء الربوبية عنها، ثم توجه إليهم مخاطباً إياهم بالنتيجة المنطقية لبطلان معبوداتهم فقال: (يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

فإن قيل: كيف يتأتى لإبراهيم (س)، مناظرة قومه في نفي ربوبية الكواكب وهم إنما يعبدون أصناماً من الحجارة؟ قلنا إن إبراهيم عليه السلام ناظرهم في نفي ربوبية الكواكب حتى يتبين لهم انتفاء الربوبية عن آلهتهم التي يعبدونها بطريق الأولى، وذلك

أنه إذا تبين انتفاء ربوبية الكواكب وهي الأكبر والأضعف للخلق، كان ذلك دليلاً على انتفاء ربوبية ما دونها من أصنامهم التي يعبدونها، لعظم الفارق بين الكواكب وبين أصنامهم التي يجهدون في خدمتها دون أدنى نفع منها تجاههم^١ ومن ذلك ما ادعوه في حق إبراهيم عليه السلام أيضاً من أنه شك في قدرة الله سبحانه، حين سأله عن كيفية إحيائه الموتى، قالوا: والشك في قدرة الله كفر، واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) البقرة: ٢٦٠.

و أوردوا أيضاً ما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

(نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحي الموتى، قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي).

والجواب على ما أوردوه ببيان أن ما صدر عن إبراهيم عليه السلام لم يكن شكاً في قدرة الباري سبحانه، فهو لم يسأل قائلاً: هل تستطيع يا رب أن تحيي الموتى؟ فيكون سؤاله سؤال شك، وإنما سأل الله عز وجل عن كيفية إحيائه الموتى، والاستفهام بكيفية إنما هو سؤال عن حالة شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤول، لا عن شيء مشكوك في وجوده أصلاً، ولو كان السؤال سؤال شك في القدرة لكانت صيغته: (هل تستطيع يا رب أن تحيي الموتى؟) وكيف يشك إبراهيم في قدرة الباري سبحانه وهو الذي حاج النمرود بها، فقال: ربي الذي يحيي ويميت، وهو الذي يأتي بالشمس من المشرق، فاستدل بعموم قدرة الباري على ربوبيته.

والسبب المحرك لإبراهيم على طلب رؤية كيفية إحياء الموتى هو أنه عليه السلام عندما حاج النمرود قائلاً: إن الله يحيي ويميت، ادعى النمرود هذا الأمر لنفسه وأرى إبراهيم كيف يحيي ويميت، فأحب عليه السلام أن يرى ذلك من ربه ليزداد يقيناً، وليترقي في إيمانه من درجة يقين الخبر (علم اليقين) إلى درجة يقين المشاهدة (عين اليقين)، وكما جاء في الحديث (ليس الخبر كالمعاينة) رواه أحمد.

قال الإمام القرطبي: (لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكاً في إحياء الله الموتى قط وإنما

١. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٩٢، ٧/٥/٢٠٠٨، ص ٥٠.

طلب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به)، وقال الإمام الطبري: مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، كانت ليري عياناً ما كان عنده من علم ذلك خبراً (أما قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (نحن أحق بالشك من إبراهيم) فمعناه أنه لو كان إبراهيم شاكاً لكننا نحن أحق بالشك منه، ونحن لا نشك بإبراهيم عليه السلام أيضاً لا يشك، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام. ومن أمثلة سوء فهم النص وتحميله ما لا يحتمل بغية الطعن في الأنبياء ما قاله قوم من أن لوطا عليه السلام كان قليل التوكل على الله عز وجل معتمدا على الأسباب اعتمادا كلياً، واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى: (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَيَّ رُكْنًا شَدِيدًا) هود: ٨٠)، قالوا: والذي يدل على صحة فهمنا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) عاتبه على قوله ذلك، بقوله: (ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد) متفق عليه.

وجواباً على ذلك نقول لهم: إن هذا سوء فهم منكم للحال التي قال فيها لوط عليه السلام ما قال، والسبب الذي حمّله على ذلك القول؟ فالأنبياء عليهم السلام كانوا يُبعثون في منعة من أقوامهم، فيبعث النبي من أشرف قبائل قومه وأمنعهم، فتكون قبيلته - وإن لم تؤمن به - سنداً له تحميه من كيد أعدائه ومكرهم، كما قال تعالى عن شعيب: (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) هود: ٩١)، وكما كان بنو هاشم للنبي (صلى الله عليه وسلم)، حماة وسندا.

وأما لوط عليه السلام فلم يبعث في قومه، وإنما بعث في مكان هجرته من أرض الشام، فكان غريباً في القوم الذين بعث فيهم، إذ لم يكن له فيهم عشيرة، لذلك عندما خاف عليه السلام أن يوقع قومه الفضيحة بأضيافه تمنى أن لو كان بين عشيرته ليمنعوه، وهذا من باب طلب الأسباب، وهو طلب مشروع كما لا يخفي، لكن لما كانت هذه الأسباب غير متوفرة، كان الأولى أن يتوجه العبد بطلب العون من الله سبحانه، فهو المعين والناصر، ومن هنا جاء عتاب النبي صلى الله عليه وسلم داعياً له بالمغفرة والرحمة، فقال عليه الصلاة والسلام: (يعفر الله للوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد) رواه البخاري، وقال: (ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد) رواه البخاري^٢.

٢. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٩٣-١٤\٥\٢٠٠٨، ص ٥٠.

الوجه الثاني: ما نسب إلى الأنبياء من مطاعن وقعت منهم قبل النبوة، من ذلك ما ادعوه في حق آدم عليه السلام من أنه عصى وأزله الشيطان، قالوا والذي يدل على قولنا، قوله تعالى: (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) طه: ١٢١، وقوله في الآية الأخرى: (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) البقرة: ٣٦، والجواب على ما أورده هؤلاء أن ما وقع من آدم عليه السلام كان قبل نبوته، فلا يصح أن يتخذ ذريعة للطعن فيه عليه السلام، قال الإمام أبو بكر بن فورك:

(كان هذا من آدم قبل النبوة، ودليل ذلك قوله تعالى: (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) طه: ١٢٢.

فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وإذا كان هذا قبل النبوة فجائز عليهم الذنوب وجهاً واحداً، لأن قبل النبوة لا شرع علينا في تصديقهم، فإذا بعثهم الله تعالى إلى خلقه وكانوا مأمونين في الأداء معصومين لم يضر ما قد سلف منهم من الذنوب.

فإن قيل كيف يقال: إن ما وقع من آدم عليه السلام كان قبل نبوته، أو ليست النبوة هي الوحي من الله؟ والله كان يكلم آدم قبل أن يخرج من الجنة كما تدل على ذلك الآيات والأحاديث، قلنا: النبوة المنفية هنا ليست هي مجرد الوحي، وإنما هي الوحي إلى شخص النبي بشرع جديد أو بتجديد شرع سبقه، وهذا ما لم تدل الأدلة على أن آدم أعطيه عندما كان في الجنة مع زوجته، فصح بذلك القول بأن ما وقع منه عليه السلام كان قبل نبوته بالمعنى الخاص.

ومع أن ما وقع من آدم عليه السلام كان قبل نبوته إلا أنه أتبعه بالتوبة والإنابة إليه سبحانه، وذلك لصفاء نفسه ومعرفته بمقام ربه، قال تعالى:

(فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) البقرة: ٣٧.

ومن أمثلة ما أورده الطاعنون في حق الأنبياء عليهم السلام، وشنعوا به على القرآن، وكان قبل النبوة ما أورده في حق موسى عليه السلام من أنه ارتكب جريمة القتل، مستشهدين على ذلك بقوله تعالى: (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنَّاخَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ)

القصص: ١٥، قالوا: وقد ندم موسى عليه السلام على هذه الجريمة، ومنعه ندمه أن يتقدم بالشفاعة إلى رب العالمين، كما في حديث الشفاعة الطويل: (فيأتون - موسى، فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسا لم أوامر بقتلها، نفسي، نفسي، نفسي).

والجواب على ما أورده هؤلاء الطاعنون في حق نبي الله موسى عليه السلام أن ما وقع منه عليه السلام كان قبل نبوته، بدليل قوله تعالى: (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِئْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) الشعراء: ١٨-٢١. ثم لم يكن قصد موسى عليه السلام قتله، وإنما قصد دفعه عن أخيه، فقتله خطأ، وقد استغفر موسى ربه من هذه الفعل، فغفر له سبحانه، قال تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) القصص: ١٦.

الوجه الثالث: ما نسب إلى الأنبياء من مطاعن وكانت في حقيقتها أمورا على خلاف الأولى، من ذلك ما ادعوه في حق نبي الله سليمان عليه السلام من أنه قعد يتفرج ويتمتع بالنظر لخيوله حتى خرج وقت الصلاة، ثم عندما علم بتضييع وقت الصلاة بسبب تلك الخيول قام بذبحها فكان في ذلك إهدار للمال، وإرهاق لأرواح الخيل في غير وجه حق، وزيادة تأخير للصلاة، قالوا والذي يدل على ما قلنا قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّهَا عَلَيَّ فَفَطِقَ أَمْسَحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) ص: ٣٠-٣٣.

وجواباً على ذلك نقول: إنه ليس في الآيات - محل البحث - تصريح بأن سليمان عليه السلام قد ضيع الصلاة الواجبة، والتصريح الذي في الآيات هو أن الخيل قد شغلته عن ذكر الله، وهنا يحتمل أن يكون المراد بذكر الله الصلاة المفروضة، ويحتمل أن يكون المراد بها صلاة النافلة، أو الذكر، وعلى أي احتمال فليس في الآية أنه - عليه السلام - ترك الذكر متعمداً، بل ظاهرها أنه نسي ذكر ربه بإنشغاله بأمر الخيل.

وكذلك ليس في الآية تصريح بأن سليمان ذبح الخيل وأزهق أرواحها ورمأها عبثاً، وإنما في الآية التصريح بأنه مسح سوقها وأعناقها، وقد قال بعض المفسرين أنه مسح الغبار عنها حبا فيها، ومن قال: "ذبحها" لم يقل رمي لحمها، والظن به عليه السلام إذا ذبحها أن يتصدق بلحمها، إذ في ذبحها والتصدق بلحمها ما يكون أرضى للرب سبحانه، فكأنه عليه السلام يقول لربه سبحانه: هذه التي شغلتنني عن ذكرك ذبحتها لك، وتصدقت بها على عبادك.

وبهذا يتبين أن ما وقع من سليمان عليه السلام من اشتغاله بالخيل عن ذكر الله إنما هو خلاف الأولى، وليس من باب المعاصي والآثام، بل هو ربما كان من باب النسيان الذي لا يؤاخذ عليه الإنسان.

هذا بعض ما أورده الطاعنون في حق الأنبياء عليهم السلام، وقد أجبنا عنه بما لا نزع أنه لا مزيد عليه، ولكننا نحسب أننا فتحنا أبواباً للحق، تضيء بنورها ظلمات الباطل فتزيلها، وينبغي للمسلم إذا عرضت له شبهة من الشبهات تجاه أنبياء الله ودينه أن يواجهها بالحجة والبرهان فيبحث في مظان كتب أهل العلم، ويسأل المختصين، عملاً بقوله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) النحل: ٢٤٣.

شبهات حول زواج النبي (صلى الله عليه وسلم):

لا يفتأ أعداء الإسلام يوجهون سهامهم بين الفينة والأخرى إلى نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، يحاولون بذلك تشكيك المسلم في دينه، والحيلولة دون دخول غير المسلمين في هذا الدين العظيم.

ومكئة الشبهات عندهم لا تكاد تعطل، أو يعترئها العطب، فهم في كل يوم يخترعون شبهة، أو يستدعونها من ماضي أسلافهم، من غير أن يكلوا أو يملوا من تكرار تلك السخافات والتلبيسات.

ومن آخر ما قذفه هؤلاء على مسامعنا ما زعمه بعض قسس النصارى من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان شهوانياً محباً للنساء، ساعياً في قضاء شهوته ونيل رغباته منهن، ويزعمون أن شهوانية محمد (صلى الله عليه وسلم)، لا تقتصر على كثرة نسائه فحسب، ولكن تتخطى ذلك في الزواج من الصغيرات، وفي تطليقه من يرغب فيهن من

٢. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٩٤ - ٢٠٠٨/٥/٢١، ص ٥٠.

النساء من أزواجهن ليتزوج بهن.

ويستشهدون على كلامهم بزواج النبي صلى الله عليه وسلم من عائشة وهي بنت ست سنين، ودخوله عليها وهي بنت تسع سنين. كما روى ذلك البخاري ومسلم. وبزواجه من زينب المطلقة زيد بن حارثة رضي الله عنه، والتي فيها نزل قول الحق سبحانه:

(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) الأحزاب: ٣٧.

وقالوا إن محمدا رأى زينب فأعجبته فوقع حبها في قلبه، لكنه خشي كلام الناس فكتم ذلك في نفسه، فنزلت الآية معاتبته له على كتمان مشاعره (وتخفي في نفسك) أي: من حب زينب رضي الله عنها.

وجوابا على هذه الشبهات التي هي أوهى من بيت العنكبوت نقول: إن الانتقائية التي يمارسها هؤلاء في الحكم على سيد البشر (صلى الله عليه وسلم) - ولو في قضية الزواج وحدها - تنسف ما يدعونه من مصداقية، فهم لم ينظروا إلى عموم حالات زواجه (صلى الله عليه وسلم)، ليدرسوها، ثم يخرجوا منها بنتيجة علمية نزيهة، تبين فلسفة الزواج عنده (صلى الله عليه وسلم)، وحكمه ومقاصده، ولكنهم، وبتعمد صريح نظروا إلى بعض تلك الحالات والتي يشتهبه على العامة فهمها، فدلسوا وزيفوا، وأخرجوا حكمهم عليه في قالب من الذم والبهتان! فهلا نظر هؤلاء إلى عموم حياته (صلى الله عليه وسلم)، وكيف كان عفيفا طاهرا في شبابه وحتى قبل نبوته.

وهلا نظر هؤلاء إلى زواجه الأول من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وكيف تزوجها وهي بنت أربعين سنة في حين لم يتجاوز عمره الخامسة والعشرين، ثم لم يجمع معها في حياتها أخرى وهو في أوج شبابه وقوته، حتى إذا توفيت لم يذهب ليتزوج بأجمل النساء، وإنما تزوج بسودة بنت زمعة امرأة كبيرة أرملة.

وأما زواجه (صلى الله عليه وسلم)، من عائشة فقد تزوجها وقد تجاوز الخمسين بأربع سنوات، وهي سن لا ينبغي أن يفسر فيها الزواج على أنه محض شهوة وطلب

متعة، وإنما تزوج (صلى الله عليه وسلم)، بعائشة طلباً لتوثيق العلاقة بينه (صلى الله عليه وسلم) وبين صاحبه أبي بكر (رضي الله عنه).

أما قول الطاعنين في سيد البشر (صلى الله عليه وسلم): كيف جمع النبي بين الطفولة والكهولة، وكيف يتزوج الشيخ الوقور البنت الصغيرة؟ فالجواب على ذلك أننا لو طبقنا المعايير الغربية على حياتنا نحن المسلمين اليوم، لعدَّ الغربُ كثيراً مما نمارسه غربياً ومستشنعاً، فكيف الحال بعادة عند العرب مضى عليها أربعة عشر قرناً من الزمان، فلم يكن الزواج من الصغيرات مستنكراً في أعرافهم، ولو كان كذلك لعاب كفار ذلك الزمان على النبي (صلى الله عليه وسلم)، وزوجه من عائشة، ولوجهوا إليه سهام النقد والاتهام، ولم ينتظروا حتى يأتي قسس أمريكا ومستشرقو الغرب ليوجهوا إليه تلك المطاعن.

لقد كانت عادة زواج الصغيرات في العرف العربي عادة معروفة، فقد تزوج عبدالمطلب الشيخ الكبير من هالة بنت عمّ أمنة في اليوم الذي تزوج فيه عبد الله أصغر أبنائه من صبيّة هي أمنة بنت وهب.

وتزوج عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه) من بنت علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وهو في سنّ جدّها، كما أنّ عمر بن الخطّاب عرض بنته الشابة حفصة على أبي بكر الصديق وبينهما من فارق السنّ مثل الذي بين الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وبين عائشة (رضي الله عنها) عنها.

وينبغي أن يعلم هنا أن بلوغ البنت غير مرتبط بالسن، فقد تبلغ البنت وهي صغيرة، فتظهر عليها علامات البلوغ من الحيض وبروز الثديين وغير ذلك ولما تبلغ التاسعة، تقول الدكتور دوشني - وهي طبيبة أمريكية - إن الفتاة البيضاء في أمريكا قد تبدأ في البلوغ عند السابعة أو الثامنة، والفتاة ذات الأصل الأفريقي عند السادسة. ومن الثابت طبياً أيضاً أن أول حيضة والمعروفة باسم "المناركة" menarche تقع بين سن التاسعة والخامسة عشر.

ويجب الانتباه أيضاً إلى أنّ نضوج الفتاة في المناطق الحارّة مبكّر جداً وهو في سنّ الثامنة عادة، وتتأخّر الفتاة في المناطق الباردة إلى سنّ الواحد والعشرين، كما يحدث ذلك في بعض البلاد الباردة.

كل هذه المعطيات تدل على أنه ليس في زواج النبي (صلى الله عليه وسلم) من

عائشة (رضي الله عنها)، ما يعيب لا من ناحية العرف الاجتماعي، ولا من ناحية الطب والصحة البدنية^٤.

زواجه (صلى الله عليه وسلم) من زينب بنت جحش:

لقد شكل زواج النبي (صلى الله عليه وسلم) من زينب بنت جحش (رضي الله عنها) أحد أكبر المطاعن التي وجهها المستشرقون لسيد الخلق (صلى الله عليه وسلم)، ونحن لا ندري كيف يتحول موطن المدح إلى ذم، وكيف تتحول الحسنة في أذهان هؤلاء إلى سيئة يجب الاعتذار منها والاستحياء عند ذكرها !.

نعم لقد كان زواج النبي (صلى الله عليه وسلم) من زينب بنت جحش إحد دلائل نبوته، وإحدى فضائله عليه الصلاة والسلام، وذلك لما تضمنته الآيات - محل البحث - من معاتبة للنبي (صلى الله عليه وسلم)، في إخفائه في نفسه ما الله مبدية، وفي خوفه الناس والله أحق أن يخشاه، وهي معان لو كان النبي (صلى الله عليه وسلم)، ليس نبيا لأخفاها عن الناس، حفظا لسمعته وصونا لهيبته، ولما وفر لأعدائه والمتربصين به مادة للطعن فيه، والخط من قدره، لكنه (صلى الله عليه وسلم)، لم يكتمها بل بلغها غير أبيه ولا خائف، وبلاغه لها دليل صريح على أنه رسول الله حقاً والمبلغ عن الله سبحانه صدقاً.

لقد شنَّ هؤلاء على النبي (صلى الله عليه وسلم) قائلين: كيف يأمر النبي من كان ابنه بالتبني أن يطلق زوجته ليتزوجها هو لنفسه؟! وجواباً على ذلك نقول: إن النبي (صلى الله عليه وسلم)، لم يأمر زيدا بطلاق زينب، وإنما أمره بإمسакها، وعتوب في ذلك لأنه كان قد أُعلم من ربه بأنها ستكون زوجته، فأخفى ذلك (صلى الله عليه وسلم)، في نفسه خوفاً من كلام الناس ولمزهم، كما روى ذلك الطبري في تفسيره عن علي بن حسين، قال: (كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه (صلى الله عليه وسلم) أن زينب ستكون من أزواجه، فلما أتاه زيد يشكوها، قال: (اتق الله وأمسك عليك زوجك) فصريح الآية يوضح أن النبي (صلى الله عليه وسلم)، كان يأمر زيدا بإمساکها، ولم يتزوجها (صلى الله عليه وسلم) إلا بعد أن طلقها زيد، ونزل زواجه منها بالعقد الإلهي: (زوجناكها) فأبي عيب في أن يتزوج الرجل ممن تحل له في شرعه ودينه، وليس هذا فقط بل أن يحصل في زواجه منها مقاصد شرعية عظيمة كتأكيد ما ثبت تحريمه - أي التبني -

٤. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٩ ص ٥٠ في ٢٨\٥\٢٠٠٨ .

حتى يكون أرسخ في النفوس قبله والعمل به.

أما الروايات التي تشير إلى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان قد وقع في قلبه حب زينب (رضي الله عنها) فلم تثبت من وجه يصح الاحتجاج بها، فكلها روايات ضعيفة، بل إن ظاهر القرآن يردّها، لأن نص القرآن دل على أن الله سيظهر ما أخفاه النبي (صلى الله عليه وسلم)، قال تعالى (وتخفي في نفسك ما الله مبديه)، وما أبداه الله هو زواجه من زينب، لا حبه وتعلقه بها، كما قال سبحانه: (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها).

أما دعوى هؤلاء أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان زير نساء لكثرة ما ملك في عصمته من نساء، فليعلم هؤلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم على الرغم مما أباحه الله له خاصة من الزواج بأكثر من أربع، لم يكن يربط زواجه صلى الله عليه وسلم بعامل الشهوة، بل كان يربطه بمصالح شرعية معتبرة، فقد يتزوج صلى الله عليه وسلم المرأة تاليفا لقلب عدو له كما تزوج أم حبيبة تاليفا لقلب والدها أبي سفيان، وقد يتزوج المرأة الأرملة شفقة عليها وحفظا لأولادها، وإكراما لزوجها الذي استشهد في سبيل الله كما تزوج أم سلمة زوجة الصحابي الشهيد أبي سلمة رضي الله عنه، وقد يتزوج المرأة إكراما لصديق وتوثيقا لعلاقته به كما تزوج عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر رضي الله عنهم جميعا.

ونحن هنا لا ننفي الحاجة الإنسانية في زواجه ولا نستحي من ذكرها، فهي حاجة خلقية تشمل جميع الرجال الأسوياء، ولكننا نحاول أن نضع الأمور في نصابها ومكانها. كانت تلك ردودا مختصرة على ما أثير ويثار عن حالات زواجه (صلى الله عليه وسلم)، وهي شبهات قديمة تتكرر بين الفينة والأخرى، ولا تقوم على أساس علمي نزيه، وإنما هي شبهة وتخيلات تغذيها أحقاد وضغائن، سرعان ما تنقشع عند فحصها واختبارها، فتتكشف حين تنكشف عن جلال وعظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحكمة من حفظ القرآن دون غيره من الكتب المنزلة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:
فالإيمان يقوم على التسليم لأمر الله والرضا بحكمه، والانقياد لشرعه والاعتقاد بأن

ما شرع الله وقضاه مبني على الحكمة التامة، وأنه تعالى: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) الأنبياء: ٢٣.

وقد يقف العبد على بعض الأسرار والحكم لبعض الأمور ولا يقف على البعض الآخر، ولعل من الحكم لحفظ القرآن دون غيره من الكتب - مع أن الكل من عند الله - أن القرآن لما كان هو آخر الكتب، ومحمد (صلى الله عليه وسلم) هو آخر الأنبياء، ناسب أن يكون هذا الكتاب العظيم محفوظاً من التبديل والتغيير لانتفاء بعثة نبي آخر ينفي التحريف ويظهر الحق.

وهذا على عكس الكتب السابقة التي جاء بعدها الأنبياء وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، فأخبر عن تحريفها، وأكد ما فيها من الحق.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد: فالدليل على سلامة هذا القرآن من التحريف، هو قوله تعالى:

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر: ٩.

وقد أجمع المسلمون على حفظه، وسلامته من كل تحريف، وعلى أن من ادعى وقوع التحريف فيه أنه كافر^٥.

هل يمكن أن يفتن النبي عن الوحي؟

كتب بعض المفتونين قائلاً: (إنها لظاهرة خطيرة ومؤلة، وهي إمكان فتنة الناس للنبي عن الوحي، وإمكان ركون النبي إلى فتنهم - أي المشركين -)، واستشهد على قوله هذا بقول الله تعالى:

(وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَإِلَيْكَ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كَدَّتْ تَرَكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَدُقُّنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) الإسراء: ٧٣-٧٥.

ثم ساق بعض الروايات المذكورة في التفاسير ليدل على صحة كلامه، والذي يريد من وراءه التشكيك في صدقية الوحي وموثوقيته، والتشكيك في صدقية النبي (صلى الله عليه وسلم)، والتأكيد على أن النبي غير قادر على تحمل ضغط قريش.

وللرد على هذا الافتراء لابد أن نقف مع الآية وقفة موضوعية توضح معانيها،

٥. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٩٦، ٤/٦/٢٠٠٨.

وتضعها في سياقها، ومن خلال هذه الوقفة سيتضح بطلان ما ذكره الطاعنون.

حيث وردت الآية في سياق الحديث عن الكفار في الآخرة، وذلك في قوله تعالى:

(وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا) ٧٢ الإسراء.

والتي أعقبتها الآية محل البحث، وكان فيها انتقال واضح من الكلام عن الكفار في الآخرة إلى ذكر بعض أفعالهم في الدنيا، ولعل ذلك كان بمثابة التعليل لما يصيبهم في الآخرة من عذاب وعمى، حيث ذكر سبحانه أن الكفار بعد أن عجزوا عن ثني النبي عن دعوته، وعجزوا عن التأثير عليه بتعذيب أصحابه لجؤوا إلى سياسية اللين، حيث حاولوا ثني النبي (صلى الله عليه وسلم) عن بعض ما أوحى إليه (عن الذي أوحينا إليك)، من غير أن تبين الآية ما هو الشئ الذي طلبوا من النبي تغييره، وما هو الشئ الذي طلبوا إضافته للوحي (لتفتري علينا غيره) إلا أن السياق العام يدل على أنهم طلبوا من النبي تنازلاً ما تجاه آلهتهم الباطلة، وبالغوا في الأمر فطلبوا أن ينسب النبي هذا التنازل إلى الله، وجعلوا جائزة ذلك رضاهم وكف أذاهم عنه، ومصاحبتهم له (وإذا لاتخذوك خليلاً) إلا أن الله ثبته على الحق (ولولا أن ثبتناك)، ونبهه إلى خطورة هذا المسلك، ووعظه في ذلك: (إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً) فكانت هذه الآية بمثابة إعلام للأمة بأن الله حفظ كتابه، وامتنان من الله لنبيه على هذا الحفظ والتثبيت، فليس في الآية إذاً ما يمكن أن يشكل طعنا في الوحي، أو تشكيكا في النبي، كيف والآية صريحة أن الذي وقع من النبي من ميل لموافقتهم، لم يعد أن يكون حديث نفس لم يترجم إلى واقع عملي، أو تعهد لفظي، بل كان مجرد وهم وربما خاطر سرعان ما نزل التثبيت الإلهي ليقطعه وليؤكد حفظ الله لنبيه وكتابه، فالآية تدل على عكس ما يقوله الطاعنون.

وأما أسباب نزول الآية فهي ضعيفة، وإن ذكرها المفسرون، فإنهم يذكرون ما ثبت وما لم يثبت، فمما ذكره المفسرون في أسباب نزول الآية رواية سعيد قال: كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يستلم الحجر الأسود، فممنعته قريش، وقالوا: لا ندعه حتى يلم - يمس - آلهتنا، فحدث نفسه، وقال: ما على أن ألم بها بعد أن يدعوني أستلم الحجر، والله يعلم أنني لها كاره، فأبى الله، فأنزل الله: (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره) الآية.

وهذه الرواية كما ترى مرسله فسعيد وهو ابن جبير لم يدرك عصر النبي - صلى

الله عليه وسلم - فروايته عنه وعن الأحداث الواقعة في زمنه (صلى الله عليه وسلم) مرسله، والمرسل من أقسام الضعيف، وعليه فالرواية من جهة السند لا تصح.

وعلى فرض صحتها فحديث النبي لنفسه بموافقته كان اجتهاداً منه (صلى الله عليه وسلم) إذ ظن أن مس آلهتهم سوف يجلب مصالح شرعية منها: تمكينه من استلام الحجر، وهو عبادة وقربة، والمصلحة الثانية: تليين قلوب المشركين عليه وعلى أتباعه بما يزيد من احتمال إسلامهم وتخفيف معارضتهم للدعوة.

وقد تقرر في أصول الفقه جواز اجتهاد النبي فيما لم ينزل عليه فيه شيء إلا أن الله يثبته على اجتهاده، أو يرشده إلى سبيل الصواب فيه، وهو ما حدث هنا؛ إذ نهاه عن إجابة المشركين إلى ما طلبوا؛ لما سيترتب على ذلك من نتائج سلبية تضر بالدعوة، وفي مقدمة تلك النتائج السلبية فتنة المؤمنين عن دينهم، بقول المشركين لهم: إن نبيكم وقوتكم قد استلم آلهتنا وعظمتها، وتخلّى عما كان يدعو إليه، وفي ذلك أعظم الفتنة وأسوأ الأثر.

ذكره المفسرون في سبب نزول الآية رواية قتادة (رضي الله عنه) قال: ذكر لنا أن قريشاً خلوا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات ليلة إلى الصبح، يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه، وكان في قولهم أن قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، فما زالوا يكلمونه حتى كاد أن يقارفهم - يوافقهم -، ثم منعه الله وعصمه من ذلك.

والكلام في هذه الرواية كالكلام في رواية سعيد سنداً ومنتناً فقتادة وهو ابن دعامة السدوسي تابعي ثقة لم يلق النبي (صلى الله عليه وسلم) فحديثه مرسل، والمرسل من أقسام الحديث الضعيف، والكلام في المتن لا يختلف عن سابقه غير أن الرواية السابقة فصلت ما طلب المشركون من النبي، وهذه أجملت.

ومما ذكره أيضاً رواية ابن عباس (رضي الله عنه) وهي أن: ثقيفاً كانوا قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - : يا رسول الله أجلنا سنة حتى يُهدي لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يُهدي لآلهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يعطيهم، وأن يؤجلهم، فقال الله: (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً).

وهذه الرواية وإن كانت مسندة إلا أن الطبري ألمح إلى ضعفها في تفسيره، هذا من

جهة الكلام في سند الرواية أما الكلام في متنها فهي داخلة ضمن الاجتهاد المشروع للنبي (صلى الله عليه وسلم) ووجه الاجتهاد في ذلك أن القوم كانوا كفاراً، وترك النبي (صلى الله عليه وسلم) قتالهم سنة - على القول بأن هذه الآيات مدنية - غير مضرٍ، طالما أنهم بعد هذه المدة سيسلمون طواعية.

هذا وجه اجتهاد النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا أن الله نهاه عن إجابتهم، لما يحمل هذا الإذن من معنى الرضا بالكفر، والسماح بوجوده، وربما تشوفت قبائل أخرى غير تثقيف لتحصيل مثل هذا التأجيل، بما يؤدي إلى تعطيل جهاد الكفار.

وبهذا يظهر ألا مطعن في مدلول الآية الكريمة التي استشهدوا بها، بل على العكس، فالآية تدل على حفظ الله لنبيه من أن تزيغه الأهواء، وحفظه لكتابه أن يدخل فيه ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه، وهو حفظ تكفل الله به لنبيه وللأمة جمعاء، حتى يصل كتاب الله إلى البشر جميعاً صافياً نقياً كما أنزل من غير زيادة ولا نقصان^٦.

٦. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٩٧ \ ١١ \ ٦ \ ٢٠٠٨ .

استعمالات لفظة (ب ر ك ة) في القرآن الكريم

و أنا أبحث في البيادر، أتيت لكم بهذه الحبة، لأخذكم إلى الحديث عن لفظة (ب ر ك ة)، الواردة في القرآن الكريم، و بكل اشتقاقاتها، وذلك بغية الوصول في النتيجة الى حقيقة دينية وعلمية، وإلى سؤال موجه إلى كل مسلم، أين كان و مهما كان شأنه، فقد وردت اللفظة في القرآن الكريم، (٣٢) مرة، وياشتقاقات مختلفة، ولعاني مختلفة أيضا، حيث جاءت، بصيغة:

(تبارك) ٩مرات.

و بصيغة: (مبارك) ٤مرات.

و بصيغة: (مباركة) ٤مرات.

و بصيغة: (بارك) مرة واحدة.

و بصيغة: (باركنا) ٦مرات.

و بصيغة: (بورك) مرة واحدة.

و بصيغة: (بركات) مرتين.

و بصيغة: (بركاته) مرة واحدة.

و بصيغة: (مباركا) ٤مرات.

كما وأن المعاني التي تفيدها، احد عشر معنى، وكالاتي:

أولا: كتوصيف لله جل وعلا، بصيغة (تبارك)، في:

قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) ٤٥ الاعراف، و(١٤المؤمنون) و(١) و(٦١الفرقان) و(٦٤غافر) و(٨٥الزخرف) و(٧٨الرحمن) و(١٨الملك).

ثانيا: كتوصيف للقرآن، الكريم، بصيغة: (مبارك)، في:

قوله تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) ٩٢ و ١١٥٥ الأنعام و (١٥٠ الأنبياء) و (٢٩ ص).

ثالثا: كتوصيف للتحية، بصيغة: (مباركة)، في:

قوله تعالى: (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) ٦١ النور.

رابعا: كتوصيف ليلية النصف من شعبان، أوليلة القدر، أوكلتيهما، بصيغة:

(مباركة)، في قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ الدخان).

خامسا: كتوصيف لشخص أو ذرية، أوأتباع، بصيغة: (مباركا)، في:

قوله تعالى: (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) ٣١ مريم

وبصيغة: (بركاته)، في قوله تعالى:

(قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً لِلَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) ٧٣ هود.

وبصيغة: (باركنا)، في قوله تعالى:

(وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ) ١١٣ الصافات.

وبصيغة: (بركات)، في قوله تعالى:

(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنَمَتُّهُمْ ثُمَّ يَمْسَهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٤٨ هود).

سادسا: كتوصيف للأرض جميعها، بصيغة: (بارك)، في قوله تعالى:

(قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ

() وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠٩ و ١٠٩ فصلت).

سابعاً: كتوصيف لبيت الله المشرف، بصيغة: (مباركا)، في قوله تعالى:
(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) ٩٦ آل عمران.

ثامناً: كتوصيف لبيت المقدس وما حولها، والشام عموماً بصيغة: (مباركة)، في قوله تعالى:

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) ٣٠ القصص.

وبصيغة: (بورك)، في قوله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ٨ النمل.

وبصيغة: (باركنا)، في قوله تعالى: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) ١٣٧ الاعراف) و (١١ الأسرى) و (٧١ و ٨١ الانبياء) و (١٨ سبأ).

تاسعاً: كتوصيف للمطر، بصيغة: (مباركا)، في قوله تعالى:

(وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ) ٩ق و (٩٦ الاعراف).

عاشراً: كوصف لشجرة الزيتون، بصيغة: (مباركة)، في قوله تعالى:

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ٣٥ النور.

حادي عشر: الأرض التي استوت فيها سفينة (نوح) عليه السلام، والمنزل الذي انزله الله فيه، بصيغة: (مباركا)، في قوله تعالى:
(وَقُلْ رَبِّ انزَلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) ٢٩ المؤمنون.

و بعد بعدما تلونا تلكم الآيات المباركات في القرآن الكريم، نقف عند الآية، (٢٩ المؤمنون)، والتي يذكر الله فيها أمره ووحيه الصادر ل(نوح) عليه السلام، والذي جاء ذكره في القرآن (٤٣) مرة، نجد ان الله سبحانه، يأمر عبده ونبيه نوح، بأن يدعو الله، إلى أن ينزله في منزل مبارك، طبعا هنا الحديث عن الدنيا قبل الآخرة، ولكي لانرهب أنفسنا كثيرا للوصول إلى تحديد ذلك المنزل المبارك الذي جاء ذكره، وأوحي إلى نوح أن يدعو الله ليحل رحله فيه، نجد كما يقول عباقره التفسير:

(أن القرآن يفسر بعضه بعضا)، فنجد الإجابة في قوله تعالى:
(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٤٤ هود.

إذا المكان الذي طلبه نوح وبأمر من الله سبحانه وتعالى، هو الموقع الذي استوت سفينته عليه، وهو جبل جودي القريب من مدينة (شرنخ) الواقعة في كردستان، الجزء الشمالي منها، والتي تقع تحت سطوة الدولة التركية حاليا، وبالتأكيد هي أرض كردستانية، هنا يأتي السؤال، أليست المباركات في القرآن جميعها بتبريك من الله؟ فلماذا التفريق بينهما؟ ولماذا لا يشك اثنان في أن (٣١) المبارك، الأخرى، مباركات، و لكن لا أحد يشير إلى هذه؟ هل هي محض صدفة و نسيان أم بعوامل عدائية ؟ أو يقع كل هذا في عالم اللاشعور؟ نتساءل!١.

١. تم نشر هذه المقالة في مجلة الصوت الآخر العدد: (١٩٨) ص٤٠ في ١٨\٦\٢٠٠٨ .

(التوسط) في الإسلام

ما أظنني أبالغ لو قلت: أن الوسطية التي تدعو إليها الشريعة الإسلامية، داخلة تحت الأمور التي بالكاد أن تجدها تنعكس في سلوك المسلمين و واقع حياتهم، سيما في الذين يتصدون للحديث عن الأمور الدينية، أما من لا يجيدون الا التشدد، فأرجو الله لي ولهم الهداية، وهذه الحبة، بذراتها، محاولة منا للتذكير بهذه الصفة الكريمة التي كان الأولون يتحلون بها، والذكري مما تدعوا إليه الشريعة، والتحريض على الخير مطلب ديني، لذا استسمحكم للدخول في هذا البحث، والذي اختصرناه، من كتاب: (موسوعة نضرة النعيم، في مكارم أخلاق الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)^١.

التوسط لغة: مصدر توسط الشيء وهو مأخوذ من مادة (و س ط) التي تدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء أوسطه و وسطه، ويقال هو أوسطهم حسبا، إذا كان في واسطة قومهم وأرفعهم محلا، ووسط الشيء: ما بين طرفيه.

التوسط اصطلاحا: أن يتحرى المسلم الاعتدال، ويبتعد عن التطرف، قولاً وفعلاً، بحيث لا يقصر و لا يغالي.

وقال الراغب: التوسط: القصد المصون عن الإفراط والتفريط.

خير الأمور الوسط: قال ابن الأثير (رحمه الله) في بيان أفضلية التوسط: كل خصلة محمودة، لها طرفان مذمومان: فالسخاء، وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة، وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وتجنبه يكون بالتعري منه، والبعد عنه، فكلما ازداد منه بعدا، ازداد إلى الوسط تقربا، ولذلك، فإن أبعد

١. موسوعة نضرة النعيم، في مكارم أخلاق الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، إعداد مجموعة من المختصين، بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، إمام وخطيب الحرم المكي و عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح، مدير دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ج٤، ص١٣٥٢-١٣٦٦.

الجهات، والمقادير، والمعاني، من كل طرفين، وسطها، فاذا كان في الوسط، فقد بعد عن الاطراف المذمومة بقدر الإمكان.

التوسط خصيصة لأهل الملة: قال ابن تيمية (رحمه الله):

...المسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين، لم يغفلوا فيهم، كما غلا غيرهم، ولم يجفوا عنهم، كما جفا غيرهم، وهم وسط في شرائع دين الله، فلم يحرموا على الله، أن ينسخ ما شاء، ويمحو ما شاء، ويثبت ما شاء، كما قاله غيرهم، ولا جوزوا لأكابر علمائهم، وعبادهم، أن يغيروا دين الله، فيأمرؤا بما شاعوا وينهوا عما شاعوا، كما يفعله غيرهم...الخ.

أما ابن القيم (رحمه الله) فإنه يحض على الأخذ بالوسط، لأن فيه النجاة من الظلم، فقال: الوسط الموضوع بين طرفي الإفراط و التفريط، هو العدل، وهو الذي عليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل حتى مصلحة البدن لا تقوم الا به، لأنه متى خرج بعض أخلاطه، عن العدل وجاوزه أو نقص عنه، ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، ومثل ذلك الأفعال الطبيعية، كالنوم والسهر والاكل والشرب والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة، وغير ذلك، إذا كانت وسطا بين الطرفين المذمومين، كانت عدلا، وان انحرفت إلى أحدهما، كانت نقصا وأثمرت نقصا.

وسطية الشريعة: قال الشاطبي (رحمه الله) الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل الأخذ من الطرفين بقسط لأميل فيه، الداخلة تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هوتكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال....، فان كان التشريع لأجل انحراف المكلف، أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى الاعدل، لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه، وفعل الطبيب الرفيق يحمل المريض، على ما فيه صلاحه بحسب حاله وعادته، وقوة مرضه وضعفه، حتى إذا استقلت صحته هيا له طريقا في التدبير وسطا لأنقا به في جميع أحواله، فهكذا تجد الشريعة أبدا في مواردها ومصادرها جارية على هذا الترتيب الوسط المعتدل، فاذا نظرت إلى كلية من كليات الشريعة، فتأملتها، وجدت حامل على التوسط، فان رأيت ميلا إلى جهة، طرف من الاطراف فذلك لعلاج انحراف واقع، أو متوقع في أحد الجانبين، فطرف التشديد - وعامة ما يكون التخويف والترهيب والزجر - يؤتي به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين، وطرف

التخفيف، وعامة ما يكون الترجية والترغيب والترخيص - يؤتي به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد، فاذا لم يكن انحرافا إلى هذا أو ذاك، رأيت التوسط لأنا ومسلك الاعتدال واضحا، وهو الاصل الذي يرجع إليه والمعقل الذي يلجأ إليه^٢.

الآيات الواردة في (التوسط):

- ١- (فَأْتَرْنَ بِهِ نَفْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا) ١٠ و٩ العاديات.
- ٢- (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ) ١٤٢-١٤٣ (البقرة).

- ٣- (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) ٢٣٨-البقرة.
- ٤- (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْاِيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) المائدة ٨٩.
- ٥- (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) القلم ٢٨.

الآيات الواردة في (التوسط) معنى:

- ١- (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) الاسراء ٢٩.
- ٢- (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) الفرقان ٣٦.

الاحاديث الواردة في (التوسط):

- ١- (قال أبو الدرداء (رضي الله عنه): سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،

٢. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ١٩٩\٢٥\٦\٢٠٠٨، ص ٥٠.

٣. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٠٠\٢\٧\٢٠٠٨، ص ٥٠.

يقول: الوالد أوسط أبواب الجنة، فان شئت فأضع ذلك الباب، أو إحفظه)
(الترمذي ١٩٠٠ وقال: صحيح. وابن ماجه ٣٦٦٣).

٢- (عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، أنه قال: إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أتى بجفنة، أو قال قصعة من ثريد، فقال: كلوا من حافاتها، - أو قال جوانبها - ولا تأكلوا من وسطها، فان البركة تنزل في وسطها) (أبو داود ٣٧٧٢). والترمذي (١٨٠٥) وقال حسن صحيح).

٣- (عن البراء بن عازب (رضي الله عنه) أنه قال: كنا جلوسا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال: أي عرى الإسلام، أوسط؟
قالوا: الصلاة.

قال: حسنة وماهي بها.

قالوا: صيام رمضان.

قال: حسن وما هو به.

قالوا: الحج.

قال: حسن وما هو به.

قالوا: الجهاد.

قال: حسن وما هو به،

قال: إن أوسط عرى الإيمان، أن تحب في الله وتبغض في الله) (أحمد ١٨٥٥١\٤).

٤- (عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة) البخاري، فتح الباري ٦، ٢٧٩٠.

٥- (عن أبي جحيفة (رضي الله عنه)، قال: أخى النبي (صلى الله عليه وسلم)، بين سلمان وأبي الدرداء (رضي الله عنه)، فزار سلمان أبا الدرداء. فرأى أم الدرداء متبذلة!، فقال لها: ماشأئك؟

قالت: أخوك أبو الدرداء، ليس له حاجة في الدنيا!.

فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاما، فقال له كل.

قال: إني صائم.

قال: ما أنا بأكل حتى تأكل.

قال: فأكل. فلما كان الليل، ذهب أبوالدرداء يقوم.

قال: نم.

فنام.

ثم ذهب يقوم.

فقال: نم.

فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا.

فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه.

فأتى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فذكر ذلك له فقال له النبي (ص) صدق سلمان البخاري، فتح الباري ١٩٦٨\٤.

٦- (عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إذا قام أحدكم من الليل، فاستعجم القرآن على لسانه، فلم يدر مايقول، فليضطجع (مسلم ٧٨٧).

٧- (عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: قال رسول الله: إذا نعس أحدكم في الصلاة، فليرقد، حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم، إذا صلى، وهو ناعس، لعله يذهب يستغفر، فيسب نفسه) (مسلم ٧٨٦).

٨- (عن المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه)، أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن الله عزوجل، حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات، وكره لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال) البخاري، فتح الباري ١٤٧٧ و١٥٩٣.

٩- (عن عائشة (رضي الله عنها)، أنها قالت: إن النبي (صلى الله عليه وسلم) دخل عليها، وعندها امرأة. قال: من هذه؟.

قالت: فلانة، تذكر من صلاتها، قال مه!، عليكم بما تطيقون، فوالله، لايمل الله، حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه، مادام عليه صاحبه) البخاري، فتح ٤٣.

١٠- (عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن الهدى الصالح، والسمت الصالح، والإقتصاد، جزء من خمسة وعشرين جزءاً، من النبوة) (أبو داود) ٤٧٧٦.

١١- (عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، أنه قال: جاء ثلاثة رهط، إلى بيوت أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم)، يسألون عن عبادة النبي (صلى الله عليه وسلم) فلما أخبروا، كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي (صلى الله عليه وسلم)، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا، فأنا أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا. أما والله إنني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) البخاري فتح، ٥٠٦٣.

١٢- (عن بريدة الأسلمي (رضي الله عنه)، أنه قال: خرجت ذات يوم لحاجة، فإذا أنا بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، يمشي بين يدي، فأخذ بيدي، فانطلقنا نمشي جميعاً، فإذا نحن، بين أيدينا، برجل يصلي، يكثر الركوع والسجود، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم)، أترأه يرأني؟، فقلت: الله ورسوله أعلم، فترك يده من يدي، ثم جمع بين يديه، فجعل يصوبهما، ويرفعهما، ويقول: عليكم هدياً قاصداً، عليكم هدياً قاصداً، فإن من يشاد هذا الدين يغلبه) (أحمد ٣٥٠/٥ والحاكم، ٣١٢/١ وسنن البيهقي ١٨/٣ والسنة لابن أبي عاصم ٤٦، وقال الألباني: إسناده صحيح، وعزاه كذلك للطحاوي، في مشكل الآثار، والمروزي في زوائد الزهد، والخطيب في التاريخ).

١٣- (عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، أنه قال: دخل النبي (صلى الله عليه وسلم)، فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب.

فإذا فترت، تعلقت به، فقال النبي: (صلى الله عليه وسلم)، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقع) (البخاري، الفتح ١١٥٠ ومسلم ٧٨٤).

١٤- (عن عائشة رضي الله عنها)، أنها قالت: سئل النبي (صلى الله عليه وسلم): أي الأعمال أحب إلى الله؟، قال: أدومها وإن قل.
وقال: اكفوا من العمل ماتطيقون)، البخاري، الفتح، ٦٤٦٥ ومسلم ٧٨٣.
١٥- (عن ابن عمر رضي الله عنهما)، أنه كان، لا يأكل حتى يؤتي بمسكين يأكل معه، فأدخلت رجلا يأكل معه فأكل كثيرا.
فقال: لمولاه نافع: يا نافع، لا تدخل هذا علي.
سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يقول: المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء) البخاري، الفتح ٥٣٩٣ ومسلم ٢٠٦٠.
وبعد: فما قدمناه لكم، ليس الا غيضا من فيض، والا فما بالنا برجل، قال الحق فيه: (وإنك لعلى خلق عظيم)؟ وبأمة، قال في حقها: (كنتم خير أمة أخرجت للناس)؟، ونعلم بأن معظم حياته (صلى الله عليه وسلم)، مدون بين دفتي الكتب، ولو أردنا المزيد، لطال بنا الحديث^٤

٤. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٠١، ٢٠٠٨/٧/٩، ص ٥٠.

الأحكام المترتبة على الطلاق المقترن بالعدد وتعليقه أو الحلف به

ورد إلى الزاوية بعض الأسئلة حول (الأحكام المترتبة على الطلاق المقترن بالعدد وتعليقه أو الحلف به)، وبما أن علماءنا الأفاضل، قد ربونا على أنه (لايفتى ومالك بالمدينة)، فقد أحلت الأسئلة على سماحة الشيخ العلامة، البروفيسور (مصطفى الزلمي) لوجوده الآن في (هولير) نا التي تحتضنه، كما تحتضن غيره الكثير من أصحاب العلم، فأجابنا مشكوراً بقوله: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: وبعد: الطلاق المقترن بالعدد لا يقع به إلا طلاقة واحدة.

وتعليق الطلاق أو الحلف به باطل للدلالة الشرعية الآتية:

أولاً: قوله تعالى (الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَمِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) ٢٢٩ البقرة دليل قطعي على ان الطلاق المقترن بالعدد لا يقع به الا طلاقة واحدة مرة واحدة والطلاق موزع على ثلاث مرات والمرة الثالثة (او تسريح باحسان) في ذات الآية. ثانياً: (أد) في (الطلاق مرتان) ليست للعهد الذكري المراد به الطلاق الرجعي للأسباب الآتية:-

١- هذه الآية نزلت لوضع حد للعادة الجاهلية قبل الاسلام حيث كان الزوج يطلق زوجته عشرات مرات ويراجعها كل مرة قبل انتهاء عدتها (يرجى مراجعة اسباب النزول لهذه الآية).

٢- ان تقسيم الطلاق الى الرجعي والباطن لم يكن موجودا قبل الاسلام في العصر الجاهلي ولا حين نزول هذه الآية بل هما مصطلحان استنتجتهما فقهاء الشريعة بعد نزول جميع الايات المتعلقة بالطلاق.

٣- قوله تعالى في سورة البقرة (٢٢٨): (وَبِعُولْتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا) لا يدل من قريب او بعيد على ان المراد بـ (الطلاق مرتان) هو الطلاق الرجعي لأن الزوج احق برد زوجته بالرجعة او العقد الجديد سواء كان الطلاق بائناً أم رجعياً.

٤- قوله تعالى في ذات الآية (ان اردوا اصلاحا) اشترط أن يكون الرد باتفاق الطرفين ورضائهما مع ان فقهاء الشريعة اجمعوا على انه لايشترط رضا الزوجة في الرجعة. وهذا يدل ايضا على ان المراد بـ(ال) ليس للعهد الذكري للطلاق الرجعي وانما المراد بها الاستغراق والعموم.

ثالثاً: كل ذي عقل سليم يعرف الفرق بين المرة والعدد لضرورة وجود الزمن بين المرات دون الاعداد.

وكان الله قادرا على ان يقول (الطلاق اثنان) فاختيار المرة دون العدد دليل قاطع على ان تفسير (مرتان) بـ(اثنان) خطأ شائع بعيد عن ظاهر الآية. رابعاً: اذا كان هناك شك حول معنى (الطلاق مرتان) فان هذا الشك قطعه وازاله ماورد في صحيح مسلم الجزء الثاني في الصحيفة (١٠٩٩/ مما نصه (كان الطلاق في عهد رسول الله وابي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب: ان الناس قد استعجلوا في امر كانت لهم فيه اناة فلو امضينا عليهم فأمضاه عليهم).

اي ان الله وزع الطلاق الثلاث على ثلاث مرات رأفة بالانسان وحفاظا على بقاء الزواج ورعاية لمصلحة الاسرة، غير ان الناس عدلوا عن هذه الحقيقة فجمعوا بين المرات الثلاث في لفظ واحد لذا قضي عمر بوقوع الثلاث مرة واحدة كعقوبة تعزيرية لعل غائية وهي رجوع الناس الى العمل بما ورد في القرآن وترك العدد غير ان هذه العقوبة لم تحقق غايتها والقاعدة العامة في اصول الفقه تقضي بأن (الحكم يدور مع علته وجودا وعدما) فاذا تخلفت العلة تخلف الحكم.

ثم ان قضاء سيدنا عمر كان سياسة شرعية ولم يكن تشريعا فلم يكن مشرعا ناسخا لما جاء في القرآن والسنة النبوية فمن الخطأ العمل ببعض المذاهب التي اخذت باجتهاد عمر (رض) في ذلك العصر.

خامساً: جميع الاحاديث المروية بشأن وقوع الطلاق الثلاث بلفظة واحدة ضعيفة ومطعونة وللتأكد من ذلك يرجى مراجعة شروح صحيح مسلم وشروح صحيح البخاري.

سادساً: مذهب الامام الشافعي (رح) الذي اخذ باجتهاد سيدنا عمر لايعترف بحجية قول الصحابي وللتأكد من ذلك يرجى مراجعة المستقصى للإمام الغزالي (رح) في موضوع حجية قول الصحابي.

سابعاً: كثير من فقهاء المذاهب الأربعة عملوا بالقرآن في أن الطلقات الثلاث موزعة على ثلاث مرات خلافاً لمذهبهم يرجى التأكد من ذلك بمراجعة الكتب الفقهية. ثامناً: اجمع فقهاء الشريعة كافة على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد وفي وقت واحد بدعة ومعنى البدعة هو انها لم يرد بشأنها نص خاص في القرآن والسنة فاذا كان ذلك بدعة وكل بدعة ضلال فلماذا يعملون بهذه البدعة التي هي ابغض الحلال عند الله؟

تاسعاً: أجمع علماء أصول الفقه الإسلامي على أن القاضي إذا حكم برأي من الآراء الفقهية في مسألة خلافية يجب العمل بما يحكم به القاضي. والقضاء في العالم الإسلامي يحكم بأن الطلاق المقترن بالعدد يقع به طلاق واحدة. عاشراً: - إن جميع قوانين الأحوال الشخصية في العالم الإسلامي نصت على أن الطلاق المقترن بالعدد يقع به طلاق واحدة^١.

نقلنا لكم في الزاوية السابقة، بعضاً من الجواب الذي بلغنا من الأستاذ الشيخ (مصطفى الزلمي)، حول مسائل خلافية في الطلاق، غير أنه وقع أثناء النقل، أخطاء مطبعية، من حيث التقديم والتأخير في بعض الفقرات، لذا وجدنا من باب الحفاظ على الأمانة العلمية، واجبا علينا إعادته ثانية، ولو بطقتين، مع اعتذارنا لسماحة الشيخ ولكم جميعاً: (الطلاق المقترن بالعدد لا يقع به إلا طلاق واحدة.

وتعليق الطلاق أو الحلف به باطل للأدلة الشرعية الآتية:

أولاً: قوله تعالى (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) البقرة ٢٢٩. دليل قطعي على أن الطلاق المقترن بالعدد لا يقع به إلا طلاق واحدة لأنه مرة واحدة والطلاق موزع على ثلاث مرات والمرة الثالثة (أو تسريح بإحسان) في ذات الآية. ثانياً: (أل) في (الطلاق مرتان) ليست للعهد الذكري المراد به الطلاق الرجعي للأسباب الآتية:

١- هذه الآية نزلت لوضع حد للعادة الجاهلية قبل الإسلام حيث كان الزوج يطلق زوجته عشرات مرات ويراجعها كل مرة قبل انتهاء عدتها (يرجى مراجعة أسباب النزول لهذه الآية).

١. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٠٢، ١٦/٧/٢٠٠٨، ص ٥٠.

٢- إن تقسيم الطلاق إلى الرجعي و البائن لم يكن موجودا قبل الإسلام في العصر الجاهلي ولا حين نزول هذه الآية بل هما مصطلحان استنتجتهما فقهاء الشريعة بعد نزول جميع الآيات المتعلقة بالطلاق.

٣- قوله تعالى في سورة البقرة (٢٢٨): (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك) لا يدل من قريب أو بعيد على إن المراد ب(الطلاق مرتان) هو الطلاق الرجعي لأن الزوج أحق برد زوجته بالرجعة أو العقد الجديد سواء كان الطلاق بائنا أم رجعيا.

٤- قوله تعالى في ذات الآية (إن أرادوا إصلاحا) اشترط أن يكون الرد بإتفاق الطرفين ورضائهما مع أن فقهاء الشريعة اجمعوا على انه لا يشترط رضا الزوجة في الرجعة.

وهذا يدل أيضا على أن المراد ب (أل) ليس للعهد الذكري للطلاق الرجعي وإنما المراد بها الاستغراق والعموم.

ثالثاً: كل ذي عقل سليم يعرف الفرق بين المرة والعدد لضرورة وجود الزمن بين المرات دون الأعداد.

و كان الله قادرا على أن يقول الطلاق اثنان، فاختيار المرة دون العدد دليل قاطع على أن تفسير (مرتان) ب (اثنان) خطأ شائع بعيد عن ظاهر الآية.

رابعاً: إذا كان هناك شك حول معنى (الطلاق مرتان) فان هذا الشك قطعه وأزاله ما ورد في صحيح مسلم الجزء الثاني في الصحيفة (١٠٩٩/ مما نصه (كان الطلاق في عهد رسول الله وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيها عليهم فأمضاه عليهم).

أي أن الله وزع الطلاق الثلاث على ثلاث مرات رأفة بالإنسان وحفاظا على بقاء الزواج ورعاية لمصلحة الأسرة غير أن الناس عدلوا عن هذه الحقيقة فجمعوا بين المرات الثلاث في لفظ واحد لذا قضى عمر بوقوع الثلاث مرة واحدة كعقوبة تعزيرية لعله غائية وهي رجوع الناس إلى العمل بما ورد في القرآن وترك العدد غير أن هذه العقوبة لم تحقق غايتها والقاعدة العامة في أصول الفقه تقضي بأن (الحكم يدور مع علته وجودا وعدما) فإذا تخلفت العلة تخلف الحكم.

إن قضاء سيدنا عمر كان سياسة شرعية ولم يكن تشريعا فلم يكن مشرعا ناسخا

لما جاء في القرآن والسنة النبوية فمن الخطأ العمل ببعض المذاهب التي أخذت بإجتهااد عمر (رض) في ذلك العصر^٢.

خامساً: جميع الأحاديث المروية بشأن وقوع الطلاق الثلاث بلفظة واحدة ضعيفة ومطعونة وللتأكد من ذلك يرجى مراجعة شروح صحيح مسلم وشروح صحيح البخاري.

سادساً: مذهب الإمام الشافعي (رح) الذي أخذ بإجتهااد سيدنا عمر لا يعترف بحجية قول الصحابي وللتأكد من ذلك يرجى مراجعة المستصفي للإمام الغزالي (رح) في موضوع حجية قول الصحابي.

سابعاً: كثير من فقهاء المذاهب الأربعة عملوا بالقرآن في أن الطلقات الثلاث، موزعة على ثلاث مرات خلافا لمذهبهم يرجى التأكد من ذلك بمراجعة الكتب الفقهية.

ثامناً: اجمع فقهاء الشريعة كافة على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد وفي وقت واحد بدعة ومعني البدعة هو أنها لم يرد بشأنها نص خاص في القرآن والسنة فإذا كان ذلك بدعة وكل بدعة ضلال فلماذا يعملون بهذه البدعة التي هي ابغض الحلال عند الله؟.

تاسعاً: اجمع علماء أصول الفقه الإسلامي على أن القاضي إذا حكم برأي من الآراء الفقهية في مسألة خلافية يجب العمل بما يحكم به القاضي.

والقضاء في العالم الإسلامي يحكم بأن الطلاق المقترن بالعدد يقع به طلبة واحدة. عاشراً: إن جميع قوانين الأحوال الشخصية في العالم الإسلامي نصت على أن الطلاق المقترن بالعدد يقع به طلبة واحدة.

حادي عشر: الحلف بالطلاق: اجمع فقهاء الشريعة على أن الحلف بغير ذات الله وصفاته باطل وبعضهم قالوا: كفر، وبعضهم ذهبوا إلى انه شرك فكيف يصح الحلف بالطلاق والحكم بوقوع الطلاق إذا حنث الحالف؟.

ثاني عشر: الطلاق المعلق: اجمع فقهاء الشريعة على عدم صحة أي عقد من عقود المعاوضات أو التبرعات أو الزواج إذا كان معلقاً على شرط فكيف يصح التعليق في الطلاق والحكم بوقوعه إذا تحقق المعلق عليه والطلاق ابغض الحلال عند الله واطخر تصرف يصدر عن الإنسان من حيث الآثار السيئة المضرّة بالفرد والمجتمع.

ثالث عشر: إن الحلف بالطلاق أو تعليقه لم يرد في القرآن ولا في السنة النبوية، و

٢. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد، ٢٠٣، ٢٣/٧/٢٠٠٨ ص ٥٠).

لا في قضاء الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة وإنما استحدثهما الأمويون بعد أن تولوا حكم الخلافة وبدلوا النظام الجمهوري في الإسلام بالنظام الوراثي عند الروم والفرس.

و كانوا إذا اتهموا من يعارض سياستهم يحلفونه بالطلاق أو يطلبون منه تعليق طلاقه على شرط عدم العمل ضد سياستهم بعد أن جربوا الحلف بالقرآن ولم يحقق هدفهم.

وقد تسربت هذه السياسة إلى بعض المذاهب الفقهية الإسلامية طوعاً أو كرهاً منها مذهب الشافعي (رح) وظل العمل بهذه السياسة إلى يومنا هذا.

رابع عشر: يرجى من السادة علماء الدين الأفاضل الرجوع إلى العمل بالقرآن الكريم، والسنة النبوية في هذا الموضوع الخطير، لتجنب عن هدم بناء كيان الأسرة المسلمة على رؤوس الزوج والزوجة والأولاد في لحظة واحدة بدون ذنب^٢.

٢. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد، ٢٠٤، ٣٠/٧/٢٠٠٨ ص ٥٠ .

تتبع رخص المذاهب، بين المجيز و الممانع

بعدهما نقلنا لكم، الجواب الذي بلغنا من الأستاذ الشيخ (مصطفى الزلمي)، حول مسائل خلافية في الطلاق، أحببنا إكمالاً للفائدة، ومن باب التنوع في تلقي المعرفة، أن نذكركم بشيء مما يوسم بين الفقهاء بالتلفيق أو تتبع الرخص بين المذاهب الإسلامية السائدة، السننية منها خصوصاً، ولكي نكون منصفين في عملنا و بغية إظهار الحقيقة المجردة، أوجبنا على أنفسنا، أن ننقل لكم، بعض ما قاله الأولون والمعاصرون في ذلك، وأثناء بحثنا هذا، وجدنا رأياً عجيباً في مسألة التقليد للمذاهب، مما يدل على خطورة التقليد والالتزام بمذهب معين، فأحببنا أن نطلعكم عليه، حيث وجدنا، الشيخ احمد الصاوي المالكي، يقول في معرض تفسيره لقوله تعالى: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) (الكهف، ٢٣ و٢٤): (لا يجوز تقليد ماعدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة، ضال مضل، وربما أداه ذلك للكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر)١.

وان كان هذا القول من صاحبه، لا يحتاج منا إلى أي تعليق لا من قريب ولا من بعيد، حيث يعلم القارئ جيداً، انه يصور أي واقع خطير وفي أية مرحلة من مراحل تأريخ هذه الأمة، قيل ذلك! لكننا نقول فقط: إن كان الخارج عن تلك المذاهب والمتبع لظواهر الآيات و الأحاديث و أقوال الصحابة، هذا شأنهم، فماذا يقال للملايين من المسلمين من أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، أو الذين لا يؤمنون أصلاً بتقليد المذاهب؟!، لذا نترككم وتعليقاتكم، فنذهب إلى كتاب: (الفقه الإسلامي وأدلته، ل: أ. د. وهبة الزحيلي، ج١، ص١٠٠ فما بعد)، لنعلم ماذا يوجد هناك؟. يقول الزحيلي، - وهو من العلماء المعاصرين، وحي يرزق والحمد لله: (يمكن القول بوجود آراء ثلاثة في

١. حاشية العلامة الصاوي، على تفسير الجلالين، وهي حاشية للعلامة احمد الصاوي المالكي.

الموضوع هي الأشهر وهي التي نعتمدها بحثاً:

١- قال الحنابلة^٢، والمالكية في الأصح عندهم^٣، والغزالي^٤: يمتنع تتبع الرخص في المذاهب، لأنه ميل مع أهواء النفوس، و الشرع جاء بالنهي عن إتباع الهوى، قال تعالى: (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) النساء:٥٩، فلا يصح رد المتنازع فيه إلى أهواء النفوس، وإنما يرد إلى الشريعة^٥ ونقل ابن عبد البر: أنه لا يجوز للعامة الرخص إجماعاً.

وعبارة الحنابلة في ذلك^٦: إن استوى المجتهدان عند المستفتي في الفضيلة واختلفا عليه في الجواب اختار الأشد منهما، لما روي الترمذي من حديث عائشة قالت: (قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أشدهما) وفي لفظ (أرشدهما) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. ورواه أيضا النسائي وابن ماجه. فثبت بهذين اللفظين للحديث أن الرشد في الأخذ بالأشد، والأولى أن يعتبر - أي المستفتي - القولين ساقطين، لتعارضهما، ويرجع إلى استفتاء آخر.

وعبارة المالكية^٧: الأصح أنه يمتنع تتبع الرخص في المذاهب، بأن يأخذ منها ما هو الأهلون فيما يقع من المسائل. وقيل: لا يمتنع. وصرح بعضهم بتفسيق متبوع الرخص.

والأولى الاحتياط بالخروج من الخلاف بالتزام الأشد الأقوي، فإن من عزَّ عليه دينه تورع، ومن هان عليه دينه تدع.

وعبارة الغزالي^٨: ليس للعامة^٩ أن ينتقي من المذاهب في كل مسألة أطيبها عنده،

٢. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران الدمشقي:ص١٩٥ .

٣. فتاوى الشيخ عليش مع التبصرة لابن فرحون المالكي: ١/٥٨-٦٠، الإحكام في تمييزا لفتاوى عن الأحكام للقرافي: ص٧٩ .

٤. المستصفي:٢/١٢٥ .

٥. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد، ٢٠٥/٦/٨/٢٠٠٨ ص٥٠ .

٦. حاشية العلامة الصاوي، على تفسير الجلالين، وهي حاشية للعلامة احمد الصاوي المالكي .

٧. فتاوى الشيخ عليش مع التبصرة لابن فرحون المالكي: ١/٥٨-٦٠، الإحكام في تمييزا لفتاوى عن الأحكام للقرافي: ص٧٩ .

٨. المستصفي:٢/١٢٥ .

٩. العامي في اصطلاح الاصوليين: هو كل من ليس أهلا للاجتهداد، وإن كان عالما بغير غير فن استنباط الأحكام من أدلتها .

فيتوسع، بل هذا الترجيح عنده كترجيح الدليلين المتعارضين عند المفتي، فإنه يتبع ظنه في الترجيح، فكذاك ههنا.

٢- قال القرافي المالكي، وأكثر أصحاب الشافعي، والراجح عند الحنفية منهم ابن الهمام وصاحب مسلم الثبوت^{١٠} يجوز تتبع رخص المذاهب، لأنه لم يوجد في الشرع ما يمنع من ذلك، إذ للإنسان أن يسلك الأخف عليه إذا كان له إليه سبيل، بأن لم يكن عمل بآخر، بدليل أن سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الفعلية و القولية تقتضي جوازه، فإنه عليه الصلاة والسلام (ما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثماً)^{١١} وفي صحيح البخاري عن عائشة (أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يحب ما خفف عن أمته) وقال: (بعثت بالحنيفية السمحة)^{١٢}.

١٠. مسلم الثبوت: ٣٥٦/٢، ارشاد الفحول: ص ٢٤٠، شرح المحلي على جمع الجوامع ٣٢٨/٢، شرح الأسنوي: ٢٦٦/٣، رسم المفتي في حاشية ابن عابدين: ٦٩/١ وما بعدها، الفوائد المالكية للسقاف: ص ٥٢.

١١. أخرجه البخاري ومالك والترمذي.

١٢. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد، ٢٠٦، ١٣/٨/٢٠٠٨ ص ٥٠.

من هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في شعبان

وان كنا نحن في أواسط شهر شعبان ١٤٢٩ الهجرية، أراني ملزما بالتذكير ببعض ماكان يسن فيه، حيث هو من الأشهر المهمة في حياة المسلم فهو شهر بين شهر الله المحرم، وشهر رمضان المعظم، وهذا بعض ما انتجناه عن هذا الشهر من فتاوي في موقع (إسلام أون لاين) نسأل الله أن ينفعنا جميعا به:

أولاً: من هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في شعبان:

١- عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كان رسول الله يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان)، رواه البخاري برقم (١٨٣٣) ومسلم برقم (١٩٥٦) وفي رواية لمسلم برقم (١٩٥٧): (كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلا، وقد رجح طائفة من العلماء منهم ابن المبارك وغيره أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يستكمل صيام شعبان، وإنما كان يصوم أكثره)، ويشهد له ما في صحيح مسلم برقم (١٩٥٤) عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (ما علمته - تعني النبي (صلى الله عليه وسلم) - صام شهرا كله إلا رمضان) وفي رواية له أيضا برقم (١٩٥٥) عنها قالت: (ما رأيته صام شهرا كاملا منذ قدم المدينة إلا أن يكون رمضان)، وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: (ما صام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شهرا كاملا غير رمضان) أخرجه البخاري رقم ١٩٧١ ومسلم رقم ١١٥٧، وكان ابن عباس يكره أن يصوم شهرا كاملا غير رمضان، قال ابن حجر رحمه الله: كان صيامه في شعبان تطوعا أكثر من صيامه فيما سواه وكان يصوم معظم شعبان.

٢- وعن أسامة بن زيد (رضي الله عنه) قال: قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، فقال: (ذاك شهر تغفل الناس فيه عنه، بين

رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم)، رواه النسائي، أنظر صحيح الترغيب والترهيب ص ٤٢٥، وفي رواية لأبي داود برقم (٢٠٧٦) قالت: (كان أحب الشهور إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان). صححه الألباني أنظر صحيح سنن أبي داود ٤٦١/٢.

قال ابن رجب رحمه الله: صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم، وأفضل التطوع ما كان قريبا من رمضان قبله وبعده، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها وهي تكملة لتقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بعد عنه.

وقوله (شعبان شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان: يشير إلى أنه لما اكتنفه شهران عظيمان - الشهر الحرام وشهر الصيام - اشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولا عنه، وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيام شعبان لأن رجب شهر حرام، وشعبان ليس كذلك.

وفي الحديث السابق إشارة إلى أن بعض ما يشتهر فضله من الأزمان أو الأماكن أو الأشخاص قد يكون غيره أفضل منه.

وفيه دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة، كما كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشائين بالصلاة ويقولون هي ساعة غفلة، ومثل هذا استحباب ذكر الله تعالى في السوق لأنه ذُكر في موطن الغفلة بين أهل الغفلة، وفي إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد منها:

أن يكون أخفى للعمل وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل، لا سيما الصيام فإنه سر بين العبد وربّه، ولهذا قيل إنه ليس فيه رياء^١، وقد اختلف أهل العلم في أسباب كثرة صيامه (صلى الله عليه وسلم) في شعبان على عدة أقوال: أ: أنه كان يشتغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره فتجتمع فيقضيتها في شعبان وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا عمل بنافلة أثبتها وإذا فاتته قضاها.

ب- وقيل إن نساءه كن يقضين ما عليهن من رمضان في شعبان فكان يصوم لذلك،

١. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الأخر العدد ٢٠٧، ص ٥٠، في ٢٠، ٨، ٢٠٠٨.

وهذا عكس ما ورد عن عائشة أنها تؤخر قضاء رمضان إلى شعبان لشغلها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الصوم.

ج- وقيل لأنه شهر يغفل الناس عنه: وهذا هو الأرجح لحديث أسامة السالف الذكر والذي فيه: (ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان) رواه النسائي، أنظر صحيح الترغيب والترهيب ص ٤٢٥ وكان إذا دخل شعبان وعليه بقية من صيام تطوع لم يصمه قضاءه في شعبان حتى يستكمل نوافله بالصوم قبل دخول رمضان - كما كان إذا فاتته سنن الصلاة أو قيام الليل قضاها - فكانت عائشة حينئذ تغتتم قضاها لنوافله فتقضي ما عليها من فرض رمضان حينئذ لفطرها فيه بالحيض وكانت في غيره من الشهور مشغولة بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، فيجب التنبه والتنبيه على أن من بقي عليه شيء من رمضان الماضي فيجب عليه صيامه قبل أن يدخل رمضان القادم ولا يجوز التأخير إلى ما بعد رمضان القادم إلا لضرورة (مثل العذر المستمر بين الرمضانين)، ومن قدر على القضاء قبل رمضان ولم يفعل فعليه مع القضاء بعده التوبة وإطعام مسكين عن كل يوم، وهو قول مالك والشافعي وأحمد.

وكذلك من فوائد صوم شعبان أن صيامه كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده فيدخل رمضان بقوة ونشاط.

ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان فإنه يكون فيه شيء مما يكون في رمضان من الصيام وقراءة القرآن والصدقة، وقال سلمة بن سهيل كان يقال: شهر شعبان شهر القراء، وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال هذا شهر القراء، وكان عمرو بن قيس المُلَائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن.

ثانياً: الصيام في آخر شعبان: ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لا تقدموا رمضان بيوم أو يومين، إلا من كان يصوم صوما فليصمه) أخرجه البخاري رقم (١٩٨٣) ومسلم برقم (١٠٨٢)، فكيف نجتمع بين حديث الحثّ وحديث المنع فالجواب: قال كثير من العلماء وأكثر شراح الحديث: إن هذا الرجل الذي سأله النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يعلم أن له عادة بصيامه، أو كان قد نذره فلذلك أمره بقضائه.

وقيل في المسألة أقوال أخرى، وخلاصة القول أن صيام آخر شعبان له ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يصومه بنية الرضائية احتياطا لرمضان، فهذا محرم.
الثاني: أن يصام بنية النذر أو قضاء عن رمضان أو عن كفارة ونحو ذلك، فجوّزه الجمهور.

الثالث: أن يصام بنية التطوع المطلق، فكرهه من أمر بالفصل بين شعبان ورمضان بالفطر؛ منهم الحسن - وإن وافق صوما كان يصومه - ورخص فيه مالك ومن وافقه، وفرّق الشافعي والأوزاعي وأحمد وغيرهم بين أن يوافق عادة أو لا. وبالجملة فحديث أبي هريرة - السالف الذكر - هو المعمول به عند كثير من العلماء، وأنه يكره التقدم قبل رمضان بالتطوع بالصيام بيوم أو يومين لمن ليس له به عادة، ولا سبق منه صيام قبل ذلك في شعبان متصلا بآخره.

فإن قال قائل لماذا يُكره الصيام قبل رمضان مباشرة (لغير من له عادة سابقة بالصيام) فالجواب أن ذلك لمعانٍ منها:

أحدها: لئلا يزداد في صيام رمضان ما ليس منه، كما نهى عن صيام يوم العيد لهذا المعنى، حذرا مما وقع فيه أهل الكتاب في صيامهم، فزادوا فيه بآرائهم وأهوائهم. ولهذا نهى عن صيام يوم الشك، قال عمار من صامه فقد عصى أبا القاسم (صلى الله عليه وسلم)، ويوم الشك: هو اليوم من جعله يوم شك ونهى عن صيامه، وهو قول الأكثرين.

المعنى الثاني: الفصل بين صيام الفرض والنفل، فإن جنس الفصل بين الفرائض والنوافل مشروع، ولهذا حرم صيام يوم العيد، ونهى النبي (صلى الله عليه وسلم) أن توصل صلاة مفروضة بصلاة حتى يفصل بينهما بسلام أو كلام، وخصوصا سنة الفجر قبلها^٢.

٢. تم نشر هذه المقالة في العدد ٢٠٨، ص ٥٠، ٢٧/٨/٢٠٠٨.

شيء من نواقض الإيمان

مع امتناني للقائمين على المجلة، لإتاحتهم الفرصة لنا، كي نبث الخير الذي نرتضيه جميعاً لنا و لغيرنا حول المسائل الدينية، على صفحاتها المشرقة، أراني ملزماً للتذكير بأمور تتعلق بقضايا عقيدية، سيما ونحن قد ودعنا رمضان الخير، فلم نودع الإيمان بل جددناه مع ربنا، عسى أن نوفق لأن نستمر على الخير ونزيد: فقد جعل الله - عز وجل - للإسلام باباً يدخل منه الإنسان، وهو الإقرار والتصديق بالشهادتين، فمن دخل من هذا الباب كان مسلماً، ولا يخرج من الإسلام إلا أن يصدر عنه قول أو عمل أو اعتقاد يناقض إقراره السابق وتصديقه بالشهادتين، ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: توحيد الله في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله، وعدم التوجه بالعبادة إلى غيره.

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: الإقرار والتصديق بكل ما جاء به النبي (من الشرائع، وما أخبر به من أمور الغيب، والاعتراف له بجميع أخلاق النبوة من أمانة وصدق وعصمة وتبليغ).

فمن قال قولاً أو فعل فعلاً يطعن في ربوبية الله، أو في ألوهيته، أو في أسمائه وصفاته، أو طعن في الرسول أو في شيء جاء به واتفق عليه الصحابة والتابعون، فقد نقض بذلك إقراره السابق، وخرج عن دين الله تعالى.

نواقض الربوبية: سبق معرفة أن توحيد الربوبية هو اعتقاد المسلم بأن الله هو رب كل شيء ومليكه، وخالق كل شيء، ورازق كل حي، ومدبر كل أمر...

فكل قول أو اعتقاد فيه إنكار لهذه الخصائص التي يختص بها الله - عز وجل - أو بعضها هو من نواقض الإيمان، التي يصبح فاعلها مرتدداً عن دين الله - عز وجل - . ويدخل في هذا إنكار الخلق للخالق، أو إسناد الخلق إلى غير الله، كالقول بأن الكون

خلق صدفة، أو أن الطبيعة هي الخالقة، والقول بقدم العالم، أو ادعاء الرزق من غير الله، أو إشراك غيره معه في ذلك، أو الادعاء بأن الله قد خلق الخلق وأهمهم، كل ذلك مما يمس ربوبية الله - تعالى -، وكذلك من الكفر أن يدعي شخص لنفسه شيئاً من هذه الخصائص كما ادعى فرعون الربوبية وقال:

(أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) النازعات: ٢٤.

وكذلك يكفر كل من صدقه في هذه الدعوي وأمن به.

نواقض الألوهية: وتوحيد الألوهية هو أن يعتقد المسلم بأن الله هو المعبود بحق وأن غيره لا يستحق أي شيء من هذه العبادة، فمن قال قولاً، أو فعل فعلاً، أو اعتقد اعتقاداً يتضمن إنكار هذا الحق لله - عز وجل -، فقد كفر وارتد عن دين الله. وخروج الناس وارتدادهم عن دين الله - عز وجل - كثيراً ما يرجع إلى هذا النوع، فإن أكثر الناس في الماضي والحاضر يعترفون لله بربوبيته وخلقهم ورزقه وتديره، قال تعالى:

(وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) الزخرف: ٨٧.

ولكنهم أنكروا استحقاق الله للعبادة وانفردوا بها فكانوا من الكافرين، لذلك جعل الله - عز وجل - توحيداً في عبادته موضع امتحان لعباده، فمن نفي استحقاق الله للعبادة، وأثبت استحقاق العبادة لأي مخلوق من مخلوقات الله - عز وجل -، فقد خرج عن دين الله وارتد، فكل قول أو فعل أو اعتقاد يتضمن أحد هذين الأمرين يدخل صاحبه في الكفر والردة. فمن نفي بقول أو عمل أو اعتقاد استحقاق الله لهذه المعاني كفر، فيكفر من قال أو اعتقد أن الله سبحانه لا يخشي أو لا يستعان به...، ويكفر من سخر أو استخف بعبادة من العبادات كالصلاة والصوم والزكاة والطواف، أو أي فعل أو قول يعده الشارع عبادة، ويكفر من نفي استحقاق الباري - عز وجل - لهذه العبادات، وكذلك يكفر من أنكر استحقاقه للطاعة ولم يمثل أمره ويجتنب نهيه، وكذلك يكفر من ادعى أن شرع الله - عز وجل - لا يصلح في زمن معين أو لا يستحق الامتثال أو التطبيق، لأن الأمر والحكم والتشريع من خصائص الألوهية:

(إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) يوسف: ٤٠.

(فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ) غافر: ١٢.

ويكفر كل من أثبت شيئاً من هذه العبادات لغير الله، فيكفر من ادعى لنفسه استحقاقه لتلك العبادات، أو أمر الناس بممارستها من أجله، ويكفر كل من صدقه في ذلك، وكذلك من أحب أن يعبد من دون الله، كمن أحب أن يسجد له، أو يركع له، أو يتوكل عليه، أو غير ذلك من المعاني التي لا ينبغي التوجه بها إلا إلى الخالق وحده. وكذلك من ادعى لنفسه الحق في تشريع لم يأذن به الله، فيدعي لنفسه تحليل الحرام، وتحريم الحلال، ومن ذلك وضع القوانين التي تبيح الزنى والربا وغيرهما من الجرائم التي جعل الله -عز وجل- لها عقوبات محددة في كتابه أو في سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم)^{٢-١}.

١. أنظر: موسوعة الأسرة المسلمة، الموسوعة الشاملة.

٢. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر: العدد ٢١٣ ص ٥٠ في ٨/١٠/٢٠٠٨.

شئ من أحكام صيام ست من شوال

وان كان نشرنا لهذا الموضوع يقع في النصف الثاني من هذا الشهر، لوجود الضرورة الملحة للتذكير ببعض أحكام هذا الصوم، الذي أكدت السنة على الإلتزام به لمن يطيقه، اضعه بين أيديكم، و ذلك بالعودة إلى المواقع الإسلامية وأخذاً من رياحينها مما كتبها المعاصرون في الإجابة على أسئلة مطروحة حول مثل هذه القضايا:

س١: ما فضل صيام الست من شوال و ما كيفية صيامها؟

الجواب: ورد في الحديث كما في نيل الأوطار عن أبي أيوب (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أنه قال: (من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فذاك صيام الدهر) رواه الجماعة إلا البخاري والنسائي ورواه أحمد في حديث جابر، وعن ثوبان عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) رواه ابن ماجه).

وبيانه أن الحسنه بعشر أمثالها فصيام رمضان بعشرة أشهر وصيام الست بستين يوماً وهذا تمام السنة فإذا استمر الصائم على ذلك فكأنه صام دهره كله.

وفي الحديثين دليل على استحباب صوم الست بعد اليوم الذي يفطر فيه الصائم وجوبا وهو يوم عيد الإفطار والمتبادر في الإلتباع أن يكون صومها بلا فاصل بينها وبين صوم رمضان سوى هذا اليوم الذي يحرم فيه الصوم وإن كان اللفظ يحتمل أن يكون الست من أيام شوال والفاصل أكثر من ذلك كما أن المتبادر أن تكون الست متتابعة وإن كان يجوز أن تكون متفرقة في شوال فإذا صامها متتابعة من اليوم الثاني منه إلى آخر السابع فقد أتى بالأفضل وإذا صامها مجتمعة أو متفرقة في شوال في غير هذه المدة كان أتيا بأصل السنة. -

وممن ذهب إلى استحباب صوم الست الشافعية وأحمد والظاهرية ففي المجموع

للنووي ويستحب صوم الست من شوال لما رواه مسلم وأبو داود واللفظ لمسلم (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر) - ويستحب أن يصومها متتابعة في أول شوال أي بعد اليوم الأول منه (الذي يحرم فيه الصوم) - فإن فرقها أو أخرها عن أول شوال جاز و كان فاعلا لأصل هذه السنة لعموم الحديث وإطلاقه وهذا لا خلاف فيه عندنا وبه قال أحمد وداود - انتهى - ملخصا وفي المغني لابن قدامة أن صوم الست من شوال مستحب عند كثير من أهل العلم وبه قال الشافعي واستدل أحمد بحديثي أبي أيوب وثوبان - انتهى - ملخصا والمختار عند الحنفية كما في الدر وحواشيه أنه لا بأس به لأن الكراهة إنما كانت لأنه لا يؤمن من أن يعد ذلك من رمضان فيكون تشبها بالنصاري وذلك منتف بالإفطار أول يوم من شوال....مجموعة من الباحثين والله أعلم.

س٢: هل يجوز تقديم صيام الست من شوال على قضاء رمضان؟

الجواب: جاء في شرح زاد المستنقع للشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي: أما من كان عليه قضاء من رمضان فلا حرج عليه أن يصوم ستاً من شوال ثم يؤخر قضاء رمضان، وذلك لحديث أم المؤمنين عائشة الثابت في الصحيح أنها قالت: (إن كان يكون علي الصوم من رمضان فلا أقضيها إلا في شعبان، لكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد كانت تصوم الست، وكانت تصوم عرفة، كما ثبت في الموطأ، وكانت تصوم يوم عاشوراء، ولذلك قالوا: إنه يجوز تأخير القضاء.

ومنع بعض العلماء، واحتجوا بأنه كيف يتنفل وعليه الفرض؟، وهذا مردود؛ لأن التنفل مع وجود الخطاب بالفرض فيه تفصيل: فإن كان الوقت واسعاً لفعل الفرض والنافلة ساغ إيقاع النفل قبل الفرض بدليل: أنك تصلي راتبة الظهر قبل صلاة الظهر وأنت مخاطب بصلاة الظهر، فإن الإنسان إذا دخل عليه وقت الظهر وزالت الشمس وجب عليه أن يصلي الظهر، ومع ذلك يؤخرها فيصلّي الراتبة، ثم يصلي بعدها الظهر، فتتفل قبل فعل الفرض بإذن الشرع، فدل على أن النافلة قد تقع قبل الفرض بإذن الشرع، فلما أذن النبي (صلى الله عليه وسلم) لأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أن تؤخر القضاء دل على أن الوقت موسع.

وأما قوله (صلى الله عليه وسلم): (من صام رمضان ثم أتبعه) فهذا خارج مخرج الغالب، والقاعدة: (أن النص إذا خرج مخرج الغالب لم يعتبر مفهومه)، فليس لقاتل أن

يقول: إن من عليه قضاء فلا يصم رمضان. مجموعة من الباحثين والله أعلم.

س٣: ما حكم الجمع بين نية القضاء والست من شوال؟

الجواب: يقول فضيلة الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر (رضي الله عنه) في كتابه أحسن الكلام في الفتوى والأحكام: يمكن لمن عليه القضاء من رمضان أن يصوم الأيام الستة من شوال بنية القضاء، فتكفي عن القضاء ويحصل له ثواب الستة البيض في الوقت نفسه إذا قصد ذلك، فالأعمال بالنيات.

وإذا جعل القضاء وحده والستة وحدها كان أفضل، بل إن علماء الشافعية قالوا: إن ثواب الستة يحصل بصومها قضاء حتى لو لم ينوها وإن كان الثواب أقل مما لو نواها، جاء في الشرقاوي على التحرير للشيخ زكريا الأنصاري "ج ١ ص ٤٢٧) ما نصه: ولو صام فيه أي في شوال قضاء عن رمضان أو غيره أو نذرًا أو نفلاً آخر حصل له ثواب تطوعها، إذ المدار على وجود الصوم في ستة أيام من شوال وإن لم يعلم بها^١.

١. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد، ٢١٤، ١٥/١٠/٢٠٠٨، ص ٥٠.

استئذان الرجل زوجته في صوم التطوع

مع احترامنا الفائق لكل اخت من أخواتنا، سيما اللاتي يلتزمن الدين ويرتضين مسلماته العقيدية والفقهية، ننقل لكم هذه الفتوى من فضيلة العلامة الشيخ محمد صالح المنجد، حول (استئذان الرجل زوجته في صوم التطوع).
يقول سماحته:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

أولاً: نهى النبي (صلى الله عليه وسلم)، الزوجة أن تصوم تطوعاً وزوجها شاهد إلا بإذنه، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لا يحلُّ للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه) رواه البخاري (٥١٩٥) ومسلم (١٠٢٦).
ولفظ أحمد (٩٨١٢): (لا تصوم المرأة يوماً واحداً وزوجها شاهد إلا بإذنه إلا رمضان) حسنه الألباني في (صحيح الترغيب) (١٠٥٢).

قال النووي: هذا محمول على صوم التطوع والمندوب الذي ليس له زمن معين، وهذا النهي للتحريم صرح به أصحابنا، وسببه أن الزوج له حق الاستمتاع بها في كل الأيام، وحقه فيه واجب على الفور فلا يفوته بتطوع ولا بواجب على التراخي. شرح مسلم (١١٥ / ٧).

ثانياً: وأما سبب ورود النهي للمرأة دون الرجل فيمكن استنباط الحكمة من ذلك:

١- حق الزوج على زوجته أكد من حقها عليه، فلا يصح قياس الزوج على الزوجة في هذا.

قال ابن قدامة في (المغني) (٢٢٣/٧):

(وَحَقُّ الزَّوْجِ عَلَيْهَا أَكْبَرُ مِنْ حَقِّهَا عَلَيْهِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) وَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ النِّسَاءَ

أَنْ يَسْجُدَنَّ لِزَوَاجِهِنَّ، لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. انْتَهَى.
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتاوى الكبرى (٣/١٤٤): (وَلَيْسَ عَلَى الْمَرْأَةِ بَعْدَ
حَقِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْجِبَ مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ) انْتَهَى.

٢- أن الزوج - غالباً - هو الطالب للجماع، والمرأة هي المطلوبة، فالأكثر والأغلب أن تكون الرغبة منه إليها، فناسب أن تستأذنه قبل صيام النفل، إذ قد تكون له رغبة في جماعها.

٣- شهوة الرجال أكبر وأعظم من شهوة النساء، ولذا أبيح للرجل الزواج من أربع نسوة، وليس هذا الأمر في النساء ولا لهن، ولذا - أيضاً - كان صبر الرجال على ترك الجماع أضعف من صبر النساء، ولذا جاء الاستئذان لهن. ومناسبة الحديث تؤيد هذه الحكمة؛ فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) نهى المرأة عن صيام النفل لما اشتكى زوج امرأة عليها أنه يرغب بجماعها وهي تكثر الصوم فيتعطل حقه.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): (جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَنَحْنُ عِنْدَهُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ زَوْجِي صَفْوَانَ بْنُ الْمُعَطَّلِ يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، وَيَفْطِرُنِي إِذَا صُمْتُ، وَلَا يُصَلِّي صَلَاةَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ.
قَالَ: وَصَفْوَانُ عِنْدَهُ.
قَالَ: فَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَتْ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا قَوْلُهَا: يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، فَإِنَّهَا تَقْرَأُ بِسُورَتَيْنِ وَقَدْ نَهَيْتَاهَا.
قَالَ: فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ سُورَةٌ وَاحِدَةً لَكَفَّتْ النَّاسَ. وَأَمَا قَوْلُهَا: يَفْطِرُنِي، فَإِنَّهَا تَنْطَلِقُ فَتَصُومُ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، فَلَا أَصْبِرُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمَئِذٍ: لَا تَصُومُ امْرَأَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا.
وَأَمَا قَوْلُهَا: إِنِّي لَا أُصَلِّي حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ، لَا نَكَادُ نَسْتَيْقِظُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ.

قَالَ: فَإِذَا اسْتَيْقِظْتَ فَصَلِّ. رواه أبو داود (٢٤٥٩). والحديث: صححه ابن حبان (٤ / ٣٥٤)، والحافظ ابن حجر في (الإصابة (٣ / ٤٤١)، والألباني في إرواء الغليل (٧ / ٦٥).

قال الشيخ محمد الصالح العثيمين (رحمه الله): ومن حقوقه عليها: - أن لا تعمل

عملاً يضيع عليه كمال الاستمتاع حتى لو كان ذلك تطوعاً بعبادة لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): - (لا يحل لإمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه). حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة (ص ١٢).

وقال الشيخ صالح الفوزان: لا يجوز للمرأة أن تصوم تطوعاً وزوجها شاهد إلا بإذنه؛ لأن له عليه حق العشرة والاستمتاع، فإذا صامت فإنها تمنعه من حقوقه، فلا يجوز لها ذلك، ولا يصح صومها تنفلاً إلا بإذنه. المنتقى من فتاوي الشيخ الفوزان (٧٤، ٧٣/٤)

٤- القيام بحقوق الزوج، ورعاية المنزل، وتربية الأبناء واجبات على الزوجة، فقد يرى الزوج تعارضاً بين تلك الواجبات وصيامها للنفل، وهذا مشاهد من قبل النساء -بل وبعض الرجال - أنه إن صامت تكاسلت وفرطت في واجبات بيتها، ولذلك جعل الاستئذان في صيام النفل دون الواجب.

٥- أن الزوج - في العادة - يخرج للعمل والتكسب، بخلاف المرأة التي عملها في بيتها، فلم يشرع استئذان الزوج لعدم الحاجة إليه، بخلاف المرأة التي تستأذن.

وعلى كل حال: فأوامر الشرع ونواهيها كلها حكمة، ويجب على المسلم أن يقول سمعنا وأطعنا، والأصل اشتراك الرجال والنساء في الأحكام إلا ما فرق الله بينها لحكمة تتعلق بطبيعة خلقها أو للابتلاء ليعلم المؤمن الصادق من غيره. والله أعلم.

ملاحظة: ومما يجدر بالذكر، أن هذا الأمر، فوق أنه امر عبادي وفقهي محض، أرى دخولا في قوله: (صلى الله عليه وسلم) (النساء شقائق الرجال) ان يكون الرجل فيما إذا قصر عمدا بحق زوجته وحقوقها، أن يطالب ببعض مما يطالب بها النساء من الحقوق الزوجية سيما المشتركة منها. والله أعلم. (عمر) ^١.

١. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٨ في ص ٢١٥ ، ٤ / ١٠ / ٢٠٠٨ .

تغيير المنكر بالقوة، مطلب ديني و قانوني و عقلي

ليس إختياري لحببتنا اليوم من بيدرنا، نتاج صدفة، لا أوْمَن بها أصلا، إنما هو نزول عند رغبة بعض السادة ممن حضروا معنا، في إحدى جلسات المحاضرات التي أقامها مركز (كاوا الثقافي) هنا في هولير، خلال الأسبوع المنصرم، و بالتنسيق مع (جامعة صلاح الدين) مشكورة، حيث هب أحد المداخلين و هو واحد من الأفاضل الذين لا يرضون بكتابة اسمائهم الا مسبوقة بحرف (د)، وهو يبرهن على أن الإسلام يطالب بالعنف، كيف لا، و قد جاء فيه: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده)، مدعيا أن هذا النص مما يوسم به الإسلام سلبا، ولما قمت بالتوضيح أمام الحضور، إعتذر الرجل مشكورا، عما اذا اساء إلى الاسلام و موضحا أنه لم يتعمد نقد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، حيث أن النص من كلامه، وكان من رأي بعض السادة، إتماما للفائدة أن أبث هنا بعض أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و باديء ذي بدء، على أن أقول: لا بد أن يعلم بأن لفظة (من) في النص ليس على عمومته، بدليل قوله تعالى:

(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) التوبة ١٢٢.

حيث حدد تنفيذ واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بطائفة و ليست الأمة كلها،

و قال أيضا:

(وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١٠٤ آل عمران).

أيضا خصص القيام بذلك الواجب بـ (أمة)، أي جماعة، و واقعنا خير دليل على قبول ذلك عقلا، فلو لم تكن العيون الساهرة من أفراد الـ (أسايش) والشرطة و (پيشمه رگه) و حامي حمى البلد، الله اعلم ماذا كان؟ و سيكون مصيرنا بيد الإرهاب و الغزاة وكل من تسول له نفسه القيام بأسوأ ما يمكن اداؤه، و بيد من كانوا إلى الأمس القريب

جوشاً أوفياء للمحتل! فالقوة هي التي أوقفت هؤلاء عند حدهم والحمد لله، ومن جانب آخر، نحن نعلم أن من القواعد الأصولية المتبعة في التشريع الإسلامي والقوانين الوضعية:

(أن العام يبقى على عمومته ما لم يخصص، وأن المطلق يبقى على إطلاقه ما لم يقيد).
ففريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليست على علاقتها بل للقائم بها شروط وضوابط، منها:

١- أن يكون المنكر، محرماً مجمماً عليه:

(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلِكُمْ مَدْخَلَ كَرِيمًا)

النساء ٣١.

فلا يدخل في المنكر إذن المكروهات، أو ترك السنن والمستحبات. لا بد إذاً أن يكون المنكر في درجة (الحرام)، وأن يكون منكرًا شرعياً حقيقياً، أي ثبت إنكاره بنصوص الشرع المحكمة، أو قواعده القاطعة، التي دل عليها استقراء جزئيات الشريعة وليس إنكاره بمجرد رأي أو اجتهاد، قد يصيب ويخطئ، وقد يتغير بتغير الزمان والمكان والعرف والحال. وكذلك يجب أن يكون مجمماً على أنه منكر، فأما ما اختلف فيه العلماء المجتهدون قديماً أو حديثاً، بين مجيز ومانع، فلا يدخل دائرة (المنكر) الذي يجب تغييره باليد، وخصوصاً للأفراد. حتى رأي الجمهور والأكثرية، لا يسقط رأي الأقل، ولا يلغي اعتباره، حتى لو كان المخالف واحداً، مادام من أهل الاجتهاد، وكم من رأي مهجور في عصر ما، أصبح مشهوراً في عصر آخر. وكم ضُعب رأي لفقيره، ثم جاء من صححه ونصره وقواه، فأصبح هو المعتمد والمفتي به.

وهذه آراء شيخ الإسلام ابن تيمية، في الطلاق وأحوال الأسرة، قد لقي من أجلها ما لقي في حياته، وظلت تقاوم قروناً عدة بعد وفاته، ثم هياً الله لها من نشرها وأيدها، حتى غدت عمدة الإفتاء والقضاء والتقنين في كثير من البلدان الإسلامية، - وما نلمسه الآن في واقع كُردستان، والتجديدات المزمع إجراؤها على قوانين الأحوال الشخصية هنا في كُردستان، شئ من نتاج تلكم الفتاوى والآراء -، إن المنكر الذي يجب تغييره بالقوة لا بد أن يكون منكرًا بيّنًا ثابتًا، اتفق أئمة المسلمين على أنه منكر، وبدون ذلك يفتح باب شر لا آخر له.

٢- ظهور المنكر: أي أن يكون المنكر ظاهراً مرئياً، فأما ما استخفي به صاحبه عن أعين

الناس وأغلق عليه بابه، فلا يجوز لأحد التجسس عليه، بوضع أجهزة التنصت عليه، أو كاميرات التصوير الخفية، أو اقتحام داره عليه لضبطه متلبساً بالمنكر. وهذا ما يدل عليه لفظ الحديث: (من رأى منكم منكراً فليغيره...).

فقد ناط التغيير برؤية المنكر ومشاهدته، ولم ينطه بالسماع عن المنكر من غيره. وهذا لأن الإسلام يدع عقوبة من استتر بفعل المنكر ولم يتبجح به إلى الله تعالى يحاسبه في الآخرة، ولم يجعل لأحد عليه سبيلاً في الدنيا، حتى يبدي صفحته ويكشف ستره. حتى إن العقاب الإلهي ليخفف كثيراً على من استتر بستر الله، ولم يظهر المعصية كما في الحديث الصحيح: (كل أمتي معافى إلا المجاهرين).

لهذا لم يكن لأحد سلطان على المنكرات الخفية، وفي مقدمتها معاصي القلوب من الرياء والنفاق والكبر والحسد والشح والغرور ونحوها.. وإن اعتبرها الدين من أكبر الكبائر، ما لم تتجسد في عمل ظاهر، وذلك لأننا أمرنا أن نحكم بالظواهر، ونكل إلى الله تعالى السرائر.

ومن الوقائع الطريفة التي لها دلالتها في هذا المقام ما وقع لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وهو ما حكاه الغزالي في كتاب: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) من (الإحياء): أن عمر تسلق دار رجل، فراه على حالة مكروهة فأنكر عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد، فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه، فقال: وما هي؟ قال: قد قال الله تعالى: (وَلَا تَجَسَّسُوا) الحجرات: ١٢.

وقد تجسست، وقال تعالى: (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) البقرة: ١٨٩.

وقد تسورت من السطح، وقال تعالى:

(لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) النور: ٢٧.

وما سلمت.. فتركه عمر، وشرط عليه التوبة. (الإحياء ٧ / ١٢١٨) ط. الشعب، القاهرة^١.

٣- التغيير المنكر بالقوة: القدرة الفعلية على التغيير، أي أن يكون مرید التغيير قادراً بالفعل - بنفسه أو بمن معه من أعوان - على التغيير بالقوة.

١. إلى هنا من هذه المقالة تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢١٦ ص ٤٨ في ٢٩/١٠/٢٠٠٨.

بمعنى أن يكون لديه قوة مادية أو معنوية تمكنه من إزالة المنكر بسهولة.
وهذا الشرط مأخوذ من حديث أبي سعيد أيضاً؛ لأنه قال:
(فمن لم يستطع فبلسانه).

أي: فمن لم يستطع التغيير باليد، فليدع ذلك لأهل القدرة، وليكتف هو بالتغيير باللسان والبيان، إن كان في استطاعته. وهذا في الغالب إنما يكون لكل ذي سلطان في دائرة سلطانه، كالزوج مع زوجته، والأب مع أبنائه وبناته، الذين يعولهم ويولي عليهم، وصاحب المؤسسة في داخل مؤسسته، والأمير المطاع في حدود إمارته أو سلطته، وحدود استطاعته.

(أعني أن من الأمراء من يعجز عن بعض الأشياء في إمارته نفسها، وقد رأينا عمر بن عبد العزيز يعجز عن رد الأمر شورى بين المسلمين، بعيداً عن نظام الوراثة)..
وهكذا.

وإنما قلنا: القوة المادية أو المعنوية؛ لأن سلطة الزوج على زوجته أو الأب على أولاده، ليست بما يملك من قوة مادية فحسب، بل بما له من احترام وهيبة تجعل كلمته نافذة، وأمره مطاعاً.

٤- عدم خشية منكر أكبر: أي ألا يخشى من أن يترتب على إزالة المنكر بالقوة منكر أكبر منه، كأن يكون سبباً لفتنة تسفك فيها دماء الأبرياء، وتنتهك الحرمات، وتنتهب الأموال، وتكون العاقبة أن يزداد المنكر تمكناً، ويزداد المتجبرون تجبراً وفساداً في الأرض.

ولهذا قرر العلماء مشروعية السكوت على المنكر مخافة ما هو أنكر منه وأعظم، ارتكاباً لأخف الضررين، واحتمالاً لأهون الشرين.

وفي هذا جاء الحديث الصحيح، أن النبي (صلى الله عليه وسلم): قال لعائشة:

(لولا أن قومك حديثو عهد بشرك، لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم).

وفي القرآن الكريم ما يؤيد ذلك، في قصة موسى (س)، مع بني إسرائيل، حين ذهب إلى مواعده مع ربه، الذي بلغ أربعين ليلة، وفي هذه الغيبة فتنهم السامري بعجله الذهبي، حتى عبده القوم، ونصحهم أخوه هارون، فلم ينتصحو وقالوا:

(لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) طه: ٩١.

وبعد رجوع موسى ورؤيته لهذا المنكر البشع - عبادة العجل - اشتد على أخيه في الإنكار، وأخذ بلحيته يجره إليه من شدة الغضب:

(قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنَ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) طه: ٩٢ - ٩٤.

ومعنى هذا: أن هارون قدم الحفاظ على وحدة الجماعة في غيبة أخيه الأكبر، حتى يحضر، ويتفاهما معاً كيف يواجهان الموقف الخطير بما يتطلبه من حزم وحكمة. ولأنسى في النهاية بأن نشير إلى ضرورة الرفق في تغيير المنكر حيث يأمر بذلك سبحانه وهو يأمر نبيين من انبيائه ليذهبا إلى ألد أعدائه:

(أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) طه: ٤٣، ٤٤-٣.

٢. بامكان القاريء الكريم العودة إلى موقع (اسلام أون لاين، ركن فاسألوا أهل الذكر.

٢. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢١٧ ص ٥٠ هـ/١١/٢٠٠٨ .

دفاع الزوجة عن نفسها ضد زوجها

عندما كتبت في بيدر (٤٦) حول استئذان الرجل زوجته في صوم التطوع و بالعكس، قامت قيامة بعض الأخوات علي، على أساس أنني متحيز لعالم الرجال، علما أنني متهم أصلا من قبلهم، بالتحيز إليهن، ولأخلص نفسي من وطأة المطرقة والسندان منهم جميعا و من معاتبة شريكتي حياتي، أقتبست لكم هذه الأسطر من موقع (اسلام أون لاين) حيث ورد اليهم السؤال التالي: سمعنا عن فتوى تجيز للزوجة أن ترد على اعتداء وعنف زوجها بعنف بحيث ل وضربها ضربته، ولو حاول قتلها فإنه يجوز لها قتله دفاعا عن نفسها، ورأينا من يؤيد الفتوى ويعتبرها نصرة للمرأة ومن يهاجمها ويرى أنها تجرئ الزوجات على التطاول على أزواجهن وأن هذا يتنافي مع ما للزوج من عظيم الحق على زوجته، فنريد توضيح الحكم الشرعي في هذه المسألة، بارك الله فيكم؟.

الجواب: يقول الدكتور: السيد صقر، المدرس بجامعة الأزهر، والباحث الشرعي بالموقع: إن الأصل في العلاقة الزوجية المودة والسكن، وإن غابت المودة فلا أقل من التراحم بينهما، كما قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الروم: ٢١)، كما أوصي الشرع الرجال بالنساء في كثير من آيات القرآن الكريم وأقوال النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن ذلك قوله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) النساء: ١٩)، وحتى في حالة الفراق قال تعالى: (فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ) البقرة: ٢٢٩)، وقال سبحانه: (فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) الطلاق: ٢)، وقوله (صلى الله عليه وسلم): (استوصوا بالنساء خيرا) رواه البخاري).

وقال (صلى الله عليه وسلم) في حجة الوداع:

(ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئا غير

ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا.
ألا وإن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون.
ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح).

ونهي الزوج عن كراهية زوجته فقال (صلى الله عليه وسلم):
(لا يفرك مؤمن مؤمنة. إن كره منها خلقا رضي منها آخر، أو قال: غيره) رواه مسلم).

كما صح قوله (صلى الله عليه وسلم): (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق أكثر مما يعطي على العنف). ومعلوم أن الإسلام قد أثبت لكل من الزوجين حقوقا على الآخر كما ظهر في حديث حجة الوداع السابق، وكما في قوله تعالى:
(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)
البقرة: ٢٢٨.

فحق الزوج على الزوجة أكبر من حقها عليه، والقوامة للرجال على النساء، كما قال تعالى:

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) البقرة: ٣٤.

فإذا وقع النشوز أو خيف وقوعه من الزوجة فللزوج ردع الزوجة بالوسائل المحددة في الآية، والضرب حدده الرسول (صلى الله عليه وسلم) بكونه غير مبرح، لا يكسر عظما ولا يقطع لحما ولا يسيل دما، ولا يترك أثرا، إنما ضرب (صلى الله عليه وسلم) بالسواك.

وإن قصر الزوج فللزوجة محاولة الصلح وإشراك من يوثق به للإصلاح. وهذا كله في النشوز بلا عدوان.

وأما العدوان فله حكم آخر، فإذا تعدى الزوج على زوجته بسب أو ضرب مبرح أو ما زاد عليه فقد أخطأ وتعدى حدوده. وفي هذه الحالة فإن الزوجة قد تضطر إلى دفع الأذى عنها ومنع زوجها من الاعتداء عليها، فإذا تجاوز الحد في التأديب وضرب ضرباً مبرحاً أو زاد بأن ضرب بعضاً أو آلة حادة أو ثقيلة فلها الحق أن تدافع عن نفسها، وهذا ما يسميه الفقهاء بـ (دفع الصائل) أي المعتدي، وقالوا: إذا اعتدى معتدٍ على شخص يريد أن يقتله، أو يأخذ ماله، أو يهتك عرضه وجب عليه أن يدافع عن نفسه وماله وعرضه بما استطاع من قوة، وليبدأ بالأسهل والأيسر له، فيطلب منه أولاً أن يكف عنه ويقيه شره بالحكمة والموعظة الحسنة، ويناشده بالله تعالى أن يخلي سبيله، فإن أبى دفعه عن نفسه بالضرب، فإن لم يندفع إلا بالقتل قتله، ولا قصاص عليه ولا دية ولا إثم لأنه معتدٍ ظالم، قال تعالى:

(وَلَمَنَ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) الشوري: ٤١.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء يريد أخذ مالي؟ قال: (فلا تعطه مالك) قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: (فقاتله) قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: (فأنت شهيد) قال: فإن قتلته؟ قال: (هو في النار) رواه مسلم^١.

١. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢١٨ ص ٥٠ في ١٢\١١\٢٠٠٠ .

كون القرآن مقتبساً من اليهودية.. شبهة مردودة

يسرني أن أخصص و لعدة أسابيع صفحتي هذه، للدفاع عن القرآن الكريم و الرد على تلكم الشبهات التي تبث هنا و هناك حوله، راجيا من الله العلي القدير أن يوفقنا لنذب عنه وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، وان كان الأمر لا يحتاج إلى كثير من التعب، حيث ان القرآن الكريم، محفوظ بحفظ الله له: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ٩١ الحجر.

ولكن كمؤمنين، علينا أن نقوم بما يجب علينا تجاهه، وان كنا مقصرين وغير قادرين على القيام بالواجب كما يمليه علينا ديننا و يوجبه، و قبل البدء بالسلسلة الردية، أود أن أشير إلى أنني قد اتيت بهذه المعلومات، أصلا من موقع إسلام أون لاين، شاكرين الله لهم ذلك.

يقول د. محمد بن سريّع عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: إنه لمن العجيب أن تروج مثل هذه الأباطيل التي لا تقوم على أساس من الحقيقة أو المستند العلمي، ولكن لا غرو إذا علم أن مثل هذه الأقوال إنما صدرت عن المستشرقين واليهود، ثم تلقاها عنهم كثير ممن يزعم البحث العلمي الحر، ونقلها دون أن ينظر إلى الأصول والدلائل التي تعتمد عليها هذه الأقوال، وما كان لمثل هذه الأقوال أن تُصدق لولا أن أصحابها أدمنوا ذكرها، ونشروها بكل وسيلة وسبيل، حتى ظن من لا علم له أن لها رصيذاً من النظر.

أ- كيف يكون القرآن متلقي عن بعض المصادر اليهودية، وقد مكث النبي (صلى الله عليه وسلم) ثلاثة عشر عاماً بمكة يُوحى إليه ويتنزل عليه القرآن، وهو لم يجتمع بأحد من اليهود طوال هذه الفترة؟!.

ب- أم كيف تكون كتب اليهود - مصادر هذا القرآن والنبي (صلى الله عليه وسلم) أمي لا يقرأ ولا يكتب؟.

ثم إنه من المعلوم عند كل شخص - حتى عند المشركين من العرب - أن هذا القرآن معجز في ألفاظه ومبانيه، فلو فرض أنه أخذ عن كتب اليهود، فهل أخذ بذات النص الموجود عندهم؛ هذا لا يقول به أحد؛ لأننا لا نجد نفس النص بألفاظ في مصادرهم، وإذا كان المقصود أنه عندهم بمعناه، فإن اللفظ جانب آخر من جوانب الإعجاز بالقرآن لم يكن لبشر أن يأتي به، لا محمد (صلى الله عليه وسلم) ولا غيره.

ج- ثم كيف يكون القرآن الكريم مقتبساً من كتب اليهود وهو حافلٌ ببيان عيوبهم، والتشنيع عليهم، ورد افتراءاتهم، وبيان مواقفهم المخزية من كتب الله ورسالاته، بل ومن الذات الإلهية، لقد جاء القرآن الكريم ليبين إلحاد اليهود في عقائدهم في إيمانهم بالله وكتبه ورسله، يقول تعالى:

١- (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) آل عمران: ١٨١.

٢- (كَلِمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) المائدة: ٧٠.

٣- (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُوءُونَ آلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ) آل عمران: ٧٨.

٤- (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) المائدة: ٧٨.

فهل يسوغ أن يقال بعد هذا كله إن القرآن الكريم مقتبس من مصادر يهودية؟ لقد كان اليهود أحرص ما يكونون على التشكيك في دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) والوقوف في طريقها بكل سبيل.

د- ولو كان (صلى الله عليه وسلم) أخذ حرفاً واحداً منهم لكانوا مبادرين إلى القدح فيه، وبيان أنه معتمد على كتبهم، ولكن هيهات لقد عجزوا مع عظيم تشوقهم لذلك.

ه- إن الكتب اليهودية - كما يدرك ذلك كل منصف - لا يمكن أن تكون مصدراً للقرآن؛ لأن القرآن جاء بالحنيفية السمحة وتوحيد الباري جلّ وعلا، وإثبات صفات الكمال له تعالى، كما جاء بتعظيم قدر الأنبياء ورفع شأنهم من غير أن يصرف لهم شيئاً من حقوق الإلهية، بينما كتب اليهود حافلة بتنقص الذات الإلهية، ووصفها بصفات النقص والجهل والعجز والبخل والتعب، أما أنبياء الله فقد وصفتهم تلك الكتب بكل نقیصة وسوءة. ففيها: أن نوحاً (س) كان سكيراً بشرب الخمر، وأن لوطاً قد سقته ابنتاه الخمر، وضاجعته وهو لا يدري فحملتا منه سفاحاً! وأن إبراهيم (س) مادياً

يتاجر بزوجته الجميلة عند الملوك ليأكل بها، وأن داود (س) قد زنا بزوجة أوريا، فحملت منه سفاحاً بسليمان عليه السلام... وهكذا في صور لا تنتهي من اللؤم والفجور والكفر الصراح.

أين هذا من ثناء الله تعالى على أنبيائه في القرآن الكريم في مثل قوله:

- ١- (ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) الإسراء: ٣.
- ٢- (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لَأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) النحل: ١٢٠-١٢٣.

- ٣- (وَلَوْطًا أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوْءٌ فَاسْقِينِمْ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) الأنبياء: ٧٤-٧٥.
- ٤- (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) النمل: ١٥.

٥- (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) الصافات: ٧٩.

٦- (سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) الصافات: ١٠٩.

٧- (سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ) الصافات: ١٢٠.

٨- (سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) الصافات: ١٣٠.

في آيات يصعب حصرها. فكيف يقول منصف بعد ذلك أن كتب اليهود كانت مصدراً من مصادر القرآن؟! سبحانك هذا بهتان عظيم. (بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) العنكبوت: ٤٩. والله أعلم .

١. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢١٩ ص ٥٠ في ١٩\١١\٢٠٠٨ .

كيف يكون القرآن عالمياً وهو باللغة العربية

ما زال حديثنا عن الشبهات التي تثار حول القرآن الكريم، والتي منها شبهة عدم عالمية الإسلام لنزول القرآن باللغة العربية، (أنزل الله القرآن باللغة العربية؛ لأنها وسيلة التفاهم مع من أرسل إليه الرسول أولاً، وبدأت الدعوة في محيطهم قبل أن تبلغ غيرهم، قال تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) سورة إبراهيم: ٤.

والإسلام دين عالمي يجب تبليغه لكل الناس، وذلك باللسان الذي يعرفه من بلغ إليهم، فالقرآن نزل باللغة العربية لأمرين أساسيين: أولهما الإعجاز؛ لإثبات صدق الرسالة، وذلك للقوم الذين نزل القرآن في بيئتهم التي نشأ فيها الرسول وبدأ الدعوة، ولغيرهم من الناس بما يحويه من معلومات وتشريعات هي أصدق المعلومات وأحكم التشريعات، والأمر الثاني الهداية، والهداية لكل الناس يحملها من تلقاها باللغة العربية، ثم يترجمون هذه الهداية إلى غيرهم.

وهذا ما حدث في القرون الأولى، عرضت الدعوة على الناس كافة فآمن الكثيرون، ثم تفقَّهوا في الدين بلغاتهم، ثم أتقن كثيرون منهم اللغة العربية، ففهموا ما تعلموا وترجموا ما يريدون أن يعلموه الناس، وهذه الترجمة تعتبر تفسيراً بوجه من الوجوه لهداية القرآن ولا يحكم بها على كل ما في القرآن من معان.

والمهم أن نعرف أن نزول القرآن الكريم باللغة العربية لا يتنافى مع عالمية الدعوة الإسلامية، وقد أشبع الكلام في هذا الموضوع في كتابي (الدعوة الإسلامية دعوة عالمية) ومختصره (الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه) وبين فيهما، أن أصل الدعوة وسجله الأساسي لا بد أن يكون بلغة واحدة يرجع إليها عند الاختلاف في الترجمات التي نعرف ما بينها من تفاوت لأسباب عدة، قد يؤدي إلى التضارب الذي يصرف الناس عن الدين بدل أن يجذبهم إليه، وهذا أمر له أهميته قديماً وحديثاً حرصت عليه

الدول في العهود والمواثيق والاتفاقيات وغيرها من الأمور المهمة).

وهناك شبهة أخرى تثار حوله، من كونه محرفاً!

يقول الشيخ (محمد رشيد رضا): عن سؤال مشابه: لم يرد في هذا المعنى حديث صحيح ولا ضعيف ولا موضوع، ولكن الزنادقة الذين حاولوا العبث بدين الإسلام كما كان يفعل أمثالهم في الديانات الأخرى لما عجزوا عن زيادة حرف في القرآن أو نقص حرف منه؛ لحفظه في الصدور والصحف أرادوا أن يشككوا بعض المسلمين فيه بشيء يضعونه عن لسان الصحابة الكرام فزعم بعضهم أن عكرمة قال: لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال: (لا تغيروها فإن العرب ستغيرها، أو قال: ستقرأها بالسنتها، ولو كان الكاتب من ثقيف والملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف) وفي لفظ آخر:

(أحسنتم وأجملتم، أرى شيئاً من لحن ستقيمه العرب بالسنتها، ولو كان الملي من هذيل والكاتب من قريش لم يوجد هذا).

ولما تصدى المحدثون (رحمهم الله) لنقد الحديث والأثر من جهة الرواية التي راج في سوقها الطيب والخبيث تبين لهم في هذا الأثر ثلاث علل: الانقطاع، والضعف والاضطراب؛ فهو لا يعول عليه لو كان في الحث على فضائل الأعمال فكيف يلتفت إليه في موضوع هو أصل الدين الأصيل وركنه الركين؟، ومن يدري إن كان الساقط من سنده مجوسياً أم دهرياً أم إسرائيلياً؟ على أن الكلمة التي نسبت إلى عثمان تدل على أن اللحن في الرسم، وأنه لم يكن مما يشتهه في قراءته؛ لأنه لا يحتمل في النطق وجهاً آخر، كرسم الصلاة والزكاة والحياة بالواو مثلاً (الصلوة الحيوية)، ولكن الموسوسين حملوا ذلك على كلمات قليلة جاءت في المصحف على خلاف القواعد النحوية التي وضعها الناس لكلام العرب وتحكموا بها عليهم، ومن ذلك الآية التي أشار إليها السائل وهي قوله تعالى:

(لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) النساء: ١٦٢.

وإنني لأعجب من دخيل في لغة قوم يتحكم عليهم في شيء يخترعه هو ويجعله أصلاً لها، وأعجب من هذا أن يكون هذا التحكم على أصح شيء في اللسان فإن الذين يؤولون ما ورد عن بعض سفهاء الأعراب من الشعر المخالف للقواعد أو يكتفون بأنه

صحيح - لأنه هكذا سُمع - يتوقفون في بعض الكلم من القرآن إذا رأوا أنها على خلاف القياس، على أن علماء العربية خرجوا تلك الكلمات على ما يوافق قواعدهم من وجوه مذكورة في كتب التفسير وكتب النحو لا محل لها هنا. والله أعلم.

١. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٢٠ ص ٥٠ في ٢٦/١١/٢٠٠٨ .

شبهة اختلاف المفسرين في آيات القرآن

يقول الشيخ (محمد رشيد رضا): (ردا على سؤال مشابه: فمن الغلو في تقرير الخلاف في فهم الآيات الزعم بأن الاتفاق بين المفسرين العارفين بأسرار العربية قليل، والصواب أن الخلاف بين المحققين العارفين هو القليل، وأن الأكثر متفق عليه، ثم إن الجواب يتجلى في مسائل نذكرها بالاختصار فنقول:

١- إن الغرض من البلاغة أن يبلغ المتكلم ما يريد من نفس المخاطب وهو الفهم والتأثير، وقد بلغ القرآن من نفوس من دعوا به إلى الإسلام مبلغاً لم يعهد مثله لكلام آخر عربي ولا عجمي، وما ذلك إلا أنهم فهموا معانيه بدلائلها وبراهينها وتأثروا بحكمه ومواعظه حتى تركوا عقائدهم وتقاليدهم وعاداتهم التي كانوا يفاخرون بها، وأنشئوا خلقاً جديداً، وحتى كان المشاغبون المعاندون منهم لم يروا وسيلة للتخلص من تأثيره إلا بالإعراض عن سماعه، واللغو واللغط عند تلاوته حتى لا يصل منه شيء إلى نفوسهم كما حكى الله تعالى عنهم بقوله: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) فصلت: ٢٦.

ولم ينقل عن العرب من آمن منهم، ومن لم يؤمن أنهم اختلفوا في فهمه كما اختلف من بعدهم وإنما كان الراسخون في العلم كالخلفاء لا سيما رابعهم، وكالعبادة فهم أعلى من فهم سائر الناس كما فهم ابن عباس من سورة النصر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد دنا أجله، وأن قوله تعالى:

(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ) النصر: ٣.

نعى له و أقره النبي على ذلك.

ولا شك أن سائر الصحابة قد فهموا معنى السورة كما فهمها ابن عباس، وهي على بلاغتها، وهذا الفهم الجديد من ابن عباس مزيد في البلاغة ودليل على أن لها مراتب متفاوتة، ولا يمكن أن يكون الناس المتفاوتون في فهم كل شيء، والعلم به يتفقون في فهم

القرآن، والعلم به وهو أعلى كلام وأجمعه للمعارف العالية الإلهية والنفسية والشرعية.
٢- إن علماء اللغة والبلاغة اختلفوا في فهم كل كلام بليغ غير القرآن كالمعلقات السبع وغيرها مما يؤثر عن البلغاء في الجاهلية والإسلام، فلو كان اختلاف الأفهام في الكلام ينافي بلاغته لما كان لنا أن نقول إن في الكلام بليغاً إلا بعض الجمل البديهية من العامة الجهلاء كقولهم: أكلت رغيفاً وشربت كوزاً من الماء، وقد يختلفون في فهم ما عدا البديهي من كلام العامي كما يختلفون في فهم البديهي من كلام العالم بحمله على الكناية أو المجاز. وإذا قرأت القرآن على عامي عرف العربية ولو ممزوجة باللحن والدخيل، وأنشدته قصيدة من شعر امرئ القيس أبلغ شعراء العرب لرأيته فهم من القرآن ما لم يفهم من القصيدة، وكان للقرآن في نفسه الأثر الذي ليس للقصيدة ما يدانيه، ومن هنا تعلم أن بيان القرآن عجيب، وأن لكل من يعرف العربية منه نصيب: ولكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح والفهوم.

٣- إن أكثر ما تعهد من الخلاف في التفسير سببه أن المتأخرين لم يحاولوا فهم القرآن بذاته، وإنما حاولوا تطبيقه على مذاهبهم في النحو والبلاغة والكلام والفقه حتى كأن مذاهبهم هي الأصل الثابت، ولا بد من تطبيق القرآن عليه، ولو حاولوا فهمه بذاته، وأعدوا له مزاولة أساليب اللغة، ومعرفة متنها والاطلاع على السنة من غير تقييد بمذهب مخصوص؛ لأن القرآن فوق المذاهب والآراء - وكان خلافهم أقل ووافقهم أكثر، وكان رجوع أحد المختلفين إلى الوفاق بعد النظر في دليل الآخر قريباً، فالتقليد في الدين وفي قوانين اللغة هو منشأ البلاء الأعظم في الخلاف. فعلم ما قلناه أن الخلاف دون ما قال السائل، وأنه لا ينافي البلاغة قل أو أكثر، ولو كان الخلاف في الكلام هل هو صحيح أو غير صحيح، وهل هو بليغ أو غير بليغ، وكان كل ذي قول يورد الأدلة على تأييد رأيه لكان للجاهل أن يشك في بلاغته؛ لأنه علم أن أهل الشأن اختلفوا فيها، وهو غير قادر على الترجيح.

والأمر في القرآن على غير ذلك، فقد أجمع بلغاء العرب - من آمن منهم ومن لم يؤمن - على إعجازه، وكذلك العلماء بالعربية الذين أخذوها بالصناعة، فلم يبق للجاهل عذر بعد العلم بأن هذه مسألة لا نزاع فيها عند العارفين بهذا الشأن. والله أعلم.

شبهة أخرى، هي: حول التوفيق بين مودة النصاري في القرآن وبين افعالهم: يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى:

(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) المائدة ٨٢.

اللام لام قسم و دخلت النون على قول الخليل وسيبويه فرقا بين الحال والمستقبل
عداوة نصب على البيان وكذا:

(وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيَسِينَ
وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) المائدة ٨٢.

وهذه الآية نزلت في النجاشي وأصحابه لما قدم عليهم المسلمون في الهجرة الأولى
حسب ما هو مشهور في سيرة ابن إسحاق وغيره خوفا من المشركين وفتنتهم وكانوا
ذوي عدد ثم هاجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة بعد ذلك فلم يقدروا
على الوصول إليه حالت بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحرب فلما كانت
وقعة بدر وقتل الله فيها صنائيد الكفار قال كفار قريش: إن تارككم بأرضكم الحبشة
فاهدوا إلى النجاشي وابعثوا إليه رجلين من ذوي رأيكم لعله يعطيكم من عنده
فتقتلونهم بمن قتل منكم بيد فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي
ربيعة بهدايا فسمع النبي (صلى الله عليه وسلم) بذلك فبعث رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) عمرو بن أمية الضمري وكتب معه إلى النجاشي فقدم على النجاشي فقرأ
كتاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين وأرسل
إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثم أمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم
فقاموا تفيض أعينهم من الدمع فهم الذين أنزل الله فيهم ولتجدن أقربهم مودة للذين
آمنوا الذين قالوا إنا نصارى وقرأ إلى الشاهدين رواه أبو داود قال: حدثنا محمد بن
سلمة المرادي قال حدثنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي بكر بن
عبدالرحمن بن الحرث بن هشام وعن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير أن الهجرة
الأولى هجرة المسلمين إلى أرض الحبشة وساق الحديث بطوله وذكر البيهقي عن ابن
إسحاق قال قدم على النبي.

وبناء على هذا التفسير، نقول للسائل إن ما يحدث الآن من اضطهاد للمسلمين من
قبل الصليبيين لاتجيزه أية شريعة ولايجيزه أي دين وهؤلاء يفعلون مايفعلونه بناء على
تعصب عرقي أو أهداف استعمارية لادخل لها بتعليم أي ديانة سماوية^١.

١. تم نشر هذه المقالة في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٢١ ص ٥٠ في ٢٠٠٨/١٢/٣.

هل تكفل الله بحفظ كل أو بعض القرآن؟

في الجواب عن هذه الشبهة يقول الدكتور (محمد عمارة): (نسأل: لماذا بعث الله، سبحانه وتعالى، الرسل، وأنزل الكتب؟..

لقد كان ذلك رعاية من الله لخلقه.. ولطفاً بهم. وحتى يكون حسابه لهم - كي لا يتساوى المحسن والمسيء - وجزاؤه إياهم على أفعالهم عدلاً إلهياً خالصاً..

(وَأَنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) فاطر: ٢٤.

(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) الإسراء: ١٥.

(لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) النساء: ١٦٥.

وقبل ختم النبوة والرسالة، كانت مهمة حفظ كتب الرسالات والشرائع موكولة إلى أمم هذه الرسالات، كجزء من التكليف لهم والاختبار لاستقامتهم في هذا التكليف:

(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) المائدة: ٤٤.

لكنهم فرطوا في القيام بتكليف الحفظ للكتب - بالنسيان حيناً وبالتحريف والإخفاء حيناً آخر:-

(فَبِمَا نَقُضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يَنْبِئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ

مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (المائدة: ١٣-١٦).

وعندما كانوا يحرفون هذه الكتب، أو ينسون بعضها ويخفون البعض الآخر، كان الله يبعث رسولاً جديداً بكتاب جديد. أما عندما أراد الله، سبحانه وتعالى - مع بلوغ الإنسانية سن الرشد - ختم النبوات والرسالات بنبوة ورسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) فكان لا بد لحفظ كتاب الشريعة الخاتمة من حافظ لا يجوز عليه الإهمال، ولا يتأتى منه التحريف، ولا يليق به النسيان..

أي كان لا بد من الحفظ المعصوم الدائم للكتاب المعجز الخالد..

لأن ترك حفظ الكتاب الخاتم للبشر، الذين يجوز عليهم الإهمال والتحريف والنسيان معناه طروء وحدث التحريف والضياع لهذا الكتاب، حيث لا وحي سيأتي ولا رسول سيبعث ولا كتاب سينزل..

الأمر الذي لو حدث - افتراضاً - سيضل الناس ولا رعاية لهم، ولا حجة عليهم، تجعل من حسابهم وجزائهم عدلاً إلهياً مناسباً..

ولذلك، انتقلت مهمة حفظ الوحي الخاتم - القرآن الكريم - في الرسالة الخاتمة، إلى الله، سبحانه وتعالى، الذي لا يتخلف حفظه أبداً، بعد أن كانت هذه المهمة، في الرسالات السابقة، استحفاظاً من الله للناس، أي طلباً منه لهم أن يحفظوا ما أنزل عليهم من الكتاب.. فكان الوعد الإلهي المؤكد:

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر: ٩.

ولذلك، هياً الله لتدوين القرآن الكريم من كتبة الوحي ما لم يتهياً لكتاب سابق.. وجعل جمعه وعداً إلهياً وإنجازاً ربانياً:

(لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) القيامة: ١٦-١٩.

فكان الحفظ للقرآن - كل القرآن - وعداً إلهياً، وإنجازاً ربانياً، وذلك حتى تستمر حجة الله على عباده، ويكون حسابهم عدلاً خالصاً.

ولم يقل أحد، ولا جائز في العقل - فضلاً عن النقل - أن يقال: إن الذكر، الذي تعهد الله بحفظه، هو بعض القرآن، وليس كل القرآن..

لأن ضياع أي جزء من القرآن يعني تخلف رعاية الله لخلقه، وسقوط حجته على عباده..

ثم إن القرآن لا يقف بالحفظ عند ما يطلق عليه الذكر، فضلاً عن أن مصطلح الذكر إنما يشمل كل القرآن.. تشهد على ذلك الآيات الكثيرة في كتاب الله.

فالمراد بالذكر القرآن.. كل القرآن.. والكتاب.. كل الكتاب - وليس بعضه - بدليل قول الله، سبحانه:

(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) الأنبياء: ٧.

أي أهل الكتب السابقة.. والله يشير إلى القرآن والتنزيل - أي كل ما نزل به الوحي بلفظ الذكر (أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ) الأعراف: ٦٩. (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) الحجر: ٦.

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) النحل: ٤٤.

(وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) الأنبياء: ٥٠.

(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) يس: ٦٩.

(وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) القلم: ٥١، ٥٢.

ثم إن القرآن الكريم يؤكد أن الحفظ ونفي الشك والريبة إنما هو لكل القرآن ولجميع التنزيل، وليس لبعض القرآن (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) البقرة: ٢.

(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) السجدة: ٢.

(ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) البقرة: ١٧٦.

(نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) آل عمران: ٣.

(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ) النساء: ١٠٥.

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) المائدة: ٤٨.

(مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) الأنعام: ٣٨.

ولو ضاع شيء من هذا الكتاب - أي القرآن والتنزيل - لحدث التفريط الذي تنفيه هذه الآية، ولانتفت حجة الله على البشر:

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ
الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا
أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ (الأنعام:
١٥٥-١٥٧).

فحجة الله على الناس - بعد ختم الوحي بالقرآن الكريم - تنتفي وتسقط إذا حدث
جهل بشيء مما أنزل في الكتاب - القرآن - :
(وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ) الحجر: ٤.

ولو أن القرآن ضاع منه شيء لتخلف وعد الله بتنزيل تبيان كل شيء فيه، لتتم
شهادة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، على أمته:
(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبِشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) النحل: ٨٩.
وختم النبوة والرسالة، يعني انتفاء بعث رسول جديد، ونزول كتاب جديد..

وحتى تقوم حجة الله على عباده لا بد من بقاء القرآن كله محفوظاً، ليكون قيماً على
الناس، أي دائم القيام على هدايتهم وإرشادهم:
(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا
شَدِيدًا مَنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) الكهف:
١، ٢.

وإذا كان الكتاب هو كل القرآن، فلقد وعد الله سبحانه بأن يحفظه ويورثه للذين
اصطفاهم من عباده، بعد أن أنزله على المصطفى من رسله، وجمعه وقرأه:
(وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ
بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ
وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) فاطر: ٣١، ٣٢.

١. تم نشر هذه المقالة في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٢٢ ص ٥٠ في ١٧\١٢\٢٠٠٨ .

المعوذتان: هل هما من القرآن؟

هذا الكلام قديم وذكرته بعض كتب التفسير ونسب إلى عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) يقول القرطبي في تفسيره: (ج ٢٥ ص ٢٥١) زعم ابن مسعود أنه ما (سورة الفلق: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)).
 و لا سورة الناس: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ).
 إلا دعاء تعوذ به النبي (صلى الله عليه وسلم) حين سحرته اليهود، وليستا من القرآن. - خالف به الإجماع من الصحابة وأهل البيت -

وهذا الكلام يعني أن المعوذتين من القرآن، والدليل عليه هو الإجماع من الصحابة و أهل البيت، ثم ذكر القرطبي مبررات لقول ابن مسعود، فذكر أن ابن قتيبة قال: - لم يكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه المعوذتين لأنه كان يسمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعوذ الحسن والحسين (رضي الله عنهما) بهما، فقدّر أنهما بمنزلة: - أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة. -

ومن المعلوم أن المصحف الرسمي الموعول عليه هو ما كان يمليه النبي (صلى الله عليه وسلم) على كتاب الوحي، وكان بعض الصحابة يكتب لنفسه ما نزل من القرآن في مصحف خاص كإبن مسعود، وقد تكتب فيه تعليقات وتوضيحات وهوامش يراها صاحب المصحف هامة عنده، وعلى فرض أن ابن مسعود لم يكتبهما في مصحفه فليس ذلك دليلاً على أنهما ليستا من القرآن الكريم، ومن المعلوم أن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عندما جمع المصحف تحت إشراف لجنة مختصة، ونسخ منه عدة نسخ وأرسل بعضها إلى الأمصار لتكون إماماً للناس -أمر بإحراق كل ما عدا المصحف الذي جمعه حتى يكون المصحف الرسمي واحداً لا خلاف فيه.

وأبو بكر الأنباري لا يرضي قول ابن قتيبة فيما نسب إلى ابن مسعود ويؤكد- أن المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين، وأن (أعيذكما بكلمات الله التامة) واضح أنه من قول البشر، وكلام الله الخالق الذي هو معجزة لخاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وسلم) وحُجة باقية على الكافرين - لا يلتبس بكلام الآدميين على مثل عبد الله ابن مسعود العالم باللغة وأفانين الكلام.

ثم يذكر القرطبي أن ترك عبد الله بن مسعود لكتابتها سببه كما قال البعض أنه أمن عليهما من النسيان، كما أسقط فاتحة الكتاب من مصحفه لذلك. مع أنه حافظ متقن، ولكن هذا التعليل غير مسلم، لأنه كتب: إذا جاء نصر الله والفتح، إنا أعطيناك الكوثر، وقل هو الله أحد، وهن كالمعوذتين في عدم الطول وفي سرعة الحفظ، ونسيانهن مأمون.

وذكر ابن كثير في تفسيره عدة روايات تثبت أن المعوذتين من القرآن وأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يقرأ بهما في الصلاة ويرغب في قراءتهما لما لهما من الثواب العظيم، وأكثر هذه الروايات في مسند أحمد وفي سنن النسائي وروي مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط، قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس). - كما جاء في تفسير ابن كثير أن البخاري روي عن زر بن حبيش أنه سأل أبي بن كعب: يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال: -إني سألت النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال (قيل لي فقلت) فنحن نقول كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والحافظ ابن حجر ذكر كثيرا.

مما تقدم يؤكد الإجماع على أن المعوذتين من كلام الله تعالى وقرآنه الكريم (ج ٨ ص ٦١٥).

يؤخذ من هذا الكلام أن المعوذتين من كلام الله ومن سور المصحف. - الشريف، وعدم كتابة ابن مسعود لهما لا يلزم منه أنهما ليستا من القرآن، بصرف النظر عما جاء من تعليل لذلك، فالإجماع منعقد من أيام الصحابة على أنهما من القرآن الكريم، ومصحف عثمان هو الإمام لكل المصاحف لإجماع الصحابة عليه.

ومن الشبه أيضا: (ادعاء نقصان القرآن):

كان القرآن مجموعاً شفاهاً في صدور الصحابة في حياة الرسول، - بل كان مكتوباً

عندهم على صفائح الحجارة وأصول السعف الغلاظ وغيرها، ولم يفكر الصحابة في جمع القرآن مباشرة بين دفتي كتاب بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذ شغلتهم حركة الارتداد التي وقعت وما أعقبها من الحرب، ثم إنهم كانوا مطمئنين إلى أن القرآن لا خوف عليه، - لأن قراء القرآن وحفظته كانوا كثيرين، والقرآن نفسه مكتوب ومحفوظ في بيوت أمهات المؤمنين.

لكن معركة اليمامة التي سقط فيها ألف شهيد بينهم نحو من أربعمائة وخمسين صحابيا من حفظة القرآن أمر اهتم له عمر بن الخطاب - وهو أحد كتاب الوحي - فمضى إلى أبي بكر يطالبه بجمع القرآن، ويظل به حتى يشرح الله صدره فيرسل إلى زيد بن ثابت أحد كتاب الوحي ويكلفه بهذه المهمة ويقول له: - إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتتبع القرآن فاجمعه.

وكان قرار أبي بكر بجمع القرآن بين دفتي كتاب أعظم قرار في تاريخ الدعوة والأمة - حفظ لها دستورها، تحقيقا لوعده الله تعالى بحفظه، ويقول عنه علي (رضي الله عنه) أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر (رضي الله عنه) هو أول من جمع بين اللوحين.

وحرصاً على ألا يكتب إلا ما هو صحيح تماماً، فإن أبا بكر لم يترك الأمر لزيد وحده، بل أشرك معه عمر، وكلفهما أن يستوثقا مما يأتيهما، فقال لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد فممن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه. -
والروايات التاريخية تضيف إلى عمر بن الخطاب وزيد في مهمة جمع القرآن - وهما من كتاب الوحي - أسماء: سالم بن معقل، وأبي بن كعب.

والمنهج الذي اتبعه زيد بن ثابت ومعاونوه في جمع القرآن قد قال عنه الدكتور هيكل: نستطيع أن نقول دون تردد: أنه اتبع طريقة التحقيق العلمي المألوفة في عهدنا الحاضر، وقد اتبع هذه الطريقة بدقة دونها كل دقة. وأتم زيد ومعاونوه جمع النص القرآني، ثم أودعت الصحف عند أبي بكر حياته، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين.

وفي عهد عثمان (رضي الله عنه) وعلى التحديد عام ثلاثين للهجرة أخذت مهمة تعليم القرآن التي كانت موكولة إلى القراء تتعرض لخطر اختلاف القراءات باختلاف القراء

المعلمين وقول كل منهم إن قراءته هي الأدق، ومضى حذيفة بن اليمان الذي كان رفيق سعيد بن العاص في فتح أذربيجان وأعلن عن تخوفه من أن يختلف الناس على القرآن، وأنه سيذهب إلى الخليفة عثمان ليعرض عليه الأمر. و مضى حذيفة إلى عثمان فأخبره بما رأى وهو يقول: أنا النذير العريان، فأدركوا الأمة.

واستجابة للنذير العريان حذيفة قرر عثمان نسخ مصحف امام فأرسل إلى حفصة يطلب منها المصحف التي كان قد نسخها أبو بكر فأرسلتها، وأمر زيداً ليقوم بالمهمة التي قام بها أيام أبي بكر، وضم إليه عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وقال لهم، إذا اختلفتم فاكتبوه بلسان قريش ففعلوا. فلما نسخوا المصحف رد عثمان إلى حفصة نسختها، وأرسل إلى كل أفق بمصحف وحرق ما سوي ذلك. وما فعله عثمان كان محل الرضى من الأمة، وكان عمل عثمان (رضي الله عنه) محل إجماع الأمة حتى قال علي (رضي الله عنه) لما قدم الكوفة فقام رجل فعاب عمل عثمان، فإذا علي يقول: اسكت، فعن ملاً منا فعل ذلك ولو وليت منه ما ولى عثمان لسلكت سبيله. دار الإفتاء بالأزهر^١.

١. تم نشر هذه المقالة في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٢٣ ص ٥٠ في ٢٤/١٢/٢٠٠٨ .

دعوى اعتراف القرآن بذنب النبي

يقول الدكتور عبد الصبور مرزوق، من علماء الأزهر: (الذين يثيرون هذه الشبهة أخذوها من فهمهم الخاطيء لقول الله تعالى في سورة: الفتح: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) الفتح: ٢.

فقالوا: كتاب محمد يعترف عليه ويصفه بأنه مذنب!!، وسيرة محمد سيد الخلق وخاتم الأنبياء (صلى الله عليه وسلم) كتاب كبير مفتوح استوفي فيه كُتَّاب سيرته كل شيء في حياته. في صحوه ونومه وفي حربه وسلمه، وفي عبادته وصلواته، في حياته مع الناس بل وفي حياته بين أهله في بيته.

ليس هذا فحسب بل إن صحابته حين كانوا يروون عنه حديثاً أو يذكرون له عملاً يصفونه (صلى الله عليه وسلم) وصفاً بالغ الدقة وبالغ التحديد لجميع التفاصيل حتى ليقول أحدهم: قال (صلى الله عليه وسلم): كذا وكان متكئاً فجلس، أو قال كذا وقد امتلاً وجهه بالسرور وهذا ما يمكن وصفه بلغة عصرنا: إنه تسجيل دقيق لحياته (صلى الله عليه وسلم) بالصوت والصورة.

ثم جاء القرآن الكريم فسجل له شمائله الكريمة فقال عنه: إنه الرحمة المهداة إلى عباد الله:

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: ١١٧.

ووصفه بأنه الرؤوف الرحيم بمن أرسل إليهم:

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) التوبة: ١٢٨.

ثم لخص القرآن مجمل شمائله (صلى الله عليه وسلم) في قوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم: ٥.

أكثر من هذا أن تكفل القرآن بإذاعة حتى ما هو من خلجات الرسول وحديث نفسه الذي بينه وبين الله مما لا يطلع الناس عليه على نحو ما جاء في سورة الأحزاب في أمر الزواج بزینب بنت جحش والذي كان القصد التشريعي فيه إبطال عادة التبني من قوله تعالى:

(وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) الأحزاب: ٣٧.

أقول: مع أن سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) هي كتاب مفتوح لم يخف التاريخ منه شيئاً بل وتدخل القرآن ليكشف حتى ما يحدث به نفسه (صلى الله عليه وسلم) مما لا يطلع عليه الناس، ولم يذكر له (صلى الله عليه وسلم) ذلّة ولا ذنب في قول أو عمل. أفبعد هذا لا يتورع ظالموه من أن يقولوا أنه (مذنب)!!!!؟: ولو كان هؤلاء الظالمون لمحمد (صلى الله عليه وسلم) على شيء من سلامة النظر وصفاء القلوب لانتبهوا إلى بقية سورة الفتح، والتي كانت كلها تنبيهاً للمؤمنين وللرسول وتبشيراً لهم بالتأييد والنصر.

لو كان محمد (صلى الله عليه وسلم) - كما ادعيتهم - من المذنبين والعاصين لكان من المستحيل أن يجعله الله تعالى ممن يؤيدهم بنوره ويتم عليهم نعمته ويهديهم صراطاً مستقيماً؛ لأن النصر يكون للصالحين لا للمذنبين. ونقف أمام الذنب في منطوق الآية:

(لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) ٢ الفتح.

فالذنب هنا ليس مما تعارف عليه الناس من الخطأ والآثام؛ لأن سنة الله تبارك وتعالى هي عصمة جميع أنبيائه وفي قمتهم خاتمهم (صلى الله عليه وسلم).

وهذا مما يعرفه ويقره ويقرره أتباع كل الرسالات إلا قتلة الأنبياء ومحرفو الكلم عن مواضعه من اليهود الذين خاضوا في رسل الله وأنبيائه بما هو معروف. فالذنب هو ما يمكن اعتباره ذنباً على مستوى مقام نبوته صلى الله عليه وسلم ذنباً مما تقدره الحكمة الإلهية - لا ما تحدده أعرف الناس. ومع هذا كله فإن سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة كانت محل تقدير قومه وإكبارهم له لما اشتهر به (صلى الله عليه وسلم) من العفة والطهر والتميز عن جميع أترابه من الشباب حتى كان معروفاً بينهم بالصادق الأمين.

أفبعد هذا لا يستحي الظالمون لمحمد (صلى الله عليه وسلم) والحاقدون عليه من أهل الكتاب أن يقولوا: إنه مذنب؟!!

(كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) الكهف: ٥. والله أعلم.

وهناك شبهة أخرى حول: حقيقة ظاهر القرآن وباطنه:

يقول: (أ.د. أحمد يوسف سليمان): أخرج الطبري في تفسيره قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي. قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد. قال: عن مغيرة، قال: عن واصل بن حيان عن ذكره، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع). أخرجه أبو يعلى في مسنده، والطحاوي في مشكل الآثار، والطبراني في الكبير والأوسط، والبغوي في تفسيره من طريق جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة، وسموا المبهم (عبد الله بن أبي الهذيل).

وعن البغوي (عن أبي هذيل). وقد ضعفه العلماء، وممن ضعفه الشيخ الألباني (رحمه الله) في ضعيف الجامع الصغير.

وأما معناه على فرض ثبوته عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فمن أحسن ما فسر به قول الشريف الرضي (رحمه الله) في كتابه: (المجازات النبوية) فقال عن ظاهر القرآن وباطنه: (الظاهر ها هنا ما قصه الله عينا في القرآن من أنباء القرون وأخبار الملوك، وما أوقعه بهم من سطواته، وأنزله بهم من نقماته، لما في أعنة الطغيان، وأبعدوا في مذاهب البغي والعدوان).

وجميع ذلك أحاديث قصها سبحانه وتعالى علينا، فهي في الظاهر إخبار منه لنا، وأما المراد بالباطن، فإنه سبحانه جعل تلك الأنبياء المقصوفة، والأمثال المضروبة، عظة ينبه بها على طريق الرشد، ويحذر معها مصارع البغي، فيتناهى عما كان السبب في إهلاك القرون الماضية، والأمم الخالية، وذلك مثل مخبر أخبرنا عن إيقاع السلطان بجماعة من الجناة، فقوم قتلهم لما قتلوا، وقوم قطعهم لما سرقوا، وقوم جلدتهم لما سكروا، فظاهر ذلك أنه إنقال (إخبار) لنا عن هذه الأفعال الواقعة من مستحقيها، والباطن أنه وعظ وتنبيه لعقولنا، أنه من أقدم منا على مثل تلك المحظورات، أنزل به مثل تلك العقوبات.

وأما الحد والمطلع فمعناه: أن لكل حرف حداً يجب على التالي أن يقف عنده،

ويتعرف مغزاه، فإنه إذا فعل ذلك أفضى به ذلك الحد إلى مطلع يشرف منه على حقيقة المعنى، وجليّة المغزى.

وكأن الوقوف عند تلك الحدود والتمهل عليها، والتثبت فيها يفضي بالإنسان إلى مطالع معرفتها، فيكون كطالع الثنية في الإشراف على ما تحتها. فالحديث - إن صح - يحث على التحصل في قراءة القرآن الكريم، والتدبر لمعانيه، تمهيداً للعمل به، والتزام توجيهاته، وصدق الله العظيم إذ يقول:

(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ الْقَمَرِ: آية ١٧. والله أعلم^{١-٢}).

١. تم نشر هذه المقالة في مجلة الصوت الآخر العدد (٢٢٤) ص ٥٠ في ٣١/١٢/٢٠٠٨، ص ٥٠.

٢. نشرت المقالة نفسها خطأ في العدد ٢٢٥ ص ٣١ في ٧/١/٢٠٠٩.

هل حرف الحجّاج القرآن الكريم؟

يقول الشيخ محمد صالح المنجد: لا يمكن أن يتطرق الشك بالنسبة للمسلم في ثبوت القرآن، فقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن فقال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر: ٩، وقد كان القرآن محفوظاً في صدور الحفاظ من الصحابة وعلى جذوع الأشجار واللخاف (الخزف) إلى زمان الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وفي حروب الردة قتل كثير من حفاظ الصحابة فخشي أبو بكر (رضي الله عنه) أن يذهب القرآن ويضيع في صدور الصحابة، فاستشار كبار الصحابة لجمع القرآن كاملاً في كتاب واحد حتى يبقى محفوظاً من الضياع، وأوكل المهمة إلى جبل الحفاظ زيد بن ثابت وغيره من كتاب الوحي فأخرج البخاري في (صحيحه) ٤٩٨٦ عن زيد بن ثابت (رضي الله عنه) قال: (أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر (رضي الله عنه) إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقرء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟! قال عمر: هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنتبج القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله؟! قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر (رضي الله عنه)، فنتبج القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه

الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر (رضي الله عنه).
وأما الحجاج فلم يباشر بنفسه كتابة المصحف، بل أمر بعض الحاذقين بذلك، وإليك
القصة كاملة: قال الشيخ الزرقاني في مناهل العرفان: والمعروف أن المصحف العثماني
لم يكن منقوفاً.

وسواء أكان هذا أم ذاك فإن إعجام - أي: تنقيط - المصاحف لم يحدث على
المشهور إلا في عهد عبد الملك بن مروان، إذ رأى أن رقعة الإسلام قد اتسعت واختلط
العرب بالعجم وكادت العجمة تمس سلامة اللغة وبدأ اللبس والإشكال في قراءة
المصاحف يلح بالناس حتى ليشق على السواد منهم أن يهتدوا إلى التمييز بين حروف
المصحف وكلماته وهي غير معجمة، فرأى بثاقب نظره ضرورة تنقيط القرآن، فأمر
الحجاج أن يُعني بهذا الأمر الجلل، وندب (الحجاج) طاعة لأمير المؤمنين رجلين
يعالجان هذا المشكل هما: نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر العدواني، وكلاهما
كفاء قدير على ما ندب له، إذ جمعا بين العلم والعمل والصلاح والورع والخبرة بأصول
اللغة ووجوه قراءة القرآن، وقد اشتركا أيضاً في التلمذة والأخذ عن أبي الأسود
الدؤلي، ويرحم الله هذين الشيخين فقد نجحا في هذه المحاولة وأعجما المصحف
الشريف لأول مرة ونقطة جميع حروفه المتشابهة، والتزما ألا تزيد النقط في أي حرف
على ثلاث، وشاع ذلك في الناس بعد فكان له أثره العظيم في إزالة الإشكال واللبس
عن المصحف الشريف.

وقيل: إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي، وإن ابن سيرين كان له مصحف
منقوط نقطه يحيى بن يعمر، ويمكن التوفيق بين هذه الأقوال بأن أبا الأسود أول من
نقط المصحف ولكن بصفة فردية، ثم تبعه ابن سيرين، وأن عبد الملك أول من نقط
المصحف، ولكن بصفة رسمية عامة ذاعت وشاعت بين الناس دفعاً للبس، والإشكال
عنهم في قراءة القرآن. (مناهل العرفان) وأما ما جاء في السؤال نقلاً عن كتاب
(المصاحف) لابن أبي داود: فأليك الرواية فيه والحكم عليها: عن عبّاد بن صهيب عن
عوف بن أبي جميلة أن الحجاج بن يوسف غير في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً،
قال:

١- كانت في البقرة: (٢٥٩) (لم يتسن وانظر) بغير هاء، فغيرها (لم يتسنه).

٢- وكانت في المائدة: (٤٨). (شريعة ومنهاجاً)، فغيرها (شريعة ومنهاجاً).

- ٣- وكانت في يونس: (٢٢) (هو الذي ينشركم)، فغيرها (يسيركم).
٤- وكانت في يوسف: (٤٥) (أنا آتيكم بتأويله)، فغيرها (أنا أنبئكم بتأويله).
٥- وكانت في الزخرف: (٣٢) (نحن قسمنا بينهم معاشهم)، فغيرها (معيشتهم)
٦- وكانت في التكوير: (٢٤) (وما هو على الغيب بظنين)، فغيرها (بضنين) .. الخ..
كتاب: المصاحف (للسجستاني (ص ٤٩).

وهذه الرواية ضعيفة جداً أو موضوعة؛ إذ فيها: عبّاد بن صهيب (وهو متروك الحديث). قال على بن المديني: ذهب حديثه، وقال البخاري والنسائي وغيرهما: متروك، وقال ابن حبان: كان قديراً داعيةً، ومع ذلك يروي أشياء إذا سمعها المبتدئ في هذه الصناعة شهد لها بالوضع، وقال الذهبي: أحد المتروكين. انظر (ميزان الاعتدال) للذهبي (٤ / ٢٨). والله أعلم^١.

١. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد (٢٢٦) ص ٥٠ في ١٤/١/٢٠٠٩ .

يارسول الله عذرا

انتهاء لسلسلة الحلقات التي مضت، وقد نافحت و دافعت فيهن عن القرآن الكريم وعن الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم)، أحب ان أهديكم أروع قصيدة قيل في الذب عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، و قد حصلت عليها اثناء تصفحي لبعض المواقع العربية سيما www.lojainiat.com والأعجب من القصيدة ذاتها، أنها تنسب إلى الشاعر المتحرر العراقي المغترب (أحمد مطر) والذي سبق من شدة احترامي لبعض من طروحاته الجريئة، أن قمت بترجمة قصائد من يافتهات القديمة إلى اللغة الكُردية، وقد طبعتها عبر ديواني الأول، فلم أكن أتصور أن يكون لشاعرنا الكريم إهتمام بمثل هذه القضايا الروحية، لذا أحببت أن اطلعكم على القصيدة من جهة، ولكي أبدي ملاحظات على ما يستحق منا ذلك، من جهة ثانية.

أولاً: القصيدة:

يا رسول الله عذرا	قالت الدنمارك كفرا
قد اساعوا حين زادوا	في رصيد الكفر فجرا
حاكها الاوياش ليلا	و استحلوا السب جهرا
حاولوا النيل و لكن	قد جنوا ذلا و خسرا
كيف للنملة ترجو	أن تطال النجم قدرا
هل يعيب الطهر قذف	ممن استرضع خمرا
دولة نصفها شاذ	ولقيط جاء عهرا
أه لو عرفوك حقا	لاستهاموا فيك دهرا
سيرة المختار نور	كيف لو يدرون سطرأ
لو دروا من أنت يوما	لاستزادوا منك عطرا

قطرة منك فيوض تستحق (العمر) شكرا
يا رسول الله نحري دون نحرك أنت أخرى
أنت في الأضلاع حي لم تمت و الناس تترا
حبك الوردي يسري في حنايا النفس نهرا
أنت لم تحتج دفاعي أنت فوق الناس ذكرا
سيد للمرسلين رحمة جاءت و بشرى
قسدوة للعالمين لو خبت لم نجن خيرا
يا رسول الله عذرا قومنا للصمت أسرى
ندد المغوار منهم يا سواد القوم سكرا
أي شيء قد دهاهم ما لهم يثنون صدرا؟
لم يعد للصمت معنا قد رأيت الصمت وزرا
ملت الأسياف غمدا ترتجي الآساد ثأرا
إن حيننا بهوان كان جوف الأرض خيرا
يألم الأحرار سب لرسول الله ظهرا
ويزيد الجرح أنسا نسكب الآلام شعرا
فمتى نقذف نارا تدحر الأوغاد دحرا
يا جموع الكفر مهلا إن بعد العسر يسرا

إن بعد العسر يسرا

ثانيا: ملاحظات:

- ١- شاعرنا كغيره من الشعراء الأقدمين والجدد يخاطب بصيغة الخطاب الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهذا من حيث العقيدة عليها وقفة، حيث كان الخطاب له (صلى الله عليه وسلم) في حياته شيئا وبعد وفاته شيء آخر، فلم يجز كثير من العلماء ذلك.
- ٢- كأسلوب شاعري وشعري في كلامه تعميم قد لا يرتضيه الكل وأنا واحد منهم، والإتهام في الأخلاق لفئة عامة من الناس، فيه نوع من التجني، لا يخفى.
- ٣- استعمال اللهجة الخشنة لدرجة التذكير بالسيف لا أراه قد وفق فيه، وإن كان

ذلك نوعاً من الأسلوب الذي اعتاده الشاعر، سيما لو إطلع أي واحد على لافتاته وقصائده الجديدة: بعنوان: (مادون اللافتات)^١.

١. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٢٧ ص ٥٠ في ٢١/١/٢٠٠٩.

بعض الأحكام المتعلقة بالانتخابات

لعل ان لا تكون من نافلة القول تخصيصنا هذه الحلقة لبعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالعمليات الانتخابية، سيما وان انتخابات المجالس البلدية في كثير من المحافظات العراقية على الأبواب، فقد ورد في جواب سؤال موجه إلى فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين عن رؤيته لأمر المشاركة في الانتخابات البلدية (السعودية)، سواء بالتسجيل أم الترشيح أم التصويت؟ ما يأتي: نظراً لأهمية هذه الانتخابات، وآثارها المنتظرة في تحسين وضع البلاد، واختيار ما له أهمية ومصحة في البلاد والعباد، فإننا نرى أهمية المشاركة في هذه الانتخابات، واختيار الأفضل من المرشحين من أهل الخبرة والمعرفة والصلاحية؛ لخدمة المشاريع البلدية، ورجاء أن يكون المرشحون من أهل الصلاح والإصلاح، والعمل فيما يكون سبباً في الاستقامة واختيار ما يناسب البلاد، واختيار الأشخاص الصالحين المصلحين، ممن يرجون الله والدار الآخرة، وينصحون لولاة الأمر وللمواطنين، فممتي تقدم أهل الخبرة وأهل المعرفة وأهل الاستقامة لاختيار من لهم صلاح ومعرفة، فإن ذلك خير في الحال وفي المآل، والله أعلم.

ومن جانب آخر يقول المستشار فيصل مولوي نائب رئيس المجلس الأوروبي للبحوث والإفتاء: الانتخابات في العصر الحاضر، هي وسيلة تعارفت عليها الشعوب لاختيار من يمثلها في شؤون الحكم وإدارة البلاد، وقد أصبحت هذه الوسيلة شائعة في أكثر البلاد الإسلامية، وإن كان يدخلها التزوير في كثير من الأحيان بنسبة تقل أو تكثر بحسب أنواع الأنظمة ومدى استبدادها بشعوبها، من الناحية الواقعية: لا بد من وجود سلطة تحكم البلاد، سواء جاءت عن طريق الانتخابات أم الانقلابات أم الوراثة أو غير ذلك.

ويقول أيضاً: وجهة النظر الشرعية فيها تنبثق من أن المسلم الذي يعيش في أي

مجتمع كان، سواء كان هذا المجتمع إسلامياً خالصاً أم غير إسلامي وفيه أقليات إسلامية، أو مجتمع مختلط تتعدد فيه الديانات، فإن واجب المسلم في كل هذه الحالات الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمساهمة الإيجابية في حل قضايا المجتمع الذي يعيش فيه حسب وجهة نظره الإسلامية..

فإذا أتاح المجتمع له أن يشارك في انتخاب نوابه فتلك فرصة لا يجوز له أن يضيعها؛ لأنها لا بد أن يكون لها دور في إزالة بعض المنكرات، أو إشاعة بعض أنواع المعروف، أو رفع الظلم عن الناس - ومنهم المسلمون -، أو إبعاد الفساد عن الدولة الذي يضر الناس جميعاً ومنهم المسلمون، وإذا تخلف المسلم عن مثل هذه المشاركة فقد قصر في القيام بواجبه الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه) والتغيير باللسان لا يعني تغييراً فعلياً، إنما يعني إنكار المنكر ومن أهم وسائل إنكار المنكر أن يتكلم به النائب عن الأمة الذي يتلقى الناس كلامه عادة بالقبول، وتنشره وسائل الإعلام على كل صعيد)^١.

ويرى الدكتور عبد الكريم زيدان وهو من فقهاء العراق، عميد كلية الحقوق في جامعة بغداد سابقاً، في بحث له بعنوان (الديمقراطية ومشاركة المسلم في الانتخابات) المقدم إلى مؤتمر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في ٢١ شوال ١٤٢٢ هـ، حول جواز انتقاء جزئية نافعة من نظام كافر: يجوز للمسلم أن يستفيد من جزئية نافعة له وإن كانت هذه الجزئية من نظام كافر، والدليل على ذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه أخذوا من نظام الكفر في قريش، جزئية (الأخذ بالجوار) بمعنى: يجوز أن يعلن الرجل الكافر ذو المكانة والنفوذ في قومه بأنه أجار فلانا، وترتيباً على هذا الإعلان تعهد المجير بالدفاع عن من أجاره، وبالتالي فإن قوم المجير وغيرهم يحترمون جواره فلا يصلون إلى من أجاره بأذى، لأن مثل هذا الصنيع يعتبر إيذاء للمجير واعتداء عليه ونقضا لعهد، وكل هذا لا يجوز في عرفهم، وفي السيرة النبوية الشريفة وسيرة أصحابه أمثلة علي أخذهم بجزئية (الجوار) ومن هذه الأمثلة ما يأتي: أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه بجوار الكفار:

١. مجلة الصوت الآخر العدد ٢٢٨ ص ٣٣ في ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٩ .

أولاً: لما رجع (صلى الله عليه وسلم) من الطائف لم يدخل مكة إلا بجوار المطعم بن عدي فقد أرسل (صلى الله عليه وسلم) عبد الله بن أريقط إلى المطعم بن عدي ليجيره، فقال المطعم: نعم، قل له فليأت، فذهب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فبات عنده تلك الليلة: فلما أصبح خرج هو وبنوه ستة أو سبعة مقلدي السيوف جميعاً فدخلوا المسجد، فاقبل أبو سفيان بن حرب إلى المطعم فقال: أمجير أم تابع فقال: مجير. فقال أبو سفيان إذا لا تخفر ذمتك، وكان ذهاب النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف ورجوعه منها بعد وفاة عمه أبي طالب.

ثانياً: وكان (صلى الله عليه وسلم) في جوار عمه أبي طالب راضياً بهذا الجوار.

ثالثاً: أراد أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الهجرة إلى الحبشة والحق بمن سبقوه من المسلمين ولكن أحد أشرف العرب وهو ابن الدغنة لحق به وأجاره ورده إلى مكة.

رابعاً: ولما رجع المهاجرون المسلمون من الحبشة إلى مكة لما بلغهم خفة إيذاء قريش للمسلمين، وتبين فيما بعد أن ما بلغهم من خفة إيذاء قريش غير صحيح لم يدخل من دخل منهم مكة إلا بجوارٍ أو مستخفياً.

خامساً: أجار العاص بن وائل السهمي عمر بن الخطاب في مكة بعد أن علمت قريش بإسلامه.

سادساً: القياس على حالة الاضطرار ومن أدلة جواز مشاركة المسلم في الانتخابات مدار الحرب إضافةً إلى ما قلناه: أن الشرع أباح للمسلم النطق بكلمة الكفر لدفع الأذى عن نفسه.

سابعاً: تحقيق المصالح ودرء المفسد ومن الأدلة أيضاً للمشاركة أنها تبني على أصل عظيم من أصول الشريعة وهو تحقيق مصالح العباد ودرء المفسد عنهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفسد وتقليلها)، وقال الإمام ابن القيم (الشريعة بناؤها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها)، ومن

الواضح أن مشاركة المسلم في الانتخاب بدار الحرب ليُنتخب من يأمل منه بإنتخابه مصلحة أو درء مفسدة له ولغيره من المسلمين المقيمين في هذه الدولة ولغيرهم في خارجها، هذه المشاركة تتفق وتنسجم مع مقصد الشريعة في تحقيق المصالح للعباد^{١-٢}.

١ . تمت الاستفادة من موقع اسلام أون لاين نيت في هذا الموضوع.
٢ . مجلة الصوت الآخر العدد ٢٢٨ ص ٣٣ في ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٩ .

المصافحة بين الجنسين... الحكم والضوابط

أرى من الواجب عليّ بين حين وآخر ان أذكر بأحكام بعض المسائل الشرعية التي عمت بهن البلوى، سيما ما يتعلق بقضايا المرأة منها، ولا أدعي لنفسني الفضل فيما أنقل أكثر من أن آتي لكم من كل بيد بحبة، راجيا المولي أن ينفعنا بما نذكرنا مانسينا، فبعد متابعة دقيقة لموضوع حبتنا اليوم وجدتني أمام بحث مفصل من قبل سماحة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، والذي يقول: قبل الدخول في البحث والمناقشة أود أن أخرج صورتين من مجال النزاع أعتقد أن حكمهما لا خلاف عليه بين متقدمي الفقهاء فيما أعلم:

الأولى: تحريم المصافحة للمرأة إذا اقترنت بها الشهوة والتلذذ الجنسي من أحد الطرفين: الرجل أو المرأة، أو خيفت فتنة من وراء ذلك في غالب الظن، وذلك أن سد الذريعة إلى الفساد واجب، ولا سيما إذا لاحت علاماته، وتهيأت أسبابه.

ومما يؤكد هذا ما ذكره العلماء أن لمس الرجل لإحدى محارمه، أو خلوته بها وهي من قسم المباح في الأصل تنتقل إلى دائرة الحرمة إذا تحركت الشهوة، أو خيفت الفتنة (انظر: الاختيار لتعليل المختار في فقه الحنفية ١٥٥/٤)، وخاصة مع مثل بنت الزوجة أو الحماة أو امرأة الأب، أو أخت الرضاع، اللائي ليس لهن في النفوس ما للأُم أو البنت أو الأخت أو العمة أو الخالة أو نحوها.

الثانية: الترخيص في مصافحة المرأة العجوز التي لا تشتهي، ومثلها البنت الصغيرة التي لا تشتهي؛ للأمن من أسباب الفتنة، وكذلك إذا كان المصافح شيخاً كبيراً لا يشتهي.

وذلك لما روي عن أبي بكر (رضي الله عنه) أنه كان يصفح العجائز، وعبد الله بن الزبير استأجر عجوزاً تمرضه، فكانت تغمره وتقلي رأسه. (المرجع السابق ص ١٥٦، ١٥٥).

ويدل لهذا ما ذكره القرآن في شأن القواعد من النساء، حيث رخص لهن في التخفف من بعض أنواع الملابس ما لم يرخص لغيرهن:

(وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) النور: ٦٠.

ومثل ذلك استثثناء غير أولي الإربة من الرجال، أي الذين لا أرب لهم في النساء، والأطفال الذين لم يظهر فيهم الشعور الجنسي لصغر سنهم من نهي المؤمنات عن إبداء الزينة:

(وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاؤِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) النور ٣١.

وما عدا هاتين الصورتين، فهو محل الكلام، وموضع البحث والحاجة إلى التمهيد والتحقيق. فالذين يوجبون على المرأة أن تغطي جميع جسمها، حتى الوجه والكفين، ولا يجعلونهما من المستثنى المذكور في قوله تعالى:

(وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) بل يجعلون ما ظهر منها الثياب الظاهرة، كالملاء والعباءة ونحو ذلك، أو ما ظهر منها بحكم الضرورة، كأن ينكشف منها شيء عند هبوب ريح شديدة أو نحو ذلك.

هؤلاء، لا عجب أن تكون المصافحة عندهم حراماً لأن الكفين إذا وجبت تغطيتهما كان النظر إليهما محرماً، وإذا كان النظر محرماً كان المس كذلك من باب أولى، لأن المس أغلظ من النظر، لأنه أقوى إثارة للشهوة، ولا مصافحة دون أن تمس البشرة البشرية.

ولكن من المعروف أن أصحاب هذا القول هم الأقلون، وجمهور الفقهاء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، يجعلون المستثنى في قوله تعالى: (إلا ما ظهر منها) الوجه والكفين.

فما الدليل عندهم على تحريم المصافحة إذا لم تكن لشهوة؟

الحقيقة أنني بحثت عن دليل مقنع منصوص عليه، فلم أعثر على ما أنشده.
وأقوى ما يستدل به هنا، هو سد الذريعة إلى الفتنة، وهذا مقبول من غير شك عند
تحرك الشهوة، أو خوف الفتنة بوجود أماراتها، ولكن عند الأمن من ذلك وهذا يتحقق
في أحيان كثيرة ما وجه التحريم؟

ومن العلماء من استدل بترك النبي (صلى الله عليه وسلم) مصافحة النساء عندما
بايعهن يوم الفتح بيعة النساء المشهورة، على ما جاء في سورة الممتحنة. ولكن من
المقرر أن ترك النبي (صلى الله عليه وسلم) لأمر من الأمور لا يدل بالضرورة على
تحريمه.. فقد يتركه لأنه حرام، وقد يتركه لأنه مكروه، أو لأنه خلاف الأولى، أو لمجرد
أنه لا يميل إليه، كتركه أكل الضب مع أنه مباح.

وإذا يكون مجرد ترك النبي (صلى الله عليه وسلم) للمصافحة، لا يحمل دليلاً على
حرمتها، ولا بد من دليل آخر لمن يقول بها.

على أن ترك مصافحته (صلى الله عليه وسلم) للنساء في المبايعة ليس موضع اتفاق،
فقد جاء عن أم عطية الأنصارية (رضي الله عنها) ما يدل على المصافحة في البيعة،
خلافاً لما صح عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) حيث أنكرت ذلك وأقسمت على
نفيه.

روى البخاري في صحيحه عن عائشة: (أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان
يمتنح من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية: يقول الله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ
وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ
فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) الممتحنة: ١٢.

قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله (صلى الله عليه
وسلم): (قد بايعتك) كلاماً ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهن
إلا بقوله: (قد بايعتك على ذلك) رواه البخاري في كتاب التفسير من صحيحه - سورة
المتحنة باب: (إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات).

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) في شرح قول عائشة (ولا والله) إلخ: فيه القسم
لتأكيد الخبر، وكأن عائشة أشارت بذلك إلى الرد على ما جاء عن أم عطية. فعند ابن
حبان، والبخاري، والطبري، وابن مردويه، من طريق إسماعيل بن عبد الرحمن عن جدته

أم عطية في قصة المبايعة، قالت: (فمد يده من خارج البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت، ثم قال: (اللهم اشهد).

وكذا الحديث الذي بعده يعني بعد الحديث المذكور في البخاري حيث قالت فيه: (فقبضت امرأة يدها) المصدر السابق، باب: (إذا جاعكم المؤمنات يبايعنك) فإنه يشعر بأنهن كن يبايعنه بأيديهن.

قال الحافظ: ويمكن الجواب عن الأول: بأن مد الأيدي من وراء الحجاب إشارة إلى وقوع المبايعة وإن لم تقع مصافحة..

وعن الثاني: بأن المراد بقبض اليد: التأخر عن القبول.. أو كانت المبايعة تقع بحائل، فقد روى أبو داود في المراسيل عن الشعبي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) حين بايع النساء أتى ببرد قطري فوضعه على يده، وقال: (لا أصافح النساء) وفي مغازي ابن إسحاق: أنه كان (صلى الله عليه وسلم) يغمس يده في إناء وتغمس المرأة يدها معه). قال الحافظ: ويحتمل التعدد، يعني أن المبايعة وقعت أكثر من مرة، منها ما لم يمسه يد امرأة قط لا بحائل ولا بغيره إنما يبايع بالكلام فقط، وهو ما أخبرت به عائشة.. ومنها ما صافح فيه النساء بحائل، وهو ما رواه الشعبي.

ومنها: الصورة التي ذكرها ابن إسحاق من الغمس في الإناء، والصورة التي يدل عليها كلام أم عطية من المصافحة المباشرة.

ومما يرجح احتمال التعدد: أن عائشة تتحدث عن بيعة المؤمنات المهاجرات بعد صلح الحديبية، أما أم عطية فتتحدث فيما يظهر عما هو أعم من ذلك وأشمل لبيعة النساء المؤمنات بصفة عامة، ومنهن أنصاريات كأُم عطية راوية الحديث.. ولهذا ترجم البخاري لحديث عائشة تحت عنوان باب: (إذا جاعكم المؤمنات مهاجرات)^١، ولحديث أم عطية باب: (إذا جاءك المؤمنات يبايعنك).

والمقصود من نقل هذا كله: أن ما اعتمد عليه الكثيرون في تحريم المصافحة من ترك النبي (صلى الله عليه وسلم) لها في بيعة النساء، ليس موضع اتفاق، كما قد يظن الذين لا يرجعون إلى المصادر الأصلية، بل فيه الخلاف الذي ذكرناه.

وقد استدل بعض العلماء المعاصرين على تحريم مصافحة المرأة بما أخرجه الطبراني والبيهقي عن معقل بن يسار عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لأن

١. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣٢٢٢٩ في ٤/٢/٢٠٠٩.

يطعن في رأس أحدكم بِمَخِيْطٍ من حديد خير من أن يمس امرأة لا تحل له)، قال المنذري في الترغيب: ورجال الطبراني ثقة رجال الصحيح. والمخيط: آلة الخياطة كالإبرة والمسلة ونحوها. ويلاحظ على الاستدلال بهذا الحديث ما يأتي:

١- أن أئمة الحديث لم يصرحوا بصحته، واكتفى مثل المنذري أو الهيثمي أن يقول: رجاله ثقات أو رجال الصحيح.. وهذه الكلمة وحدها لا تكفي لإثبات صحة الحديث لاحتمال أن يكون فيه انقطاع، أو علة خفية، ولهذا لم يخرج أحد من أصحاب الدواوين المشهورة، كما لم يستدل به أحد من الفقهاء في الأزمنة الأولى على تحريم المصافحة ونحوه.

٢- أن فقهاء الحنفية، وبعض فقهاء المالكية قالوا: إن التحريم لا يثبت إلا بدليل قطعي لا شبهة فيه، مثل القرآن الكريم والأحاديث المتواترة ومثلها المشهورة، فأما ما كان في ثبوته شبهة، فلا يفيد أكثر من الكراهة مثل أحاديث الأحاد الصحيحة. فكيف بما يشك في صحته؟!؟

٣- على فرض تسليمنا بصحة الحديث، وإمكان أخذ التحريم من مثله، أجد أن دلالة الحديث على الحكم المستدل عليه غير واضحة؛ فكلمة (يمس امرأة لا تحل له) لا تعني مجرد لمس البشرة للبشرة، بدون شهوة، كما يحدث في المصافحة العادية.. بل كلمة (المس) حسب استعمالها في النصوص الشرعية من القرآن والسنة تعني أحد أمرين:
أ: أنها كناية عن الصلة الجنسية (الجماع) كما جاء ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (أو لامستم النساء) أنه قال: اللمس واللامسة والمس في القرآن كناية عن الجماع.. واستقراء الآيات التي جاء فيها المس يدل على ذلك بجلاء، كقوله تعالى على لسان مريم:

(قَالَتْ رَبِّ أَنِّي بَكُونُ لِي وُلْدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) آل عمران: ٤٧.

(وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) البقرة: ٢٣٧.

وفي الحديث أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يدنو من نسائه من غير مسيس).
ب: أنها تعني ما دون الجماع من القبلة والعناق والمباشرة ونحو ذلك مما هو مقدمات

الجماع، وهذا ما جاء عن بعض السلف في تفسير الملامسة: قال الحاكم في كتاب (الطهارة) من (المستدرك على الصحيحين).

(قد اتفق البخاري ومسلم على إخراج أحاديث متفرقة في المسندين الصحيحين يستدل بها على أن اللمس ما دون الجماع.

أ - منها: حديث أبي هريرة: (فألبد زناها اللمس...).

ب - وحديث ابن عباس: (لعلك مسست).

ج - وحديث ابن مسعود: (وأقم الصلاة طرفي النهار...) (يشير إلى ما رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن مسعود، وفي بعض رواياته: (أن رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فذكر أنه أصاب من امرأة، إما قبلة أو مساً بيده، أو شيئاً.

كأنه يسأل عن كفارتها، فأنزل الله عز وجل.. يعني آية: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) هود: ١١٤) رواه مسلم بهذا اللفظ في كتاب التوبة برقم ٤٠.

قال: وقد بقي عليهما أحاديث صحيحة في التفسير وغيره.. وذكر منها:

د - عن عائشة قالت: (قَلَّ يَوْمٌ، إِلَّا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يطوف علينا جميعاً تعني نساءه فيقبل ويلمس ما دون الوقاع، فإذا جاء إلى التي هي يومها ثبت عندها).

هـ - وعن عبد الله بن مسعود قال: (أو لامستم النساء) هو ما دون الجماع وفيه (الوضوء).

و - وعن عمر قال: (إن القبلة من اللمس فتوضأ منها) انظر المستدرك ١/١٣٥.

ومن هنا كان مذهب مالك، وظاهر مذهب أحمد: أن لمس المرأة الذي ينقض الوضوء هو ما كان بشهوة، وبه فسروا قوله تعالى: (أو لامستم النساء) وفي القراءة الأخرى: (أو لامستم النساء).

ولهذا ضعف شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه قول من فسروا الملامسة أو اللمس في الآية بمجرد مس البشرة البشرية ولو بلا شهوة. ومما قاله في ذلك: (فأما تعليق النقض بمجرد اللمس، فهذا خلاف الأصول، وخلاف إجماع الصحابة وخلاف الآثار، وليس مع قائله نص ولا قياس.

فإن كان اللمس في قوله تعالى: (أو لامستم النساء) إذا أريد به اللمس باليد والقبلة ونحو ذلك كما قاله ابن عمر وغيره فقد علم أنه حيث ذكر ذلك في الكتاب والسنة، فإنما يراد به ما كان لشهوة، مثل قوله في آية الاعتكاف:
(وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) ١٨٧ البقرة، ومباشرة المعتكف لغير شهوة لا تحرم عليه، بخلاف المباشرة لشهوة.

وكذلك قوله: (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) وقوله: (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن)، فإنه لو مسها مسيساً خالياً من غير شهوة لم يجب به عدة، ولا يستقر به مهر، ولا تنتشر به حرمة المصاهرة باتفاق العلماء^١، فمن زعم أن قوله: (أو لامستم النساء) يتناول اللمس وإن لم يكن لشهوة فقد خرج عن اللغة التي جاء بها القرآن، بل وعن لغة الناس في عرفهم، فإنه إذا ذكر المس الذي يقرب فيه بين الرجل والمرأة علم أنه مس الشهوة، كما أنه إذا ذكر الوطء المقرون بين الرجل والمرأة، علم أنه الوطء بالفرج لا بالقدم). ١. هـ (انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، ط الرياض ٢١/٢٢٣، ٢٢٤).

وذكر ابن تيمية في موضع آخر: أن الصحابة تنازعوا في قوله تعالى: (أو لامستم النساء) فكان ابن عباس وطائفة يقولون: الجماع، ويقولون: الله حيي كريم، يُكْنَى بما شاء عما شاء.

قال: وهذا أصح القولين.

وقد تنازع العرب والموالي في معنى اللمس: هل المراد به الجماع أو ما دونه؟ فقالت العرب: هو الجماع، وقالت الموالي: هو ما دونه، وتحاكموا إلى ابن عباس فصوب العرب، وخطأ الموالي. (انظر المرجع السابق).

والمقصود من نقل هذا الكلام كله أن نعلم أن كلمة (المس) أو (اللمس) حين تستعمل من الرجل للمرأة، لا يراد بها مجرد وضع البشيرة على البشيرة، بل المراد بها إما الجماع، وإما مقدماته من التقبيل والعناق، ونحو ذلك من كل مس تصحبه الشهوة والتلذذ. على أننا لو نظرنا في صحيح المنقول عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لوجدنا ما يدل على أن مجرد لمس اليد لليد بين الرجل والمرأة بلا شهوة ولا خشية فتنة، غير ممنوع في نفسه، بل قد فعله النبي (صلى الله عليه وسلم) والأصل في فعله أنه

٢. مجلة الصوت الآخر العدد ٢٣٠ ص ٣٣ في ١١/٢/٢٠٠٩.

للتشريع والافتداء: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الأحزاب: ٢١.
فقد روى البخاري في كتاب (الأدب) من صحيحه عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)
قال: (إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة، لتأخذ بيد رسول الله (صلى الله عليه
وسلم)، فتنتلق به حيث شاعت).

وفي رواية للإمام أحمد عن أنس أيضاً قال: (إن كانت الوليدة يعني الأمة من ولأند
أهل المدينة لتجيء، فتأخذ بيد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فما ينزع يده من يدها
حتى تذهب به حيث شاعت).

وأخرجه ابن ماجة أيضاً. قال الحافظ في الفتح: (والمقصود من الأخذ باليد لازمه،
وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع، لذكره المرأة دون
الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمم بلفظ (الإماء) أي أمة كانت، وبقوله (حيث
شاعت) أي مكان من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو
كانت حاجتها خارج المدينة، والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعد على ذلك.
وهذا دليل على مزيد تواضعه وبراعته من جميع أنواع الكبر (صلى الله عليه وسلم).
(فتح الباري ج ١٣).

وما ذكره الحافظ (رحمه الله) مسلم في جملته، ولكن صرفه معنى الأخذ باليد عن
ظاهره إلى لازمه وهو الرفق والانقياد غير مسلم؛ لأن الظاهر واللازم مرادان معاً..
والأصل في الكلام أن يحمل على ظاهره، إلا أن يوجد دليل أو قرينة معينة تصرفه عن
هذا الظاهر، ولا أرى هنا ما يمنع ذلك.. بل إن رواية الإمام أحمد، وفيها: (فما ينزع
يده من يدها حتى تذهب به حيث شاعت)، لتدل بوضوح على أن الظاهر هو المراد، وأن
من التكلف والاعتساف الخروج عنه. وأكثر من ذلك وأبلغ ما جاء في الصحيحين
والسنن عن أنس أيضاً (أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال من القيلولة عند خالته
خالة أنس أم حرام بنت ملحان زوج عبادة بن الصامت، ونام عندها، واضعاً رأسه
في حجرها وجعلت تفتلي رأسه...) إلخ ما جاء في الحديث.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن حجر في بيان ما يؤخذ من الحديث، قال: (وفيه جواز
قائلة الضيف في غير بيته بشرطه كالإذن وأمن الفتنة..، وجواز خدمة المرأة الأجنبية
للضيف بإطعامه والتمهيد له ونحو ذلك. وفيه خدمة المرأة الضيف بتفلية رأسه وقد
أشكل هذا على جماعة، فقال ابن عبد البر: أظن أن أم حرام أرضعت رسول الله

(صلى الله عليه وسلم)، أو أختها أم سليم، فصارت كل منهما أمه أو خالته من الرضاعة، فلذلك كان ينام عندها، وتنال منه ما يجوز للمحرم أن يناله من محارمه.. ثم ساق بسنده ما يدل على أن أم حرام كانت منه ذات محرم من قبل خالاته، لأن أم عبدالمطلب جده كانت من بني النجار... إلخ. وقال غيره: بل كان النبي (صلى الله عليه وسلم) معصوماً، يملك إربه عن زوجته فكيف عن غيرها مما هو المنزه عنه؟ وهو المبرأ عن كل فعل قبيح، وقول رفث، فيكون ذلك من خصائصه^٢، ورد ذلك القاضي عياض بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال، وثبتت العصمة مسلم لكن الأصل عدم الخصوصية، وجواز الاقتداء به في أفعاله، حتى يقوم على الخصوصية دليل. وبالغ الحافظ الدمياطي في الرد على من قال بالاحتمال الأول، وهو ادعاء المحرمية، فقال: ذهل كل من زعم أن أم حرام إحدى خالات النبي (صلى الله عليه وسلم) من الرضاعة أو من النسب، واللآتي أروضعنه معلومات، ليس فيهن أحد من الأنصار ألبتة، سوى أم عبد المطلب، وهي سلمى بنت عمرو بن زيد بن ليبيد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وأم حرام هي بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر المذكور.. فلا تجتمع أم حرام وسلمى إلا في عامر بن غنم جدهما الأعلى.. وهذه خنولة لا تثبت بها محرمة، لأنها خنولة مجازية، وهي كقوله (صلى الله عليه وسلم) لسعد بن أبي وقاص: (هذا خالي)، لكونه من بني زهرة، وهم أقارب أمه أمنة، وليس سعد أخاً لأمنة، لا من النسب، ولا من الرضاعة، ثم قال: وإذا تقرر هذا فقد ثبت في الصحيح: أنه (صلى الله عليه وسلم) كان لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه، إلا على أم سليم، فقليل له أي سئل في ذلك فقال: (أرحمها، قتل أخوها معي). يعني حرام بن ملحان.. وكان قد قتل يوم بئر معونة. وإذا كان هذا الحديث قد خص أم سليم بالاستثناء، فمثله أم حرام المذكورة هنا.. فهما أختان وكانتا في دار واحدة، كل واحدة منهما في بيت من تلك الدار، وحرام بن ملحان أخوهما معاً، فالعلة مشتركة فيهما كما ذكر الحافظ ابن حجر.

وقد يضاف إلى العلة المذكورة أن أم سليم هي أم أنس خادم النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقد جرت العادة بمخالطة المخدوم خادمه، وأهل خادمه، ورفع الحشمة التي تقع بين الأجانب عنهم.

ثم قال الدمياطي: على أنه ليس في الحديث ما يدل على الخلوة بأم حرام، ولعل ذلك

٢. مجلة الصوت الآخر العدد ٢٣١، ص ٣٣ في ١٨/٢/٢٠٠٩.

كان مع ولد، أو خادم، أو زوج، أو تابع. قال ابن حجر: وهو احتمال قوي، لكنه لا يدفع الإشكال من أصله، لبقاء الملامسة في تغطية الرأس، وكذا النوم في الحجر. قال الحافظ: وأحسن الأجوبة دعوى الخصوصية، ولا يردها كونها لا تثبت إلا بدليل لأن الدليل على ذلك واضح) انظر: فتح الباري ١٣/٢٣٠، ٢٣١ بتصرف).

ولا أدري أين هذا الدليل، غامضاً كان أم واضحاً؟.

والذي يطمئن إليه القلب من هذه الروايات أن مجرد الملامسة ليس حراماً.. فإذا وجدت أسباب الخلطة كما كان بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وأم حرام وأم سليم، وأمنت الفتنة من الجانبين، فلا بأس بالمصافحة عند الحاجة كمثّل القادم من سفر، والقريب إذا زار قريبة له أو زارته، من غير محارمه، كابنة الخال، أو ابنة الخالة، أو ابنة العم، أو ابنة العمّة أو امرأة العم، أو امرأة الخال أو نحو ذلك، وخصوصاً إذا كان اللقاء بعد طول غياب. والذي أحب أن أؤكد في ختام هذا البحث أمران:

الأول: أن المصافحة إنما تجوز عند عدم الشهوة، وأمن الفتنة، فإذا خيفت الفتنة على أحد الطرفين، أو وجدت الشهوة والتلذذ من أحدهما حرمت المصافحة بلا شك.

بل لو فقد هذان الشرطان عدم الشهوة وأمن الفتنة بين الرجل ومحارمه مثل خالته، أو عمته، أو أخته من الرضاع، أو بنت امرأته، أو زوجة أبيه، أو أم امرأته، أو غير ذلك، لكانت المصافحة حينئذ حراماً بل لو فقد الشرطان بين الرجل وبين صبي أمرد، حرمت مصافحته أيضاً.. وربما كان في بعض البيئات، ولدي بعض الناس، أشد خطراً من الأنثى.

الثاني: ينبغي الاقتصار في المصافحة على موضع الحاجة، مثل ما يكون بين الأقارب والأصهار الذين بينهم خلطة وصلّة قوية، ولا يحسن التوسع في ذلك، سداً للذريعة، وبعداً عن الشبهة، وأخذاً بالأحوط، واقتداءً بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، الذي لم يثبت عنه أنه صافح امرأة أجنبية قط.

وأفضل للمسلم المتدين، والمسلمة المتدينة ألا يبدأ أحدهما بالمصافحة، ولكن إذا صوفح صافح. وإنما قررنا الحكم ليعمل به من يحتاج إليه دون أن يشعر أنه فرط في دينه، ولا ينكر عليه من رآه يفعل ذلك ما دام أمراً قابلاً للاجتهاد. والله أعلم^{٤-٥}.

٤. تم نشر هذه المقالة في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٣٢ ص ٣٣ في ٢٥/٢/٢٠٠٩ .

٥. تم الاستفادة من موقع اسلام أون لاين نيت في هذا الموضوع.

ثقافة التسامح عند المسلمين

ليست هذه المرة الأولى ولن تكون الأخيرة وأنا أكتب عن ثقافة التسامح لدى المسلمين، والذي حرضني أكثر أن أعود الكرة مرة أخرى، تلكم الجهود التي تبذل وتلكم المؤتمرات التي تنعقد هنا في كردستان، حول التعايش السلمي والبحث عن السلام سواء بين مثقفي الكرد أم مثقفي تركيا كالذي حدث في ١٥ و١٦ من شهر شباط هنا في (هولير) عاصمة إقليم كردستان، أو الذي يتجدد دائماً عبر القنوات والكتابات عن التسامح الديني الذي يتحلى به الكردستانيون منذ القدم، أو الجولات المكوكية التي يقوم بها كل من السيد الرئيس (مسعود بارزاني) أو الأخ (نيجيرقان) رئيس حكومة كردستان، وكل ذلك بغية إيصال صوت الكرد الى العالم الخارجي مرة وإقناع الآخرين ليجعلوا من كردستان بلادهم الثاني مرة أخرى، لكي نتعاون جميعاً في رقي وتقدم البلاد والعباد، أحببت أن أذكر بذات و ماهية الثقافة التسامحية لدينا نحن الكرد ذوالأغلبية المسلمة، و كما عودناكم دائماً، نحن نعتبر كل حكمة نجدها في مكان وعلى لسان وبقلم من يكون، نجدنا أحق بها وأهلها، (فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو احق بها).

أثناء إطلاعي على موقع (لها أون لاين) وجدت بحثاً ثرياً للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي فاحببت ان اختصره واقدمه لكم: يقول الشيخ: (فقد بين اولا مصدر الثقافة التسامحية لدى المسلمين وذكر بأن مصادر ثقافة التسامح لدى المسلم كثيرة وأصيلية.

وأعظمها بلا ريب هو: القرآن الكريم؛ الذي أسس أصول التسامح، ورسخها في سوره المكية والمدنية، بأساليبه البيانية المعجزة، التي تخاطب الكيان الإنساني كله، فتقنع العقل، وتمتع العاطفة، وتحرك الإرادة.

وسيرى القارئ الكريم أن الدعائم الشرعية والمنطقية التي سنعتمد عليها في الدعوة إلى التسامح وإشاعته وتثبيتته: مستمدة من القرآن أساساً.

ولفت النظر إلى ضرورة الاستئناس بأقوال أئمة الأمة وفقهائها وعلمائها الراسخين الذين هم ورثة النبوة، بعد القرآن والسنة الشارحة، وحملة علمها، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. وذكر ومن مصادر ثقافة التسامح لدى المسلم: الواقع التاريخي لأن الإسلام، بهذا التاريخ قام على التسامح مع المخالفين، لم يخالف في ذلك خليفة أو سلطان، أو قائد، أو وزير في المشرق والمغرب، في خلافة بني أمية، أو بني العباس، أو بني عثمان.

ولقد شهد بذلك مؤرخون منصفون من الغربيين وغيرهم، ونقلنا ذلك عنهم في أكثر من كتاب لنا، منهم تومس أرنولد، وغستاف لوبون، وغيرهما.

الخصائص: وأشار أن لثقافة التسامح الإسلامي خصائص متعددة، بيد أن هناك خصيصة مهمة، وهي: أن صبغتها الدينية، ومصدرها الرباني، وانبثاقها أصلاً من الأوامر الإلهية، والتوجهات النبوية: تجعل لها سلطة على المسلمين، نابعة من قلوبهم وضمائرهم، يذعنون لها، ويحرصون على تنفيذ أحكامها، بدافع من إيمانهم، وخشية لربهم.

وفرق بين سلطة القوانين الوضعية التي يحاول كثير من الأفراد التحلل منها، والتحايل على أحكامها، وبين الأحكام الإلهية، التي بشر المؤمنون بها: أنهم باحترامها وإتباعها، يكسبون رضوان الله تعالى، ومثوبة في الآخرة، وسكينة النفس، وراحة الضمير في الدنيا، كما قال تعالى:

(مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) النحل: ٩٧.

الركائز العقديّة والفكرية: وفي ذلك قال الدكتور القرضاوي أنها مبنية على إقرار التعددية والاختلاف واليقين، أن حساب المختلفين مرهون بالحساب يوم القيامة واعتبار البشرية كلها أسرة واحدة وفي ذلك قال القرضاوي أن رسول الإسلام أعلن هذه الحقيقة - وحدة الأسرة البشرية - أمام الجموع الحاشدة في حجة الوداع، قائلاً: (يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لأدم، وأدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

وهو تقرير وتأكيد لما جاء في الآية الكريمة من سورة الحجرات:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّفَاقُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات: ١٣).

فالمراد بالذكر - حسب ما قاله الدكتور القرضاوي - الأنتي كما دل على ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية. وأضاف أن القرآن أثبت ذلك وأكد أن هناك أخوة دينية بين أهل الإيمان أو أهل الدين الواحد، كما قال تعالى:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات: من الآية ١٠).

(فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) آل عمران: من الآية ١٠٣.

كما أثبت أن هناك أخوة قومية ووطنية، كالتي أثبتتها بين الرسل وأقوامهم المكذبين لهم:

(وَالْيَاقَانُ إِخْوَةٌ يَتَّبِعُ النَّبِيَّ إِنْ هُوَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِمْ إِذْ هُمْ يُقَاتِلُ الْكُفْرَانَ كَحَبَشَةَ إِخْوَتِهِمْ) (سورة التوبة: من الآية ٦٥).

(إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا) (النمل: من الآية ٤٥).

والأخوة هنا قطعاً ليست دينية، وإنما هي أخوة قومية، ولهذا كان يبدأ كل رسول من هؤلاء نداءه بقوله: (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) (الأعراف: من الآية ٥٩)١.

فلا غرو أن يكون هناك أخوة إنسانية آدمية بحكم الانتساب إلى آدم أبي البشر، ومن هنا نودوا جميعاً بقوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ) في القرآن خمس مرات.

تكريم الإنسان لإنسانيته: حول هذا العنوان وضع الدكتور القرضاوي أن الإسلام أعتنى بتكريم الإنسان من حيث هو إنسان، بغض النظر عن لون بشرته أو لون عينيته، أو صبغة شعره، أو شكل أنفه أو وجهه، أو بالنظر إلى لغته أو إقليمه الذي يعيش فيه، أو عرقه الذي ينتمي إليه، أو طبقته الاجتماعية التي ينتسب - أو ينسبها الناس - إليها، أو حتى دينه الذي يعتنقه ويؤمن به.

مضيفاً أن الأدمية هي أساس التكريم في نظر القرآن، كما قال تعالى:

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء: ٧٠).

وقال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (التين: ٤).

وقال سبحانه: (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (الرحمن: ١-٤).

وقال في أول ما نزل من القرآن: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق: ٣-٥).

١. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٣٣ في ٤ مارس ٢٠٠٩ ص ٣٣.

وقال عز وجل: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) البقرة: ٣٠.

وأشار أن القرآن عقد مسابقة بين آدم والملائكة، ظهر فيها فضل آدم أبي البشر على الملائكة الكرام.

ومن ثم أمر الإسلام باحترام الإنسان، فلا يجوز أن يؤذي في حضرته، أو يهان في غيبته، حتى بكلمة يكرهها لو سمعها، ولو كانت حقيقة في نفسها، ولكنها تؤذي، وحتى بعد موته لا يذكر إلا بخير، ولا يجوز أن تمتهن حرمة جسده حيا أو ميتا، حتى جاء في الحديث: (كسر عظم الميت ككسر عظم الحي).

ويستطرد ومن الأحاديث الصحيحة التي لها دلالة: ما رواه الشيخان أن النبي صلى الله عليه وسلم مروا عليه بجنائز، فقام لها واقفا، إكراما للميت، فقال له الصحابة: يا رسول الله؛ إنها جنازة يهودي! (يريدون أنها لليهودي أي أنها ليست جنازة مسلم) فقال عليه صلى الله عليه وسلم - وما أروع ما قال - : (أليست نفسا؟!).

البر والقسط للمسلمين من غير المسلمين: ويضيف والإسلام يضع عددا من الركائز خاصة بالتعامل بالبر والقسط مع المسلمين من غير المسلمين، وهو ما سجلته في أول كتاب لي دخلت به ميدان التأليف العلمي، وهو كتاب (الحلال والحرام في الإسلام) منذ ما يقرب من نصف قرن من الزمان. ويضيف ذكرت في فصل (علاقة المسلم بغير المسلم) ما يأتي: إذا أردنا أن نجمل تعليمات الإسلام في معاملة المخالفين له - في ضوء ما يحل وما يحرم- فحسبنا آيتان من كتاب الله، جديرتان أن تكونا دستورا جامعا في هذا الشأن. وهما قوله تعالى:

(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) سورة الممتحنة: ٨، ٩.

العداوات بين الناس ليست أمرا دائما: وفي ذلك يضيف الدكتور القرضاوي أن الإسلام أرسى هذه العقيدة لدى المسلمين وعلمهم إياها، وغرسها في عقولهم وضمائرهم وهي أن الناس قد يعادي بعضهم بعضا، لأسباب مختلفة، دينية أو دنيوية،

ولكن هذه العداوات - على حق كان أو على باطل - لا تدوم أبد الدهر، فالقلوب تتغير، والأحوال تتبدل، وعدو الأمس قد يصبح صديق اليوم، وبعيد اليوم قد يصبح قريب الغد، وهذه قاعدة مهمة في علاقات الناس بعضهم ببعض، فلا ينبغي أن يسرفوا في العداوة، حتى لا يبقوا للصلح موضعاً، وهذا ما نبه إليه القرآن بوضوح بعد نهيهِ عن موالاة أعداء الله وأعداء المسلمين في أول سورة الممتحنة، وضرب مثلاً بصلافة إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم:

(إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ) الممتحنة: ٤. بعد هذا قال تعالى: (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) الممتحنة: ٧.

الدعوة إلى الحوار والتي هي أحسن: ويقول الدكتور القرضاوي أن الإسلام دعا إلى حوار المخالفين بالحسنى، وذلك في قوله تعالى:

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) النحل: ١٢٥.

فالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة - غالباً - مع الموافقين، والجدال والتي هي أحسن - غالباً - مع المخالفين.

فالمسلمون مأمورون من ربهم أن يجادلوا مخالفهم، بالطريقة التي هي أحسن الطرق، أمثلها وأقرب إلى القبول من المخالف^٢.

وفي ذلك يأتي الجدال والتي هي أحسن، مضيافاً أن الحوار الذي ندعو إليه مع المخالفين لنا، هو الذي لا يسعى إلى إيغار الصدور، أو المباعدة بين القلوب، وإثارة ما يشعل الفتنة، أو يورث الضغينة، بل يعمل على تقريب القلوب بعضها من بعض، كما قال تعالى في مجادلة أهل الكتاب:

(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهِنَا وَالْهَيْمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) العنكبوت: ٤٦.

فالآية تركز على الجوامع المشتركة التي يؤمن بها الفريقان، لا على نقاط التمايز والاختلاف، وهذا من أصول الحوار بالحسنى.

٢. إلى هنا تم نشرها في: القسم الثاني منه في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٤ ص ٣٣ في ١١/٣/٢٠٠٩.

وبهذا يرى الإسلام ضرورة الحوار بين المتخالفين، ولا يري حتمية الصراع بينهم، كما ادعى الكاتب الاستراتيجي الأمريكي (صمويل هانتجتون).

ويشير إلى أن الحوار الإسلامي المسيحي بدأ منذ حوالي أربعين سنة، ولم يزل مستمرا إلى عهد قريب، وقد شاركت في أكثر من مؤتمر لهذا الحوار، منها: مؤتمر القمة الإسلامية المسيحية في روما (أكتوبر ٢٠٠١) التي دعت إليها جمعية (سانت جديو) وقد شارك فيه كبار الكرادلة، وكبار علماء المسلمين. والقمة الإسلامية المسيحية في برشلونة (٢٠٠٣م) ومؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي مع الكنائس الشرقية خاصة في القاهرة.

ولكن بعد كلمات بابا الفاتيكان (بنديكت السادس عشر) في محاضراته بألمانيا (١٢ سبتمبر ٢٠٠٦) التي أساء إلى الإسلام ونبهه وعقيدته وشريعته وحضارته: توقف الحوار بيننا وبين القوم؛ حتى يظهر موقف آخر يمحو الأذى السابق.

أعلى درجات التسامح عند المسلمين وحدهم: ويرى الدكتور القرضاوي أن المسلمين يتمتعون بأعلى درجات التسامح مع غيرهم وبخاصة التسامح الديني والفكري والذي له درجات ومراتب، فالدرجة الدنيا من التسامح أن تدع لمخالفك حرية دينه وعقيدته، ولا تجبره بالقوة على اعتناق دينك أو مذهبك، بحيث إذا أبى حكمت عليه بالموت أو العذاب أو المصادرة أو النفي أو غير ذلك من ألوان العقوبات والاضطهادات التي يقوم بها المتعصبون ضد مخالفيهم في عقائدهم..

فتدع له حرية الاعتقاد، ولكن لا تمكنه من ممارسة واجباته الدينية التي تفرضها عليه عقيدته، والامتناع مما يعتقد تحريمه عليه.

والدرجة الوسطى من التسامح: أن تدع له حق الاعتقاد بما يراه من ديانة ومذهب ثم لا تضيق عليه بترك أمر يعتقد وجوبه أو فعل أمر يعتقد حرمة.

فإذا كان اليهودي يعتقد حرمة العمل يوم السبت فلا يجوز أن يكلف بعمل في هذا اليوم. لأنه لا يفعله إلا وهو يشعر بمخالفة دينه.

وإذا كان النصراني يعتقد بوجوب الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد فلا يجوز أن يمنع من ذلك في هذا اليوم.

والدرجة التي تعلو هذه في التسامح: ألا تضيق على المخالفين فيما يعتقدون حله في دينهم أو مذهبهم. وإن كنت تعتقد أنه حرام في دينك أو مذهبك.

وهذا ما كان عليه المسلمون مع المخالفين من أهل الذمة.

إذ ارتفعوا إلى الدرجة العليا من التسامح.

فقد التزموا كل ما يعتقد غير المسلم أنه حلال في دينه، ووسعوا له في ذلك، ولم يضيّقوا عليه بالمنع والتحرّيم. وكان يمكنهم أن يحرموا ذلك مراعاة لشريعة الدولة ودينها ولا يتهموا بكثير من التعصب أو القليل، ذلك لأن الشيء الذي يحله دين من الديانات ليس فرضاً على أتباعه أن يفعلوه. فإذا كان دين المجوسي يبيح له الزواج من أمه أو أخته فيمكنه أن يتزوج من غيرهما ولا حرج.

وإذا كان دين النصراني يحل له أكل الخنزير، فإنه يستطيع أن يعيش عمره دون أن يأكل الخنزير، وفي لحوم البقر والغنم والطير متسع له.

ومثل ذلك الخمر، فإذا كانت بعض الكتب المسيحية قد جاءت بإباحتها أو إباحتها القليل منها لإصلاح المعدة، فليس من فرائض المسيحية أن يشرب المسيحي الخمر.

فلو أن الإسلام قال للذميين: دعوا زواج المحارم، وشرب الخمر، وأكل الخنازير، مراعاة لشعور إخوانكم المسلمين، لم يكن عليهم في ذلك أي حرج ديني، لأنهم إذا تركوا هذه الأشياء لم يرتكبوا في دينهم منكراً، ولا أخلوا بواجب مقدس.

ومع هذا لم يقل الإسلام ذلك، ولم يشأ أن يضيّق على غير المسلمين في أمر يعتقدون حله، وقال للمسلمين: اتركوهم وما يدينون.

روح التسامح عند المسلمين: تحت هذا العنوان أنهى الدكتور يوسف القرضاوي بحثه موضحاً أن المسلمين أكثر الذين أخذوا ب (روح السماحة) التي تبدو في حُسن المعاشرة، ولطف المعاملة، ورعاية الجوار، وسعة المشاعر الإنسانية من البر والرحمة والإحسان. وهي الأمور التي تحتاج إليها الحياة اليومية، ولا يغني فيها قانون ولا قضاء. وهذه الروح لا تكاد توجد في غير المجتمع الإسلامي.

تتجلى هذه السماحة في مثل قول القرآن في شأن الوالدين المشركين اللذين يحاولان إخراج ابنهما من التوحيد إلى الشرك:

(وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) لقمان: ١٥^{٣-٤}.

٣. وتم نشر القسم الأخير منها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٣ ص ٣٣ في ١٨/٣/٢٠٠٩ .

٤. أنظر: موقع: لها أون لاين.

نوروز الكُرد والضرب على الأوتار البالية

حل الربيع وتحلت معها جبال وأودية وأراضي كُردستان بحل الورود والألوان الطبيعية الزاهية:

(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) (٨٨ النمل).

جاء فصل التخلص من الشتاء القارص والبدء بفصل النشوة والتفتح على الطبيعة بكل جمالياتها الكُردستانية، لذا تجد الناس يجتمعون في مساء ٢٠ آذار كل سنة ليبدؤا مع حلول الليل والدخول في السنة الكُردية الجديدة، بإشعال النار كرمز ودليل على الانتصار والبدء بالسنة الكُردية الجديدة وحلول فصل الربيع، ولكن منذ القدم واجهنا نحن الكُرد الذين يتشبثون بكل شئ ليمنعوننا من فرحتنا ابتداء من التكفير وانتهاء بالقتل والزج في السجون، وفي سنتنا هذه أيضا وجدنا المغفلين الحاقدين من أعداء الكُرد عادوا مرة أخرى ليضربوا على الأوتار البالية القديمة، فتطوع بعض الخطباء وأصحاب بعض الأقلام المأجورة لإتهامنا بالمجوسية وعبادة النار، فكان لزاما على ان أذكر ببعض ماورد على السنة المنصفين الأقدمين والمعاصرين في ذلك، وقد استفدت بالدرجة الأولى من البحث المقدم من قبل الاستاذ (عبدالرحمن صديق)، تحت عنوان (نوروز عيد قومي لشعب كُردستان) وقد نشره في: (الاصدار الخامس من إصدارات المنتدى الفكري في كُردستان، ضمن البحوث المقدمة للمؤتمر الفكري الأول، لمنتدى الفكر الإسلامي في كُردستان، المنعقد في أربيل للفترة من ٢٦ - ٢٨/٢/٢٠٠٧) ص (٢٣٤ - ٢٣٧)، وجاء فيه: بالنظر إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي يرويهِ كل من الامام البخاري ومسلم (ان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا) يتبادر إلى ذهن البعض، ان هذا يدل على تحريم غير العيدين الفطر والأضحى ولكن بعد العودة إلى المراجع والمصادر التي قام اصحابها بشرح الحديث نجد مثل ابن حجر العسقلاني في كتابه

(فتح الباري) ويدر الدين العيني في كتابه (عمدة القاري) وابن حجر القسطلاني في كتابه (ارشاد الساري)، يقولون: (في قوله هذا عيدنا: وهو يوم الاضحى)، مما يدل على أن تلك العبارة فيها التحديد للعيد الديني وليس الحديث عن أعياد الأمم، ويقول الدكتور: (عبد الكريم حمادي الديان) في مجلة (التربية الاسلامية)، في جواب سؤال: (أما تسميته عيداً، فليست حراماً ولا مكروهة، إلا إذا اعتقدوا، أن ذلك اليوم عيد وضعه الشارع). ويقول شيخ الاسلام (ابن تيمية) في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم)، حول كلمة العيد الواردة في الحديث (العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد، أما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، أو نحو ذلك). ثم يستدل على عدم تحميمية الإحتفاء بالنوروز بما جاء في كتاب (التراتب الإدارية أو نظام الحكومة النبوية) لـ (عبد الحي الكتاني)، فقد ورد فيه مانصه: (جاء إلى على بفالوزج، فأكل منه، وقال: ما هذا؟، قالوا: نور لنوروز، فقال نوروزنا في كل يوم).

ويقول الإمام البيروني، كما جاء في ص ٢١٦ و ٢١٧ في كتاب (الآثار الباقية): (ان الملك اجتمعوا في عهد هشام بن عبد الملك الأموي، وشكوا إلى عامله خالد بن عبدالله القسري وشرحوا له ما يجدونه من الصعاب وسألوه أن يؤخر (النوروز) شهراً، فأبى)، حيث كانت السنة المالية عندهم تبدأ بالنوروز، فلما لم يلب طلبهم بدأوا بإستئجار البعض لإصدار الفتاوى الرخيصة، في تكفير من يحتفي بنوروز! ويقول الدكتور (حسن إبراهيم حسن) في ص ٣٥٥ من كتاب (تأريخ الاسلام):

(لأن التقويم الجديد، قدم يوم نوروز، فكان يجيء، والزرع اخضر، في الوقت الذي يجب أن يدفع فيه الضرائب). وفي المجلد الثاني من ذات المصدر يقول: (أصبحت من أهم أعيادهم، الرسمية، في العصر العباسي الأول).

وفي ص ٣٥٤ جاء ايضاً: (وكان الخلفاء يحتفلون بالعيدين، احتفالاً دينياً، فيؤمّنون الناس في الصلاة، ويلقون عليهم الخطبة في فضائل العيد، وما يجب على المسلمين اتباعه للمحافظة على شعائر الاسلام).

ويقول (د. كونتر وشنر)، في كتاب (أحفاد صلاح الدين الأيوبي) المترجم من قبل (عبد السلام مصطفى): (لكن عملية إشعال النيران عند الكُرد، هي عملية سياسية بحتة، فهي إشارة واضحة على رغبة الكُرد في إعلان كونهم شعباً مستقلاً بذاته، ولذلك المغزى السياسي، تتم مراقبة عملية إشعال النيران ومنعها و مطاردة القائمين بها من

قبل أجهزة الشرطة والأمن في البلاد المعنية)، وبهذه النقول، نتأكد أن الأقوال التي تروج لها دائماً هي لاتمت إلى الشريعة بصله، إنما هي أغطية وأقنعة رخيصة تستخدم من قبل الأعداء ليس الا.

وجاء في موقع (د. عبد الله بن بيه) (اليوم الوطني ليس عيداً، والأعياد التي لا يجوز إحداثها هي الأعياد الدينية وليست التجمعات التي يتجمع الناس بها لسبب أو لآخر، قد يحتفلون بالزواج وقد يحتفلون بالولادة، وقد يحتفلون بأي شيء فهذا ليس من الأعياد الدينية، لهذا يجب أن نزيل هذا الوهم، وهذه الشبهة التي يتعلق بها كثير من الناس، فيدخلون على الناس حرجاً وشغباً في دينهم، بحيث يصبح المتدين أو الملتزم في حرج يشعر وكأنه يأتي كبيرة ويأتي منكر، هذا ليس بمنكر، فالأصل في الأشياء الإباحة.

فقد أجاز الحنابلة - رحمهم الله تعالى - العتيرة وهي ذبيحة كان أهل الجاهلية يعملونها في رجب كرهها المالكية باعتبار أنها كانت فعل الجاهلية ولكن الحنابلة أجازوها؛ لأنه لا يوجد نص يمنع من ذلك. أهل الجاهلية كانوا في رجب يذبحون ذبيحة اسمها الرجبية، واسمها العتيرة، فبعض العلماء يرى أن هذا باق على أصل الجواز، فإذا اجتمع الناس وذبحوا ذبيحة في رجب أو في شعبان أو في أي زمن فهذا لا مانع منه أن يحتفل الناس أو يفرحوا بحدث زوال الاستعمار في بلد مثلاً، هذا ما يسمى باليوم الوطني غالباً عندنا في أفريقيا، أو في البلاد التي كانت مستعمرة، فالأمر إن شاء الله لا حرج فيه.

أما أن نتشبهت: بأن أبدلنا الله عيدين، هذه أعياد كانت للأنصار وكانت أعياد جاهلية وأصنام، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) ذكر أن أعياد الإسلام الدينية عيدان عيد الفطر وعيد الأضحى، وهذا لا يفهم منه أنه يمنع أن يتجمع الناس في تجمع حتى ولو كان كرهه المرء ورأى أنه إذا لم يكن هناك منكر فلا داعي إلى التشويش على الناس، وإثارة بعض الفتن والخصومات في أمور ليست ممنوعة، نصاً من كتاب أو سنة، ولا إجماعاً للعلماء ولا اتفاقاً داخل المذاهب؛ لأن التيسير في مثل هذه الأمور التي لا حرج فيها قطعاً، والأقوال التي تقول تحرج لا تستند إلى قاطع وهي أقوال ضعيفة، فلا مانع من أن نفسح للناس المجال وأن نيسر لهم، فاليسر أصل من أصول هذا الدين:

(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) الحج: ٧٨.

(يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) النساء: ٢٨ .
(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) الشرح: ٥-٦ .
(يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا) رواه البخاري (٦٩) . ومسلم (١٧٣٤)^١ .

١ . تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر، العدد ٢٣٦ في ١/٤/٢٠٠٩، ص ٣٢ .

كذبة نيسان السنوية

ما ينتهي شهر آذار من كل سنة، الا وكل واحد منا يتحذر مما سينقل اليه من الأكاذيب وما سيبتلي به من المقالب من قبل الأحبة قبل الأعادي، وذلك مع حلول شهر نيسان إلى أن تمر منه أيام، فيظل أحدنا شاكا لما يقال وما يبشر به أو ينبه إليه، وان مرت أيامي والحمد لله بدون مقالب معي سوى اتصال هاتفي من بعض الأحبة، بأن من بأيديهم الأمور المالية قد قرروا أن يصرف راتب الشهر المنصرم قبل مرور خمسين يوما عليه، والحمد لله لم أسمع بغير ذلك، ولكن أراني وإن تأخرت كتابتي بعض الشيء، أن أكتب عن الموضوع وأذكر ببعض ما أطلعت عليه، فقد ورد في موقع (اسلام أون لاين نت) تحت عنوان (كذبة نيسان) مقالات تستحق القراءة، وطبعاً حسب رأيي أنا: (فالكذب من الأخلاق الذميمة التي نهى عنها الإسلام، وقد سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) أيكون المؤمن كذاباً؟ قال لا.

فالكذب والإيمان لا يجتمعان في قلب مؤمن صحيح الإيمان سليم العقيدة أبداً. ولا يجوز الكذب في أبريل ولا غيره من الشهور، ولا يجوز للمسلم أن يكذب جادا ولا مازحا فكله من الكذب المنهي عنه في الشريعة الإسلامية. ويجوز الكذب في الحروب على الأعداء، لأن الحرب خدعة، كما يجوز عند ملاطفة الزوج لزوجته أو الزوجة لزوجها؛ لأنه ليس كل البيوت تبنى على الحب، كما يجوز أيضا للإصلاح بين المتخاصمين.

ويدخل الكذب في أحكام فقهية كثيرة مثل كذب المخطوبة على خاطبها، والكذب في المنام، والأيمان الكاذبة وكفارتها، وغير ذلك من الأحكام الفقهية. يقول الشيخ هاني بن عبد الله الجبير القاضي بالمحكمة الكبرى بجدة: الكذب - وهو الإخبار بخلاف الحقيقة - محرم، عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال

الرجل يصدق ويتحري الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) متفق عليه عند البخاري (٦١٣٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

وروي مالك في الموطأ (١٨٦٢) عن صفوان بن سليم قال: قلنا يا رسول الله: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: "نعم"، قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: (نعم)، قيل: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: (لا).

وهو من خصال المنافقين، وعليه الوعيد الشديد، عن سمرة بن جندب (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالاً لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكؤوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدة إلى قفاه ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى، فلما سئل عن ذلك، قيل: (إنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق). أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

والكذب محرم ولو على الصغار؛ عن عبد الله بن عامر (رضي الله عنه) قال: دعنتني أُمِّي يوماً ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطيك، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

(وما أردت أن تعطيه؟) قالت: أعطيه تماًراً، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة) رواه أبو داود في سننه (٤٩٩١).

ولا يستثنى من ذلك حال المزاح؛ بل الكذب فيه محرم أيضاً؛ عن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (أنا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً) رواه أبو داود (٤٨٠٠) بسند صحيح.

ولم يستثنى من هذا الحكم إلا الكذب للإصلاح بين اثنين، أو حال الحرب، أو في حديث الرجل لزوجته والمرأة لزوجها؛ انظر ما رواه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥) من حديث أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط (رضي الله عنها).

وكذبة إبريل عادة رذيلة لدى بعض الشعوب إذا دخل شهر إبريل - وهو الشهر الرابع من السنة الشمسية - اخترع كل إنسان كذبة بهذه المناسبة، وربما حرص على

أن تبلغ الآفاق، ولا شك أن هذا مضاد لأخلاقيات المسلمين وأوامر الشرع لهم، ومن كذب فقد وقع في الإثم، فعلى المسلم أن يحذر من الكذب ويظهر لسانه منه).

وبعدما يسرد لنا الدكتور القرضاوي في مقال مشابه عن مساويء الكذب سيما في هذه المناسبة، يقول: (بهذا يتبين لنا أن الكذب بهذه الصورة، وبهذه المناسبة خاصة حرام من جهات أربع:

الأولى: حرمة الكذب ذاته، الذي نهى عنه القرآن والسنة. الثانية: ما وراءه من ترويع إنسان، وإدخال الفزع والكدر عليه ساعة من الزمن، وربما على أسرته معه، بغير مسوغ ولا حاجة.

الثالثة: ما فيه من خيانة لإنسان هو لك مصدق، وأنت له كاذب. الرابعة: مجازاة عادة سخيفة، وإشاعة تقليد باطل، لم ينبت في أرضنا، ولم ينشأ من بيئتنا.

فهو تشبه بغير المسلمين فيما يعد من رذائلهم وسخف أعمالهم. وكثيراً ما تتضمن كذبة ذلك اليوم إشاعات قد يضر انتشارها بالمجتمع كله. والخاصة أن الكذب حرام في كل يوم، وتزداد حرمة في ذلك اليوم خاصة، لما ذكرنا من اعتبارات، فلا يليق بمسلم المساعدة على ترويع هذا الزور).

ويقول فضيلة الشيخ عطية صقر، رئيس لجنة الفتوي بالأزهر سابقاً: (من الأمور المتفق عليها في الديانات والعقول السليمة أن الصدق فضيلة والكذب رذيلة، والصدق هو التعبير المطابق للواقع قولاً أو فعلاً، والكذب هو التعبير المخالف للواقع، قولاً أو فعلاً، ومن أخطر الكذب في القول شهادة الزور، وفي الفعل النفاق، والوعيد عليهما شديد في القرآن والسنة).

ولا يرخّص في الكذب إلا لضرورة شأن كل حرام، فالضرورات تُبيح المحظورات والضرورة تقدر بقدرها، بمعنى أن يكون ذلك في أضيق الحدود إذا لم تُوجد وسيلة أخرى تحقق الغرض وتمنع الضرر، ومن هذه الوسائل المشروعة ما يُسمّى بالمعاريض حيث تُستعمل كلمة تحتل معنيين يفرض على الإنسان أن يقولها، فيقولها بالمعني الحلال لا بالحرام، ومثّلوا لها بما إذا قيل للإنسان: اكفر بالله، فيقول: كفرت باللاهي، ويريد الشيطان وما يشبهه من كل ما يلهي.

وقد صحّ في الحديث جواز الكذب لتحقيق مصلحة دون مضرّة للغير تذكر، وذلك فيما رواه البخاري ومسلم عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (ليس الكذاب الذي يُصَلِّحُ بين الناس فينمِّي خيراً أو يقول خيراً) وفي رواية زيادة هي: قالت: ولم أسمعهُ يَرخِّصُ في شيءٍ مما يقول الناس إلا في ثلاث، تعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها. والمراد بالحديث بين الزوجين هو عن الحب الذي يساعد على دوام العشرة، والشواهد عليه كثيرة وليس في أمور أخرى تضر بالحياة الزوجية. ورأى بعض العلماء الاقتصار في جواز الكذب على ما ورد به النص في الحديث، ولكن جوزه المحققون في كل ما فيه مصلحة دون مضره للغير. يقول ابن الجوزي ما نصه:

وضابطه أن كل مقصود محمود لا يمكن التوصل إليه إلا بالكذب فهو مباح إن كان المقصود مباحاً، وإن كان واجباً فهو واجب.

وقال ابن القيم في " زاد المعاد " ج ٢ ص ١٤٥: يجوز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره إذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير)^١.

١. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر، العدد ٢٣٧، ص ٣٣ في ١٤/٨/٢٠٠٩ .

الموقف الإسلامي تجاه المختلفين في الدين

كما يقال: الكتاب يقرأ من عنوانه، فمنذ تلبيتي لإقتراح الأخوة المحترمين في إدارة مجلتنا (الصوت الآخر)، وقع إختياري على العنوان العام الذي بالإمكان أن تدرج تحته أفكار شتي، وبغض النظر عن القائلين بها، أما الأفكار التي أكن لأصحابها الإحترام والتي بالأصل أتينا بعضها، لدرجة أنني ضحيت من أجلها بكثير من إمكانياتي المادية و صرفت عليها معظم حياتي، فأتعامل معها تعاملًا آخر، فالتجديد في الدين هو الفكرة التي أروم اليها، والإيمان بالتعددية هو الشئ الذي أوّمن به، والتعايش السلمي وقبول الآخرهما الركيزتان اللتان اعتمد عليهما و أجلهما وأعمل تحت مظلتها، لذا أراني مغرماً بنقل الأفكار التي تدور في فلك ما أوّمن به، عليه هذه المرة، وبحلقات متتاليات، أنقل لكم بحثاً كاملاً تحت عنوان: (الموقف الإسلامي تجاه المختلفين في الدين) وبقلم أ.م. د. محمد شريف أحمد، رئيس منتدى الفكر الإسلامي، والذي يبدأ بحثه بمقدمة قيمة ثم ينقلنا إلى أفكاره^١:

مقدمة: يقتضي المنطق دائماً عند البحث في إشكاليات مجتمعية قديمة أو جديدة، أن يستهلّ بمقدمات بديهية لا تثير جدالاً ولا خصومة عند العقلاء، ولا يعيننا هنا المكابرون الذين قد يطلبون الدليل على حقيقة ناصعة كالنهار.

والمقدمات التي أعنيها مما تتعلق بمركزات العنوان الأساسي لهذا البحث هي الآتية:
أولاً: الأصل في العلاقة بين البشر هو السلام، وبإمكاننا أن نستلهم هذه القاعدة الأساسية التي تنطبق أيضاً على العلاقة بين المسلمين وغيرهم، من قصة آدم والأسرة الإنسانية الأولى التي أراد الله سبحانه أن تكون مستودعاً للمسؤولية وللخلافة في

١. قمت بترجمة البحث إلى اللغة الكوردية ونشرتها في أعداد من جريدة خبات (١٠ و١٧ و٢٤ وما بعدها من شهر نيسان ٢٠٠٩). ثم قام المنتدى بطبعها كرسالة باللغتين العربية والكوردية.

الأرض، فعندما بسط قابيل يده ليقتل أخاه هابيل امتنع الأخير عن محاولة قتله ليكون السلام هو منهج الإنسان في الحياة وغيره هو الإثم.
(لَنْ يَسُطَّ إِلَيَّ يَدُكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) المائدة: ٢٨.

وفي القصة نفسها منح الله آدم وأسرته، وهم البشر، حق الاستقرار في الأرض والتمتع بالحياة إلى حين:

(وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) البقرة: ٣٦.

وهل يمكن الاستقرار بدون السلام؟؟

ثانياً: إن التنوع البشري في المظهر والمخبر، والتفكير وطريقته، حقيقة كونية وقدر إلهي محتوم:

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ) الروم: ٢٢.

والإسلام يقرر حقيقة التنوع الحضاري والديني في آيات قرآنية عديدة، ولك في التحقق من هذه الحقيقة أن تتدبر الآية الكريمة:

(لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ) المائدة: ٤٨.

والآية المماثلة الأخرى:

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ () إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) هود: ١١٨-١١٩.

فالفكر الإسلامي هو فكر منفتح يعترف بالآخر ولا يضيق به، ولا يخطط لإنهائه، ويستمد هذا المنهج الحضاري المنفتح من روح القرآن الكريم وعبره، فاقراً إن شئت:
(لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) المائدة: ٤٨.

وإن تردت في قبول هذه المنهجية الإسلامية المتسامحة فتدبر الآية الكريمة:

(وَلَنْ أُنَبِّئَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ) البقرة: ١٤٥.

فاختلاف الأمم في الدين والحضارة حقيقة كونية قدرها الإسلام، وعالج الإشكاليات الناجمة عن الاختلاف بالسماحة والإعتراف بالآخر، وأحال إشكالية الاختلاف في الدين

إلى الآخرة حيث لا مالك إلا الله مالك يوم الدين.

ثالثاً: مع أن الديانات والشرائع تسعى لضبط سلوك الإنسان ومع أن في الإسلام مناهج واضحة لتزكية النفس الإنسانية، وفي القوانين الوضعية، جزاءات مادية يفرض أن تحول دون خرق الشرائع الضابطة، فإن كل ذلك لا يسوق الإنسان جبراً نحو الالتزام بهذه المثل والقيم، ولا يجردّه عن عوامله الذاتية التي قد تكون أشد تأثيراً عليه من أي عامل خارجي آخر، فيبقي الإنسان حراً في إختياراته، فقد يبقي ضمن تلكم التعليمات الهداية وقد يضرب عرض الحائط بكل الإملاءات لسبب أو لآخر.

والحقيقة التي نودّ التأكيد عليها في هذه المقدمة هي أن الإنسان كائن مسؤول، ومسؤوليته ناتجة عن حرّيته في اختيار ما يكسبه أو يقدمه، أو في المنهج الذي يختاره أو اختاره له أبواه وأجداده.

وهنا تختلف أفراد وأقوامه ومجتمعاته في طبيعة الاختيارات تبعاً لاختلاف الإرادات والرغبات والعوامل النفسية المتراكمة في الأجيال، فلا يمكن جمع الناس كلهم على رؤية واحدة في السياسة، أو في الاقتصاد أو في نمط للحياة الاجتماعية، ومثل ذلك جمع الناس على دين واحد.

فقد استطاع الأنبياء والرسل، أن ينبهوا المجتمعات إلى سبل الهداية، ولكنهم لم يتمكنوا من أن يجعلوهم مهتدين، لأن مهمتهم هو التذكير:

(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ) العاشية ٢١.

فما منحوا حق استلاب المشيئة من الإنسان الحرّ:

(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) والعنوان الرئيس للخطاب الإسلامي ولكل

خطاب ديني هو (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) (٢٩ الكهف).

ومن هذه المنطلقات التي هي مرتكزات بديهية يكفيها التنبيه لا الاستدلال، أبدأ بعرض الموقف الإسلامي في ضوء القرآن الكريم تجاه المختلفين في الدين، واخترت هذا البحث لأجل القارئ يتلمس مباشرة مدى حرص الإسلام على بناء علاقات شفافة في أخطر قضايا الاختلاف وهو الاختلاف العقدي الديني، وهذا ما سنتناوله في بحثين، نتناول في المبحث الأول تصورنا للدين وللإسلام وعلاقته بالديانات السماوية الأخرى، وفي المبحث الثاني نتوجه إلى منهج الإسلام مع المختلفين في الدين.

المبحث الأول: الدين والإسلام وعلاقته بالديانات السماوية الأخرى: يقتضي البحث كما مر ذكره في المقدمة توضيح معنى الدين ومعنى الإسلام، وبيان علاقة الإسلام بالديانات السماوية الأخرى، فأمامنا مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: معنى الدين: كلمة الدين بنظري لا يحدّد معناها إلا بسياقها وفي سياقها، فبقدر ما اختلفوا في الدين في شعاراته وتطبيقاته وأركانه، اختلفوا في معناه.

فالمعنى القاموسي لا ينفعنا في بيان معناه المحدد وكذلك ما أشار إليه المفسرون والفضلاء من الفقهاء وغيرهم.

فلو راجعت القاموس المحيط للفيروز الأباذي المتعمق في جذور الكلمات ومعانيها، تجد أن الدين أي كلمة الدين من المشتركات ومن الأضداد أيضاً، يقول صاحب القاموس: (الدين بالكسر: الجزاء... والإسلام، والعدة والعبادة، والمواظب من الأمطار أو اللين منها، والطاعة... والذلّ والداء والحساب والقهر والغلبة والاستعلاء والسلطان والملك والحكم والسيرة والتدبير والتوحيد، واسم لجميع ما يتعبد الله عزّ وجلّ به، والملة والورع، والمعصية والإكراه.... والحال، والقضاء.... ودان يدين عزّ وذلّ وأطاع وعصي...) ومعنى ذلك أن الدين ليس له معنى منفرد محدد، بل يحدد معناه سياقه الذي ورد فيه أو قيل فيه، فقد جاء بمعنى الجزاء و بمعنى الطاعة و العزة و الذلة و بمعنى الإسلام و لجميع ما يتعبد الله به عزوجل^٢ ولا غرابة في هذا الاضطراب بين الكلمة ومعناها أو معانيها، فاللفظ وضع للمعنى والمعنى أمر ذهني، واللفظ مجرد رمز تواضع الناس على أنه يدل على ذلك الأمر الذهني الذي قد يتغير ولا يثبت إلا في سياقاته وعند توضيح مقاصد قائله، ومع ذلك اصطلح كبار الفقهاء على تعريف للدين وهو كما قال العلامة ابن حجر الهيتمي الشافعي في مقدمته الجامعة لموسوعته الفقهية تحفة المحتاج^٣ وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات.

وبمقتضى هذا التعريف لا تكون الأوضاع البشرية كالرسوم السياسية والتدبيرات المعيشية ديناً لأنها ليست من الوضع الإلهي، وتخرج أيضاً الأوضاع الطبيعية التي

٢. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد، ٢٣٨ ص ٣٣، ١٥ نيسان ٢٠٠٩ .

٣. ابن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج بشرح المنهاج، ط بيروت، ص ٢٠ وما بعدها.

تهتدي بها الحيوانات لخصائص منافعها ومضارها لأن الدين يسوق ذوي العقول، ومن المحددات الأساسية للدين بمقتضى هذا التعريف الذي جرى عليه عرف الفقهاء أن يكون باختيار محمود فلا تدخل في الدين الأوضاع القسرية.

والجانب المهم في الدين هو ما تشير إليه العبارة الأخيرة إلى ما هو خير لهم بالذات، أي هدف الدين هو الخير المطلق للناس جميعاً.

و واضح أن هذا التعريف الذي جاء بمثله السيد العلامة الشريف الجرجاني في حاشيته على العضد^٤ لم يتأسس على أي من هذه المعاني التي زخرت بها القواميس العربية القديمة والحديثة، وهذا دليل آخر على أن التعريف بأمثال هذه الكلمات المشتركة والمجمل، لا يفيد الغرض المقصود منه دون الاستعانة بالظاهرة الناشئة عن المعنى المقصود، وهو المعنى الروحي العبادي الذي يرمز إلى صلة المخلوق بالخالق ولذلك يعتبر هذا التعريف توضيحاً للظاهرة الدينية التي لا تغيب عن باطن الإنسان وفكره وإن ادعي بعضهم غير ذلك.

ومن هنا وجدنا البروفيسور الدكتور هوستن سميث صاحب الدراسة الروحية المعمقة لديانات العالم الكبرى في كتابه الشهير (أديان العالم)، يبتعد عن تعريف منطقي للدين ويقرب من تحليل الظاهرة الدينية الحية بدلاً من ذلك، إن الدين الحي عنده يدعو الروح لأرفع وأسمى مغامرة يمكن أن تقوم بها، يدعوها لسفر عبر غابات و قمم وصحاري الروح البشرية، إنه نداء لمواجهة الحقيقة وللسيطرة على النفس، ثم يقول الدكتور هوستن: (إن الدين الأصيل هو أصفي وأجلى نافذة يمكن لطاقات الكون التي لا تنضب أن تصب من خلالها في الكيان البشري).

ما الذي يمكنه إذاً أن ينافس الدين في التأثير على أعمق المراكز الخلاقة في كيان الإنسان والهامة؟؟) ويخلص الدكتور إلى القول بأن شخصاً غير متدين كبرنادشو يخلص إلى نتيجة أن الدين هو القوة المحركة الحقيقية الوحيدة في العالم.

وينتهي الدكتور في مقدمة كتابه أديان العالم، إلى القول بأن الدين بهذا المعنى، هو الذي سيكون موضوع بحثه في كتابه^٥، فالدين ليس موضوعاً لغوياً بل هو ذلك البعد الروحي الذي يتجلى في الامتثال للمنهج الذي قدره الله للإنسان فكراً وسلوكاً. وفسره

٤. حاشية الشريبيني على تحفة المحتاج، المصدر السابق.

٥. د. هوستن سميث، أديان العالم، نشر دار الجسور الثقافية، حلب، ٢٠٠٥، ص ٢٧ .

بعضهم بأنه المنهج نفسه، وإلى هذا يشير العلامة ابن حجر بقوله^٦ (وقد يفسر أي الدين بما شرع من الأحكام)).

ويبدو أنه يميل إلى معنى الخضوع في كلمة الدين بهذا الصدد، إذ يقول: (ويساويه الملة ما صدقا كالشريعة لأنها من حيث أنها يدان أي يخضع لها تسمى ديناً، ومن حيث أنها يجتمع عليها وتملي أحكامها تسمى ملة، ومن حيث أنها تقصد لإنقاذ النفوس من مهلكاتها تسمى شريعة).

و مما يرجح معنى الخضوع في كلمة الدين أكثر من غيره ما نقله الأصمعي^٧ عن بعض العرب، إنما فُتِحَ دال الدين لأن صاحبه يعلو المدين، وضُم دال الدنيا لابتنائها على الشدة، وكُسِرَ دال الدين لابتنائها على الخضوع.

وهذا إغراق مصطنع في الجانب اللغوي الشكلي الذي راج في عهد الاهتمام باللفظيات، ومع ذلك أشار إليه شيخ المفسرين المتأخرين العلامة أحمد مصطفى المراغي إذ قال^٨:

الدين له في اللغة عدة معان، منها: الجزاء والطاعة والخضوع ومجموعة التكاليف التي بها يدين العباد لله، وما يكلف به العباد يسمى شرعاً باعتبار وضعه للناس، ودينياً باعتبار الخضوع وطاعة الشارع، وملة باعتبار أنها أملت وكتبت.

المطلب الثاني: معنى الإسلام: إذا كان المعنى الغالب لكلمة الدين في معظم سياقات الحديث فيه يدور حول الخضوع، فإن المعنى الغالب لكلمة الإسلام كذلك، فالإسلام يأتي بمعنى الخضوع والاستسلام، وبمعنى الدخول في السلم أي الصلح والسلامة، وتسمية الدين الحق إسلاماً تناسب هذه المعاني، وأولها أوفقها بالتسمية، بدليل قوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) النساء ١٢٥.

وقوله: (بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) البقرة ١١٢. والإسلام هو الدستور العام الذي يجمع روح الديانات، ويستوعب رسالات الرسل

٦. ابن حجر الهيتمي، المصدر السابق، ص ٢١.

٧. أنظر: القاموس المحيط، في كلمة الدين، الهامش، ط ١٩٣٥.

٨. الشيخ أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي. بمصر، ١٩٥٣، ج ٣، ص ١١٧ وما بعدها.

والأنبياء في التوحيد والعمل الصالح، والإحسان إلى الإنسان والأرض، ودليله قوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) آل عمران ١٩.

وقد أحسن المراغي في تفسيره^٩ إذ قال: أي إن جميع الملل والشرائع التي جاء بها الأنبياء روحها الإسلام والانقياد والخضوع، وإن اختلفت في بعض التكاليف وصور الأعمال، فالمسلم الحقيقي من كان خالصاً من شوائب الشرك، مخلصاً في أعماله مع الإيمان من أي ملة كان، وفي أي زمان وجد.

وهذا هو المراد بقوله تعالى:

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) آل عمران ٨٥.

ولا غرابة في ذلك، فقد أكد القرآن الكريم وحدة الديانات في المقاصد الأساسية للدين، كالتوحيد والفضائل الخلقية، فاقراً إن شئت قوله تعالى:

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) الشوري ١٣.

والحق أن الدين شرع لأمرين،

أولهما: تصفية الأرواح وتخليص العقول من شوائب الشرك والضلال.

وثانيهما: إصلاح القلوب بحسن العمل وإخلاص النية لله وللناس.

وأما العبادات فقد شرعت لتربية روح الاستسلام لتعاليم الدين الحنيف.

ولكي نُطلع القارئ على رؤية الأستاذ الخبير بالديانات الدكتور هوستن سميث فيما يتعلق بالإسلام كلمة ومقصداً ننقل رأيه في كتابه المختص^{١٠} إن يقول: إن الاسم الصحيح لهذا الدين هو الإسلام، ويقصد بذلك أن تسميته بالمحمدية عند الغربيين تعدّ تجاوزاً على حقيقة هذا الدين. وهذه الكلمة مشتقة لغوياً من جذر السلم الذي يعني أولاً السلام، ولكنه يعني في المرتبة الثانية (الاستسلام)، ولذلك يصبح معناه التام: السلام الذي يحصل عندما يسلم المرء نفسه كاملاً لله^{١١}، وبهذا أثبت هذا الباحث المختص موضوعيته في تحليله للديانات ومنها الإسلام.

ولأهمية تفسير الآية الكريمة: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)، في تحديد معنى الإسلام

٩. الشيخ أحمد مصطفى المراغي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٨ وما بعدها.

١٠. د. هوستن سميث، أديان العالم، نشر دار الجسور الثقافية، حلب، ٢٠٠٥، ص ٤٦٥.

١١. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر ص ٣٣ في العدد ٢٣ بتاريخ ٢٢/٤/٢٠٠٩.

وأثر السياق في تحديده، ألجأ إلى المفسر الكبير الإمام الرازي للاستيضاح منه، وقد فهمت منه أن سياقه يشير إلى التوحيد فقد أكدت الآية السابقة:
(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) آل عمران ١٨.

وإذا كان الإسلام هو الدين المشتغل على التوحيد كما قال الرازي^{١٢} كان اللازم من ذلك أن يكون الدين عند الله الإسلام، ويتابع الرازي تفسيره، ويقرر أن الإسلام له في أصل اللغة ثلاثة أوجه:

الأول: أنه عبارة عن الدخول في الإسلام أي في الانقياد والمتابعة.

والثاني: من أسلم أي دخل في السلم.

الثالث: قال ابن الأنباري: المسلم معناه المخلص لله عبادته.

فالإسلام عند الرازي معناه إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى.

المطلب الثالث: علاقة الإسلام بالديانات السماوية الأخرى:

يؤكد القرآن الكريم الذي هو المصدر الأساسي للحقيقة الدينية أن علاقة الإسلام بالرسالات التي سبقته هي علاقة امتداد وتصديق لأصولها، لا علاقة إلغاء أو نسخ. وتدبر إن شئت قوله تعالى:

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) المائدة ٤٨.

وفي هذا المعنى أيضاً قوله تعالى:

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) الشوري: ١٣.

ويتضح هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى:

(قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) آل عمران ٨٤.

وفي حديث صحيح يرويه مسلم يصور الرسول الكريم محمد: (صلى الله عليه وسلم) بأسلوبه النبوي الجامع علاقة الإسلام بالديانات السماوية الأخرى أبلغ تصوير وأبدعه؛ إذ قال:

١٢. الإمام الرازي، التفسير الكبير، تفسير سورة آل عمران، ج٧، ص ٣٠٩.

(مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثلي كمثلي رجل بني بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاً وضعت هذه اللبنة قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين) أخرجه مسلم في صحيحه تحت رقم ٥٢٣.

ومن هنا تميز الخطاب القرآني مع أصحاب الديانات السماوية بما يدعو إلى الاحترام وحث الآخر على الاستماع إلى الخطاب الديني الجديد الذي جاء مكملاً للرسالات السابقة ومصداقاً، فالخطاب يناديهم بأهل الكتاب، والكتاب رمز للمعرفة.

ومن هو أهل المعرفة جدير به أن يحتفي بالمعرفة الجديدة، لا أن يحاصرها: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) آل عمران ٦٤.

ولا يجوز للمسلم تجاوز حدود اللياقة واختيار الأحسن عند مجادلة أهل الكتاب، ليتعود على قبول الآخر ومشاركته له في الحياة على قاعدة (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ الْكَافِرِينَ) ٦.

(فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) آل عمران: ٤٦).

ومما يعرِّز هذه العلاقة هو أن مقاصد الدين في التوحيد والفضيلة والحكمة واحدة وإن اختلفت الشرائع في الفروع وبعض التفاصيل، وهنا ألجأ أيضاً إلى الباحث الغربي المنصف الدكتور هيوستن في كتابه (أديان العالم) فاقراً له تحت عنوان المفاهيم العقائدية الأساسية، باستثناء بعض الاختلافات البارزة تتطابق المفاهيم اللاهوتية الأساسية للإسلام بشكل عملي المفاهيم اللاهوتية لليهودية والمسيحية: الديانتين المتقدمتين على الإسلام^{١٣}.

فضلا عن إلى وحدة المصدر ونعني بها الوحي الإلهي للديانات السماوية وهي التي اقتضت وحدة الروح والحقيقة فإن المنهج الإسلامي للحياة يهيئ البيئة الصالحة للتعاون الإنساني بين شتي الديانات بسبب ما يعتمده من مبادئ إنسانية وهي كالآتي:
١- الكرامة الإنسانية: فقد اعتبر الإسلام المساواة بين بني آدم في الحقوق والواجبات حقاً طبيعياً مستحقاً بمقتضى الفطرة:

١٣. د. هوستن سميث، أديان العالم، نشر دار الجسور الثقافية، حلب، ٢٠٠٥، ص ٤٨٤.

أ- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الحجرات: ١٣ .

وهم جميعاً يستحقون الكرامة بمقتضى قوله تعالى:

ب- (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) الإسراء: ٧٠ .

٢- الإخوة الإنسانية: فقد صرح القرآن الكريم بالوحدة الإنسانية فقال تعالى:

أ- (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) البقرة: ٢١٣ .

ب- (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً) يونس: ١٩ .

وبسبب هذه الأخوة لم يمنع القرآن بر المخالفين فقال تعالى:

ج- (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) سورة الممتحنة: ٨ و٩ .

٣- العدالة: فقد أعطى الإسلام حق العدالة وهو حق طبيعي يقرره القرآن للولي والعدو على سواء ولذا قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) المائدة: ٨ .

٤- المعاملة بالمثل مع مراعاة الفضيلة: فقد قرر القرآن الكريم هذا المبدأ بقوله تعالى:

(فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) البقرة: ١٩٤ .

٥- الوفاء بالعهد: قال تعالى:

أ- (واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبِي مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (النحل: ٩١ و٩٢).

وهي أحكام ومبادئ تسمو بالإنسان وتعلو به وهي ملائمة للفطرة الإنسانية

ب- (فَطَرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ٣٠ الروم.

وفي ضوء هذه الحقائق تكون علاقة الإسلام بالديانات السماوية من حيث الأصل والمبدأ علاقة تلاحم وتكامل وتفاهم حول المشكلات الكبرى للإنسان.

وهذا لا يعني تطابق الرؤية الدينية لهذه الديانات فيما تتعلق بكثير من المسائل اللاهوتية أو مناهج الحياة التفصيلية، فمن المعلوم أن الإسلام يشرف السيد المسيح كنبى ويقبل ولادته البتولية من غير أب ويعتبر روجي آدم والمسيح الوحيدتين اللتين خلقهما الله مباشرة.

ج- (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) آل عمران ١٥٩، إلا أن القرآن ينتقد عقيدتي التجسيد والتثليث معتبراً إياهما بدعة مخترعة تشوه التمايز بين الإله والإنسان، وبحسب عبارات القرآن كما يقول الدكتور هيوستن^{١٥}.

د- (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا) ٨٨-٩٣ مريم.

كما أن المسلمين كما يقول هيوستن^{١٦} ليسوا مولعين بالتصوير الأبوي لله حتى عندما يستخدم هذا التصوير استخداماً مجازياً، ذلك لأنهم يرون أنه عندما يوصف البشر بأنهم أطفال الله فإن هذا يضع الله في النمط الثاني جسداً، إن ذلك التشبيه تجسيم للذات الإلهية.

١٤. الى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر ص ٣٣ في العدد ٢٤ بتأريخ ٢٩/٤/٢٠٠٩ .

١٥. أنظر: أبو زهرة، أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٩٤، وما بعدها.

١٦. د. هيوستن سميث، المصدر السابق، ص ٤٨٥ وما بعدها.

المبحث الثاني: منهج الإسلام مع المختلفين في الدين:

ربما يستنبط القارئ الفطن من البحث الأول الذي كان دراسة تحليلية للأساس اللغوي للدين وللإسلام ولعلاقة الإسلام بالديانات الأخرى، أن هذه المسألة تتصل بجانب غيبي لا يملكه إلا الله مالك يوم الدين، والقارئ الفطن يعلم أن الحساب في الآخرة هو الذي يقرر الجزاء ومصادقية الامتثال والاستسلام لإرادته سبحانه، وليس لكائن من البشر أو من أي مخلوق آخر تقرير الحكم النهائي بالاستناد إلى تقويم ما قدمه الفرد أو ما احتواه ضميره وقلبه تجاه الإيمان:

(إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) الغاشية: ٢٥-٢٦.

ومعلوم أيضاً أن الإيمان بالآخرة هو العنصر الأساسي والركن الذي لا غناء عنه في الديانات السماوية.

فدين الفرد يقوم بالآخرة سواء كان بمعنى الجزاء أم بمعنى الطاعة أم العبادة: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) مريم: ٩٥.

وكذلك الإسلام الذي يعني الاستسلام والخضوع لأمره سبحانه، يهدف إلى الخلاص في يوم الحساب، والدخول في الرحمة الأبدية، وهذه تتجلي في رحاب ملكوت لا مالك لها إلا الله جل وعلا.

ولأن المسألة إلهية، ولا قدرة للعقل البشري بشأنها نستقصي الآيات القرآنية التي تقر بمجملها أن الله وحده هو الذي يقرر من هو الفائز ومن هو الخاسر في يوم القيامة، واستعجل الإشارة إلى درس مهم على البشر أن يعوه وهو ألا يكون الاختلاف في الدين سبباً للفساد في الأرض، أو وقود نار فتنة واشتعال حروب مدمرة أو داعياً لإرهاب الآخر أو قتله أو إقصائه أو تهميشه، فالكل عباد الله شاعوا أم أبوا، والله وحده هو مالك يوم الدين، وسنستعين بكبار المفسرين في فهم وتفسير هذه الآيات مع ما يميل إليه خاطر في ضوء مقاصد الإسلام وحكمه: وسوف لا يكون هذا المبحث مفصلاً تحت عناوين أصغر بل سيكون عبارة عن الاستشهاد بالآيات القرآنية العديدة التي حكمت في هذا الموضوع دون التمسك بترتيب محدد:

أولاً: في سورة الشورى الآية: ٦ يؤكد القرآن الكريم للرسول الكريم (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) الشورى ٦.

وبذلك يخفف عن قلب محمد (صلى الله عليه وسلم)، آلامه وما كان يعانيه من عناد قريش وتمسكهم بضلالات آبائهم من عبادة الأوثان. ثم في السياق نفسه في سورة الشورى الآية ٨ يؤكد المعنى نفسه بأسلوب آخر:

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) الشورى ٨.

ولا شك أن لازم هذا السياق هو اختلاف متأصل بين المؤمنين والمعاندين وحيث أن هذا الاختلاف حسب ظاهر السياق يعود إلى الإرادة الحرة للأفراد وقد يؤدي إلى الفتنة فيما إذا ظل دون حاكم يحسم أمره تبعثها الآية الكريمة:

(وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) الشورى ١٠.

فظاهر السياق أن الإيمان هداية الهبة، وأن الإنسان، بما يملك من قوى تكفي لإدراك ما هو خير وحق في ضوء النظر في آيات الله، حر فيما يقرر، وعلى الانبياء التبليغ لا التوصيل:

(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) القصص ٥٦.

والنتيجة الطبيعية لهذا السياق هي أن ما اختلف فيها العباد من أمر الدين فحكمه ومرجه إلى الله يحكم فيه يوم القيامة بحكمه ويفصل بين المختصمين. وحينئذ يظهر المحق من المبطل ويتميز أهل الجنة و أهل النار^{١٧}.

فلا داعي ولا مبرر لتأسيس العلاقة الاجتماعية مع الآخر المختلف على التعصب الديني، فكل ما يتعلق بحقوق الله قائم على المسامحة، والحكمة في ذلك هي أن الله سبحانه هو الذي يتولى أمرها يوم القيامة. وللإمام الرازي في تفسيره نظرة أخرى في هذا النظم إذ يقول:

(وجه النظم أنه تعالى كما منع الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أن يحمل الكفار على الإيمان قهرا، فكذلك منع المؤمنين أن يشرعوا معهم في الخصومات والمنازعات فقال:

(وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) الشورى ١٠.

١٧. د. هوستن سميث، المصدر السابق، ص ٤٨٥ وما بعدها.

وهو إثابة المحقين فيه ومعاقبة المبطلين).

وله كالعادة أبحار في عمق الآيات وإشارات الى المسائل الأصولية واللغوية والكلامية الفلسفية. وقد جري خلاف بين العلامة البيضاوي عند تفسيره لهذه الآية وبين العلامة الزمخشري، فقد فسر الزمخشري الشئ بالأمر الديني فقال^{١٨}: أي ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين فحكم ذلك المختلف مفوض الى الله وهو إثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين. أما البيضاوي فقد عمم الشئ بحيث يشمل الدين والدنيا.

ولكن حاشية الشهاب^{١٩} لا توافقه على ذلك لدليل أن المراد بأمور الدنيا الخاصات، ولا يلزم أن تكون الخاصات بينهم وبين الكفرة، ولا يقال في مثله التحاكم الى الله. وفي هذه التفاسير المعقدة وجهات نظر أخرى معظمها لا ينسجم مع الآية وسياقها، والمقصود منها.

ولا يخفى على القاريء المتدبر مدى السكينة التي توفرها هذه الآية للعلاقة بين المختلفين في الدين، ومدى حاجة الإنسان الى فهم الآخر في خضم البحث عن قيم الهداية والتمسك بها.

وبهذا السلوك القرآني الكريم يوفّر المسلم لنفسه الطمأنينة والسلام وللآخر الفرصة للتأمل في عمق هذا الدين الذي يحترم إرادة الإنسان حتى في ضلاله^{٢٠}.

وخلاصة ما يفهم من هذه الآية الكريمة وسياقها أنه ليس للبشر ولأبي كان أن يقهر أصحاب العقائد المختلفة، ولهم الدعوة الى الهدى:

(لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ) البقرة ٢٧٢ ،

إقرأ في سورة النساء:

(فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا)

١٤١ النساء.

وتأمل في سياقها الذي يبدأ من الآية ١٣٨ الى هذه الآية، لتلمس بنفسك مدى الانفتاح الإسلامي الرائع على أشد المخالفين وأخطرهم وهم المنافقون ولتدرك أخلاقية

١٨. المراغي، تفسير المراغي، ج ٢٥، ص ٢٠ .

١٩. الزمخشري، تفسير الكشاف، طبعة بولاق، ١٣١٩هـ، ط ٢، ج ٣، ص ٦٤ .

٢٠. الى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر ص ٣٣ في العدد ٢٤ بتاريخ ٢٠٠٩/٥/٦ .

المنهج الإسلامي في التعامل مع المخالفين في الدين.

(بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا، الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ وَعَمَّعْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) ١٣٨-١٤١ النساء.

ولدى التأمل في هذا المشهد القرآني العظيم نصل الى المعاني والدروس الآتية: أولاً:
فيه وصف للمنافقين يكاد يفضحهم ويكشف مستور نواياهم كآلتي:

١. ولاؤهم الحقيقي للكافرين أعداء المؤمنين دون المؤمنين، على أمل النصر والغلبة والعزة.

٢. النفعية المفرطة التي تجعلهم يستغلون أي كسب لأحد الفريقين ليتقدموا بطلب نصيبهم منهم، فإن كان الفتح للمؤمنين تقدموا وادعوا بأنهم معهم في الإسلام وإن كان للكافرين نصيب ذكروهم بأدوارهم الإيجابية الفعالة فيما حصلوا عليه.

ثانياً: تأكيد قرآني على أن مصير المنافقين والكافرين واحد:

(إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) ١٤٠ النساء.

بل قالوا إن طريقة النفاق أخبت من طريقة الكفار فإنه تعالى ذم الكفار في أول سورة البقرة في آيتين وذم المنافقين في بضع عشرة آية، لذا جاءت الآية الكريمة بعد هذا المشهد لتقول:

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) ١٤٥ النساء.

ثالثاً: قد تقتضي دواعي الحكم البشري أن يحسم القائد أمره وينتهي هذه الشريحة المفسدة بالعنف ولكن الحكمة القرآنية الإلهية وجهت النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) وجهة السلم والمسامحة ودعته الى احترام رأي الآخر الى أن يأتي يوم لا مالك إلا هو:

(فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ١٤١ النساء.

فهذه دعوة صريحة الى ترحيل إشكالية العلاقة مع المنافقين الى يوم القيامة كما كانت آية الشورى ١٠ دعوة صريحة الى ترحيل إشكالية العلاقة مع الكفار الى يوم القيامة.

رابعا: ربما يتوهم القاريء أن ترحيل الإشكالية يعني التباساً في الحقيقة أو يعكس تردداً في حقيقة الفائز والخاسر. ولدفع هذا الوهم وإيضاح المشهد دون غموض ختم بقوله تعالى:

(وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا).

ومما منح لذهني الفاتر هنا أمران:

الأمر الأول: هو أن السياق خاص بالمنافقين وكان الظاهر أن يقال:

(وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا).

ولكن الإبداع القرآني المعجز في النظم اقتضى ذكر الكافرين بدل المنافقين لنكتتين بلاغيتين أولهما، أن الوصف الدقيق للمنافقين كشف أستارهم، وعري نواياهم فلم يعد هناك ما يسترون به نفاقهم بعده فأصبحوا كافرين، وثانيهما، أن الله سبحانه وتعالى وحد مصيرهم بقوله:

(إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) النساء ١٤٠.

الأمر الثاني: هو أن السياق يتوجه الى ترحيل الإشكالات الدينية بين المختلفين الى يوم الجزاء وهو يوم الدين:

(فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) النساء ١٤١.

أي لا تجعلوا الإشكال الديني الذي يتعلق بصلة الإنسان بربه منطلقا لعلاقة العداة المؤدي الى الفتنة والعفوة:

(فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) النساء ١٤١.

ولكن هذا لا يعني أنه لا فرق في الحقيقة بين الإيمان والكفر وأنهما قد يتساويان في الآخرة فقد دفع القرآن الكريم هذا الوهم بقوله:

(فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) النساء ١٤١.

و واضح أن سياق هذه الآية هو يوم القيامة فهذا الوعد الالهي خاص بهذا السياق. وهذا المعنى الذي كنت أظن أنه من بنات أفكار استنادا الى أمرين أولهما هو هذا

السياق وثانيهما، قد تثار إشكالية الجعل في الواقع أن فسر بالدينا، فان المتتبع للتاريخ القديم والحديث لا يفقد عصوراً هاجم فيها أعداء الإسلام بلاد المسلمين واستولوا عليها كما جري في عهود التتار والاسبان والاستعمار، ولكني وجدت الإمام الرازي ينقل عن الإمام على (رضي الله عنه) أنه خاص بيوم القيامة، وكثيرون قالوا أنه في الدنيا، وأسّسوا على هذا المعنى آراء فقهية وفكرية وسياسية كان لها أثرها في تعميق الهوية بين المسلم وغيره. في سورة المائدة وهي مدنية نقرأ قوله تعالى:

(إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) المائدة ٤٨.

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق تعدد الشرائع والمناهج الإلهية للأمم:

(لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) المائدة ٤٨.

يفهم من هذه الآية وسياقها أن الشرائع العملية تختلف باختلاف أحوال الاجتماع وطبائع البشر واستعداداتهم وإن اتفق الرسل جميعاً في أصل الدين وهو توحيد الله والإخلاص له في السر والعلن وإسلام الوجه له^{٢١}، فالدين واحد والشريعة مختلفة. وما جعل الله اختلاف الشرائع منطلقاً للصراع والعداوة بين الأجناس والعصبيات بل أمر الله سبحانه أن يكون منطلقاً للتنافس بين الأمم في الخيرات، فهو تنافس حضاري لا خصام أو صراع حضاري. و ليس لأحد حق التقويم من أجل إلغاء الآخر في الحياة فإن الله مرجع أهل هذه الديانات جميعاً فينبئهم بما كانوا فيه يختلفون. وقد أورد المفسر الفقيه الفيلسوف الأصولي الإمام الرازي في تفسيره^{٢٢} إشكالية التباين المزعوم في طريقة الانبياء والرسل ففي الوقت الذي تدل أمثال هذه الآيات:

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) الشوري ١٣.

وقوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) الأنعام: ٩٠.

على وحدة الديانات تدل هذه الآية للأمم:

٢١. حاشية الشهاب على البيضاوي، دارصادر، بيروت، ج٧، ص ٤١٢ .

٢٢. المراغي، تفسير المراغي، ص ١٣٠ .

(لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) المائدة: ٤٨ .

على تعدد الشرائع والمناهج:

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) المائدة: ٤٨ .

ولكنه عاجها بالجمع بين هذه الآيات والتوفيق بينها فجعل ما يدل على التباين مصروفاً الى ما يتعلق بفروع الدين وما يدل على عدم التباين الى ما يتعلق بأصول الدين.

وقال أيضاً إنَّ الخطاب هنا للأمم الثلاث أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد عليهم الصلاة والسلام بدليل السياق الذي تناولها، ولفظة الشريعة جا بمعنيين:

الأول: الإيضاح والبيان.

والثاني: الدخول في الشئ والشريعة في كلام العرب المشرفة التي يشرعها الناس فيشربون منها، فالشريعة فعيلة بمعنى المفعولة وهي الطريق الواضح يقال نهجت لك الطريق وانتهجت^{٢٣-٢٤}.

قال سبحانه في سورة البقرة وهي مدنية:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) البقرة: (٣١١).

يكاد القرآن الكريم يقرّر قانوناً عاماً للمختلفين في الدين مفاده أن الله وحده يحكم بينهم يوم القيامة تأكيداً للحرية التي هي أساس مسؤولية الإنسان في الدنيا والآخرة. وقد قرأت كلاً من تفسير الرازي والزمخشري والمراغي فيما يتعلق بهذه الآية وسياقاتها فتحدثوا جميعاً عن لقاء أحبار اليهود ووفد نصاري نجران إلى النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم)، في هامش لقائهم فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود ما أنتم على شئ من الدين، وقالت النصاري لهم كذلك ما أنتم على شئ من الدين، ولكن القرآن الكريم وبخهم على ذلك بأسلوب كنائي بليغ ونبّههم إلى أن هذه المسألة تتعلق بالمعرفة الدينية ومصادر هذه المعرفة متوفرة لدي الطرفين فما كان عليهم أن يقولوا ذلك وهم يتلون الكتاب، فإذا كان هذا هو حال العارفين فكيف يكون موقف

٢٣. الرازي، التفسير الكبير، ج١٢، ص١٢، وما بعدها.

٢٤. الى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر ص٣٣ في العدد ٢٤٢ بتاريخ ١٣/٥/٢٠٠٩ .

الذين لا يعلمون وهم الذين لا كتاب لهم كأهل الجاهلية. ومع ذلك فليختلفوا فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، فيحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه. ولكن الإسلام لا يقبل إلقاء الكلام اعتباطاً، ولا يقبل من أحد قولاً لا برهان عليه: (لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) البقرة ١١١.

وقد حدّد الإسلام معياراً واضحاً لصدق الإيمان في قوله: (بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة ١١٢.

وهاتان الآيتان تردان في سياق الآية التي تمّت الإشارة إليها في هذا المشهد، أي هما إسلام الوجه لله، وإحسان العمل، والله أعلم^{٢٥}.

قال الله تعالى في سورة الحج وهي مدنية:

(اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) الحج ٦٩.

تدبر سياق هذه الآية الكريمة لفهم المشهد الذي تتجه الآية لتقويمه وهي:

(لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُونَكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَليٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ، وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) (٦٧ و٦٨ الحج).

يقول العلامة المراغي^{٢٦}: فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى منسكها ما في التوراة والأمة التي من مبعث عيسى إلى مبعث محمد (صلى الله عليه وسلم) منسكها ما في الإنجيل وأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) وهم من وجد حين مبعثه إلى يوم القيامة منسكهم ما في القرآن، لأن لكل زمان ما يليق به من الشرائع التي تناسب من فيه في تلك الحقبة).

والأمر الذي يستخلص من هذه الآية وسياقها أن اختلاف الشرائع ليس من الأمور التي تستدعي الخصومة والعداوة والمحاكمة في الدنيا فإن الحاكم فيها هو الله سبحانه في يوم القيامة، وهي الخلاصة نفسها التي أكدتها آيات بينات ذكرنا بعضها من قبل.

٢٥. الرازي، المصدر السابق.

٢٦. المراغي، المصدر السابق، ج ١٧، ص ١٣٨ وما بعدها.

هذا وفي القرآن الكريم إشارات ودلالات أخرى تؤكد حقيقة أن الله وحده هو الذي يحكم بين المختلفين في الدين:

(إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يونس ٩٣.
(وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) النحل ١٢٤.
(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) السجدة ٢٥.
(إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) ١١٧ الجاثية).
(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) الحج ١٧.

هذه الحقيقة هي التي تنسجم مع العطاء الإلهي للإنسان منذ الخليقة بأن تكون الأرض مستقرًا ومتاعًا إلى حين:

(وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) البقرة ٣٦.

ولكن الخطيئة المتأصلة في ركن من الإنسان هي التي أفسدت حياته وسيرته وجعلته يضل في بعض الأحيان عن سواء السبيل:

(وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا) فاطر ٤٥.

فقد خاطب القرآن محمداً (صلى الله عليه وسلم) بقوله (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) ق ٤٥.

(لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ) الغاشية ٢٢.

(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) القصص ٥٦.

فمهمة النبوات بلاغ الرسالات والهدايات (صلى الله عليه وسلم) وهدى الإنسانية إلى رشدتها في الإيمان والتوحيد والسلام.

الخيـل معقود بنواصيها الخير

بعيدا عن السياسة أو قريبا منها، متروك للقراء الكرام، وجددني مدفوعا من داخلي، سيما في هذا الوقت بالذات والقائمة الكردستانية في الحملة الانتخابية، القريبة لبرلمان كردستان في دورتها الجديدة، قد اتخذت من الخيل رمزا وشعارا، وجددني أمام فكرة ملؤها الآمال منبثقة من قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): (الخيـل معقود بنواصيها الخير).

فأليت على نفسي أن اتحف القراء بهذه المقالة حول الخيل و بعض ما ورد في حقها، فقد جاء في القران الكريم ذكر الخيل مباشرة أو بصفاتـها الكثيرة في أكثر من آية، كقوله تعالى:

١- (ذِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ) ١٤ آل عمران).

٢- (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) ١٦٠ الأنفال)،

٣- (وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ٨ النحل).

٤- (إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) (رَدُّهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) ٣٠-٣٣ ص).

٥- (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا) ١-٥ العاديات).

يقول الشيخ (عبد الرحمن ناصر السعدي) في تفسيره هذه الآيات من سورة العاديات: والعاديات ضبحا: (يقسم الله تعالى بالعاديات، وهي الخيل التي تعدو في

الغزو، في سبيل الله، و هذا القسم يدل على شرف هذه الخيول الغازية في سبيل الله.
(ضبحاً): الضبح هو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو.
(فالموريات قدحا): (يعني الخيل عندما توري النار عند اصطكاك حوافرها بالصخر
فتقدح الشرر والنار.

(فالمغيرات صباحاً) يعني الخيل تغير على العدو وقت الصباح بإغارة أصحابها.
(فأثرن به نقعاً): فأثرن أي: (هيجن) به: (أي بمكان المعركة، نقعاً): أي غباراً
بشدة حركتهن. (فوسطن به جمعاً): أي وسطن بصاحبهن وراكبهن جمع الكفار من
العدو، أي دخلت وسط الجمع. راجع تفسير (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام
المنان).

ولدى عودتي إلى المصادر المعاصرة حول إهتمام الإسلام والأمم السابقة بالخيول
وجدت في موقع (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة) مقالا تحت عنوان:
(إسماعيل عليه السلام أول من ركب الفرس) من إعداد: د نظمي خليل أبو العطا)
فوجدت فيه ما يستوجب نقله واثراء المقالة به: (وتدخل جولتنا العلمية مع عجائب
الكائنات الحية في نفائس المخطوطات الإسلامية جناح العائلة الخيلية من محمية
المخطوطات الإسلامية، والمكتوب على مدخله:

(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (النحل: ٨).

وأول قسم من أقسام هذا الجناح هو قسم الخيل حيث قال عنه كمال الدين محمد بن
موسي الدميري (٧٤٢ - ٨٠٨ هـ) في كتابه حياة الحيوان الكبرى: (الخيول جماعة
الأفراس لا واحد له.
وقيل: مفرده خائل.

وقال السجستاني: تصغيرها خييل. وسميت الخيل خيلاً لاختيالها في المشية ويكفي
في شرف الخيل أن الله تعالى أقسم بها في كتابه فقال: (والعاديات ضبحاً) وهي
خيول الغزو التي تعدو فتصيح أي: تصوت بأجوافها.

وفي الصحيح: عن جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: (رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم) يلوي ناصية فرسه بأصبعيه وهو يقول: الخيل معقود في نواصيها
الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة). ومعنى عقد الخير بنواصيها أنه ملازم له كأنه
معقود فيها.

والمراد بالناصية هنا الشعر المسترسل على الجبهة وكنى بالناصية عن جميع ذات الفرس كما يقال فلان مبارك الناصية وميمون الغرة أي: الذات.

وروي مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، عن أبي هريرة (رضي الله عنه): (أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يكره الشكال من الخيل).

والشكال: أن يكون الفرس في رجله اليمني بياض وفي يده اليسرى بياض، أو في يده اليمني ورجله اليسرى كذا وقع تفسيره في صحيح مسلم وهذا أحد الأقوال في الشكال.

قال ابن رشيقي في عمدته في باب منافع الشعر ومضاره، أن أبا الطيب المتنبى لما ذهب إلى بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي وأجزل جائزته، رجع من عنده قاصداً بغداد وكان معه جماعة، فخرج عليهم قطاع طريق بالقرب من بغداد، فلما رأى الغلبة فر هارباً، فقال له غلامه: لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبداً وأنت القائل:

الخيال والليل والبيداء تعرفني والحرب والضرب والقرطاس والقلم

فكر راجعاً وقاتل حتى قتل فكان سبب قتله هذا البيت.

أول الفرسان: وأول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام، ولذلك سميت بالعراب. وقال الرازي: الإبل العراب بالكسر، خلاف البخاتي من البخت والخيال العراب خلاف البراذين- والخيال في المنام كما قال الدميري: قوة وزينة وعزة وهي أشرف ما ركب من الدواب.

فمن رأى في المنام عنده شيئاً منها نال قوة وعزاً، وربما دل ذلك على اتساع حاله وإدراك رزقه وانتصاره على أعدائه.

ومن رأى خيلاً تتطاير في الهواء فإنها فتنة.

وقال زكريا بن محمد بن محمود القزويني (٦٠٠ - ٦٨٢ هـ) في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: الفرس هو أحسن الحيوانات شكلاً وأشد الدواب عدواً وذكاءً، وله خصال حميدة وأخلاق مرضية وله صفاء اللون وحسن الصورة وتناسب الأعضاء وحسن طاعته للفارس، كيف يشاء صرفه وانقاد له، ومن الخيل ما لا يبول ولا يروث ما دام الراكب عليه.

وقال: قال محمد بن السائب الكلبى إن الصافنات الجياد التي عرضت على سليمان

عليه السلام، كانت ألف فرس ورثها عن أبيه داود عليه السلام، فلما ألهته عن الصلاة حتى توارت بالحجاب عرقبها فوقد عليه قوم من الأزد وكانوا أصهاره فلما فرغوا قالوا: يا نبي الله! أرضنا شاسعة زدنا ما يبلغنا إليها فأعطاهم فرساً من تلك الخيل وقال: إذا نزلتم منزلاً فأحملوا عليه غلاماً واحتطبوا فإنكم لا تورون (أي: توقدون) ناركم حتى يأتكم بطعام، فساروا بالفرس وكانوا إذا نزلوا منزلاً حملوا عليه غلامهم للقنص فلا يفوته شيء من ظبي أو بقر أو حمار إلى أن قدموا إلى بلادهم، فسموا ذلك الفرس زاد الراكب، وزعموا أن خيل العرب من إنتاجه.

وقال الدميري في حياة الحيوان الكبرى: الحصان بكسر الحاء المهملة الذكر من الخيل. قيل: إنما سمي حصاناً لأنه حصن ماءه فلم ينزل إلا على كريمة. الخيل في العلم الحديث: والخيل في العلم الحديث، من العائلة الخيلية، رتبة فردية الحافر شعبية (تحت شعبة): الثدييات من شعبة الحليات، التابعة للمملكة الحيوانية من الكائنات الحية.

وكما قال الدكتور حسين فرج زين الدين في كتابه القيم أطلس ثدييات العالم: أن العائلة الخيلية تضم الحمار، والزبرا (أي: الحمار المخطط) والحصان وجميعها تتميز بوجود حافر واحد يتكون من الأصبع الثالثة داخل صندوق قرني هو الحافر. والذنب مغطى بشعر طويل يعمل عمل المذبة أو المهشة في طرد الذباب في البيئة الخارجية والخيل حيوانات اجتماعية تعيش في قطعان قد يبلغ عدد الواحد منها بضع مئات. والأفراس تلد صغيراً واحداً مرة كل سنتين ويولد الصغير كامل النمو مفتوح العينين يستطيع الوقوف بعد دقائق معدودة من مولده دون مساعدة ما.

ومدة الحمل في الأفراس أحد عشر شهراً. وتعمر الخيول طويلاً، وقد تلد الفرس في سن الخامسة والعشرين، وقد عمر بعض الخيول خمسين عاماً.

ويوجد من الحصان صنفان فرس منغوليا الوحشي، والفرس الأهلي، والحصان العربي من الفرس الأهلية^١.

الحصان العربي: الحصان العربي من أقدم الخيول الأصيلة في العالم، ويمتاز بقوة تحمله، وسرعته القائمة، وجمال منظره، و تناسق أعضائه ورشاقته، كما أنه سريع

١. الى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر ص ٣٢ في العدد ٢٤٤ بتاريخ ٢٧/٥/٢٠٠٩ .

الاستجابة لقائده إذا أحسن معاملته، فضلا عن إلى إذنه المرهفة التي تطرب لسماع الإيقاع الجميل، ويأتي الحصان بحركات خاصة بأرجله عند سماعها.

ومن خصائص الحصان العربي كما قال الدكتور محمد مصطفى شكري في كتابه الخيول ورعايتها: قدرته على التكيف مع الظروف الجوية الصعبة حارة كانت أم باردة، وكذلك تحمله للعطش ومحافظته على سرعته العالية لمسافات طويلة، واستغلاله لأكبر طاقة ممكنة من غذائه، كما يمكنه تحمل السير لمسافات طويلة حاملاً أوزاناً تعادل ربع وزنه دون كلل.

ومنشأ الحصان العربي بالدرجة الأولى، بلاد العرب، وقد كتب المؤرخ العربي الكلبى: أن العرب ينسبون جميع الخيول إلى خمسة أصول هي: الكحيلان، والصقلاوي، والعبيان، والحمداني، والهدبان، ولا تعتبر الخيل نقية إلا إذا كانت تنتسب إلى واحد من هذه الأصول، والكلبي هو أبو المنذر هشام بن محمد الكلبى، ضابط أنساب الخيل العربية منذ أن اشتهر أول فرس عربي كفحل للسفاد وألف كتاب أنساب الخيل سنة ٨٧٦ ميلادية.

جولة مع أبي المنذر هشام بن محمد السائب الكلبى:

قال في مخطوطته الشهيرة أنساب الخيل في الجاهلية (٨٧٦هـ): والتي حققها أحمد زكي باشا حيث قال: كان داوود نبي الله عليه السلام، يحب الخيل حباً شديداً، فلم يك يسمع بفرس يذكر بأصل كريم وعنق وحسن وجري إلا بعث إليه، وكلها من أعراق الجياد العربية، حتى جمع منها عدداً كبيراً قبيل: إنها بلغت ألف فرس.

ولما توفي داوود آل ملكه وميراثه إلى ابنه سليمان نبي الله، الذي قال بعد وفاة والده (ما ورثني داوود مالا أحب إلي من هذه الخيل).

ويقال: إن سليمان طلب يوماً عرضها عليه ليعرفها بشيائها وأسمائها وأنسابها فأخذ في عرضها حتى حان موعد صلاة الظهر، فصلى وممر به وقت العصر وهو يعرضها فشغلته عن صلاة العصر حتى غابت الشمس، ثم انتبه فذكر الصلاة واستغفر الله وقال: (لا خير في مال يشغل عن الصلاة وعن ذكر الله رذوها). وكان قد عرض منها تسع مئة، وبقيت مئة لم تعرض، فطفق يضرب سوقها، أسفاً على ما فاتته من وقت الصلاة.

وأما عن المئة التي لم تعرض عليه فقد قال: (هذه المئة أحب إلي من التسع مئة التي ألهمتني عن ذكر ربي).

زاد الراكب: ويسترسل الكلبى عن أصل الجياد العربية فيقول: إن أول ما انتشر من تلك الخيل، أن قوماً من الأزدي من أهل عمان قدموا على سليمان بن داود بعد زواجه من بلقيس ملكة سبأ، ليقدّموا له التهاني وليسألوه عما يحتاجون إليه من أمر دينهم ودينهاهم، ولما انتهوا من ذلك، وهموا بالانصراف، طلبوا إلى سليمان، أن يأمر لهم بيزاد يبلغهم بلادهم فدفع إليهم فرساً من خيله أنفة الذكر وقال لهم:

(هذا زادكم فإذا نزلتم فاحملوا عليه رجلاً وأعطوه مطرداً رمحاً قصيراً للطعن، وأوروا ناركم فإنكم لن تجمعوا حطبكم وتوروا ناركم حتى يأتكم بالصيد).

فصار القوم لا ينزلون منزلاً إلا حملوا على فرسهم رجلاً بيده مطرد واحتطبوا وأوروا نارهم (أي: أشعلوها) فلا يلبث أن يأتهم بالصيد من الظباء أو غيرها، فيكون معهم ما يكفيهم ويشبعهم ويفضل إلى المنزل الآخر فقال الأزديون:

ما لفرسنا هذا اسم إلا زاد الراكب، فكان ذلك أول فرس اشتهر في العرب من تلك الخيل. وسمعت العرب بمزايا زاد الراكب وعراقته فصارت القبائل تستطرق الأزدي (يرجون سفاد أفراسهم منه) فنتج لبني تغلب الهجيس، فكان أجود من زاد الراكب ثم اشتهر الهجيس وأقبلت القبائل تستطرق بني تغلب فنتج لقبيلة بكر بني وائل الديناري فكان أجود من الهجيس.

وسمعت قبيلة بني عامر بالديناري، فاستطرت بكر بن وائل فنتج لهم أعوج. ومن الجدير بالذكر أن أم أعوج هي الفرس المشهورة بالعراقة والعنق سبل وكانت ابنة الفرس المشهورة سواده وأبوها فياض.

وقال الدكتور محمد مصطفى شكري في الخيول ورعايتها:

(كان اهتمام العرب بإنثاء الخيول كثيراً حيث كانوا يركبون الأفراس ولا يركبون الخيول الذكور، وكانت هذه الإناث تعتبر ثروة لا تقدر بثمن، حيث كان من الصعب أو المستحيل الحصول على إحدى هذه الإناث قديماً بواسطة التجار الأوروبيين الذين سعوا كثيراً لشرائها من أجل تحسين سلالاتهم الأوروبية، ولكنهم سرعان ما نجحوا في الوصول إلى غاياتهم حيث توصلوا إلى الحصان الإنجليزي، الشائع الصيت.

ويمكن القول: أن تهجين الخيول الأجنبية بالخيول العربية، كان له تأثير واضح على الخيل الناشئ مما جعل الخيول العربية عملة نادرة لا تقدر بثمن وهذا يرجع بالدرجة الأولى إلى نقاء أصلها.

الشكل الظاهري للخيول العربية: ننتقل الآن إلى علم الشكل الظاهري للخيول العربية فنبدأ بألوانها، حيث جاء في كتاب: الخيل العرب/لقدري الأضرومي: بأن الخيل العربية تتمتع بعدة ألوان زاهية براقة جذابة، أساسها خمسة ألوان هي: الأبيض، والأحمر، والأسود، والأخضر، والأصفر.

وتتمازج بعض هذه الألوان فيما بينها وتنتج من هذا التمازج ألوان جديدة عديدة أطلق عليها العرب أسماء جديدة تدل على الألوان المستحدثة.

١- اللون الأبيض: وهو لون نادر في الخيل العربية، عند الولادة وحتى سن الخامسة والسادسة، وبالعكس ذلك، يكثر اللون الأبيض في الخيل التي تتجاوز أعمارها السادسة فأكثر، والتي كان لونها في السن المبكرة أشهب، وعلى اختلاف شهبته، ويستحب في الخيل البيض سواد أعرافها وأذانها ونواصيها وهذا نادر.

٢- اللون الأشهب: الأشهب مزيج من اللونين، الأبيض والأسود بدرجات متناسبة وهناك الأشهب الحديدي (أو الأزرق) وهو ما زاد فيه اللون الأسود، على اللون الأبيض زيادة كبيرة بحيث يسيطر اللون الأسود بعض السيطرة.

والأشهب الفاتح: وهو ما ظهرت على لونه الأشهب بقع بيضاء أو وردية، والأشهب الرماني، وهو ما خالط شهبته لون أحمر، أو ما كانت تعلق شهبته نقط حمراء فاتحة. والأشهب الملمع (أو الأشيم): وهو ما ظهرت على لونه الأشهب، بقع متفرقة ذات لون مغاير للونه الأشهب.

والأشهب المولع: وهو ما ظهرت على لونه الأشهب، بقع مستطيلة ذات لون مغاير للونه الأشهب، والأشهب الأخضر وهو ما مازج شهبته لون أخضر وهذا قليل.

٣- الأدهم: وهو ما كان شعره أسود وهو نادر ومستحب بين الخيل العرب، ومنه عدة أنواع منها:

الأدهم الغيهبي: وهو شديد السواد.

والأدهم الدجوجي: وهو ما دون الغيهبي سوداً.

والأدهم الأحوي: وهو ما مازج سواده لون أخضر.

والعرب، كما قال قدري الأضرومي: تكره في الخيل الفرس الأصم الذي لا بياض في وجهه، وخاصة الغرة، والذي لا تحجيل فيه، وهو البياض في اليدين والرجلين، وقال الشاعر:

وأدهم كالغراب أسود لونا يطير مع الرياح ولا جناح
كسأه الليل شملته وولي فقبل بين عينيه الصباح

٤- الحصان الأحمر: وهو ما أحمر شعره وله عدة أنواع منها:

الأحمر الكميت: وهو ما كانت حمرة في سواد.

والأحمر الأصدأ: وهو ما قاربت حمرة السواد.

والأحمر الفاتح: وهو ما كانت حمرة فاتحة^٢.

٥- الفرس الأشقر: وهو ما كان لونه مزيجاً بين اللونين الأحمر والأصفر وله أنواع منها:

الأشقر الذهبي: وهو ما شابه لون الذهب.

والأشقر الفاتح: وهو ما كثرت صفرة على اللون الأحمر.

والأشقر الغامق (الأدبس): وهو ما كثرت حمرة على اللون الأصفر.

والأشقر المدمي: وهو الذي تعلق شقرته الصفرة وأصول شعره بلون الحنا.

والأشقر العنابي: وهو الأشقر الفاتح مع بياض الغرف والذنب والناصية وهو قليل جداً.

الشبية: هي وجود لون في جسم الفرس يخالف لونه الأصلي والشبية على أنواع:

الغرة: هي البياض الكائن في وجه الفرس.

السائلة: وهي التي تمتد في الجبهة إلى قصبه الأنف فشملتها وسالت على الأرنبة.

الشمراخ: وهي التي تدق في الجبهة وعلى قصبه الأنف.

المنقطة: كل بياض في جبهة الفرس يبلغ المرسن ثم ينقطع.

طلاق زوجة امرئ القيس بسبب قصيدة عن الخيول:

بسبب الخيل طلق امرؤ القيس شاعر الجاهلية الشهير، زوجته أم جندب رغم كل ما

قال فيها من شعر وبسبب سباق للخيل قامت حرب (داحس والغبراء) والتي امتدت

٤٠ عاماً وحصدت أرواحاً بالمئات.

وتحكي قصص الجاهلية طلاق أم جندب على النحو الآتي:

٢. الى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر ص ٣٢ في العدد ٢٤ بتاريخ ٢٠٠٩/٦/٣.

نزل الشاعر المعروف علقمة بن عبدة، ضيفاً على امرئ القيس في داره، فتذاكرا الشعر والخيل، وادّعي كل منهما على صاحبه.

فقال علقمة لامرئ القيس، قل شعراً تمدح فيه فرسك وأقول: أنا مثله، وتترك الحكم في المفاصلة بينهما، إلى أم جندب زوجك، فوافق امرؤ القيس وقال قصيدته البائية المشهورة:

فللساق الهوب وللوسط درة وللزجر منه وقع أهوج متعب

ومعنى البيت: أن للرفس بالساق والزجر بالكلام وللوسط أثر شديد على فرسه.

ثم قال علقمة قصيدته البائية ووصف فرسه فيها فقال:

فأدركهـن ثانياً من عنانه يمر كمر الراح المتحلب

فحكمت أم جندب لعلقمة إذ قالت: لامرئ القيس (زوجها) أن فرس علقمة أجود من فرسك، لأنك رفست فرسك بساقيك، واستعملت سوطك وزجرتة، بينما لم يفعل علقمة شيئاً من هذا، بل كان فرسه يدرك الصيد ثانياً من عنانه أي: بطلبه، ويجري كالطر المتدفق المنهمر.

فغضب امرؤ القيس وطلقها، فتزوجها علقمة، ولهذا سمي بعلقمة الفحل.

وهكذا تسببت الخيل، في طلاق زوجة الشاعر الكبير، وهكذا كانت للخيل مكانة عند العرب.

تُسبب ولا يردها بليق: من أروع ما حوت المخطوطات الإسلامية العربية في نسب الجياد وسرعة جريها تلك القصة الطريفة:

فقد كانت لفارس من فرسان البدو فرس مشهورة في القبائل، وكان صاحبها شديد الكف بها، يعزها معزة عظيمة، ويخصها بعناية خاصة بالمقارنة بجياده الأخرى، ويحرص عليها من السرقة حرصاً دقيقاً فيجعل القيد في رجليها ويديها ليلاً ونهاراً.

وبهذه الإجراءات الصارمة كان صاحب الفرس يظن أن فرسه في مأمن من السرقة وهو لا يعلم أن فارساً من قبيلة أخرى كان قد عقد العزم على الحصول عليها بكل إصرار، وأنه كان قد وجه لهماً محترفاً لسرقتها، وأن هذا اللص كان قد عمل مستخدماً لدى أحد أفراد قبيلة صاحب الفرس ليرعى إبله، ومن خلال عمله هذا كان يترصدها لسرقة الفرس، وبعد بضعة أشهر واتته الفرصة.

ففي ذات يوم تخلف صاحب الفرس عن منزله بعض الوقت فشفت ابنته على الفرس، وفكت قيدها بغية إعطائها الفرصة للتجول بحرية، وهي لا تعلم شيئاً من أمر اللص الذي ما أن رأى الفرس طليقة من قيودها، حتى أسرع وقفز على ظهرها، وركلها بساقيه فعدت تنهب الأرض نهياً.

فضج الحي وركب الفرسان يطلبونه، وكان ابن صاحب الفرس معهم وهو يمتطي حصاناً غير معلوم النسب يدعي بليق، كما حضر في الوقت المناسب صاحب الفرس المسروقة وتحت فرس كريمة من خيله فاشترك في مطاردة السارق.

ولما تزاхمت الخيل في أثر السارق، وطال عليها المسير وتعبت، ابتداءً الفرسان بالتقهقر ولم يبق سوى صاحب الفرس المسروقة وابنه اللذين كانا يجدان وراء اللص، حتى اقتربا منه عند العصر، وكان الابن أقرب إليه من والده وكاد أن يدرك السارق ويطعنه في ظهره فلما رأى والده ذلك فضل أن ينجو السارق بالفرس الأصيلة من أن يسترجعها الحصان بليق ويقول العرب أن بليقاً غير الأصيل لحق بفرسه الأصيلة وردها.

وكان اللص قد اقترب من أرض موحلة فناداه صاحب الفرس بأعلى صوته قائلاً: دون الغبط. أي: سر في الأرض الموحلة. وإلا فضحت الكحيلة.

فعمل اللص بمشورة صاحب الفرس ووجهها إلى الأرض الموحلة.

فذهبت لا تعباً بصعوبة وأراد الابن اللحاق به غير أن الفرس غير النجيبة التي يركبها خانتته في تلك الأرض الموحلة ورجع الفتى إلى والده يلومه على فعله فأجابه والده: تُسي ولا يردها بليق. فصار مثلاً.

حرب داحس والغبراء: لقد احتدمت حرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان ابني بغيض بن ريث بن غطفان، والسبب الذي أشعل الشرارة الأولى لنيران تلك الحرب الضروس كان السباق الذي أجري بين الفرسين داحس وكان فحلاً لقيس بن زهير العبسي، والغبراء وكانت أنثى لحمل بن المنذر بن بدر الذباني وكان قد تم الاتفاق بين الطرفين، على رهان قدره مئة بعير.

فأعد حمل بن بدر صاحب الغبراء، كميناً لداحس في طريق السباق، حيث أمر بعض فتيان قومه بالظهور فجأة أمام داحس، مما تسبب في سقوط فارسه.

وفازت الغبراء بسبب هذا الخداع، وكاد صاحبها يحصل على الرهان لولا أن

انكشفت المؤامرة بعد أن ندم فتیان الكمين على فعلتهم المتنافية مع الشرف العربي
فحكّم المحكمون لداحس بالرهان وانتهى السباق وأخذت الفتنة.
ولكن أرباب السوء من قوم حذيفة بن بدر لاموا حذيفة على التسليم بالأمر الواقع
وإعطائه الرهان لقيس، فطالب ابن بدر بالرهان.
ولكن باءت محاولاته بالفشل، وتناول ابن حذيفة على قيس بالشتائم، فما كان من
قيس إلا أن طعنه برمحه فأرداه قتيلاً، وطار الشر بين القبيلتين، لولا رسل الخير الذين
فرضوا على قيس إعطاء دية القتل وهدأت الفتنة.
ولكن تفجرت روح الشر في حذيفة بن بدر وأخيه حمل، جعلت أقواماً من قبيلتهم
يقتلون مالك بن زهير شقيق قيس بن زهير.
وقبل قيس الدية في مقتل أخيه إخماداً للفتنة ولكن حذيفة رفض إعطاء الدية رغم
تسامح قيس الذي كان يروم إرجاع المياه إلى مجاريها بين أولاد العم فحلّت الكارثة
وقامت الحرب بسبب سباق خيل^٢.

٢. الى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر ص ٣٢ في العدد ٢٤٦ بتاريخ ١٠/٦/٢٠٠٩ .

الإسلام والنظام الديمقراطي

يوم أذنت في اذن زاويتي هذه وسميتها (من كل بيدر حبة)، لم أكن غير قاصد بل كنت أريد أن أقطع في بداية الطريق، الطريق على من يلومني فيما لو نقلت عن أناس مختلفي الإتجاهات!

ولا أظنني يوما ما خنت قرائي الكرام فأعزو إلى نفسي معلومة أخذتها من غيري، و ماخنت قرائي الكرام يوما في أن أتتهم بأفكار دينية محددة متشددة أو ذات منبع واحد، بل كنت دوما كالنحل الذي يبحث عن السنابل، ليمنحنا العسل المصفي والرحيق المختوم!

بعد ماغبت عنكم خلال الأسابيع الثلاثة المنصرمة من حيث العنوان فقط، والا كنا في موقعنا في مقالة مأخوذة من الغير أيضا وكانت التسمية الجديدة من اقتراح السادة المحررين، ولم يكن لي بد الا الإستسلام ورفع راية السلام، والا فمن أنا حتى أكتب شيئا فيوسم بخير الكلام؟

لذا ها قد أتيتكم ثانية كما عودتكم، وهذه المرة أيضا في زيارة أخرى لموقع (اسلام أون لاين نت)، وهذا البحث الشائق بعنوان: (الإسلام والنظام الديمقراطي، بقلم د. عبد المنعم أبو الفتوح، المفكر الإسلامي والأمين العام لاتحاد الأطباء العرب) حيث يقول يحفظه الله:

الديمقراطية هي نظام غربي ارتبط بنشأة الدولة الأوروبية الحديثة و بسياق تطورها الاقتصادي والاجتماعي، ذلك أن قيام الثورة الصناعية وما تبعها من تغيرات في بنية المجتمع والسلطة والعلاقة بينهما ومع انتشار الفكر التنويري طرح الديمقراطية كآلية لنظام الحكم بصورة عامة، وآلية لتنظيم مسألة السلطة التي تتمكن من تحقيق الحد الأقصى من إقامة العدل بين الناس في توزيع الواجبات والحقوق.. وبسط الحرية وتفعلها لنقلها من معناها اللفظي المجرد إلى التطبيق الواقعي.

الغرب اكتشف حاجته إلى الديمقراطية كحل تنظيمي لكثير من المشاكل التي واجهته في طريق التطور والتقدم؛ ولذلك اعتمدها في المجال السياسي والاقتصادي وفي تنظيم المجتمعات.

فهل يمنع ذلك المسلمين من الأخذ بها كونها على حد قول رئيس الوزراء البريطاني السابق تشرشل: (أقل الوسائل سوءاً في الحكم)؟!

الإسلام – وبشكل مبدئي – لا يقف موقفا متباعدا من الإنجازات الإنسانية التي تقدم إضافات نافعة للحياة، وكما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أينما وجدها). وهو الحديث الذي يشير بدقة ووضوح إلى أن المسلم، إنما هو كائن يسعي إلى نشدان الحقيقة التي هي ثمرة السعي الإنساني الجاد في هذه الحياة، سواء أكان هذا السعي منطلقاً من منهج إسلامي أم من مناهج أخرى. ونحن نؤمن بأن اعتماد المبادئ الإسلامية في البحث عن الحقيقة له دوره الفاعل في إيصالنا إليها من أقصر الطرق بصورة أشمل وأسرع مما لو حاولنا أن نكتشفها بمعزل عن مبادئ الإسلام، فإذا كانت الديمقراطية بهذا المعنى إنجازاً إنسانياً؛ فالإسلام يدعو إلى الأخذ الجدي بكل معطيات ومكونات النظام الديمقراطي، لأن ذلك يتصل اتصالاً وثيقاً بما دعا إليه الإسلام على مستوى الشورى.

تعقد آليات الشورى في العصر الحديث:

والشورى مبدأ إسلامي أساسي ورد في القرآن الكريم مرتين في قوله تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) الشورى: ٣٨.

وقوله تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) آل عمران: ١٥٩.

و يبدو لنا الحزم والقطع في التوجيه: (وشاورهم في الأمر)، و (وأمرهم شورى بينهم).

وجملة أمرهم شورى بينهم (إخبار)، والإخبار في اللغة، كما يقول علماء البلاغة، هو: أعلى أشكال الحسم والتحديد، وبالتالي، فالكلام هنا، لا يمكن حمله على الاختيار والمفاضلة، بمعنى إذا شاء الحاكم أن يشاور فعل، وإن لم يشأ لم يفعل، فصيغة الأمر هنا واضحة جداً.

في مرحلة دولة المدينة كان العالم الإسلامي محصوراً في مدينة واحدة ويمكن أن

تجري الاستشارات في يوم وليلة دون آليات معقدة لتحقيق الشورى.
الآن وبعد اتساع المجتمع الإسلامي وتباعد البلدان الإسلامية تعقدت آليات تمثيل الشورى.

وكان لا بد من وضع نظام وآلية دقيقة وواسعة، هذه الأنظمة والآليات لا تختلف مع ما نسميه اليوم النظام الديمقراطي.

لا أتصور أن هناك اختلافاً إذ كيف تتحقق الشورى دون مجلس شورى؟
وكيف يتكون هذا المجلس إذا كنت أريد أن استشير شعباً تعداده الملايين؟
لا بد إذاً أن تكون هناك انتخابات.

إذن الديمقراطية نفسها هي مبدأ الشورى نفسه.

الشورى فريضة ملزمة، ولو أن المسلمين التزموا بها وحققوها في حياتهم على مدار التاريخ لتطور نظام الشورى ولأصبحت له آليات تحدده وتوسع إطاره ومساحته ولأمكن للمسلمين أن يكتشفوا الديمقراطية قبل أن يكتشفها الغرب مع توافر ضمانات قيمية وأخلاقية تتصل بالإسلام تصونها وتحميها من أي تلاعب.

النظام الجمهوري:

الحديث عن الديمقراطية يدعونا للحديث عن النظام الجمهوري الذي هو مجرد نظام، وليس نظرية فلسفية أو وجهة نظر للكون والحياة والإنسان، إنه حصيلة ما توصلت إليه تجارب الفكر السياسي وتجارب النظام السياسي في كثير من البلدان التي سبقتنا للبحث عن الأنظمة الفاعلة التي تحقق أفضل إدارة سياسية للمجتمع^١.

أهمية النظام الجمهوري:

النظام الجمهوري مجرد إطار للنظام، ولا يدخل في صميم الأفكار التي يقوم عليها هذا النظام، وبالتالي فمن الطبيعي أن نستفيد من هذه الأنظمة التي توافرت عبر التاريخ البشري ووصلت إلينا على النحو الذي نعرفه اليوم، والإسلام يدعونا للاستفادة من التاريخ، ولو كان للإسلام نظام خاص ومحدد في الحكم والسلطة، لكان ذلك حرياً أن يظهر في المصادر الأساسية للتشريع الإسلامي (الكتاب والسنة) الذي دعا لأن يكون

١. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر ص ٣٣ في العدد ٢٤٧ بتاريخ ١٧/٦/٢٠٠٩.

الحكم إسلامياً مطبقاً لشريعة الإسلام، ولكنه لم يتطرق إلى شكل النظام وبالتالي فإن المسلمين الأوائل كانوا أكثر تحرراً عندما اعتمدوا أشكال التنظيم الذي استفاد بصورة واضحة من التجارب السابقة لهم واستفادوا من التنظيمات التي سبقتهم إليها الحضارات الأخرى التي أقامت دولاً سابقة على الدولة الإسلامية.

و هذا يجعلنا نؤكد أكثر على ضرورة الاستفادة من النظام الجمهوري الذي هو حصيلة تجارب أمم سبقتنا في مجال الفكر والتنظيم السياسي، وأن نستفيد من تجاربها في هذا المجال، بل نسعي لتطوير النظام الجمهوري نفسه فنضيف إليه عناصر جديدة كان الآخرون قد أضافوها لكي يصل إلينا النظام الجمهوري بشكله الراهن.

وعندما يسعي المسلمون لإقامة نظام إسلامي فإنهم يريدون صيغة عملية وفاعلة لهذا النظام، وإذا ما أرادوا ابتكار نظام جديد فإنهم سيقعون في مشكلة التجربة والخطأ ولا يستفيدون إذ ذاك من تجارب الآخرين.

في مرحلة الحكم الراشد تم تأسيس المسار الإسلامي لمسألة الحكم والسلطة وكان مساراً يؤسس لنظام العدل والحريات. يؤسس لإسلام يتسع لاختيار البشر. ذلك أن الإسلام لا يعرف سلطة (الحق الإلهي).

الإسلام يقول إن البشر هم الذين يختارون، وإن هذا الاختيار ملزم لهم وللحاكم. و أتصور أنه لو استمرت مرحلة الحكم الراشد، لكانت الإنسانية اكتشفت الديمقراطية قبل النهضة الأوروبية الحديثة، كما ذكرت ، و لاكتشفت منظومة الحقوق التي يفخر الغرب بإنجازها قبل ذلك بقرون طويلة.

لكن من الأسف أن الاستبداد فوت على المسلمين فرصة أن يقودوا هذه الاكتشافات العظيمة وأن يقودوا مسألة الحريات في العالم و مسألة حقوق الإنسان على مستوي العالم واكتشاف النظم الديمقراطية من خلال الأسس والمبادئ التي أرستها الشريعة الإسلامية وأرساها النص الإسلامي.

الإسلام نقيض الاستبداد: وهو البوابة الكبرى لتحرير الإنسان.

الناس عندما اتبعت الرسول (صلى الله عليه وسلم)، اتبعته بوصفه محرراً للناس ولذلك كانوا يأخذون على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قد اتبعه الأراذل من

الناس والمسحوقون من البشر بعد أن وعدهم بالحرية التي كانوا يفتقدونها؛ لذلك كانوا أقدر الناس على فهم المكون الجوهري لهذه العقيدة بوصفها عقيدة تحرير للإنسان، فكيف يمكن أن يصادر هذا التحرير بإقامة حكومات مستبدة باسم الإسلام نفسه؟! وكيف يمكن أن تقوم حكومات لكي تصادر حريات الناس باسم الإسلام؟! إن موقف الإسلام من الاستبداد، هو موقفه من الكفر، وهو موقفه من الانحراف عن الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، لذلك كان لا بد من تحرير فكرة (السلطة) إسلامياً، وتحويلها إلى سلطة تمكن الإنسان المسلم، من إطلاق ملكاته وقدراته من أجل أن يصل إلى الغايات التي رسمها الله سبحانه وتعالى للمسيرة الإنسانية.

ضوابط الحرية في نظام الشورى:

الإسلام يضمن حرية الاختيار لمعتنقيه فكل ما في الإسلام من واجبات وأوامر ونواه ومحرمات وأدبيات عامة وفرت أعظم الضمانات لحرية الاختيار بدءاً من اختيار الإسلام نفسه الذي لا يجوز اختياره وفقاً للتقليد، فالحرية إذاً أسبق من الإسلام. وبها نختار الإسلام.

لذلك قام الإسلام بتوفير أعظم الضمانات لهذه الحرية ولا يوجد في الإسلام ما ينافي مبدأ الحرية على الإطلاق، والمؤكد أنه لا توجد حرية مطلقة في الحياة، ويجب أن نفرق بين ضبط حدود الحرية من خارج قواعدها (وهذا هو تعريف الاستبداد) وضبط حدودها من داخل قواعدها (وهذا هو تنظيم الحرية) وكل نظام بالضرورة له آلياته لتنظيم الحرية.

والإسلام يضبط الحرية من داخل قواعدها، فالإسلام - مثلاً - يضبط حرية معتنقه تجاه لعب القمار وشرب الخمر، ويمنع ويعاقب فهل في هذا تقييد لحرية الإنسان؟ إن ذلك هو عين الحماية لحرية الإنسان فمن اعتنق الإسلام بكل حرية عليه أن يلتزم بأحكامه فإذا خولفت أحكامه فقد خولف مبدأ اعتناق الإسلام نفسه، فالمحرمات التي يفرضها الإسلام على معتنقيه هي ضبط للحرية من داخل قواعدها وليس من خارجها، وهذه نقطة مهمة للغاية.

وبهذا المعنى فإن الإسلام وبكل أحكامه هو ضمان لحرية الإنسان، الإسلام أراد من المسلم أن يختار سلطة العدل وأن يختار النظام الذي يبسط العدل بين الناس،

والمجتمع المسلم حر في اختيار النظام الذي يرى أنه يؤمن له الحد الأقصى من العدل الذي هو الغاية من النظام السياسي وتحقيق هذه الغاية يتطلب الأخذ بالمتغيرات التاريخية^٢.

الشعب حر في اختيار النظام الذي يريده دون أن يكون ذلك على حساب عقيدته الإسلامية.

حاجتنا إلى النظام الديمقراطي:

إن حاجتنا إلى الإسلام لا حدود لها ولكن من أهم أولوياتها حاجتنا إلى النظام الشوروي أو الديمقراطي، التيارات الإسلامية التي تقف اليوم في وجه الأنظمة المستبدة تركز على أمر أساسي في النظام الإسلامي وهو الحرية وعدم احتكار السلطة.

نعم قد تركز على تطبيق الشريعة الإلهية وهو أمر مهم جدا وسوف ينقلنا من مرحلة التخلف إلى مرحلة التقدم ولكن هذا لا يكفي، أن يكون النظام إسلاميا لكي يحقق التقدم والازدهار والنصر، النظام لكي يحقق ذلك يجب أن يكون إسلاميا وأن يكون معترفا بشرعية الناس، بشرعية الجماهير، لذلك فإن أي عملية تحول في السلطة تنقلنا من النظم التي جلبت لنا التخلف يجب أن تؤسس ليس هذا فحسب وإنما لا بد لهذه السلطة أن يتم تداولها بطريقة ديمقراطية أي بطريقة الشورى؛ لذلك فلا معنى للكلام عن نظام إسلامي لا توجد ضمانات حقيقية للحرية فيه، وبالتالي فالتيارات الإسلامية لن تستطيع أن تكون (عنصر خلاص) بمجرد أن تعد بتطبيق الشريعة الإسلامية.

تطبيق الشريعة الإسلامية بحد ذاته، لا يشكل ضمانا ضد الانحراف، لأن بإمكان أي حاكم مستبد أن يقول: هذه هي الشريعة كما أفهمها وأنا أطبقها، إذاً ما هو الضمان ضد الاستبداد؟ الضمان أن تكون المرجعية في اختيار السلطة هي الناس؛ لذلك فإنه لا شرعية لأي نظام دون أن تكون هناك ضمانات حقيقية لإمكانية تداول السلطة وليس الاستفراد بها واحتكارها.

ومن هنا لا يمكن الدفاع عن هذه الديمقراطية فقط لأنها توفر فرصة الوصول إلى السلطة بل يجب الدفاع عنها وحمايتها بوصفها مبدأ جذريا وأساسيا بغض النظر عن كونه يوفر لها فرصة الوصول للسلطة أو لا.

٢. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر ص ٣٣ في العدد ٢٤٨ بتاريخ ٢٤/٦/٢٠٠٩ .

فمن يقل إنني أخذ الآن بالديمقراطية ما دامت تتيح لي وصول أكبر عدد من النواب إلى البرلمان وبالتالي تتيح لي تسلّم السلطة وبعد ذلك نرى ماذا نفعل!!، إنما يعد خائناً للأمانات، وخيانة الأمانات في الإسلام تعد من كبائر الكبائر، في فكرنا وبرامجنا مبدأ الديمقراطية أساسي وجوهري، ونؤمن إيماناً قطعياً بأن السلطة يجب أن تكون موضوعاً للتداول وليس للاحتكار، وعليه يجب أن نفهم جداً أن السلطة في الإسلام ليست شأنًا مقدساً ولكنها شأن بشري.

الشريعة شأن إلهي مقدس ويجب علينا كمسلمين أن نطبقها، أما السلطة فهي شأن بشري يختاره البشر ويحدده البشر ويغيره البشر، وبالتالي فإن شرعية أي نظام هي في اختيار الناس له لا في محتواه العقائدي فإذا اختاره الناس فإنه نظام شرعي وإن كانت إسلاميته منقوضة، أما النظام المستبد الذي لم يخرج من الناس فلا شرعية له حتى لو كان يحكم باسم الإسلام.

يشهد التاريخ أن الأقليات في الحضارة الإسلامية كانت أسعد الأقليات ذلك أن الشريعة الإسلامية تحض على ذلك وتؤمنه؛ لأن ذلك يتعلق بمبادئ الإسلام نفسه في حماية حرية الاختيار للأفراد وللجماعات، لذلك نجد أن الإسلام يسع التعدد داخل المجتمعات على مستوى الشريعة وعلى مستوى أنظمة الحكم.

وأحسب أننا لم نجتهد كثيراً للاستفادة من أحكام الإسلام في هذا المجال الذي يحتوي على مكرّمات كثيرة وفضائل بألوان من التسامح ينذر لها مثيل، فكيف إذا اجتهدنا في أحكام الإسلام أكثر وأكثر بما يتوافق مع مصلحة المجتمع الإسلامي.. إذ ذاك سوف نكتشف أن الإسلام هو المناخ الأفضل للتعايش المشترك بل مشاركة الأقليات في بنية المجتمع الإسلامي، وفي الإسلام متسع كبير لهذه المشاركة التي لا تتوقف عند حدود إقامة شعائرهم الدينية بل تصل إلى حدود مشاركتهم في السلطة نفسها.

المعارضة في ظل النظام الديمقراطي الإسلامي:

يتطلب منا الحديث في هذا الموضوع أيضاً أن نتصور حال المعارضة في ظل نظام إسلامي اختاره الناس وأصبح نظاماً شرعياً. للتيارات المختلفة في المجتمع الإسلامي أن تمارس المعارضة ضد السلطة وأن يكون لها أفكارها في التغيير وفي فهم الإسلام وحتى أفكارها في إقامة نظام علماني دون أن يتأثر ذلك بضوابط الحرية بل يجب

توفير الحرية لها ولا خوف من هذه الحرية ما دام الإسلام يتيح وسائل الحوار والإقناع، فالإسلام لا يفرض معتقداته على الناس بالقسر والإكراه، وإنما يريد منهم أن يأخذوا بها بعد البرهان عليها والقناعة بها. لكن الإسلام لا يبيع قيام حزب يدعو إلى الإلحاد، وهو ما لا يتنافى مع الحرية المفترضة التي تقول (إن اختيار المجتمع لنظام ما هو ثمرة لحرية هذا المجتمع) لذلك من حق هذا المجتمع أن يحصن هذا الاختيار بأن يوجد ضوابط لهذه الحرية، يمكن أن يوجد أي تيار له آراء مختلفة مع النظام أو مع الحكومة الإسلامية المفترضة ولكن أن يأتي تيار يدعو إلى نقيض عقيدة المجتمع فمن حق المجتمع، أن يمنع وجود مثل هذا التيار؛ لأنه يتناول حريته أو يتناول عقيدته في الأساس.

بهذا المعنى لا حدود للحرية في الإسلام إلا ما يتنافى مع مبادئ الحرية نفسها ومع موجبات الحرية ذاتها^٣.

هذه هي الحدود التي يأخذ بها الإسلام للحرية، يعني الحدود المشتقة من مبدأ الحرية وتصون الحرية، وقيام حزب يدعو إلى الإلحاد في داخل المجتمع الإسلامي أمر خارج الحرية أساساً لأن المجتمع حر في أن يقيم بنيته التشريعية والسياسية وفقاً لعقيدته وبالتالي لا يستطيع أن يسمح لمن يحارب هذه البنية الشرعية، وبهذا المعنى فإن الحرية مطلقة إلا أن يصل الأمر إلى المس بنتائج هذه الحرية.

الإنسان حر في أن يكون مؤمناً أو أن يكون ملحداً والإسلام لم يمنع حرية أن يكون الإنسان ملحداً أو مؤمناً، الذي يمنعه الإسلام هو الدعوة إلى الإلحاد لا أن تكون ملحداً بدليل أن الشريعة الإسلامية لا تبحث عقوبة الملحد وإنما تبحث عقوبة من يجهر بالإلحاد ويدعو إليه.. الإسلام يعاقب هذه الدعوة لأنها عدوان على المجتمع أما أن يعاقبه لأنه ملحد وحسب فهذا ليس صحيحاً.

التطبيقات المعاصرة للديمقراطية:

هناك كلمة لا بد منها حول الديمقراطية وتطبيقاتها في عصرنا الحالي والذي يتميز بتداخل الشأن الاقتصادي بالشأن السياسي وما صاحبه من تكوين الشركات المتعددة الجنسيات والتي تتجاوز رؤوس أموالها ميزان المصروفات والمدفوعات لدول ذات

٣. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر ص ٣٣ في العدد ٢٤٩ بتاريخ ١/٧/٢٠٠٩ .

سيادة. لفكرة أن السلطة إنما ينتجها الناس؛ أي يختارها الناس. وتطالعنا الدراسات والأبحاث كل فترة عن أخبار الفضائح المالية الحزبية والسياسية المنتشرة في الديمقراطيات الغربية مما يدفع إلى التساؤل عن أسبابها وعلاقة ذلك بتغييب مفعول القيم الأخلاقية على العملية الديمقراطية.

في العقد الاجتماعي لروسو - الذي يكثر الاستشهاد به - نجد أن التمثيل الشعبي المباشر في الحكم للتعبير عن إرادة الشعب كان مصحوبا بدعوة تأسيسية لما عرف بالتربية الفردية التي وضع لها صيغة شاملة في كتاباته، ولكن كل ذلك أسقط تماما بعد أن وصل التطور الفكري في الغرب إلى الاحتضان الكامل لنهج العلمانية المادية وبصوره الشرسة.

نعلم جميعا أن الانتخابات هي الوسيلة الإجرائية الأهم في العملية الديمقراطية للتعبير عن إرادة الناس ولا يستطيع فرد بذاته وغير منتظم في حزب تحمل النفقات الباهظة للدعاية الانتخابية خاصة بعد انتشار أجهزه الإعلام وتأثيرها الرهيب على أدمغه الناس العاديين الذين لا يعرفون أسسا موضوعية تقوم عليها عملية المفاضلة في الانتخاب.

الأحزاب نفسها لا تستطيع احتمال هذه النفقات أيضا من موازنتها المحدودة والاشتراكات والتبرعات فكل ذلك لا يكاد يكفي مرشحا واحدا. وهنا لا يوجد مصدر للتبرعات أسخى من الشركات ذات المصالح المادية المتصاعدة والقدرات المالية الضخمة. وتتحدد أسس اللعبة السياسية القائمة على تلاقي مصالح حزبية من داخل أجهزة السلطة مع المصالح المادية لهذه الشركات التي تربط استخدام المال للتأثير على القرار الذي يصدر عن السلطة التي تأتي بالانتخاب الحر!!

أشكال الفساد المالي ومخاطره على العملية الديمقراطية عبر إشكاليات تمويل الأحزاب وانتشار هذه الظاهرة في الفترة الأخيرة أصبح مقلقا إلى درجة كبيرة وما نتحدث عنه وسائل الإعلام أقل كثيرا من واقع الحال القائم لارتباطه بمصالح ومستويات سياسية عليا.

ذات الأمر في المستويات الأدنى وصولا إلى البلديات والمجالس المحلية في القرى.. لقد تحولت الأحزاب السياسية في الغرب معقل التطبيق الأمثل للديمقراطية من تمثيل الإرادة الشعبية إلى تمثيل إرادة الشركات الضخمة وضاعت العولة من حجم الظاهرة

وأصبحت الشركات الكبرى أقدر على ممارسة الضغوط على الحكومات والأحزاب وحتى على الناس العاديين مع (التهديد العلني بنقل أماكن الإنتاج من الوطن الأم إلى مواطن أخرى تتوافر فيها معطيات ضرائبية أفضل!!).

ظاهرة الفساد المالي وكيف تنخر في الحياة الديمقراطية - إلى درجة أشبه بأن تكون حكم الشركات والقوى الاقتصادية للشعب وليس حكم الشعب لنفسه - في الواقع الغربي أصبحت من أخطر مساوئ الديمقراطية وذلك بتغليب المصلحة المادية عبر التأثير الهائل للمال وقدرته مالكة على استغلاله لتحقيق ما يريد على حساب المجتمع، وعلى الجانب الآخر يضاعف تأثير القوانين والتشريعات، بل إن قوة المال أسهمت بدرجة كبيرة في استصدار التشريعات والقوانين وتعديلها بما يتلاءم مع مصالح هذه الشركات الكبرى. وهو ما يحدث بشكل عادي وطبيعي عن طريق الأحزاب السياسية والتبرعات المالية السخية التي تنهال عليها..

أي وسيلة أو آلية معرضة بحكم الطبيعة البشرية للاستخدام السيئ والاستخدام الجيد، مشكلة الديمقراطية لا تكمن في ذلك بل في غياب ضوابط تنفيذها وتطبيقها، ونحن نميز جيدا بين التعاطي الإيجابي مع دعوات الديمقراطية ورفض منظومة القيم الغربية التي باتت محكومة بالفلسفات والمصالح المادية بدرجة كبيرة وأضحت مصدر خطر كبير وتهديد دائم للديمقراطية نفسها.

تطبيق الإجراءات الديمقراطية من انتخابات وتعددية وفصل السلطات واستقلال القضاء وسيادة القانون لا قيمه له في حقيقة الأمر ما لم يكن له سقف من مكارم القيم والأخلاق نابع بالدرجة الأولى من الضمير الذاتي للإنسان، وهي الصفة الأعلى والأسمى التي تنتج من مخالطة الإيمان بالله للنفس الإنسانية وما يتبعه ذلك من اليقظة الضميرية الدائمة والتي نعرفها في الإسلام بـ (التقوى)٤.

٤. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر ص ٣٣ في العدد ٢٥٠ بتاريخ ٨/٧/٢٠٠٩ .

الشروط الواجب توافرها في الحاكم المسلم

اكتب بيدري لهذه الحلقة بعد عودتي مباشرة من سفر علاج خارج الوطن، سفر لطالما انتظرت الموافقة عليه من قبل من يستشعرون كثيرا من آلام الرعية، عدت وكردستاننا مشغولة بكرنفال الإنتخابات و التسابق المتمدن والحضاري على اختيار من هو الأفضل والأجدر لرئاسة الإقليم من جهة، و ترشيح الأعضاء للبرلمان الكردستاني من جهة أخرى، عدت كما قال سائق التوكسي الذي نقلني من إحدي القصبات الحدودية: كردستانكم عيد! كردستاننا عيد أم فيه عيد؟ وكيف لا يكون عيداً وعلى رأس زمام الأمور أناس ارتضيناهم، وهم منا ومن بيننا ونعرف سيرهم الذاتية، أناس قاطنوا دول الجوار يحسدوننا فيهم، سيما وهم يرون كيف أننا نتمتع بحرية الكلمة والتعبير، إلى حد معقول نسبياً، مع وجود خلل في إدارة الأمور وقصور مع بنيان القصور، فأحببت أن أخصص بيدري هذه المرة للحديث عن شروط ولي أمر المسلمين، في وقت أرى أناساً قبلوا على أنفسهم بان يدخلوا المعركة سيما لرئاسة الإقليم، قد كتب لهم الفشل قبل خوضها، لأنهم أحسن ما يقال عنهم انهم رجال الفنادق وليس الخنادق، وكما عودتكم دوماً أن آتي بعصارة خيار ما يكتبه الغير لأن صفحتي بيدري، فقد وقع بصري على بحث قصير من كتابه: (د. جمال المراكبي) فأحببت أن انقله لكم مع عدم موافقتي له في بعض الأمور، سيما اشتراط العروبة والقرشية في من يتسلم أمر الرعية و حول ما كتبه بعض الفقهاء عن ولاية المرأة لأمر المسلمين والشدة في ذلك.

يقول الدكتور: (من المعلوم بدهاة أن منصب الرئيس، هو أعلى وأجل منصب في الدولة الإسلامية، لذا كان حتماً على المسلمين أن يدققوا ويمعنوا فيمن يتولى هذا المنصب الخطير، فيختاروا أصلح الناس لتولي هذا المنصب، وإلا كانوا مقصرين. (من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين

منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)^١.

فالمسلمون جميعاً - بوجه عام - وأهل الحل والعقد منهم - خاصة - مسؤولون عن تولية أصلح الناس وأقواهم على تحمل عبء هذه الأمانة دون أي تهاون أو تقصير، وإلا وقعوا تحت طائلة العقاب والوعيد المذكور.

ومدار الصلاحية على القوة والأمانة. (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) القصص: ٢٦.

القوة على تحمل أعباء هذا المنصب، والأمانة التي تجعله يؤدي إلى كل ذي حق حقه، وما أعظم وما أخطر شأن هذه الأمانة (إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)^٢.

ولا شك أن ضياع هذه الأمانة من أهم علامات الساعة، ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لمن سأله عن الساعة:

(إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل: يا رسول الله ما إضاعتها؟ قال: إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)^٣.

من أجل هذا توسع فقهاء المسلمين في بحث شروط الخلافة وتفننوا في الشروط الواجب توافرها في من يلي أمراً من أمور المسلمين بوجه عام، وفي من يلي منصب الخلافة بوجه خاص، حتى لا يتسلق طفيلي إلى هذه الذروة، ولا يعتليها من ليس لها بأهل، فيكون ضرره على المسلمين عاماً، ومعظم هذه الشروط إجتهادية بمعنى أنها مستنبطة وغير منصوص عليها شرعاً.

وجدير بالذكر أن هذه الشروط في معظمها لا ينبغي مراعاتها إلا في الحال التي تكون صفة الاختيار متوافرة فيها للأمة، أما إذا انتفت حالة الاختيار وألجئت الأمة إلى حال لا اختيار لها فيه كتغلب من لا يصلح أو من لم يستكمل الشروط، وكان تغييره مؤدياً إلى فتنة وشر عظيم فيجوز للأمة في هذه الحالة أن تتغاضى عن بعض هذه الشروط الواجبة، وذلك درءاً للفتنة عن عدم طاعة هذا المتغلب، بل يطاع في طاعة الله

١. (ضعيف جداً) أخرج الحاكم في المستدرک (٩٢/٤ - ٩٣) نحوه من حديث ابن عباس مرفوعاً، وفي سنده: الحسين بن قيس الرحبي الملقب بحنش وهو متروك).

٢. أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٨٢٥) من حديث أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه).

٣. أخرجه البخاري في صحيحه (رقم ٥٩) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه).

ويعصي في معصية الله كما بينا ذلك تفصيلاً من قبل، ولكن إقرار المتغلب فاقد هذه الشروط ليس إلا حالة من حالات الاضطرار وليس أصلاً ثابتاً في الولاية. وإذا لم تتوافر جميع هذه الشروط في شخص واحد، فينبغي مراعاة الأمتل فالأمتل، بحسب حاجة المسلمين ومصالحهم، لأن الله تعالى لا يكلفنا إلا بما نطيق:

(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتِطَعْتُمْ) التغابن: ١٦.

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) البقرة: ٢٨٦ .

وإذا تكافأت هذه الشروط وتوازنت في أكثر من شخص، وجب تقديم الأصلح والأنسب لظروف المسلمين وأحوالهم بحسب الوقت الذي يعيشون فيه.

وهذه الشروط منها ما هو واجب في كل ولاية كبيرة أو صغيرة ومنها ما هو خاص بالرئاسة، ومن هذه الشروط ما لا يمكن التغاضي عنه بحال، ومنها ما يمكن التغاضي عنه عند عدم الإمكان، ومن هذه الشروط ما لا خلاف عليه بين العلماء، وهي الإسلام، والعقل، والذكورة، والعدالة، والعلم.

ومنها ما اختلف عليه العلماء وهي: البلوغ، والحرية، والكفاءة الجسمية، والقرشية. وسوف نتكلم باختصار عن هذه الشروط:

أولاً: الإسلام: وهو شرط بدهي، يشترط في كل ولاية إسلامية كبيرة كانت أو صغيرة. والأدلة على اشتراط الإسلام كثيرة في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وسلف الأمة، ففي القرآن نص على أن ولاية الأمر من المسلمين: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) النساء: ٥٩. بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم)، أمر بطاعة الأمراء والأئمة، ونهي عن الخروج عليهم إلا أن يخرجوا عن الإسلام ويظهروا الكفر البواح، وقد أجمع المسلمون على عدم جواز تولي الكافر أمور المسلمين.

ثانياً: العقل: وهو أيضاً من الشروط البديهية، فلا تنعقد الولاية لمن فقد عقله، لأن فاقد العقل غير مكلف بما هو واجب على كل أحد، فكيف يكلف بولاية على غيره.

قال تعالى:

(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ

٤. الى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر، ص ٣٥ في العدد ٢٥١ بتاريخ ١/٧/٢٠٠٩ .

وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) النساء: ٥ .

ثالثاً: الذكورة: أجمع العلماء على عدم جواز تولي المرأة منصب الخلافة، وذلك لحديث

النبي (صلى الله عليه وسلم)، حين بلغه أن الفرس قد ولوا ابنة كسرى:

(لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) أخرجه البخاري في صحيحه^٥.

وقد قال الله عز وجل:

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) النساء: ٣٤ .

والخلافة كولاية عامة، تقتضي الدخول في المحافل العامة ومخالطة الرجال وقيادة

الجيوش، وذلك لا يتماشى مع وضع المرأة في الإسلام، وما أرادته الله لها من

صيانة ورعاية:

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) الأحزاب: ٣٣ .

ولهذا لا يوجب الشرع على المرأة بعض ما أوجبه على الرجل من التكاليف الشرعية

كالجهاد، والإنفاق على البيت ونحو ذلك.

رابعاً: العدالة: وهي شرط بدهي في كل الولايات الدينية، فضلاً عن منصب الخلافة.

والعدالة تعني في جملتها: الأخلاق الفاضلة، والعدل: من تقبل شهادته تحملاً وأداءً،

وقد جعل الله العدالة شرطاً في أصغر الولايات كحضانة الصغير، والحكم في جزاء

الصيد، وجعلها شرطاً لقبول الشهادة، فكيف لا تكون شرطاً في أعظم الولايات

على الإطلاق.

والفسق - وهو نقيض العدالة - يمنع من قبول الشهادة، ومن كل ولاية دينية، لأنه

مدعاة للتساهل في تطبيق أحكام الدين، فكيف يتصور أن يتولي فاسق ولاية أمر

المسلمين فيقيم شرع الله ويجاهد في سبيل الله!؛

ولا نعني أن العدالة قرين العصمة، فالعصمة للأنبيا فقط، ولا يستبعد على بني آدم

الوقوع في الخطأ، والله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

٥ . لأخينا الدكتور، عبدالرحمن سبيندري، رسالة تحليلية قيمة حول هذا الحديث بعنوان:

(تطور مفهوم حديث: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)، وقد قام بطبعها مشكورا، منتدى الفكر

الإسلامي في كردستان، ضمن إصداراته، بتسلسل سنة ٢٠٠٩) ونوصي بالإطلاع عليها، حيث

لا تخلو من فائدة.

خامساً: العلم: وهو شرط بدهي في كل ولاية، فينبغي على كل والٍ أن يعلم يقيناً ما يجب عليه ليقوم بأعباء منصبه على أكمل وجه.

فلا يخرج بالولاية عما شرعت له من إقرار مصالح العباد.

وقد اختلف العلماء في حد العلم الذي ينبغي أن يحصله شاغل منصب الخلافة، ومذهب الجمهور وجوب تحصيل مرتبة الاجتهاد المطلق.

سادساً: البلوغ: فلا تتعقد الخلافة لصغير، وذلك لأن الصغير غير مكلف في نفسه ويحتاج إلى وصاية غيره، فكيف يكلف بالولاية على غيره فضلاً عن الولاية على سائر المسلمين؟! سائر المسلمين!

سابعاً: الحرية: وهو شرط بدهي، لأن العبد المملوك يخضع لغيره ولا يملك أمر نفسه، فكيف تكون له ولاية على غيره وقد يرد على هذا الشرط قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) أخرجه البخاري، عن أنس، ولكن جمهور العلماء تأولوا هذا النص وأمثاله بأنه في حال التغلب، أو أنه ورد على سبيل المثال بما لا يقع حقيقة، وذلك مبالغة في لزوم الطاعة.

ثامناً: الكفاءة الجسمية: ونعني بها سلامة الأعضاء والحواس من كل نقص يؤثر في كفاءة شاغل المنصب أو المرشح له، وقد بينا من قبل أن القوة شرط أصيل في كل ولاية لأنه بدونها لا يمكن تحمل أعباء المنصب.

وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي ذر: (إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها) أخرجه مسلم. أخيراً: القرشية: وقد أثار هذا الشرط جدلاً واسعاً بين مؤيد له ومعارض. والدليل على اشتراطه قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (الأئمة من قريش)^{٦-٧-٨}

٦. صحيح: (الأئمة من قريش) أخرجه أحمد وغيره عن جمع من الصحابة، وانظر إرواء الغليل (٢٩٨/٢) للعلامة الألباني).

٧. اخذت البحث المذكور من موقع (www.elmarakby.com).

٨. الى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر ص٣٢ في العدد ٢٥٢ بتاريخ ٢٢/٧/٢٠٠٩ .

سنية صيام شعبان وشعبنة أهل مكة!

اليوم هو اليوم السابع من شهر شعبان ١٤٣٠ الهجرية، طبعا وحسب المذكرة التي بين يدي، بفارق يوم أو يومين، لذا أراني ملزما بالتذكير ببعض ما كان يسن في هذا الشهر من جهة، ولأبصر قراغا الأعراء بعادة حجازية - وليست عبادة - كانت ومازالت تجري هناك، وفي البداية أذكر بما قلته في تذكير سابق (شهر شعبان يقع بين شهر الله المحرم، وشهر رمضان المعظم، وورد فيه نصوص قولية وفعلية عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منها:

١- عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كان رسول الله يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان)، رواه البخاري برقم (١٨٣٣) ومسلم برقم (١٩٥٦) وفي رواية لمسلم برقم (١٩٥٧):

(كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلا، وقد رجح طائفة من العلماء منهم ابن المبارك وغيره أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يستكمل صيام شعبان، وإنما كان يصوم أكثره، ويشهد له ما في صحيح مسلم برقم (١٩٥٤) عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (ما علمته - تعني النبي (صلى الله عليه وسلم) - صام شهرا كله إلا رمضان) وفي رواية له أيضا برقم (١٩٥٥) عنها قالت: (ما رأيته صام شهرا كاملا منذ قدم المدينة إلا أن يكون رمضان، وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: (ما صام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شهرا كاملا غير رمضان) أخرجه البخاري رقم ١٩٧١ ومسلم رقم ١١٥٧، وكان ابن عباس يكره أن يصوم شهرا كاملا غير رمضان، قال ابن حجر رحمه الله: كان صيامه في شعبان تطوعا أكثر من صيامه فيما سواه وكان يصوم معظم شعبان.

٢- وعن أسامة بن زيد (رضي الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم من

شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، فقال: (ذاك شهر تغفل الناس فيه عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم)، رواه النسائي، أنظر صحيح الترغيب والترهيب ص ٤٢٥، وفي رواية لأبي داود برقم (٢٠٧٦).

قالت: (كان أحب الشهور إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان). صححه الألباني أنظر صحيح سنن أبي داود ٤٦١/٢).

قال ابن رجب رحمه الله: صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم، وأفضل التطوع ما كان قريباً من رمضان قبله وبعده، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها وهي تكملة لنقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بعد عنه.

وقوله: (شعبان شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان).

يشير إلى أنه لما اكتنفه شهران عظيمان - الشهر الحرام وشهر الصيام - اشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولاً عنه، وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيام شعبان لأن رجب شهر حرام، وليس كذلك.

وفي الحديث السابق إشارة إلى أن بعض ما يشتهر فضله من الأزمان أو الأماكن أو الأشخاص قد يكون غيره أفضل منه.

وفيه دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة، كما كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة ويقولون هي ساعة غفلة، ومثل هذا استحباب ذكر الله تعالى في السوق لأنه ذكّر في موطن الغفلة بين أهل الغفلة، وفي إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد منها:

أن يكون أخفي للعمل وإخفاء النواقل وإسرارها أفضل، لا سيما الصيام فإنه سرّ بين العبد وربّه، ولهذا قيل إنه ليس فيه رياء.

وقد اختلف أهل العلم في أسباب كثرة صيامه - (صلى الله عليه وسلم) - في شعبان على عدة أقوال:

أ- أنه كان يشتغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره فتجتمع،

فيقضيها في شعبان وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا عمل بنافلة أثبتها وإذا فاتته قضاها .

ب- وقيل إن نساءه كن يقضين ما عليهن من رمضان في شعبان فكان يصوم لذلك، وهذا عكس ما ورد عن عائشة أنها تؤخر قضاء رمضان إلى شعبان لشغلها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الصوم.

ج- وقيل لأنه شهر يغفل الناس عنه: وهذا هو الأرجح لحديث أسامة السالف الذكر والذي فيه: (ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان) رواه النسائي، أنظر صحيح الترغيب والترهيب ص ٤٢٥ وكان إذا دخل شعبان وعليه بقية من صيام تطوع لم يصمه قضاها في شعبان حتى يستكمل نوافله بالصوم قبل دخول رمضان - كما كان إذا فاتته سنن الصلاة أو قيام الليل قضاها - فكانت عائشة حينئذ تغتتم قضاها لنوافله فتقضي ما عليها من فرض رمضان حينئذ لفظها فيه بالحيض وكانت في غيره من الشهور مشتغلة بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، فيجب التنبه والتنبيه على أن من بقي عليه شيء من رمضان الماضي فيجب عليه صيامه قبل أن يدخل رمضان القادم ولا يجوز التأخير إلى ما بعد رمضان القادم إلا لضرورة (مثل العذر المستمر بين الرمضانين)، ومن قدر على القضاء قبل رمضان ولم يفعل فعليه مع القضاء بعده التوبة وإطعام مسكين عن كل يوم، وهو قول مالك والشافعي وأحمد.

وكذلك من فوائد صوم شعبان أن صيامه كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده فيدخل رمضان بقوة ونشاط.

ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان، فإنه يكون فيه شيء مما يكون في رمضان من الصيام وقراءة القرآن والصدقة، وقال سلمة بن سهيل كان يقال: شهر شعبان شهر القراء، وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال هذا شهر القراء، وكان عمرو بن قيس الملائني إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن^١.

الصيام في آخر شعبان: ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لا تقدموا رمضان بيوم أو يومين، إلا من كان يصوم صوما فليصمه) أخرجه البخاري رقم (١٩٨٣) ومسلم برقم (١٠٨٢)، فكيف

١. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٥٣ ص ٣٣ في ٢٩/٧/٢٠٠٩ .

نجمع بين حديث الحثّ وحديث المنع؟

فالجواب: قال كثير من العلماء وأكثر شراح الحديث: إن هذا الرجل الذي سأله النبي (صلى الله عليه وسلم)، كان يعلم أن له عادة بصيامه، أو كان قد نذره فلذلك أمره بقضائه.

وقيل في المسألة أقوال أخرى، وخلاصة القول أن صيام آخر شعبان له ثلاثة أحوال: أحدها: أن يصومه بنية الرضائية احتياطا لرمضان، فهذا محرم.

الثاني: أن يصام بنية النذر أو قضاء عن رمضان أو عن كفارة ونحو ذلك، فجوّزه الجمهور.

الثالث: أن يصام بنية التطوع المطلق، فكرهه من أمر بالفصل بين شعبان ورمضان بالفطر؛ منهم الحسن - وإن وافق صوما كان يصومه - ورخص فيه مالك ومن وافقه، وفرّق الشافعي والأوزاعي وأحمد وغيرهم بين أن يوافق عادة أو لا.

وبالجملة فحديث أبي هريرة - السالف الذكر - هو المعمول به عند كثير من العلماء، وأنه يكره التقدم قبل رمضان بالتطوع بالصيام بيوم أو يومين لمن ليس له به عادة، ولا سبق منه صيام قبل ذلك في شعبان متصلا بآخره.

فإن قال قائل لماذا يُكره الصيام قبل رمضان مباشرة (لغير من له عادة سابقة بالصيام) فالجواب أن ذلك لمعانٍ منها:

أحدها: لئلا يزداد في صيام رمضان ما ليس منه، كما نهى عن صيام يوم العيد لهذا المعنى، حذرا مما وقع فيه أهل الكتاب في صيامهم، فزادوا فيه بآرائهم وأهوائهم. ولهذا نهى عن صيام يوم الشك، قال عمار من صامه فقد عصي أبا القاسم (صلى الله عليه وسلم)، ويوم الشك: هو اليوم من جعله يوم شك ونهى عن صيامه، وهو قول الأكثرين.

المعنى الثاني: الفصل بين صيام الفرض والنفل، فإن جنس الفصل بين الفرائض والنوافل مشروع، ولهذا حرم صيام يوم العيد، ونهى النبي (صلى الله عليه وسلم)، أن توصل صلاة مفروضة بصلاة، حتى يفصل بينهما بسلام أو كلام، وخصوصا سنة الفجر قبلها.

أما مصطلح الشعبنة: فقد ورد في (شبكة الأوتل) تحت عنوان: الشعبنة، تهيؤ

لرمضان أم تمرد مسبق على روحانيته؟ ما يأتي:

(تعدّ «الشعبنة» عادة مكية قديمة بامتياز تنتشر في المنطقة الغربية وقديما اخذت الوانا اجتماعية قد يكون المقصود منها زيادة الارتباط الاجتماعي بين الاسرة والاقارب، وقد يكون المقصود منها ادخال الفرح والسرور كما انها كانت أقرب للصوفية، فتنشد الاناشيد مع بعض الوان الذكر الصوفي، غير انها حديثا تحولت الى ضرب من الترفيه عن النفس قبل مجيء شهر رمضان، وقد يكون هذا ما جعل البعض ينظر اليها من زاوية البدعة المحدثّة في الشرع.

وبالنسبة للشباب فـ «الشعبنة» تعني لهم تجمعات شبابية في مخيمات برية او رحلات تجديف بحرية، وقد تكون صحراوية، حيث الشواء وقد تصل الى أن تكون في فنادق خمس نجوم حيث مظاهر الترف على انغام الموسيقى وقد تصل الى ما هو أكثر من هذا.

يقول الشاب محمد السهلي بأن الشعبنة عندهم تكون بخروجهم الى البر في إحدى ليالي شعبان، التي تلي النصف منه، ثم يطلبون من المجموعة التي ستخرج معهم الى البر، أن يجمعوا مبلغا من المال ليتم به تسيير أمورهم ويجلسون للسمر أيضا في المكان المختار للجلوس، ومن ثم يخصصون الوقت المتبقي للعب الكرة حيث يكونون فريقين.

وقال السهلي ان الشعبنة في مفهومنا قد تختلف عن بعض الناس الاخرين، فلكل طريقته في قضاء وقته وفراغه فنحن نأخذها لغرض التسلية والسمر، ليس الا ونحرص في ذات الوقت الا تحتوي جلستنا هذه على اية منكرات، وهدفنا الوحيد الترفيه والتسلية في حدود المسموح شرعا.

اما «شعبنة» الفتيات فقد تطورت من مجرد الاكتفاء بالمشاهدة والاستماع الى ما يفعله الشباب والرجال الى ان تجتمع عدد من الفتيات في اواخر شهر شعبان فتدفع كل واحدة منهن «قطة» تصل الى الف ريال ويستأجرن مطربة او «طاققة» شهيرة ويسهرن طوال الليل في غناء ورقص ولهو حتى الصباح! وتؤكد ذلك «سهى.م» ان تقول بان العديد من الفتيات يمضين ليالي الشعبنة في منزل احدي الصديقات حيث يتم احضار مطربة وتتحول الى حفلة غناء ورقص.

وتوصف هذه الليلة أيضا بحسب سهى بليلة البذخ حيث يقمن بشراء الملابس

الجديدة ويرتدين كل ما هو غال كنوع من التباهي امام الاخريات.
وبحسب المصادر التاريخية انها عبارة عن ممارسة مظاهر الفرحة في مجتمع مكة في القرنين الميلاديين الاخيرين والذي اتفق جلها على تعدد مناهل البهجة وميل المجتمع لها. وبين بأن تغير انماط الحياة قد قلص المباهج الشعبية التي كانت على علاقة وثيقة بالشأن الروحي حتى تلاشت.
وأخيراً: فالشعبنة سواء كانت عادة حجازية أم عربية، بدعة سيئة أم حسنة، إن قلنا جدلاً بوجود الحسنة منها، فالشهر الفضيل على الأبواب ولا داعي للخوف منه، بل المؤمن يعتزم ويتوكل ويستعين بالله و يشمر عن ساعد الجد لاستقباله، استقبال الأختيار مضاهياً أهل الخير ممن سبقونا بالإيمان وهذا ما أردت التذكير به والله المستعان^٢.

٢. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٥٤ ص ٣٣ في ٥/٨/٢٠٠٩ .

عشر وسائل لإستقبال رمضان

اليوم هو يوم الأربعاء ما قبل الأخير من شهر شعبان ١٤٣٠ الهجرية، لذا سأخصص بيدير اليوم والذي يليه للحديث عن الوسائل التي ربما تساعدنا في أن نستقبل الشهر الفضيل وكما ينبغي انشاء الله، وقد جلبت لكم هذا المبحث الصغير من (موقع صيد الفوائد)، ومن كتابة الشيخ خالد بن عبدالرحمن الدرويش، حيث يقول:

(الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: هذه رسالة موجهة لكل مسلم أدرك رمضان وهو في صحة وعافية، لكي يستغله في طاعة الله تعالى، وحاولت أن تكون هذه الرسالة في وسائل وحوافز إيمانية تبعث في نفس المؤمن المهمة والحماس في عبادة الله تعالى في هذا الشهر الكريم، فكانت بعنوان: (عشر وسائل لاستقبال رمضان وعشر حوافز لاستغلاله)، فأسأل الله تعالى التوفيق والسداد وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

كيف نستقبل رمضان؟

س: ما هي الطرق السليمة لاستقبال هذا الشهر الكريم؟
ينبغي للمسلم أن لا يفرط في مواسم الطاعات، وأن يكون من السابقين إليها ومن المتنافسين فيها، قال الله تعالى:

(وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) المطففين: ٢٦.

فاحرص أخي المسلم على استقبال رمضان بالطرق السليمة الآتية:

الطريقة الأولى: الدعاء بأن يبلغك الله شهر رمضان وأنت في صحة وعافية، حتى تنتشط في عبادة الله تعالى، من صيام وقيام وذكر، فقد روي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنه قال كان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا دخل رجب قال (اللهم بارك لنا

في رجب وشعبان وبلغنا رمضان) رواه أحمد والطبراني. لطائف المعارف.

وكان السلف الصالح يدعون الله أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه أن يتقبله منهم.
فإذا أهل هلال رمضان فادع الله وقل: (الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان
والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى ربي وربك الله) رواه الترمذي،
والدارمي، وصححه ابن حبان.

الطريقة الثانية: الحمد والشكر على بلوغه، قال النووي (رحمه الله) في كتاب
الأذكار: (اعلم أنه يستحب لمن تجددت له نعمة ظاهرة، أو اندفعت عنه نقمة ظاهرة أن
يسجد شكراً لله تعالى، أو يثنى بما هو أهله) وإن من أكبر نعم الله على العبد توفيقه
للطاعة والعبادة فمجرد دخول شهر رمضان على المسلم وهو في صحة جيدة هو نعمة
عظيمة، تستحق الشكر والثناء على الله المنعم المتفضل بها، فالحمد لله حمداً كثيراً كما
ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

الطريقة الثالثة: الفرح والابتهاج، ثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه كان
يبشر أصحابه (رضي الله عنهم)، بمجيء شهر رمضان فيقول: (جاءكم شهر رمضان،
شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنان وتغلق فيه
أبواب الجحيم)... الحديث. أخرجه أحمد.

وقد كان سلفنا الصالح من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والتابعين لهم
بإحسان (رحمهم الله)، يهتمون بشهر رمضان، ويفرحون بقدومه، وأي فرح أعظم من
الإخبار بقرب رمضان موسم الخيرات، وتنزل الرحمات^١.

الطريقة الرابعة: العزم والتخطيط المسبق للاستفادة من رمضان، الكثيرون من
الناس وللأسف الشديد حتى الملتزمون بهذا الدين، يخططون تخطيطاً دقيقاً لأمر
الدنيا، ولكن قليلون هم الذين يخططون لأمر الآخرة، وهذا ناتج عن عدم الإدراك لمهمة
المؤمن في هذه الحياة، ونسيان أو تناسي، أن للمسلم فرصاً كثيرة مع الله ومواعيد
مهمة لتربية نفسه حتى تثبت على هذا الأمر، ومن أمثلة هذا التخطيط للآخرة، التخطيط
لاستغلال رمضان في الطاعات والعبادات، فيضع المسلم له برنامجاً عملياً لاغتنام أيام
وليالي رمضان في طاعة الله تعالى، وهذه الرسالة التي بين يديك تساعدك على اغتنام
رمضان في طاعة الله إن شاء الله تعالى.

١. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٥ ص ٣٣ في ١٢/٨/٢٠٠٩ .

الطريقة الخامسة: عقد العزم الصادق على اغتنامه وعمارة أوقاته بالأعمال الصالحة، فمن صدق الله صدقه وأعانه على الطاعة ويسر له سبل الخير، قال الله عز وجل: (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) محمد: ٢١.

الطريقة السادسة: العلم والفقه بأحكام رمضان، فيجب على المؤمن أن يعبد الله على علم، ولا يعذر بجهل الفرائض التي فرضها الله على العباد، ومن ذلك صوم رمضان، فينبغي للمسلم أن يتعلم مسائل الصوم وأحكامه قبل مجيئه، ليكون صومه صحيحاً مقبولاً عند الله تعالى:

(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) الأنبياء: ٧.

الطريقة السابعة: علينا أن نستقبله بالعزم على ترك الآثام والسيئات والتوبة الصادقة من جميع الذنوب، والإقلاع عنها وعدم العودة إليها، فهو شهر التوبة فمن لم يتب فيه فمتي يتوب؟

قال الله تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) النور: ٣١.

الطريقة الثامنة: التهيئة النفسية والروحية من خلال القراءة والاطلاع على الكتب والرسائل، وسماع الأشربة الإسلامية من (المحاضرات والدروس) التي تبين فضائل الصوم وأحكامه حتى تنهيا النفس للطاعة فيه فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يهيء نفوس أصحابه لاستغلال هذا الشهر، فيقول في آخر يوم من شعبان: جاءكم شهر رمضان... الخ). الحديث أخرجه أحمد والنسائي. لطائف المعارف.

الطريقة التاسعة: الإعداد الجيد للدعوة إلى الله فيه، من خلال:

١- تحضير بعض الكلمات والتوجيهات تحضيراً جيداً لألقائها في مسجد الحي.
٢- توزيع الكتيبات والرسائل الوعظية والفقهية المتعلقة برمضان على المصلين وأهل الحي.

٣- إعداد (هدية رمضان) وبإمكانك أن تستخدم في ذلك (الظرف)، بأن تضع فيه شريطين وكتيباً وتكتب عليه (هدية رمضان).

٤- التذكير بالفقراء والمساكين، وبذل الصدقات والزكاة لهم.

الطريقة العاشرة: نستقبل رمضان بفتح صفحة بيضاء مشرقة مع:

أ- الله سبحانه وتعالى بالتوبة الصادقة.

ب- الرسول (صلى الله عليه وسلم)، بطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.
ج- مع الوالدين والأقارب، والأرحام والزوجة والأولاد بالبر والصلة.
د- مع المجتمع الذي تعيش فيه حتى تكون عبداً صالحاً ونافعاً قال (صلى الله عليه وسلم): (أفضل الناس أنفعهم للناس).
هكذا يستقبل المسلم رمضان استقبال الأرض العطشى للمطر، واستقبال المريض للطبيب مداوي، الحبيب للغائب المنتظر.
فاللهم بلغنا رمضان وتقبله منا إنك أنت السميع العليم^٢.
ملاحظة:
لم تنشر البيدر في الاعداد: (٢٥٧ و٢٥٨ و٢٥٩ و٢٦٠ لتغيير العنوان الى رمضانيات).

٢. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٥٦ ص ٣٣ في ١٩/٨/٢٠٠٩ .

دلائل القبول في مدرسة الثلاثين يوماً، وماذا بعد رمضان؟

وقد ودعنا الشهر الفضيل وقبل البدء بما عنوت به البيدر، أراني بحاجة إلى أن أذكر بفضل صيام ست من شوال الثابت بقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): (من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال كان كصيام الدهر) رواه مسلم في كتاب الصيام بشرح النووي (٥٦/٨)، يعني: صيام سنة كاملة.

أما البيدر فقد جلبته من موقعي (اسلام أون لاين نت وصيد الفوائد) وهو لكاتبين بارزين، أولهما: (دلائل القبول في مدرسة الثلاثين يوماً) للباحث الجزائري جمال أحمد، وثانيهما: (وماذا بعد رمضان؟) للكاتب أبونور، وأحبت أن أجعلهما زاد هذه الحلقة عسى أن نكون ممن لا يعودون بعد رمضان، إلى ما كانوا عليه قبله. جاء في المقالة الأولى: (روي عن الإمام علي (رضي الله عنه) أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان:

(يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه؟ ومن هذا المحروم فنعزيه؟).

للقبول في مدرسة الصيام دلائل، كما أن للحرمان فيها دلائل، كذلك يعرض المؤمن عليها نفسه بصدق وتجرد، ويقوم بنوع من كشف الحساب معها، ليعرف موقعه وترتيبه في قائمة المقبولين أو المحرومين - لا قدر الله-، ويدرك أهو من أهل التهنئة؟ أو من أهل التعزية؟ لأن الله (جعل شهر رمضان مضمرا لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون) كما قال الحسن البصري (رحمه الله).

ولعل من أهم هذه الدلائل:

١. ارتفاع منسوب المراقبة: فالصيام تدريب عملي على استشعار مراقبة الله عز وجل في كل الأوقات والأحوال، ومن ثم الوصول إلى مرتبة الإحسان التي بينها حديث جبريل: (... والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فإذا

ما شعر الصائم أنه ازداد حياء من ربه وخشية له وإقبالا عليه فتلك علامة من علامات القبول.

٢- رفعة المقام عند الله: فالصوم وسيلة مهمة لاكتساب المقام الرفيع عند الله وعلو المكانة لديه سبحانه، ومؤشرحدوث ذلك بالنسبة للعبد الصائم هو توفيقه للطاعة والعمل الصالح وفعل الخيرات والثبات على ذلك والاستمرار فيها كما قال أحد الصالحين: (إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك، فانظر فيما أقامك)، فإن أقامك على الخير والصلاح والطاعة والبر والمعروف، فإن مقامك عنده عزيز، وإن كان غير ذلك فلا مقام يذكر لك عنده، فكلما شعرت بتوفيق الله لك، وتحبيب طاعته إليك، وتثبيتك على ذلك فتلك من علامات القبول لا محالة.

٣- التوبة الصادقة والرجوع إلى الله: ففي ظلال رمضان تفتح أبواب التوبة على مصراعها - وإن كانت مشرعة في كل وقت - وتتنزل رحمات الله على عباده بلا حساب، ومما يوفر الأجواء المناسبة لقبول قوافل التائبين ومساعدتهم على ذلك، بتصفيد الشياطين ومضاعفة أجر الطاعات، فمن وفق للتوبة الصادقة، ورجع إلى ربه نادما على ما فرط منه في حق الله وفي حق نفسه، طامعا في عطف مولاه، عازما على عدم الانتكاس مجددا في متاهات المعصية، فيثبت بذلك اسمه في قائمة عتقاء الله من النار آخر هذا الشهر، فليبشر بذلك دليل قبول وجواز مرور.

٤- الحرص على الفرائض والنوافل: فإذا ما أحس الصائم بأنه قد ازداد حرصا على الفرائض في هذا الشهر وداوم على ذلك وسارع في الاستجابة لنداء الرحمن كلما سمعه، إلى جانب مداومته على النوافل وعدم تضييع أي نوع منها، فإنه على طريق القبول في مدرسة الصيام بل الوصول إلى الجنة وهي مبتغي كل مؤمن لأن ذلك سيكسبه معية الله له وحفظه ورعايته وتوفيقه كما جاء في الحديث القدسي الصحيح: (.. وما تقرب عبدي إلى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه).

٥- التصالح مع القرآن: فرمضان شهر القرآن كما قال الله تعالى: (شهر رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ)

البقرة ١٨٥)، ومن ثم كان إقبال المؤمن الصائم على كتاب الله تلاوة وتدبرا وفهما وعملا، وإحداث نوع من التصالح مع القرآن بعد هجران، والخروج بذلك من زمرة المشتكي منهم من طرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لربه في قوله تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) الفرقان ٣٠)، ومجرد النجاة من هؤلاء، هو عين القبول، فضلا عن إلى خزان الحسنات والدرجات التي ينالها من خلال هذه المصالحة، فالحرف بعشر حسنات والله يضاعف لمن يشاء، وكما قال (صلى الله عليه وسلم): (لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)، فإذا كان عدد حروف القرآن زهاء ٣٧٥ ألف حرف، فإن ختمة واحدة من القرآن في هذا الشهر تساوي ما يقارب أربعة ملايين حسنة، والله يضاعف لمن يشاء فما بالك بأكثر من ختمة^١.

٦- الانتصار في معركة اللسان: ومعركة اللسان دليل مهم للصائم على القبول أو الحرمان، فإذا انتصر فيها وتدرج على لجم لسانه في هذا الشهر إلا على خير، فقد أدركه التوفيق والقبول، أما إن أطلق العنان للسانه ذات اليمين وذات الشمال فسوف يورده المهالك لا محالة، وسوف يصل به إلى درجة الإفلاس التي ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الحديث: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دَرَهْمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا. وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا. فَيُعْطِي هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتَهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ. أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ) رواه مسلم، ومن ثم الانكباب في النار على الوجه والمنخر فقد ورد في الحديث كذلك: (وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال: (على مناخرهم) - إلا حصائد ألسنتهم؟! رواه الترمذي، وقوله (صلى الله عليه وسلم): (من لم يدع قول - الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) رواه البخاري).

فمن لم يستطع أن ينتصر في معركته مع لسانه، لا يمكنه أن ينتصر في معركته مع شيطانه، فهذه بتلك، وبالضرورة لا يطمع في أن يكون في مقدمة المقبولين في مدرسة رمضان.

١. إلى هنا تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٦١ ص ٣٣ في ٢٠٠٩\٩\٣٠.

٧- التخلص من العادات السيئة: فكثير من العادات السيئة تأسر العبد، ولا يستطيع الفكك منها بيسر وسهولة، فيأتي الصيام فيعطيه فرصة سانحة لكي يتحرر منها الواحدة تلو الأخرى، فإذا لم يستطع التخلص من عاداته السيئة في شهر الصيام فذلك دليل على عدم وجود أثر إيجابي للصوم على سلوكه، فلا يمكن لأسير عادة سيئة وقد تكون محرمة، أن يخلق في درجات القبول، فمن دلائل القبول الحرة إلا لله عز وجل.

٨- الاهتمام بقضايا المسلمين: فكما ارتفعت درجة الاهتمام بقضايا المسلمين لدي الصائم وازداد شعوره بالحرمان من حوله وخفق قلبه كلما رأى أو سمع بمأساة تصيب الأمة والمجتمع، ولم يكتف بالشعور القلبي وإنما تعداه إلى الجانب العملي وأسهم بما يستطيع في تفريغ كرب المكروبين وإغاثة الملهوفين وإغناء المحرومين، فذلك مؤشر صحة ودليل حياة وأمانة قبول، أما من لم تحركه مآسي المسلمين، وكأن الأمر لا يعنيه، فليراجع نفسه وليستدرك ذلك وإلا فليعلم أن الباب سيغلق أمامه إن ظل كذلك.

٩- إدراك خيرات ليلة القدر: هذه الليلة التي أكرم الله بها هذه الأمة من حرم خيرها وفضلها فقد حرم الخير كله، ومن وفق وأدركته رحمة الله فيها فقد رزق القبول من أوسع أبوابه قال (صلى الله عليه وسلم) - وهو يتحدث عن شهر رمضان -: (إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم) رواه ابن ماجه، وقال (صلى الله عليه وسلم): (ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) رواه مسلم. فعلى الراغب في القبول أن يحرص على التماسها في العشر الأواخر، وليشمر عن ساعد الجد وليتعرض لنفحات الله فيها حتى يكتب من المقبولين.

١٠- الثبات على الطاعة بعد رمضان: وهو خاتمة الدلائل على القبول من عدمه، فإن ثبت الصائم على الطاعة والعبادة والعمل الصالح وفعل الخيرات بعد رمضان وحافظ على ذلك في بقية الشهور، وظهرت ثمرات الصيام ندية على التزامه وسلوكه وأخلاقه، فذلك أثر القبول، أما إذا انتكس ورجع إلى حالته التي كان عليها قبل رمضان أو أسوأ، وصاح مع القائل: (رمضان ولي هاتها يا ساقى).. فتلك علامة حرمان لا تخطئ والعياذ بالله.

لقد ذكرنا بعض دلائل ومعايير القبول في مدرسة الرحمة والمغفرة والعتق من النار، وليعرض كل منا نفسه عليها بصدق، ويحدد النسبة والمرتبة التي هو فيها وليحمد الله على كل دليل وفق إليه، وليستدرك في كل دليل حرم منه، ما دامت المدرسة مفتحة الأبواب، وليكن في نهاية السباق مع كوكبة الفرسان الفائزة بجوائز هذا الشهر الكريم عملاً بقوله تعالى: (وَيَوْمَئِذٍ يَقَرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) الروم ٤٥.

وجاء في المقالة الثانية: والتي هي بعنوان: وماذا بعد رمضان؟:

(الأحبة في الله: فبعد أيام قلائل من رحيل شهر رمضان المبارك!! كيف حالكم بعد رمضان؟ فلتقارن بين حالنا في رمضان وحالنا بعد رمضان !!.

إيه أيتها النفس؟! كنت في أيام... في صلاة، وقيام، وتلاوة، وصيام، وذكّر، ودعاء، وصدقة، وإحسان، وصلّة أرحام!.

ذقنا حلاوة الإيمان وعرفنا حقيقته الصيام، وذقنا لذة الدمعة، وحلاوة المناجاة في الأسحار!!.

كنا نُصلي صلاة من جعلت قرّة عينه في الصلاة، وكنا نصوم صيام من ذاق حلاوته وعرف طعمه، وكنا ننفق نفقة من لا يخشى الفقر، وكنا.. وكنا.. مما كنا نفعله في هذا الشهر المبارك الذي رحل عنا !.

وهكذا.. كنا نتقلب في أعمال الخير وأبوابه حتى قال قائلنا... ياليتني متّ على هذا الحال !!.

ياليت خاتمتي كانت في رمضان!!:

رحل رمضان ولم يمض على رحيله إلا القليل! ولربما عاد تارك الصلاة لتركه، وأكل الربا لأكله، ومشاهد الفحش لفحشه، وشارب الدخان لشربه.

فنحن لا نقول أن نكون كما كنا في رمضان من الأجتهد. ولكن نقول: لا للإنقطاع عن الأعمال الصالحة، فلنحيا على الصيام، والقيام، والصدقة، ولو القليل^٢.

الوقفه الأولى: ماذا أستفدنا من رمضان!؟:

ها نحن ودعنا رمضان المبارك... ونهاره الجميل ولياليه العطرة.

ها نحن ودعنا شهر القرآن والتقوى والصبر والجهاد والرحمة والمغفرة والعتق من النار.

٢. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٦٢ ص ٣٣ في ١٤/١٠/٢٠٠٩ .

فماذا جنينا من ثماره اليانعة، وظلاله الوارقة؟!
هل تحققنا بالتقوى... وتخرجنا من مدرسة رمضان بشهادة المتقين؟
هل تعلمنا فيه الصبر والمصابرة على الطاعة، وعن المعصية؟!
هل ربينا فيه أنفسنا على الجهاد بأنواعه؟!
هل جاهدنا أنفسنا وشهواتنا وانتصرنا عليها؟! هل غلبتنا العادات والتقاليد السيئة؟! هل... هل... هل...؟! أسئلة كثيرة.. وخواطر عديدة.. تتداعى على قلب كل مسلم صادق.. يسأل نفسه ويجيبها بصدق وصراحة.. ماذا استفدت من رمضان؟
أنه مدرسة إيمانية... إنه محطة روحية للتزود منه لبقية العام.. ولشحن الهمم ببقية الغمر... فمتى يتعظ ويعتبر ويستفيد ويتغير ويغير من حياته من لم يفعل ذلك في رمضان؟! إنه بحق مدرسة للتغيير.. تُغير فيه من أعمالنا وسلوكنا وعاداتنا وأخلاقنا المخالفة لشرع الله جل وعلا:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد ١١).

الوقفه الثانية: لا تكونوا كالتى نقضت غزلها!!:

الأحبة في الله:

إن كنتم ممن أستفاد من رمضان... وتحققتم فيكم صفات المتقين...! فصمتم حقاً... وقمتم صدقاً... واجتهدتم في مجاهدة أنفسكم فيه...!!
فأحمدوا الله وأشكروه وأسألوه الثبات على ذلك حتى الممات. وإياكم ثم إياكم... من نقض الغزل بعد غزله. إياكم والرجوع الى المعاصي والفسق والمجون، وترك الطاعات والأعمال الصالحة بعد رمضان..

فبعد أن تتعموا بنعيم الطاعة ولذة المناجاة... ترجعوا إلى جحيم المعاصي والفجر!؟

فبئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان...!!

الأحبة في الله:

ولنقض العهد مظاهر كثيرة عند الناس فمنها:

١- ما نراه من تضييع الناس للصلوات مع الجماعة... فبعد امتلاء المساجد بالمصلين في صلاة التراويح التي هي سنة...

نراها قد قل روادها في الصلوات الخمس التي هي فرض ويُكفَّر تاركها !!
٢- الانتشغال بالأغاني والأفلام.. والتبرج والسفور.. والذهاب إلى الملاهي والمعاكسات !!
٣- ومن ذلك التنافس في الذهاب إلى المسارح ودور السينما والملاهي الليلية فترى هناك - مأوى الشياطين وملجأ لكل رذيلة - وما هكذا تُشكر النعم.. وما هكذا نختم الشهر ونشكر الله عليّ بلوغ الصيام والقيام، وما هذه علامة قبول بل هي جحود للنعمة وعدم شكر لها.

وهذا من علامات عدم قبول العمل والعياذ بالله لأن الصائم حقيقة يفرح يوم فطرة ويحمد ويشكر ربه على أتمام الصيام.. ومع ذلك يبكي خوفاً من ألا يتقبل الله منه صيامه كما كان السلف يكون ستة أشهر بعد رمضان يسألون الله القبول.
فمن علامات قبول العمل أن ترى العبد في أحسن حال من حاله السابق. وأن ترى فيه إقبالاً على الطاعة:

(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ابراهيم ٧ .

أي زيادة في الخير الحسي والمعنوي... فيشمل الزيادة في الإيمان والعمل الصالح.. فلو شكر العبد ربه حق الشكر، لرأيته يزيد في الخير والطاعة.. ويبعد عن المعصية. والشكر على ترك المعاصي.

الوقفه الثالثة: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين:

هكذا يجب أن يكون العبد... مستمراً على طاعة الله، ثابتاً على شرعه، مستقيماً على دينه، لا يراوغ وغان الثعالب، يعبد الله في شهر دون شهر، أو في مكان دون آخر، لا... وألف لا..!! بل يعلم أن رب رمضان هو رب بقية الشهور والأيام....

قال تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ) هود ١١٢ .

وقال: (فَاسْتَقِمْوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ) فصلت ٦ .

والآن بعد أنتهاء صيام رمضان... فهناك صيام النوافل: (كالست من شوال، والاثنين، الخميس، وعاشوراء، وعرفة، وغيرها).

و بعد أنتهاء قيام رمضان، فقيام الليل مشروع في كل ليلة: وهو سنة مؤكدة حث النبي (صلى الله عليه وسلم) على أدائها بقوله:

(عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات،

ومنهارة عن الإثم مطردة للداء عن الجسد) رواه الترمذي وأحمد.
وفي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل).

وقد حافظ النبي (صلى الله عليه وسلم) على قيام الليل، ولم يتركه سفراً ولا حضراً، وقام (صلى الله عليه وسلم) وهو سيد ولد آدم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، حتى تفتّرت قدماه، فقليل له في ذلك فقال: (أفلا أكون عبداً شكوراً) متفق عليه. وقال الحسن: ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل، ونفقة المال، فقليل له: ما بال المتجهدين من أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره.

اجتناب الذنوب والمعاصي: فإذا أراد المسلم أن يكون مما ينال شرف مناجاة الله تعالى، والأنس بذكره في ظلم الليل، فليحذر الذنوب، فإنه لا يُوفَّق لقيام الليل من تلطخ بأدران المعاصي. قال رجل لإبراهيم بن أدهم: إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء؟ فقال: لا تعصه بالنهار، وهو يُقيمك بين يديه في الليل، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف، والمعاصي لا يستحق ذلك الشرف. وقال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد: إني أبيت معافي، وأحب قيام الليل، وأعدّ طهوري، فما بالي لا أقوم؟ فقال الحسن (رحمه الله): ذنوبك قيدتك.

وقال رحمه الله: إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل، وصيام النهار^٣.
وقال الفضيل بن عياض (رحمه الله): إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام النهار، فأعلم أنك محروم مكبل، كبلتك خطيئتك، وقيام الليل عبادة تصل القلب بالله تعالى، وتجعله قادراً على التغلب على مغريات الحياة الفانية، وعلى مجاهدة النفس في وقت هدأت فيه الأصوات، ونامت العيون وتقلب النّوام على الفرش.

ولذا كان قيام الليل من مقاييس العزيمة الصادقة، وسمات النفوس الكبيرة، وقد مدحهم الله وميزهم عن غيرهم بقوله تعالى:

(أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) ٩ الزمر.

والآن بعد أن انتهت (زكاة الفطر): فهناك الزكاة المفروضة، وهناك أبواب الصدقة والتطوع

٣. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٦٣ ص ٣٣ في ١٤/١٠/٢٠٠٩.

والجهاد كثيرة. وقراءة القرآن وتدبره ليست خاصة برمضان: بل هي في كل وقت. وهكذا... فالأعمال الصالحة في كل وقت وكل زمان.... فاجتهدوا الأحبة في الله في الطاعات... وإياكم والكسل والفتور.

فالله... الله في الاستقامة والثبات على الدين في كل حين فلا تدرون متى يلقاكم ملك الموت فأحذروا أن يأتاكم وأنتم على معصية.

الوقفه الرابعة: عليكم بالاستغفار والشكر:

أكثرُوا من الاستغفار... فإنه ختام الأعمال الصالحة، (كالصلاة، والحج، والمجالس)، وكذلك يُختم الصيامُ بكثرة الاستغفار. كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: يأمرهم بختم شهر رمضان بالاستغفار والصدقة وقال: قولوا كما قال أبوكم آدم: (قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ١٢٣ الأعراف.

وكما قال ابراهيم:

(وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) ٨٢ الشعراء.

وكما قال موسى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ١٦ القصص.

وكما قال ذو النون: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) ٨٧ الأنبياء.

أكثرُوا من شكر الله تعالى أن وفقكم لصيامه، وقيامه. فإن الله عز وجل قال في آخر آية الصيام.

(وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) البقرة ١٨٥.

والشكر ليس باللسان وإنما بالقلب والأقوال والأعمال وعدم الإذبار بعد الإقبال.

الوقفه الخامسة: هل قبل صيامكم وقيامكم أم لا؟؟:

إن الفائزين في رمضان، كانوا في نهارهم صائمين، وفي ليلهم ساجدين، بكاءً خشوعاً، وفي الغروب والأسحار تسبيحاً، وتهليل، وذكر، واستغفار، ما تركوا باباً من أبواب الخير إلا ولجوه، ولكنهم مع ذلك، قلوبهم وجلة وخائفة... !!

لا يدرون هل قبلت أعمالهم أم لم تقبل؟

وهل كانت خالصة لوجه الله أم لا؟

فلقد كان السلف الصالح يحملون هم قبول العمل أكثر من العمل نفسه، قال تعالى:
(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) المؤمنون ٦٠.

هذه هي صفة من أوصاف المؤمنين أي يعطون العطاء من زكاةٍ وصدقة، ويتقربون
بأنواع القربات من أفعال الخير والبر وهم يخافون أن لا تقبل منهم أعمالهم، وقال على
بن أبي طالب (رضي الله عنه):

(كونوا لقبول العمل أشد أهتماً من العمل، ألم تسمعوا قول الله عز وجل:

(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) المائدة: ٢٧.

فمن منا أشغله هذا الهاجس!! قبول العمل أو رده، في هذه الأيام؟ ومن منا لهج
لسانه بالدعاء أن يتقبل الله منه رمضان؟

فلقد كان السلف الصالح يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان، ثم يدعون
الله ستة أشهر أن يتقبل منهم...نسأل الله أن نكون من هؤلاء الفائزين.

من علامات قبول العمل:

١- الحسنة بعد الحسنة فإتيان المسلمين بعد رمضان بالطاعات، والقربات والمحافظة
عليها دليل على رضي الله عن العبد، وإذا رضي الله عن العبد وفقه إلى عمل الطاعة
وترك المعصية.

٢- انشراح الصدر للعبادة والشعور بلذة الطاعة وحلاوة الإيمان، والفرح بتقديم
الخير، حيث أن المؤمن هو الذي تسره حسنته وتسوءه سيئته.

٣- التوبة من الذنوب الماضية من أعظم العلامات الدالة على رضي الله تعالى.

٤- الخوف من عدم قبول الأعمال في هذا الشهر الكريم!!.

٥- الغيرة للدين والغضب إذا أنتهكت حرّمات الله والعمل للإسلام بحرارة، وبذل
الجهد والمال في الدعوة إلى الله.

الوقفة السادسة: احذروا من العجب والغرور وألزموا الخضوع والانكسار للعزیز

الغفار:

الأحبة في الله: إياكم والعجب والغرور بعد رمضان!

ربما حدثتكم أنفسكم أن لديكم رصيذاً كبيراً من الحسنات.

أو أن ذنوبكم قد عُفرت فرجعتم كيوم ولدتكم أمهاتكم.
فما زال الشيطان يغريكم والنفس تلهيكم حتى تكثروا من المعاصي والذنوب.
ربما تعجبكم أنفسكم فيما قدمتموه خلال رمضان... فإياكم ثم إياكم والإدلال على
الله بالعمل، فإن الله عز وجل يقول:

(وَلَا تَمُنُّنَّ تَسْتَكْثِرُ) المدثر ٦).

فلا تمنن على الله بما قدمتم وعملتم. ألم تسمعوا قول الله تعالى:

(وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) الزمر ٤٧.

فاحذروا من مفسدات العمل الخفية من (النفاق، والرياء، والعجب).

اللهم لك الحمد على أن بلغتنا شهر رمضان، اللهم تقبل منا الصيام والقيام، وأحسن
لنا الختام، اللهم اجبر كسرنا على فراق شهرنا، وأعدنا علينا أعواماً عديدة وأزمنة
مديدة، واجعله شاهداً لنا لا علينا، اللهم اجعلنا فيه من عتقائك من النار، واجعلنا فيه
من المقبولين الفائزين. الله يتقبل أعمالنا ويغفر لنا ويكتبنا من عباده الصالحين في يوم
الدين.. والله سبحانه أعلم، وأستغفر الله من أي زلة أو خطأ أو نسيان.

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ) ١١٧ هود .

٤. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٦٤ ص ٣٣ في ٢١/١٠/٢٠٠٩ .

مبدأ الشورى و صيغة التطبيق

عنوان بيدرنا اليوم، وكتابته للشيخ (حسن الصفار) وقد أتيت به - وكما عودتكم عليه، في أن تكون بيدرنا من الكل وللكل - من: موقع (شبكة المعلوماتية) ولعل دوري فيه هو اختياره، سيما في الوقت الحاضر ونحن مقبلون على تنشيط برلماننا أكثر و الإستعداد للدخول في المعارك الإنتخابية العراقية في دورتها الجديدة، جوهر الشورى هو استطلاع رأي المجتمع، بشكل مباشر، أو عبر من ينوب عنه، في الأمور العامة المتعلقة به. وقد مارسها المجتمع الإسلامي بداية نشأته وتكونه في عهد رسول الله، وعهد الخلافة الراشدة، ضمن إطار الشورى العامة، حيث كان المسجد مركز تجمع المسلمين، وكان ذو الرأي من المجتمع يحيطون بالقيادة، وعند أي قضية أو مسألة كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخاطب المسلمين المجتمعين ليطلب منهم رأيهم، ويتدارس الأمر معهم، ثم يتخذ القرار المناسب.

ومع اتساع رقعة الأمة، ودخول البلدان والشعوب المختلفة إلى الإسلام، وتطور قضايا الحياة والمجتمع الإسلامي، كان الأمر بحاجة إلى أن تتطور وسائل تطبيق مبدأ الشورى. لكن ما حدث هو تراجع الالتزام بهذا المبدأ العظيم بعد الخلافة الراشدة، في العهدين الأموي والعباسي، عدا زمن خلافة عمر بن عبدالعزيز. وبذلك دخلت الأمة نفقا مختلفا عن العهود السابقة، والذي أوصلها إلى حالة من الركود والتخلف، امتدت إلى عهد العثمانيين، حتى أستفاقت الأمة على هول الصدمة مع تقدم الصليبيين، ونهضة أوروبا الحديثة. وسيطرة الاستعمار الغربي على أغلب بلدانها وشعوبها.

وفي عصرنا الحاضر، فإن المجتمعات البشرية المتقدمة، طورت تجاربها السياسية والاجتماعية، على صعيد نهج الشورى والديمقراطية، وأصبحت السلطة تعتمد على ثلاث دعائم مستقلة عن بعضها هي: السلطة التشريعية، والسلطة القضائية، والسلطة التنفيذية، وهناك دستور يشكل مرجعية لهذه السلطات، وانتخابات يختار فيها الشعب

ممثلية. والمجتمع الإسلامي يمكنه الاستفادة من تجارب الشعوب والمجتمعات الأخرى، بما لا يتنافى مع قيمه ومبادئه. لقد قرر الإسلام مبدأ الشورى لكن صيغ التطبيق، وأساليب التنفيذ، قابلة للتغيير والتطوير، حسب اختلاف الظروف، وتطور مستوى المجتمع، وقضايا الحياة.

يقول سيد قطب (رحمه الله)، في كتابه: (في ظلال القرآن): «أما الشكل الذي تتم به الشورى فليس مصبوحاً في قالب حديدي، فهو متروك للصورة الملائمة لكل بيئة وزمان». ويقول الشيخ أبو الأعلى المودودي: «أما تبيين من يحوز ثقة المسلمين، فالظاهر في بابه أنه لا يمكن أن يختار له اليوم نفس ذلك الطريق الذي اختاره المسلمون في بدء الإسلام، خاصة وأن ما يواجهنا اليوم من العقبات والمشكلات، لم يواجهها الناس حينذاك، فيجوز أن نستخدم اليوم على حسب أحوالنا وحاجتنا، كل طريق مباح يمكن به تبيين من يحوز ثقة الأمة». وأضاف: «ولا شك أن طريق الانتخاب في هذا الزمان هي أيضاً من الطرق المباحة، بشرط أن لا يستعمل فيها الحيل والوسائل المرذولة» (الدكتور عبد الحميد إسماعيل الأنصاري في كتابه: الشورى وأثرها في الديمقراطية).

ويرى الدكتور أحمد شوقي الفنجري أنه: إذا أردنا ترجمة صادقة وأمينة لكلمة الشورى في عصرنا هذا لقلنا أنها تعني الحياة النيابية الحرة السليمة التي يطبقها الغرب في أيامنا هذه، ولا عجب في ذلك إذا وجدناهم أكثر منا تطبيقاً لمبادئ الإسلام.. فقديمًا قال الشيخ محمد عبده: ذهب إلى أوروبا فوجدت الإسلام ولم أجد المسلمين، وعدت إلى الشرق فوجدت المسلمين ولم أجد الإسلام.

وعندما سئل الشيخ محمد عبده عن الشورى في عصرنا هذا قال: إن الشورى تعني كل ما توصل إليه الإنسان الغربي في عصرنا هذا من التنظيمات الديمقراطية الحديثة، وإذا كان تحقيق الشورى لا يتم إلا بها فإن وجودها في الإسلام واجب، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، (أحمد شوقي الفنجري، الحرية السياسية في الإسلام). وأخيراً فإن علماء الأمة ومفكريها مطالبون بدراسة هذا المبدأ العظيم من الدين (الشورى)، ودراسة صيغ تطبيقه في العصر الحاضر، على ضوء هدى الإسلام، وتجارب المجتمعات البشرية، لتسير الأمة على طريق الخلاص من واقعها الأليم^١.

١. تم نشر هذه المقالة في: الصوت الآخر العدد ٢٦ في ٢٨\١٠\٢٠٠٩ ص ٣٣.

نيچيرقانا و سياتو العصر

اعتلاء العرش وتولي السلطة وطلبها في حد ذاته ليس بمذموم، بل أحيانا مرغوب فيه دينيا سيما عندما يري المرء في نفسه أهلية التحمل والأداء:

(قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) ٥٥ يوسف.

قالها يوسف (س) بعظمة لسانه:

(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) ٢٦ القصص.

قالتها إحدى ابنتي شعيب وهي تلمس الصفقتين في موسى (عليه السلام).

لكن التشبث بالعرش وعدم القبول بالبديل والتمسك به والذي يبتلى به في أغلب الأحيان السلاطين، و عدم التنازل عن كرسي الحكم مبتسما وتسليمه إلى من بعده، هو عين الداء و لايتوقع ذلكم التنازل عنه بغية تنفيذ وتلبية إرادة الناخبين واحترام آرائهم ومراعاة المصلحة العامة، كل هذا لايتوقع حصوله إلا من الخيرين، وبما أننا لم نتعود إلا نادرا رؤية هؤلاء الخيرين، زدت اعتزازا بنفسي ككُردي يوم رأيت في تمام الساعة الثامنة والرابع مساء بتوقيت كُردستان، الثلاثاء ٢٨/١٠/٢٠٠٩ بيث عبر جميع القنوات، خطاب الأخ (نيچيرقان) بارزاني، وهو يودع كرسي رئاسة حكومة إقليم كُردستان ويثني على الدكتور برهم أحمد صالح الذي سيحل محله، وجعلني معتزا أكثر بانتمائي إلى ذات المدرسة الوطنية التي ربته، وكان أشد ماجلب إنتباهي في الخطاب:

١- تواضع الأخ (نيچيرقان) بارزاني، اللامحدود في كلامه والإشارة إلى المخاطر التي مازالت أمام الحكومة القادمة واعترافه بوجود القصور ودون الوصول الى المبتغى.

٢- اشادته بمن يأتي بعده وتهيئة الكُردستانيين النسبية لإستقبال المسؤول الجديد وتعظيم جانبه بمواقفه النبيلة.

٣- انهاء كلامه بشكره لأختنا السيدة (نبيلة) خان شريكة حياته، كاسحا بذلك جميع العادات والتقاليد المذمومة، في حين، غيره عندما يذكر المرأة يقول: (تكرم زوجتي) ! كل هذه جعلتني اخصص بيدي اليوم لذكر هذا الموقف، وادع المقارنة بينه وبين غيره للقرء الكرام، ذلك الغير الذي يجسده الشاعر (نزارقباني) في قصيدته الطويلة تحت عنوان: **السيرة الذاتية لسياف عربي**

أيها الناس
لقد أصبحت سلطانا عليكم..
فاكسروا أصنامكم بعد ضلال، وابدوني..
إنني لا أتجلى دائما..
فاجلسوا فوق رصيف الصبر، حتى تبصروني
اتركوا أطفالكم من غير خبز
واتركوا نسوانكم من غير بعل.. واتبعوني
إحمدوا الله على نعمته
فلقد أرسلني كي أكتب التاريخ،
والتاريخ لا يكتب دوني
إنني يوسف في الحسن
ولم يخلق الخالق شعرا ذهبيا مثل شعري
وجبيننا نبويا كجيبني
وعيونني غابة من شجر الزيتون واللوز
فصلوا دائما كي يحفظ الله عيوني

أيها الناس
أنا مجنون ليلي
فابعثوا زوجاتكم يحملن مني..
وابعثوا أزواجكم كي يشكروني
شرف أن تأكلوا حنطة جسمي

شرف أن تقطفوا لوزي وتيني

شرف أن تشبهوني..

فأنا حادثة ما حدثت

منذ آلاف القرون..

أيها الناس

أنا الأول والأعدل،

والأجمل من بين جميع الحاكمين

وأنا بدر الدجى، وبياض الياسمين

وأنا مخترع المشنقة الأولى..

كلما فكرت أن أعتزل السلطة، ينهاني ضميري

من ترى يحكم بعدي هؤلاء الطيبين؟

من سيشفى بعدي الأعرج، والأبرص، والأعمى..

ومن يحيي عظام الميتين؟

من ترى يخرج من معطفه ضوء القمر؟

من ترى يرسل للناس المطر؟

من ترى يصلبهم فوق الشجر؟

من ترى يرغمهم أن يعيشوا كالبقر؟

ويموتوا كالبقر؟

كلما فكرت أن أتركهم

فاضت دموعي كغمامة..

وتوكلت على الله...

وقررت أن أركب الشعب..

من الآن.. الى يوم القيامة

أيها الناس
أنا أملككم
كما أملك خيلي.. وعبيدي
وأنا أمشي عليكم مثلما أمشي على سجاد قصري
فاسجدوا لي في قيامي
واسجدوا لي في قعودي
أولم أعثر عليكم ذات يوم
بين أوراق جدودي؟؟
حاذروا أن تقرأوا أي كتاب
فأنا أقرأ عنكم..
حاذروا أن تكتبوا أي خطاب
فأنا أكتب عنكم..
حاذروا أن تسمعوا فيروز بالسر
فإني بنواياكم عليم
حاذروا أن تدخلوا القبر بلا إذني
فهذا عندنا إثم عظيم
والزموا الصمت، إذا كلمتكم
فكلامي هو قرآن كريم.. !

أيها الناس
أنا مهديكم، فانتظروني
ودمي ينبض في قلب الدوالي، فاشربوني
أوقفوا كل الأناشيد التي ينشدها الأطفال
في حب الوطن
فأنا صرت الوطن

إنني الواحد، والخالد ما بين جميع الكائنات
وأنا المخزون في ذاكرة التفاح، والناي،
وزرق الأغنيات
إرفعوا فوق الميادين تصاويري
وغطوني بغيمة الكلمات
واخطبوا لي أصغر الزوجات سناً..
فأنا لست أشيخ..
جسدي ليس يشيخ..
و سجونى لا تشيخ..
وجهاز القمع فى مملكتى ليس يشيخ..

أيها الناس
أنا الحجاج إن أنزع قناعى تعرفونى
وأنا جنكيز خان جننكم..
بحرابى .. وكلابى .. سوجونى
لاتضيقوا - أيها الناس - ببطشى
فأنا أقتل كى لاتقتلونى....
وأنا أشنق كى لا تشنقونى..
وأنا أدفنكم فى ذلك القبر الجماعى
لكى لا تدفونى..

أيها الناس
اشترؤا لى صحفا تكتب عنى
إنها معروضة مثل البغايا فى الشوارع
إشترؤا لى ورقا أخضر مصقولاً كأعشاب الربيع

ومدادا.. ومطابع
كل شيء يشتري في عصرنا.. حتى الأصابع..
إشتروا فاكهة الفكر.. وخلوها أمامي
واطبخوا لي شاعرا،
واجعلوه، بين أطباق طعامي..
أنا أمة.. وعندي عقدة مما يقول الشعراء
فاشتروا لي شعراء يتغنون بحسني..
واجعلوني نجم كل الأغلفة
فنجوم الرقص والمسرح ليسوا أبدا أجمل مني
فأنا، بالعملة الصعبة، أشري ما أريد
أشتري ديوان بشار بن برد
وشفاه المتنبى، وأناشيد لبيد..
فالملايين التي في بيت مال المسلمين
هي ميراث قديم لأبي
فخذوا من ذهبي
واكتبوا في أمهات الكتب
أن عصري عصر هارون الرشيد...
يا جماهير بلادي
يا جماهير الشعوب العربية
إنني روح نقية جاءت كي تغسلكم من غبار الجاهلية
سجلوا صوتي على أشرطة
إن صوتي أخضر الايقاع كالنافورة الأندلسية
صوروني باسماء مثل الجوكندا
ووديعا مثل وجه الجدلية
صوروني...

وأنا أفترس الشعر بأسناني..

وأمتص دماء الأبجدية

صوروني

بوقاري وجلالي،

وعصاي العسكرية

صوروني..

عندما أصطاد وعلا أو غزالا

صوروني..

عندما أحملك فوق أكتافي لدار الأبدية

يا جماهير الشعوب العربية...

أيها الناس

أنا المسؤول عن أحلامكم إذ تلمون..

وأنا المسؤول عن كل رغيف تأكلون

وعن الشعر الذي - من خلف ظهري - تقرأون

فجهاز الأمن في قصري يوافيني

بأخبار العصافير.. وأخبار السنابل

ويوافيني بما يحدث في بطن الحوامل

أيها الناس

أنا سجانكم

وأنا مسجونكم.. فلتعذروني

إنني المنفي في داخل قصري

لا أرى شمسا، ولا نجما، ولا زهرة دفلي

منذ أن جئت الى السلطة طفلا

ورجال السيرك يلتفون حولي
واحد ينفخ نايًا..
واحد يضرب طبلا
واحد يمسح جوقاً.. واحد يمسح نعلاً..
منذ أن جنّت الى السلطة طفلاً..
لم يقل لي مستشار القصر.. كلا
لم يقل لي وزرائي أبدا لفظة.. كلا
لم يقل لي سفرائي أبدا في الوجه.. كلا
لم تقل إحدى نسائي في سرير الحب.. كلا
إنهم قد علموني أن أرى نفسي إليها
وأرى الشعب من الشرفة رملاً..
فاعذروني إن تحولت لهولاكو جديد
أنا لم أقتل لوجه القتل يوما..
أنا أقتلكم... كي أتسلى^{١-٢-٣}

-
١. بإمكان القراء الكرام العودة إلى المواقع الأدبية أو الأعمال الكاملة: نزار قباني.
 ٢. ليس بالضرورة ان اتبنى جميع الأفكار الواردة في القصيدة، سيما الكفرية منها، ولكن قديما قالوا: ناقل الكفر ليس بكافر (عمر).
 ٣. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٦٦، ٤\١١\٢٠٠٩ ص ٣٣ .

مختصر أحكام طفل الأنابيب والتلقيح الصناعي

ورد إلى الزاوية سؤال من إحدى الأخوات المغتربات، وعمرها ٤٠ سنة وعمر زوجها ٥٢ سنة، حول حكم القيام بإختيار طريقة طفل الأنابيب، وكما شرحت حالها في الرسالة، أحببت أن تكون الإجابة على استفتائها، عبر هذه الزاوية، فحبا منا ونزولا عند رأيها، نخص هذه الزاوية بالإجابة على سؤالها شاكرين لها حسن متابعتها، وقد عدنا في فتوانا إلى موقع: (منتديات فرسان الخليج)، حيث ورد إليهم سؤال حول: ذات الموضوع، فكانت الإجابة:

روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (لا يدع أحدكم عن طلب الولد، فإنه إذا مات ولا ولد له لم يذكر اسمه) رواه الطبراني وإسناده حسن مجمع الزوائد (٢٥٨/٤).

وهذا دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يتخذ الأسباب الكفيلة بالإنجاب إذا كانت هذه الأسباب مضمونة ولم يترتب عليها اختلاط الأنساب. فإذا التزمت هذه الضوابط كان إجراء الإخصاب مشروعاً سواء كان داخلياً أو خارجياً.

وهذه بعض أقوال المجاميع الفقهية والعلماء في هذه المسألة:

وهذا ما قرره مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الثالث في عمان من ٨-١٣ صفر سنة ١٤٠٧ هجرية، وإليك نص القرار: وللتلقيح الصناعي صور أو طرق متعددة نذكرها فيما يأتي:

أولاً: الحالات المحرمة:

١- أن يجري التلقيح بين نطفة مأخوذة من زوج، وبيضة مأخوذة من امرأة ليست زوجته، ثم تزرع اللقيحة في رحم زوجته.

إذا كان التلقيح بماء رجل أجنبي عن المرأة لا يربط بينهما عقد زواج فهو في هذه الحالة يكون في نظر الشريعة الإسلامية جريمة منكرة وإثماً عظيماً يلتقي مع الزنى في إطار واحد جوهرهما واحد ونتيجتهما واحدة وهي وضع ماء رجل أجنبي قصداً في حرت ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد ارتباط بزوجية شرعية ولولا وجود قصور في صورة الجريمة لكان حكم التلقيح في تلك الحالة هو حكم الزنى.

٢- أن يجري التلقيح بين نطفة رجل غير الزوج وبيضة الزوجة ثم تزرع تلك اللقحة في رحم الزوجة.

وأما إذا كان الزوج عقيم الماء، وأريد ممارسة عملية التلقيح الصناعي بأخذ نطفة رجل آخر من نطفة تحفظ خصيصاً لهذا الغرض بوسائل فنية في مستودع النطفة (البنك ووضعها في رحم الزوجة لتحمل، فهذا حرام قطعي لا يجوز فعله بحال من الأحوال أصلاً مهما كانت ظروف الزوجين، لأن فيه تغييراً للأنساب بما يترتب عليها من حرمان شرعية وحقوق وواجبات.

ومن يستبح ذلك فخير له أن يعتبر نفسه غير مسلم.

٣- أن يجري تلقيح خارجي بين مني من الزوج وبيضة مأخوذة من الزوجة ثم تزرع اللقحة في رحم امرأة متطوعة بحملها.

هذه الحالة يطلق عليها: (الرَّحْمُ الْمُؤَجَّر) أو (الأم الحاضنة) حيث إن البويضة الملقحة التي وضعت في رحمها ليست بويضتها، والحكم هو التحريم؛ لأن فيها صورة الزنا، والزنا محرم بالكتاب والسنة والإجماع وذلك لأمر من أهمها أمران:

أ- المحافظة على الأنساب إذا كان الرجل والمرأة قايلاً للإنجاب، بصلاحية مائه وصلاحية بويضتها، فلا يدري لمن ينسب المولود ويكون مصيره الضياع، وقد صح في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: (الولد للفراش وللعاهر الحجر).

ب- صيانة الأعراض عن الانتهاك وحماية الحقوق لكل من الرجل والمرأة، وفي الزنا وقعت المتعة الجنسية بغير الطريق الشرعي الذي يدل عليه قول الله تعالى في صفات المؤمنين المفلحين:

(وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْؤُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) سورة المؤمنون: ٥ - ٧.

وتظهر الحكمة الثانية في تحريم الزنا إذا كان أحد الطرفين غير صالح للإنجاب،

كما في الصورة المذكورة في السؤال، حيث توقَّف جسم المرأة عن التَّبويض فإذا كان مجرد دخول ماء الرَّجل الغريب عن المرأة في رَحْمِهَا حراماً فكيف بدخول ماء وبويضة (بويضة مُلقَّحة بمائه) أي دخول جنين أو أصل جنين غريب عنها؟ إنَّ الحُرْمَةَ تكون من باب أولى.

٤- أن يجري تلقيح خارجي بين نطفة من رجل أجنبي وبويضة امرأة أجنبية وتزرع اللقيحة في رحم الزوجة. إذا كان التلقيح بماء رجل أجنبي عن المرأة لا يربط بينهما عقد زواج فهو في هذه الحالة يكون في نظر الشريعة الإسلامية جريمة منكرة وإثماً عظيماً يلتقي مع الزنى في إطار واحد جوهرهما واحد ونتيجتهما واحدة وهي وضع ماء رجل أجنبي قصداً في حرث ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد ارتباط بزوجة شرعية ولولا وجود قصور في صورة الجريمة لكان حكم التلقيح في تلك الحالة هو حكم الزنى^١.

٥- أن يجري تلقيح خارجي بين نطفة الزوج وبويضة من الزوجة ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة الأخرى لهذا الزوج، لأن له زوجتين.

إذا أُخِذَت بويضة الزوجة الثانية المُلقَّحة بمني زوجها ووُضِعَت بدون إذنها وموافقتها في رحم ضُرَّتْهَا الأولى كان ذلك حراماً ؛ لأنه اعتداء على حق الغير بدون إذنه، والكل يعلم ما بين الضرائر من حساسية شديدة، وأثر ذلك على الأسرة.

وإن كان بإذنها وموافقتها يُثار هذا السؤال:

لماذا يلجأ الزوج إلى هذه العملية؟

إن كان لمصلحة تعود عليه هو مثل كثرة الإنجاب الحاصل من زوجتين لا من زوجة واحدة فقد يكون ذلك مقبولاً إن دعت إليه حاجة أو ضرورة، مع التأكد من القيام بواجب الرعاية الصحيحة، ومع ذلك لا أوافق عليه لما سيأتي بعد من العلاقة بين الإخوة الأشقاء والأخوة غير الأشقاء.

وإن كان لمصلحة تعود على الزوجين، فإن المصلحة العائدة على الزوجة الثانية الصالحة للإنجاب ليست ذات قيمة، بل قد يكون في ذلك ضرر على أولادها عند تقصير الأب عن الوفاء بحق هذه الكثرة من الأولاد، أو بضالة نصيب أولادها من ميراث أبيهم حيث يُوزَع على عدد كبير من أولاده.

وإذا كانت المصلحة عائدة على الزوجة الأولى التي لا تُتَجَبِّ فإنها تتمثل في أمرين

١. مجلة الصوت الآخر العدد ٢٦٧ ص ٣٣ في ١١/١١/٢٠٠٩ .

هامين، أولهما إرضاء عاطفة الأمومة وعدم الشعور بنقصها بالنسبة لضررتها، لكنها لا تتحقق إلا إذا كان أولادها يُنسَبون إليها، وقد تقرّر - كما سبق ذكره - أنها مجرد أمّ حاضنة وما يَنْتَج منها فهو لزوجها ولضررتها صاحبة البويضة، فإذا عرّفت أن من يولد منها فهو لضررتها، فلماذا تُتعب نفسها بالحمل والوضع دون فائدة لها؟

إذاً ليست هناك مصلحة لها قيمتها من هذه العملية لكنتا الزوجتين، ولا يجوز للزوج أبداً أن يجعل ما تلده الزوجة الأولى الحاضنة أولاداً لها، لمعارضته ما سبق ذكره، ولأنهم سيكونون بذلك بالنسبة لأولاد الزوجة الثانية صاحبة البويضة إخوة غير أشقاء، أي إخوة من أب فقط وهذا له أثره في الميراث إذا تُوفّي أحد الإخوة، فالأخ الشقيق يَحْبُ الأَخ لأب، والحاضنة إذا ماتت لا يَحِقُّ لها شرعاً أن تَرِثَ مِمَّن ولدتهم ولا أن يرثوا منها، فالأمومة النسبية مقطوعة، وذلك إلى جانب ما يكون بين الأولاد من كل من الزوجتين من حساسيات معروفة لها آثارٌ غير طيبة.

وهنا يُمكن أن نقول: إن المفاصد المترتبة على هذه العملية أكبر من المصلحة العائدة على الزوج والزوجتين والقاعدة الشرعية تقول: درء المفاصد مُقَدَّمٌ على جلب المصالح.

فضلا عن ذلك لعل هذه اللقيحة تموت ويتم الحمل من المرأة الثانية حملا صحيحا وتظن الزوجة صاحبة اللقيحة الأولى أنها لها وهذا المولود هو من بويضتها وهو ابنها وهو ليس كذلك.

ولهذا أُرَجِّح عدم جواز هذه العملية، وإذا كان للزوج رغبة في كثرة الإنجاب فأمامه الوسائل المشروعة الأخرى، مع مراعاة واجب العدل في معاملة الزوجات والأولاد.

ثانياً: الحالتان الجائزتان:

١- أن تؤخذ نطفة من الزوج وبويضة من زوجته ويتم التلقيح خارجياً ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة.

أخذ بويضة الزوجة التي لا تحمل وتلقيحها بمني زوجها خارج رحمها (أنابيب) وإعادةها بعد إخصابها إلى رحم تلك الزوجة دون استبدال أو خلط بمني إنسان آخر أو حيوان لداع طبي وبعد نصح طبيب حاذق مجرب بتعيين هذا الطريق، هذه الصورة جائزة شرعاً.

٢- أن تؤخذ نطفة الزوج وتحقن في الموضع المناسب من مهبل زوجته أو رحمها لتلقح تلقيحاً داخلياً.

فإذا أخذت النطفة من الزوج نفسه وإدخالها إلى رحم زوجته لتسهيل عملية الحمل التي لا تحصل بالجماع الطبيعي بينهما لسبب من جهته هو أو من جهتها هي، فهذا قد يُمكن القول بجوازه شرعاً إذا دعت إليه حاجة، كما لو لم يكن للزوجين أولاد وهما حريصان على التناسل وإنجاب ذرية؛ لأن التناسل مصلحة مشروعة لهما، وأصبح متوقفاً على هذه العملية).

أ- إن الطرق الخمس الأولى كلها محرمة شرعاً وممنوعة منعاً باتاً لذاتها أو لما يترتب عليها من اختلاط الأنساب وضياع الأمومة وغير ذلك من المحاذير الشرعية.

ب- أما الطريقتان السادس والسابع، فقد رأى مجلس المجمع أنه لا حرج من اللجوء إليهما عند الحاجة مع التأكيد على ضرورة أخذ كل الاحتياطات اللازمة.

ولقد أفتى بمثل هذا، السادة العلماء:

د- الدكتور يوسف القرضاوي، د. عبد الفتاح إدريس، الشيخ عطية صقر، د. مصطفى الزرقا (رحمه الله)، وشيخ جامع الأزهر، الشيخ محمود شلتوت، و الشيخ جاد الحق على جاد الحق، والدكتور أحمد يوسف سليمان أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، وغيرهم من العلماء.^٢

٢. مجلة الصوت الآخر العدد ٢٦٨ ص ٣٣ في ١٨/١١/٢٠٠٩ .

عشر ذي الحجة فضائلها والأعمال المستحبة فيها

اليوم هو يوم التروية أي اليوم الذي يجتمع الحجيج فيه بمنى ليستعدوا لغدهم الذي هو يوم عرفة وبعد غد عيد الأضحى المبارك لعام ١٤٣٠ الهجري، لذا أخصص بيدري اليوم بالحديث عما عنوت به، وإن مضى سبعة أيام منه، وقبل كل شئ أقول: تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال وكل عام وأنتم بألف خير و عاشت كُردستان حرة أبية، وجعل الله أيامكم مليئة بالأفراح مبعدة عن الأتراح، وأنا اسطرهذه الكلمات، قد لميت شملي وحقيقتي ثانية للذهاب إلى العلاج خارج الوطن، ولا ادري متى سنلتقي أو سنلتقي أصلا، فمهما طال بالإنسان الزمان فلا بد من الرحيل ولله علينا نحن بني البشر أفضل، منها تفضله (على عباده بأن جعل لهم مواسم للطاعات، يستكثرون فيها من العمل الصالح، ويتنافسون فيها فيما يقربهم إلى ربهم، والسعيد من اغتنم تلك المواسم، ولم يجعلها تمر عليه مروراً عابراً).

ومن هذه المواسم الفاضلة عشر ذي الحجة، وهي أيام شهد لها الرسول (صلى الله عليه وسلم)، بأنها أفضل أيام الدنيا، وحث على العمل الصالح فيها:

١- أن الله تعالى أقسم بها: وإذا أقسم الله بشئ دل هذا على عظم مكانته وفضله، إذ العظيم لا يقسم إلا بالعظيم، قال تعالى: (وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ) سورة الفجر ١ و٢. والليالي العشر هي عشر ذي الحجة، وهذا ما عليه جمهور المفسرين والخلف، وقال ابن كثير في تفسيره: وهو الصحيح.

٢- أنها الأيام المعلومات التي شرع فيها ذكره: قال تعالى: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَيَّ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أُلْبَانِسَ الْفَقِيرِ) الحج: ٢٨.

وأجمع جمهور العلماء على أن الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة، منهم ابن عمر وابن عباس.

- ٣- أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شهد لها بأنها أفضل أيام الدنيا:
 فعن جابر (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (أفضل أيام الدنيا أيام العشر - يعني عشر ذي الحجة - قيل: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: ولا مثلهن في سبيل الله إلا رجل عفر وجهه بالتراب) رواه البزار وابن حبان وصححه الألباني).
- ٤- أن فيها يوم عرفة: ويوم عرفة يوم الحج الأكبر، ويوم مغفرة الذنوب، ويوم العتق من النيران، ولو لم يكن في عشر ذي الحجة إلا يوم عرفة لكفاها ذلك فضلاً.
- ٥- أن فيها يوم النحر: وهو أفضل أيام السنة عند بعض العلماء، قال (صلى الله عليه وسلم) (أعظم الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القر) رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني).
- ٦- اجتماع أمهات العبادات فيها: قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادات فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره).
- ٧- الصيام: وهو يدخل في جنس الأعمال الصالحة، بل هو من أفضلها، وقد أضافه الله إلى نفسه لعظم شأنه وعلو قدره، فقال سبحانه في الحديث القدسي: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) متفق عليه).
- وقد خص النبي (صلى الله عليه وسلم) صيام يوم عرفة من بين أيام عشر ذي الحجة بمزيد عناية، وبين فضل صيامه فقال: (صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده) رواه مسلم.
- وعليه فيسن للمسلم أن يصوم تسع ذي الحجة، لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) حث على العمل الصالح فيها. وقد ذهب إلى استحباب صيام العشر الإمام النووي وقال: صيامها مستحب استحباباً شديداً.
- ٨- الصلاة: وهي من أجل الأعمال وأعظمها وأكثرها فضلاً، ولهذا يجب على المسلم المحافظة عليها في أوقاتها مع الجماعة، وعليه أن يكثر من النوافل في هذه الأيام، فإنها من أفضل القربات، وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن ربه: (وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه) رواه البخاري.
- ٩- التكبير والتحميد والتلهيل والذكر: فعن ابن عمر (رضي الله عنه) عن النبي

(صلى الله عليه وسلم) قال: (ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد) رواه أحمد).

وقال البخاري كان ابن عمر وأبو هريرة (رضي الله عنه) يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.

وقال: وكان عمر يكبر في قبته بمني فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً.

وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه، وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعاً. ويستحب للمسلم أن يجهر بالتكبير في هذه الأيام ويرفع صوته به، وعليه أن يحذر من التكبير الجماعي حيث لم ينقل عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا عن أحد من السلف، والسنة أن يكبر كل واحد بمفرده.

١٠- الصدقة: وهي من جملة الأعمال الصالحة التي يستحب للمسلم الإكثار منها في

هذه الأيام، وقد حث الله عليها فقال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) البقرة: ٢٥٤.

وقال (صلى الله عليه وسلم): (ما نقصت صدقة من مال) رواه مسلم.

وهناك أعمال أخرى يستحب الإكثار منها في هذه الأيام إلى جانب ما ذكر، نذكر منها على وجه التذكير ما يأتي: قراءة القرآن وتعلمه - والاستغفار - وبر الوالدين - وصلة الأرحام والأقارب - وإفشاء السلام وإطعام الطعام - والإصلاح بين الناس - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وحفظ اللسان والفرج - والإحسان إلى الجيران - وإكرام الضيف - والإنفاق في سبيل الله - وإمطة الأذى عن الطريق - والنفقة على الزوجة والعيال - وكفالة الأيتام - وزيارة المرضى - وقضاء حوائج الإخوان - والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - وعدم إيذاء المسلمين - والرفق بالرعية - وصلة أصدقاء الوالدين - والدعاء للإخوان بظهر الغيب - وأداء الأمانات والوفاء بالعهد - والبر بالخالة والخال وإغاثة الملهوف - وغض البصر عن محارم الله - وإسباغ الوضوء - والدعاء بين الأذان والإقامة - وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة - والذهاب إلى المساجد والمحافظة على صلاة الجماعة - والمحافظة على السنن الراتبة - والحرص على صلاة العيد في المصلى - وذكر الله عقب الصلوات - والحرص على

الكسب الحلال - وإدخال السرور على المسلمين - والشفقة بالضعفاء - واصطناع المعروف والدلالة على الخير - وسلامة الصدر وترك الشحناء - وتعليم الأولاد والبنات - والتعاون مع المسلمين فيما فيه خير^{٢-١}.

١. أنظر: موقع مكتبة المسجد النبوي الشريف .
٢. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٦٩ ص ٣٣ في ٢٥/١١/٢٠٠٩ .

شئ من حنين المغتربين إلى الوطن

ألم بي مرض قبيل عيد الأضحى بقليل، مما اضطرني للخروج من البلد ثانية بغية العلاج، وذلك بعد توصية بعض الخيرين بذلك، فكان محط رحلي في البداية مدينة (ميديات) الكردية، في شمال كردستان، تلك المدينة الجميلة المعروفة بصناعة الفضة من جهة و أبنيتها الفخمة المشيدة من الحجر و بقطع كبيرة، وكانت مغادرتها في يوم ٢٢/١١/٢٠٠٩ عبر الحافلات الكبيرة، و من حسن القدر، أن توجهت إلى شركة (سيف ذو الفقار) الخدمة جدا، وبعد نزولي ب (أوفيس) مالك الشركة وبصحبة الأستاذ عبد الرحيم مفتي المدينة، وجدته رجلا بشوشا و ممن يروق لهم أن يوسم بمتابعة الإمام علي (س) وبعد خوضنا في الحديث، وجدته رجلا كريما مقتبسا كرمه من جواره الكرد أو طبيعته العربية المعروفة بالسخاء، ومما شد انتباهي في الرجل قوله: أنا أصلا من سامراء، ويعود تأريخ سلالتنا في هذه المدينة إلى أكثر من ستمائة عام!

وكان يحزن لكل شئ في بلده الأم، ومحترق لما يجري فيه من القتل والدمار والإرهاب، وكان ملما بالدين لدرجة أنه كان يسبقني إلى إتمام بعض من الآيات أو الأحاديث التي أستشهد بها في ثنايا كلامي، ولما أخبرته بأننا في كردستان نرحب بكل من ينوي الخير وبإمكانه تقديم شئ للبلد، تولدت لديه فكرة زيارة كردستان لعله يستطيع أن يفتح هنا في إقليم كردستان فرعا لشركته الضخمة ليتسنى الأكبر عدد ممكن من الزوار من الجهتين السفر وبأسعار زهيدة، ومما جلب انتباهي أكثر، سعة أفقه وقبوله للآخر و مع كونه من إتباع المذهب الجعفري لم يكن كغيره في الأماكن الأخرى أو كبعض الناس من أتباع المذاهب الدينية المختلفة، متعصبا لمذهبه بقدر تعصبه للدين ككل، وخير دليل على ذلك قيامه مقابل شركته وبالقرب من (تيرمينال) المدينة ببناء جامع كبير، وضخم -طبعا ومن الحجر الخالص - و وعدته بأنني سأنتشر خبره على إحدى صفحات مجلتنا العزيزة (الصوت الآخر) وسأتحفه بنسخة منها، ليعرف أننا نرحب بكل عمل خيري

وكل من يريد لبلدنا الخير والرفي والسلام ودون النظر إلى هويته القومية أو انتمائه
المذهبي أو نسبته إلى أية بقعة من بقاع الأرض، وها قد وفيت بوعدتي، مذكرا إياي
وإياه وغيرنا بقول الشاعر:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب الا للحيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى

وحنينه أبدا لأول منزل^{٢-١}

١. لدى بحثي عن البيتين وجدتهما لأبي تمام وكما نقل الموقع المعلوماتي العالمي (جوجل)، هناك
أبيات أخرى شبيهة، لكن عكس ماتحويهما من الافكار والوفاء، كقول: العلوي الأصبهاني:

دع حب أول من كلفت بحبه

ما الحب الا للحيب الآخر

وما قد تولي لا ارتجاع لطيبه

هل غائب اللذات مثل الحاضر

وكقول ديك الجن:

اشرب على وجه الحبيب المقبل

وعلى الفم المتبسم المتقبل

نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى

كهوى جديد أو كوصل مقبل

وقال آخر:

قلبي رهين بالهوى المقتبل

فالويل لي في الحب إن لم أعدل

أنا مبتلي ببليتين من الهوى

شوق إلى الثاني وذكر الأول

٢. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٧٠ ص ٣٣ في ٩/١٢/٢٠٠٩ .

الإرهاب آفة العصر

يؤلني أن أودع آخر أربعاء من العام الهجري ١٤٣٠ بالحديث عن الإرهاب والتطرف الجاثمين على صدور ورقاب معظم شعوب العالم الإسلامية، سيما العراقيين الذين يزيدون يوماً فيوماً إكمال تعداد أيام الأسبوع ليتوسم باليوم الفلاني الدامي وقد مرت الأحد والثلاثاء والأربعاء منه موسماً كل واحد بكونه الدامي.

يؤلني أن يكتب الآخرون عن نهاية عامهم وبيان ما أنجزوه فيه لتقدم شعوبهم، والأخذ بهم إلى بر الأمان، وأنا أودعه للتذكير ببعض القيم الإسلامية التي كان علينا أن نعكسها في سلوكياتنا، كالعدل وحرية الكلمة والحرية الدينية وحوار أتباع الوجهات الدينية المختلفة.

يؤلني والناس يستقبلون عامهم بالرياحين والورود ونحن نستقبله بالأحزان والالام و إيذاء النفس وبذر و زرع روح ثقافة الكراهية وإحياء الأحقاد القديمة!

لكن هذا هو واقع معظم الأمة، أحببت ذلك أو كرهته إرتضيته أو أبيتته، لذا استسمحكم ليكون بيدري اليوم للتذكير ببعض الأمور حول مصطلحي الإرهاب والتطرف السائدين على الألسن، ولكي لا أكون خوؤنا أو غاشا لكم عندما آتي بأية معلومة وهي بنات فكر غيري أو بأقلامهم، لا ادعيها لنفسني، سأشير - وكما عودتكم - إلى مصادرها، أقول هذا، لأننا ومع كل الأسف صرنا في زمان نجد التفنن في السرقات وبيع الضمائر وعدم معرفة الذات لدرجة، لم يكن يتخيلها الأولون!

فتجد أحدهم يلقي باللائمة على سراق اللقم - وحق لهم ذلك - في حين هم يحبون إن يحمدا بما لم ينالوا، ويشكروا على ما لم يكتبوه وهم سراق القلم، بل أحيانا تجد أحدهم يفتخر بكتابة، لم يكتبها ومن كثرة نسيانه لذاته، يوصي الكاتب الذي كتبه له بقراءة ما كتبه هو! وهذه دنيانا، دنيا الخداع، وهو نوع آخر من الإرهاب، وفي البداية اذكر بأنني شخصياً على قناعة بان تاريخ الإرهاب مع البشر منذ وجود أبينا آدم عليه

السلام ومنذ تلك المعركة العائلية على الغيرة الطائشة المعمية: (وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) المائدة ٢٧.

ولكن بتفنن في التنفيذ وعلى مر العصور والأزمان.

مصطلح الإرهاب:

فقد وجدت في موقع (ويكيبيديا) الالكترونية، وغيرها حول مصطلحي الإرهاب والتطرف، أفكارا مختلفة وسأقتبس منها البعض:

(الإرهاب في اللغة العربية من الرهبة والتخويف أما كلمة terror في الإنجليزية فلا تعني التخويف و الرعب بل تعني عملياً إبادة للبشر لأسباب سياسية: وقد اختلف في المعنى السياسي لكلمة إرهاب العربية إلى قسمين:

١- عرفه البعض بأنه أي عمل عدواني يستخدم العنف والقوة ضد المدنيين ويهدف إلى إضعاف الروح المعنوية للعدو عن طريق إرهاب المدنيين بشتى الوسائل العنيفة. ويتخذ الإرهاب أماكن متعددة بين العدو وإساحة المعركة التي يشرع بها استخدام العنف.

فنجد الإرهاب يستهدف الطائرات المدنية وما تتعرض له من اختطاف، والمدينة المكتظة بالسكان وما ينالها من تفجيرات واغتيالات. ويُعرف كل من يضلّع في بث الخوف والرهبة في قلوب الأمنيين بالإرهابي أو الإرهابية.

٢- أما في الإسلام فهو نوع من إعداد القوة و السلاح لإثارة الرعب في نفوس الأعداء و منعهم من الاعتداء على المسلمين أي انه نوع من العمليات الاحترازية العسكرية حيث ورد في الآية القرآنية:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) الأنفال ٦٠.

تاريخ الإرهاب: يقول الكاتب المحلل السياسي اللبناني قاسم محمد عثمان إن تاريخ العمل الإرهابي يعود إلى ثقافة الإنسان بحب السيطرة و زجر الناس و تخويفهم بغية

الحصول على مبتغاه بشكل يتعارض مع المفاهيم الاجتماعية الثابتة و قد وضع الكاتب نفسه تفسيراً لمعنى كلمة الإرهاب ووصفه انه العنف المتعمد الذي تقوم به جماعات غير حكومية أو عملاء سريون بدافع سياسي ضد أهداف غير مقاتلة ويهدف عادة للتأثير على الجمهور.

العمل الإرهابي عمل قديم يعود بنا بالتاريخ مئات السنين ولم يستحدث قريباً في تاريخنا المعاصر.

ففي القرن الأول وكما ورد في العهد القديم، همت جماعة من المتعصبين على ترويع اليهود من الأغنياء الذين تعاونوا مع المحتل الروماني للمناطق الواقعة على شرق البحر المتوسط.

وفي القرن الحادي عشر، لم يجزع الحشاشون من بث الرعب بين الأمنين عن طريق القتل، وعلى مدى قرنين، قاوم الحشاشون الجهود المبذولة من الدولة لقمعهم وتحييد إرهابهم وبرعوا في تحقيق أهدافهم السياسية عن طريق الإرهاب.

ولا ننسى حقبة الثورة الفرنسية الممتدة بين الأعوام ١٧٨٩ إلى ١٧٩٩ والتي يصفها المؤرخون بـ (فترة الرعب)، فقد كان الهرج والمرج ديدن تلك الفترة إلى درجة وصف إرهاب تلك الفترة (بالإرهاب الممول من قبل الدولة).

فلم يطل الهلع والرعب جموع الشعب الفرنسي فحسب، بل طال الرعب الشريحة الارستقراطية الأوروبية عموماً.

ويرى البعض أن أحد الأسباب التي تجعل شخصاً ما إرهابياً أو مجموعة ما إرهابية هو عدم استطاعة هذا الشخص أو هذه المجموعة من إحداث تغيير بوسائل مشروعة، كانت اقتصادية أو عن طريق الاحتجاج أو الاعتراض أو المطالبة والمناشدة بإحلال تغيير^١.

الحرابة: (المعبر عنه اليوم بالإرهاب هو ما استُخدم للتعبير عنه في اللغة العربية كلمة الحرابة) أخذاً مما ورد في القرآن:

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ حِزْبِي فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) المائدة ٣٣.

١. إلى هنا نشرت من المقالة في العدد ٢٧١ في ١٦\١٢\٢٠٠٩ ص ٣٣ .

وفي فترة لاحقة توسّع فقهاء الإسلام في توسيع دلالات هذا التعبير، لينطبق على مخالفة أولي الأمر.

و استغل الخلفاء الأمويون والعباسيون هذا المفهوم، ومن بعدهم السلاطين والأمراء ليشمل من يخالفهم الرأي في الحكم، أو ما يعرف بالمعارضين السياسيين على تعبير اليوم. لذا فمن الضروري البحث عن مصطلح أكثر دقة يعبر عن الترويع وفق الفهم الإسلامي).

أسباب الإرهاب: يرى البعض أن التطرف الديني نزعة مرضية منحرفة، بها ينحبس صاحبها في ذاته، و ينغلق على نفسه، ويزداد تعصبه لفكرة وكرهيته لغيره وحقده عليهم.

فإذا كان التطرف الديني حالة نفسية مرضية غير سوية فمردها فيما نعلم إلى سببين أساسيين.

السبب الأول: عند (د.حسن محمو) - نفساني ثم عقلي و عصبى: فالمتطرفون دينياً هم في واقع الأمر مرضى، يهربون من نفوسهم إلى الدين و يستترون به، يغطون من تحته أمراضهم الروحية و انحرافاتهم حتى لا يظهرها أمام نفوسهم وأمام الأعيان عرايا، فتتكشف حقيقتهم الشريرة الأثيمة.

السبب الثاني: هو الجهل برسالة الدين الحقيقية.

و هناك من يرى أن أسباب الإرهاب (التطرف) يعود إلى:

١- صراع الأجيال الذي ينشأ في الأسرة الواحدة.

٢- التفكك الأسري.

٣- غياب القدوة الصالحة في الدراسة و افتقاد المعلم ذي الشخصية المميزة.

٤- اتساع الهوة الاقتصادية، ثراء فاحش و فقر مدقع، و انتشار البطالة بين الشباب، و انتشار الفساد الإداري و الرشوة و البيروقراطية.

٥- تفشي الأمية و الاضمحلال الثقافي و السطحية.

٦- عدم الاهتمام بالتربية الدينية في المقررات الدراسية و جعلها مادة هامشية.

٧- الفهم الخاطيء و الجهل باللغة العربية بما يؤدي الى جهل بالاحكام الشرعية.

الاسباب التي تساعد على تفشي الخلايا الارهابية:

حسب صحيفة الحياة اللندنية؛ بتاريخ ١٣/٠٢/٢٠٠٤: بسبب تزايد عدد الأفراد المحرومين من حقوقهم السياسية والاقتصادية في المنطقة، سنشهد زيادة في التطرف والإرهاب والجريمة الدولية والهجرة غير المشروعة.

إن الإحصائيات التي تصف الوضع الحالي في (الشرق الأوسط الكبير) مروعة. نخرج من هذا البحث المتواضع إن الإرهاب ظاهرة اجتماعية ذات أبعاد اقتصادية و سياسية و ثقافية تعبر عن اتجاه معين أو تيار بذاته، و دون النظر إلى مبررات ذلك النوع من العنف الجماعي أو محاولة تقييم دوافعه بمعيار أخلاقي).

أبعاد الإرهاب: بلغت مؤامرات التطرف و الإرهاب في الدول العربية و العالم معدلات غير مسبوقة خلال السنوات الأخيرة، ولم تعد هذه الظاهرة مجرد تهديد للدول و الأنظمة الحاكمة، بل أصبحت تهدد كل مجتمعات العالم على مختلف طوائفهم و انتماءاتهم سواء في بنيته الداخلية أم في اقتصاده أم أمنه الاجتماعي و السياسي و مكتسباته الثقافية و الفكرية، وكذلك إنجازاته الاقتصادية و المادية، و لا تقل الحرب التي شنها المتطرفون الإرهابيون ضراوة عن أي حرب خاضتها أمريكا مع أعدائها منذ التاريخ و مصرع مع أعدائها الخارجين في هذا القرن و العراق كما نشهدها تتوسع و تنتشعب و تنتشر، بل ربما كانت هذه الحرب اشد ضراوة، لأنها تستند على تطرف مبني على قاعدة (من ليس معنا فهو ضدنا) فاختراروا العنف سبيلا لفرض إرادتهم و زعزعة استقرار الوطن و استهداف عنفهم أبرياء و أخوة لهم في الإسلام من السنة و الشيعة إضافة لاستهدافهم الأبرياء في ١١ أيلول، ما ذنب كل هؤلاء الناس لتفرض فكرك و إرهابك عليهم، من كلفك بذلك؟

أأمرك رسول الله بذلك؟ خست و خسي إرهابك و كما قال بعض المفكرين: الإرهابيون هم ليسوا عبدة الله بل عبدة الشياطين لسبب إراقة دم أبرياء من شيوخ و أطفال و نساء، من مسيحيين و مسلمين عرب أو أجانب، إن الإسلام لا يقر التطرف و لا العنف و لا الإرهاب و لا يرضي بهم ذلك لأنه دين سماته الحب و التسامح و العفو، بل الدعوة فيه و من خلاله أن تصل من قطعك، و إن تعطي من حرمك، و تعفو عن ظلمك، و الدعوة إليه قائمة على اللين و السماحة و اليسر و رفع الحرج).

٢. إلى هنا تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٧٢ في ٢٣\١٢\٢٠٠٩ ص ٣٣ .

قليلاً من الأمانة مع الناس

جزا الله مخترعي شبكات الانترنت - طبعا وليس كل شبكة - التي قربت لنا المسافات الشاسعة، فعنوان هذه الأسطر للكاتب، (سليمان جودة) والذي نشر تحته عمودا في صحيفة (المصري اليوم) بتاريخ ١٩/١٢/٢٠٠٩) وقد أجرى الكاتب من خلال كلامه مقارنة بين مصر وبين تركيا التي زارها الرئيس المصري مؤخرا، وأهم ما جلب انتباهي:

١- بيان معلومات - وهو المسؤول - عن مصداقيتها حول ما تنفقه إسرائيل لأجل العلم و ما تنفقه الدول العربية لذات الغرض: (إسرائيل تُنفق على التعليم فيها ٧٪ من إجمالي ناتجها القومي، وأنها حسب التقرير الأخير لمنظمة الملكية الفكرية العالمية، تخصص ٦ مليارات دولار سنوياً للبحث العلمي، في مقابل ١,٥ مليار دولار للدول العربية مجتمعة!.. فكم ننفق نحن، وكم نخصص؟!).

والإجابة على سؤاله المطروح موكول إلى السادة الأئمة والرؤساء والملوك والأمراء والحكام الموقرين في الدول العربية وأصحاب القرار ومن على عاتقهم ذلك، ولكن ترى لو كانت الكتابة هذه بقلم كُردي مثلي وكان السؤال المطروح من قبل أمثالي، كيف كانت تقرأ؟ وكيف كانت الأجراس تقرع؟

وكيف كانت الاتهامات تنزل علينا؟

وكيف كنا نتهم بالعمالة لإسرائيل وتفضيلها على الدول العربية الإسلامية؟

كيف كانت الدنيا تقلب علينا وكنا نوسم من وراء ذلك بالألقاب و التسميات التي ما

انزل الله بها من سلطان؟!!

٢- قوله: (تركيا دولة مسلمة.. ونحن مسلمون.. وسكانها ٨٠ مليوناً، ونحن ٨٠

مليوناً) هل تركيا ترضي بهذا التعبير؟

أي كونها دولة مسلمة!

في حين أن الدستور التركي ينص على علمانية الدولة التركية، أم أن الكاتب يحلو له ذلك؟

كما كان البعض بالأمس يزور كُردستان ثم يكتب (اعرف وطنك أيها العربي!) وهل الرقم المذكور هو كما كتبه أم أن هناك فوارق؟ وهل مصر هي دولة مسلمة كما ذكره الكاتب أم أن هناك أتباع الديانات الأخرى في مصر وهم مصريون أيضاً و اصلاء وليسوا بمسلمين؟ وأنا إذ أكتب هذه العبارة لا أنوب عن أحد للدفاع عن هويته الدينية أو القومية، ولكن هذه حقيقة لا ينكرها أحد ممن يكتبون بروية و ينظرون إلى الأمور من أطرافها وليس من طرف واحد.

٣- (و إذا كان عندنا الإخوان المسلمون، فعندهم الكُرد الذين يسببون صداعاً دائماً ونزفاً مستمراً في الجهد والطاقة كالأخوان تماماً).

استحلفكم بالله: من يسبب الصداع لمن؟

بالطبع أنا لا أتدخل في شأنكم كمصريين - مع احترامي الفائق لكم - وانتم أدري ببلادكم وشعابكم وخبراء في تصفية الحسابات مع البعض، كما واني لا أتدخل أيضاً في أي شأن تركي بحت، ولكن هل الكُرد يوماً ما تسببوا في الصداع لأحد لولا اضطهاد الغير لهم؟

وهل هم الذين يبادرون إلى الاستنزاف أم الغير هم الذين لا يقبلون بهم ككُرد و كُردستانيين؟

إلى هنا أحببت أن أنبه إلى ذلك العمود بهذه الكلمات وشكراً^١.

١. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٧٣ في ٣٠/١٢/٢٠٠٩ ص ٣٣ .

تجدد عام أم مجرد تغيير أرقام؟

كان الأجدد بي أن يكون بيدري الأول للعام الجديد ٢٠١٠ مبدوءا بعد التهنئة الحارة لقراء مجلتنا العزيزة معزة القراء أنفسهم، ببيان بعض من أمنياتنا وخططنا المستقبلية - وان كنا نحن الشرقيين قليلي التخطيط - وذكر مانروم اليه من التقدم لبلدنا كُردستان، حكومة وشعبا وأرضا، ولكن الواقع المر المحيط، وحال الكثير من ابناء الأمة الكُردية المقسمة ظلما وعدوانا، وتراجع البعض عن اعترافاته بها كأمة ذات سيادة مستحقة لكل ما يستحقه الإنسان، حال دون ذلك، فغير بي مسار الكتابة.

وأنا أنظر إلى القنوات الكُردية والعربية، الفضائية والمحلية منها، وهي تحاكي غيرها في الإهتمام برأس السنة الميلادية وتجري لقاءات مع فئات مختلفة من المواطنين، ألمني قول أحد العاملين، عندما سأله المذيع المحترم: ترى ماذا يعني العام الجديد بالنسبة لك؟

فيجيبه قائلا: إن الأرقام هي التي تتغير ليس الا!

وهو يعرض كفه المشقوقة متئوها و على شفقيه ابتساما سخرية!

ترى: بالدخول إلى العام الجديد سوف تتعالج أمورنا و أوضاعنا نحن الطبقة الكادحة والعمال الذين باسمنا ترفع الشعارات، أم سيحط من قدرنا أكثر ونصبح

قرايين لمن لا يخشون الله فينا؟

هل الأحوال المعيشية تتحسن؟

هل الإرهاب يرعوي؟

هل الذين يتدخلون في شؤون بلدنا يعودون إلى أنفسهم فيتركون رمي بيوتنا

بالأحجار - طبعا وليست الكريمة منها- كي لا ترمي بيوتهم الزجاجية؟

هل الذين يتشدقون بإسم الديمقراطية سيفهمونها كفكرة وليدة للغير وبمقاييس

مخترعيها، أم يبقون على حالهم و يفسرون الدين والدنيا بما يحلو لهم به تفسيره؟

وأنا انتقل من موقع لآخر ومن قراعتي لشكاوي وأخرى مثلها، فاذا بعيني تقع على قصيدة بعنوان (المحكمة) لـ(كريم العراقي) على لسان زوجين متحابين يوما ما و مفتعلا الشكوى ضد بعضهما أمام القاضي كزوجين: ويزيد القصيدة جمالا حين يغنيها: (كاظم الساهر) و (أسماء المنور) - وسأهديكموها في نهاية البيدر - فالكل يشكو ويشتكى، بدءا من ذاك العامل إلى هذا العاشق وتلك الجميلة والمدلعة إلى البائسة المرمية في الشوارع! ترى هل يصح شرعا كل هذه الشكاوي؟

سؤال نظرحه ونحيله إلى الدكتور (منير جمعة)، حيث أجاب على سؤال مماثل موجه إليه وكما ورد في موقع: (اسلام أون لاين، ركن فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) بقوله: (إن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، والرضا بقدر الله - عز وجل - من سمات المؤمنين، فالمؤمن في الدنيا معرض للابتلاء في نفسه، وأهله، أو ماله، كما قال تعالى:

(لَتَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) آل عمران: ١٨٦.

فالحياة لا تسير على وتيرة واحدة، بل فيها السراء والضراء، والخير والشر. وقال سفيان الثوري في قول الله تعالى:

(وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) الحج: ٣٤.

قال: هم المطمئنون الراضون لقضاء الله المستسلمون له.

فيجب على المؤمن ألا يبث حزنه وشكواه إلا إلى الله، لقوله تعالى عن يعقوب عليه السلام:

(إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) يوسف: ٨٦.

كما قال الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله)، أما إخبار المخلوق بحاله لغيره لا على سبيل الشكوى، فإنه جائز؛ فقد قال نبي من أنبياء الله تعالى لرب العالمين:

(أَنْتَ مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) الأنبياء: ٨٣، وقد قال (صلى الله عليه وسلم): (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط).

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (والعبد قد يصبر على المصيبة، ولا يرضى بها، فالرضا أعلى من مقام الصبر).

وإن كان الأولى ألا يتحدث الإنسان عن بلائه رضاً بقدر الله تعالى، فعن عطاء بن يسار إن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال:

(إذا مرض العبد، بعث الله إليه ملكين، فقالا انظروا ما يقول لعباده؟ فإن هو إذا جاعوه حمد الله، وأثنى عليه، رفعا ذلك إلى الله، وهو أعلم، فيقول: لعبدي على إن توفيته أن أدخله الجنة، وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، وإن أكفر عنه سيئاته).

والحديث حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

والخلاصة.. أن المؤمن يستحب له أن لا يشكو إلا إلى الله، لكنه لو تحدث على غير نية الشكوى، هو جائز وإن كان الأولى تركها).

وبعد هذه النقول، اهدىكم قصيدة (المحكمة) راجياً الله أن لا يعوز أياً من الزوجين إلى القضاء ومذكراً المتزوجين - سيما الجد - أن لا يستعجلا في التفوه بكل شئ أمام بعضهما وافراغ الجعبة وبسرعة البرق!

قصيدة المحكمة لـ(كريم العراقي)

(سيدي القاضي)

قال الحبيب:

كن منصفاً سيدي القاضي

ذنبى انا رجل له ماضى

تلك التي امامك الان

كانت لدي اعز انسانة

واحبيتها وهي احببتي

صدقاً جميع الهم انستى

صارحتها وقلت مولاتي

كثيرة كانت علاقاتي

قالت: دع الماضى وقبلنى

فانا لي الحاضر والآتى

بين ذراعيك انا الكل وأينا ليس له ماضي؟
مرالزمان..تغيرت..تمردت..تنمرت واستأسدت

وقالت الحبيبة:

كن منصفاً ياسيدي القاضي

تخونني لغتي والفاظي

ان الذي امامك الان

رجل الرجال بعيني كانا

اعطيته ثقتي بلاحد

صرت له بيتاً من الورد

صارحني وبصوته جرح:

انا ضائع ممزق البال

استاذتي انقذتني انتِ

انتِ حياتي انتِ امالي

فشربتُ ادمعه وقلتُ له:

أينا ليس له ماضي؟

مرالزمان..تغير..تمرد..تنمر..واستأسد

وقال الحبيب:

صبري تحطم لم يعد صبرا

كادت تحول بيتنا قبرا

فأن تشم في يدي عطر

تصرخ تلك امرأة اخرى

غيرتها مرض سيجعلني فعلاً احن لذلك الماضي

حتى ضياعي صرت اعشقه

اطلق يدي سيدي القاضي
سلها تؤكد كل اقوالي وبما ستحكم انني راضي
ذنبى انا رجل له ماضى

فقلت الحبيبة:

وتكررت سهراته الكبرى
يوماً اراه ويختفي شهراً
عذراً يناقض عنده عذرا
من بيت معجبة.. الى اخرى
فالشلة الاولى أعادته لضلالة وضياعه الماضى
سله يؤكد كل اقوالي
مخدوعة وان أيقاظي
كن منصفا سيدي القاضي^{٢-١}.

٠١ بإمكان القراء الكرام العودة إلى المواقع الالكترونية المهتمة بالفن والأدب، مع ملاحظة أن كاظم الساهر قد غير من بعض النص!

٠٢ تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٧٤ ص ٣٣ في ١/٦/٢٠١٠.

أمير المؤمنين سيدنا علي (رضي الله عنه) في أبيات للعلامة (عبد الرحيم مولوي)

كثيرا ما أتطرق عبر برنامجي الأسبوعي (الدين والمجتمع) باللغتين العربية و الكُردية على قناة (زاگروس) الفضائية الموقرة، إلى الحديث عن خلفاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الأربعة (رضي الله عنهم)، وفي كل مرة أنقل قبسات مما كتبتة أيادي علماء الكُرد في وصف هؤلاء السادة (رضي الله عنهم) وكان آخر مرة هي السلسلة التي قدمتها عبر برنامجي باللغة الكُردية وقدنقلت فيها ماكتبه العلامة (عبد الرحيم مولوي)^١ وأثناء مراسيم العاشوراء التي أقامتها مؤسسة شهيد المحراب، مشكورة، هنا في مسجد خديجة الكبرى في هولير، عاصمة إقليم كُردستان، قرأت أبياتاً له في مناقب الإمام علي عليه السلام، مما جلب انتباه بعض الحضور سيما الضيوف الذين قدموا من النجف الأشرف، فاتصل بي البعض وارغموني في أن أقوم بنشر تلكم الأبيات عبر مجلتنا العزيزة (الصوت الآخر)، فرغبة مني ونزولاً عند رأي هؤلاء الأعزاء، أقدم تلكم الأبيات في مناقب سيدنا علي (رضي الله عنه) والتي جاءت في رسالة العلامة الكُردية الشيخ عبدالرحيم (رحمه الله) الموسومة: (منظومة الفضيلة في العقائد) وعندما يأتي إلى اعتقاد المسلم في حق الصحابة (رضي الله عنهم) يقول:

١. العلامة الشيخ عبد الرحيم (المولوي) التاوطوزي الشهرزوري، ولد في ١٢٢١هـ وتوفي في ١٣٠٠هـ. عالم كوردي من فحول العلماء وأديب ونحوي وعارف من أهل التقوى ومعروف بفرط حبه رحمه الله للسادة النقشبنديين، سيما الشيخ سراج الدين يرحمه الله، وله مؤلفات عدة أشهرها كتابه العقيدة المرضية شعراً ٢٤٥٢ بيتاً باللغة الكوردية وقد طبع سنة ١٣٥٢هـ من قبل محي الدين صبري النعيمي في مصر، ورسالة الفواتح في ٥٢٧ بيتاً وباللغة الفارسية، وله رسالة شعر باللغة العربية وقد شرحها العلامة المرحوم ملا عبد الكريم المدرس وباللغة العربية حيث يعرض فيه العقيدة الإسلامية وعلى منهج مدرسة الاشاعرة وله دواوين شعرية منها مطبوعة وأخرى غير مطبوعة) أنظرديوان مولوي للعلامة عبد الكريم المدرس، المقدمة.

ولم يحم أحد الأولياء
ومادني وضيع أو شريف
أفضل ذي العصاية الكرام
سادتنا قادتنا خير الملا
بأي شخص منهم اقتديتم
كن خالصا ومخلصا مطيعهم
هل يوهم الشيء من الرذائل
كشرف الرضاء والثناء
وفوزهم بصحبة الرسول
وجاهدوا جادوا بتك الحضرة
انما لهم بل مالهم كما ترى
أعظم بذا اليقين والتصديق
لولم يرد شيء لهم هنا
السم تكن كاشفة لغمة
وغيرها من آيه النواطق
لدى الذي ليس له عدول
ليس لهم من أحد معادل
ولهوى النفس وبغضها التحق
لمخطيء أجرر وللمصيب
فالإجتهاد للجميع

حول حمى رتب الأنبياء
من حيث عنه يسقط التكليف
شرذمة الصحابة العظام
أولو الحلي ذوالعلا هم الأولا
لكونهم نجوما اهتديتم
معدلا مزكيا جميعهم
مع وجود هذه الفضائل؟
ومدحهم من خالق السماء
وحوزهم درجة القبول
بنفسهم ومالهم والعثرة
قد بذلوا والله ربنا اشترى
وذلك البذل بذا الطريق
لكان كفي لنا استدلالنا بذلك
في حقهم كنتم خير أمة
وسنن كالقنن الشواهد
ذوو اجتهاد كلهم عدول
لما جري في بينهم محامل
بل كان للحق على الحق بحق
أجر ان ذا بقدر النصيب
جنة قاتلهم قتلهم في جنة

وبعد ما يذكر الخلفاء الثلاثة، يأتي إلى ذكر على (رضي الله عنه) بقوله:

إذا انطفت شعلة ذي النورين
فمن أراد علم كل باب
باب مدينة العلوم والهدى
ولي كل مؤمن والمقتدى
فاغطف الديجور خافقين
فليأت خاضعا لذاك الباب
وقال لباب خيبر العدا
والمرتضى والمجتبى والمهتدى

ماذا تريد بعد ذا النص الجلي (من كنت مولاه فمولاه علي) ؟
 كوكب برج صفة الجمال أسد غاب صفة الجلال
 لشأنه العلى قد يجلي ان ردت الشمس لكي يصلي
 أخ حبيب حضرة المهيمن حبه عنوان كتاب المؤمن
 خص به من حضرة المختار أنت قسيم جنة ونسار
 ما أحد عن الصراط جازا حتى يرقن له الجوازا
 شجرة ذات قطوف رائقة ماما بين قطفها ذو ذائقة
 أليس رأس بدن الوجود رأس حبيب حضرة الودود؟
 شمس السما أنوارها شهيرة آثارها عظيمة كثيرة
 في مدحها مدحي وذاك فاش فكيف ذا وأنا كالخفاش
 ماجاء ماجاء له لأحد من صحبه النجوم عند أحمد
 هل زوجت زهراء غير ذا الفتى وهل أتى فيمن سواه هل أتى؟
 واجتث من دنياه اجتثا بل جاد بالوجود في المعبود
 مراده عين مراد الهادي واستهلكت نفسه بالشهود
 طوع لما يمضي كما لما مضى فقد قضي مراده المرادي
 أسلم وجهه لما جبهه طوع الرضا لما قضي به القضا
 فكرم الله تعالى وجهه^{٢-٣}

٢. كديدن غيره من العلماء استعان مولوي في ذكر مناقب الخلفاء ببعض الأحاديث الضعيفة بل
 واحيانا الموضوعية، لعل قلة باعهم في علوم الحديث تشفع لهم قصورهم ذلك.
 ٣. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٧ ص ٣٢ في ١٣/١/٢٠١٠.

شعرة معاوية التي لا تنقطع

لولا أمر الله جل وعلا بأداء صلاة الجمعة وإستجابة النداء بها، المتمثل في قوله سبحانه وتعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الجمعة، ٩.

ولولامخافة ختم القلب بوصمة النفاق عند تركها بلاعذر الوارد في الحديث النبوي (صلى الله عليه وسلم) الشريف:

(لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين) رواه مسلم، الجمعة، ٤٠.

لم أكن لأحضر كثيرا لأداء ذلك الواجب المقدس! لأنني قلما أحضره ولا اشعر ببعده بشيء من الندم، سيما وراء بعض السادة من الخطباء، وذلك لما ألمسه من حاجة معظمهم إلى الآداب التي تحلى بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وفقه الواقع وفهم النصوص التي يستندون إليها بحق وبغير حق في موضعها وفي غير موضعها، أما تشعب الأبحاث والقضايا مما لاتمت إلى أصل المسألة بصلة وإطالة الخطبة والخروج عن المؤلف، فحدث ولا حرج، مما يجعلني أكثر من الحوقلة والإسترجاع، ف (لاحول ولا قوة الا بالله) و (إنا لله وإنا إليه راجعون)، كيف لا وقد ذكر لنا العلماء المختصون في السيرة بأن الجمعة أوجبت على المسلمين في السنة الثانية من بعد الهجرة النبوية (صلى الله عليه وسلم)، وبالمدينة المنورة، وبتتبعهم لجميع خطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) نفسه خلال إحدى عشرة سنة وجدوا أن الخمسمائة خطبة التي القاها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - بفارق قليل في القلة والكثرة -، أن بإمكان المرء كتابة كل خطبة من تلكم الخطب في صفحة واحدة^١، في حين لو تعامل أحد مثلي

١. أنظر مثلا: (اتحاف الانام بخطب رسول الاسلام، مطبوع ل محب الدين الخطيب).

بلغت الصحافة وقام بتسجيل أية خطبة من خطب واحد من هؤلاء السادة المعاصرين، وافرغها على الورق لكانت كل واحدة منها كتيباً صغيراً.

في الأسبوع المنصرم وأنا في أحد الجوامع هنا في (هولير) قد جلبت إنتباهي نقطتان مهمتان، أحببت ان أعلق عليهما خلال بيدي اليوم:

أما النقطة الأولى: استشهد الخطيب الشاب حفظه الله، بما ينسب إلى الصحابي معاوية ابن أبي سفيان (رضي الله عنه)) قوله: (إن بيني وبين الناس شعرة، إذا أرخوا شددت وإذا شدوا أرخيت) ^٢ وكان حديث شيخنا عن قاعدة المداراة في الحياة، وجزاه الله خيراً كان متقنا بعض الشيء في طرحه للقضية التي من تشعبها أيضاً أذهب بلب المراد، وأنا استمع اليه ورد بخلاصي سؤال محير، ترى أي معاوية يقصده الشيخ؟ أهو ذلك الرجل الذي ترضى عنه وأنا أترضى عنه أيضاً، لكونه من الصحابة (رضي الله عنهم)، أم هو معاوية آخر في التاريخ ولم أسمع به؟

فإن كانت المقولة المنسوبة على حقيقتها لمعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) فانا اتعجب منه! كيف لا و مازلنا نعاني نحن المسلمين عموماً من تبعه معاركة السلطوية والسياسية المصبوغة معظمها بصبغ تسييس الدين نفسه! ونعاني نحن الكُرد خصوصاً من تبعه أفكاره القومية، وبدعته المنكرة في تفضيل العرب وبني قومه على غيرهم من البشر وإن كانوا مسلمين، وتسميتنا بالموالي والعلوج - حتى وإن لم تكن له فكانت الأفكار هذه، كلها منبثقة من التي كانت عنده - ولا يعني هذا عندما انتقد أنني أقلل من شأنه كصحابي (رضي الله عنه) ولكن التي إنقطعت بينه وبين مخالفيه حبال ولحي وأعناق وليست شعرة! و العجب أيضاً من قول الخطيب وهو يذكر (يزيد) ويترضى عنه ويدعو له بالرحمة والرضوان! في حين كان الأولون ممن سبقونا من أهل العلم، كابن قيم الجوزية مثلاً، إن لم يلعنوه يقفون في حقه! كيف لا وهو المتهم - إن لم يكن كذلك حقيقة - بقتل فلذة كبد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ! لذا أرى أن تكون هناك المزيد من الدورات التأهيلية في وزارتنا الموقرة المسؤولة عن الشؤون الدينية

٢. جاء في موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: شعرة معاوية كناية عن السياسة التي كان يطبقها معاوية بن أبي سفيان، حتى أضحت أطروحة سياسية يتغنى بها السياسيون في عصرنا الحاضر، وقد قال معاوية عندما سأل أحد الأعراب: (كيف حكمت أربعين عاماً، ولم تحدث فتنة واحدة بالشام بينما الدنيا تغلي؟ فأجابه: إن بيني وبين الناس شعرة، إذا أرخوا شددت وإذا شدوا أرخيت.

هنا في إقليم كُردستان، كي تسهم تلكم الدورات في اخراج هؤلاء الأئمة والخطباء من شئ مما إعتادوه.

اما النقطة الثانية: دقة الخطيب وهو يتحدث عن أهوال الساعة وقد أشار إلى الحديث الذي يرويه الإمام مسلم (رحمه الله) في حديث جبريل (س) الطويل عن الإسلام والإيمان والإحسان وعلامات الساعة، (وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها) وقد استنبط الخطيب الموقر معاني نبيلة وهو يتطرق إلى هذا المقطع من الحديث ويقارن بين تسابق بعض من العرب المعاصرين في بناء الأبراج وماتذكره الصحف من أن السنوات القادمة ستشهد تسابقا كبيرا بين أولي الأمر في كل من (الإمارات) و (الكويت) و (السعودية) على ذلك، وإن كنت لا أوافقه بأن يكون ماحدث من باب الذم، بقدر ماهو إخبار نبوي (صلى الله عليه وسلم) عن بعض الأمور التي لم تكن، وذلك بإخبارالله تعالى اياه (صلى الله عليه وسلم).

أقول: لوعدنا إلى أصل الحديث في مظانه لوجدنا أن الحديث جاء ردا على سؤال وجهه جبريل (عليه وعلى نبينا السلام) عن وقت مجيء الساعة بقوله:

(يارسول الله متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، فذاك من أشراطها، وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها، في خمس لايعلمهن الا الله، ثم تلا (صلى الله عليه وسلم):

(إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام) إلى قوله: (إن الله عليم خبير).. (الحديث) ٣.

أقول: اذا كان رعاء الشياه اليوم يتناولون في البنيان ويتسابقون عليه، فالمقطع الآخر من الحديث أيضا ليس بأقل أهمية إن لم يكن أولى وأجدر بالوقوف عنده وهو قوله: (وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها) أي إذا كان المذكورون في النص اصبحوا سادة وملوكا، فهي من أشراط وعلامات قرب الساعة، فمنذ متى ويحكم العالم الإسلامي مثل هؤلاء؟ اذاً ذكر هذه العلامات، لايدل على تحديد الزمن ولا على ما نفهمه من التقريب والتحديدات الرقمية^٤.

٣. أنظر مختصر صحيح مسلم، رقم الحديث ٢.

٤. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٧٦ ص ٣٣ في ٢٠/١/٢٠١٠.

شئ عما جاء في نكاح التحليل

منذ أيام تراودني فكرة طرح موضوع (نكاح التحليل) والحديث عن مدى الحرية التي يمنحها الإسلام كدين ليعبر كل من الزوجين عما يدور بمخيلتهما و ما ينويان فعله ومدى الحرية الممنوحة لهما أمام القضاء، سيما بعدما تطرقت إلى شئ مما جاء في نكاح التحليل عبر إحدى القنوات الفضائية الكردية، تعجب البعض مما نقلته من بطون أمهات المصادر والمراجع الدينية، حتى بلغ ببعضهم الأمر أن يشككوا بما نقلته، فقررت أن اتحفكم ببعض مما ورد في ذلك في (كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري) مكتفياً بقول: إن الحقوق التي يمنحها الإسلام للمرأة سيما أمام القضاء بالكاد تجد ما يقرب منها عند غيره، وعليه أنقل بكم إلى عالم (الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ٧٧٣-٨٥٢هـ) في كتابه: (فتح الباري شرح صحيح البخاري، طبعة دار السلام الرياض و دار الفيحاء دمشق، ج٩، كتاب الطلاق) لنقرأ هناك ما يأتي:

(٣٧: باب إذا طلقها ثلثاً ثم تزوجت بعد العدة زوجاً غيره فلم يمسهَا: ٥٣١٧: الحديث: - حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى حدثنا هشام قال حدثني أبي عن عائشة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبدة عن هشام عن أبيه عن عائشة (رضي الله عنها) أن رفاعة القرظي تزوج امرأة ثم طلقها فتزوجت آخر فأتت النبي (صلى الله عليه وسلم) فذكرت له أنه لا يأتيها وأنه ليس معه إلا مثل هدية فقال لا حتى تدوقي عسيلته ويدوق عسيلتك.

الشرح: قوله: (يحيى) - هو ابن سعيد القطان، وهشام هو ابن عروة.

وقوله: (حدثني عثمان بن أبي شيبة إلخ) ساقه على لفظ عبدة، وإنما احتاج إلى رواية يحيى لتصريح هشام في روايته بقوله: (حدثني أبي). -

قوله: (إن رفاعة القرظي) هو رفاعة القرظي بن سموأل بفتح المهملة والميم وسكون

الواو بعدها همزة ثم لام، والقرظي بالقاف والطاء المعجمة وقد تقدم ضبط قريظة والنضير في أوائل المغازي.

قوله: (تزوج امرأة) في رواية عمرو بن على عند الإسماعيلي: (امرأة من بني قريظة) وسماها مالك من حديث عبد الرحمن بن الزبير نفسه كما أخرجه ابن وهب والطبراني والدارقطني في (الغرائب) موصولاً وهو في الموطأ مرسل تميم بنت وهب، وهي بمثناة واختلف هل هي بفتحها أو بالتصغير والثاني أرجح ووقع مجزوماً به في النكاح لسعيد بن أبي عروبة من روايته عن قتادة، وقيل اسمها سهيمة بسين مهملة مصغر أخرجه أبو نعيم وكأنه تصحيف، وعند ابن منده أميمة بألف أخرجه من طريق أبي صالح عن ابن عباس وسمي أباه الحارث، وهي واحدة اختلف في التلظظ باسمها والراجح الأول.

قوله: (ثم طلقها فتزوجت آخر) سماه مالك في روايته عبد الرحمن بن الزبير وأبوه بفتح الزاي، واتفقت الروايات كلها عن هشام بن عروة أن الزوج الأول رفاعة والثاني عبد الرحمن، وكذا قال عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة في كتاب النكاح له عن قتادة أن تميم بنت أبي عبيد القرظية كانت تحت رفاعة فطلقها فخلف عليها عبد الرحمن بن الزبير، وتسميته لأبيها لا تنافي رواية مالك فلعل اسمه وهب وكنيته أبو عبيد إلا ما وقع عند ابن إسحاق في المغازي من رواية سلمة بن الفضل عنه وتفرد به عنه عن هشام عن أبيه قال كانت امرأة من قريظة يقال لها تميم تحت عبد الرحمن بن الزبير فطلقها. - فتزوجها رفاعة ثم فارقتها، فأرادت أن ترجع إلى عبد الرحمن بن الزبير، وهو مع إرساله مقلوب، و المحفوظ ما اتفق عليه الجماعة عن هشام، وقد وقع لامرأة أخرى قريب من قصتها فأخرج النسائي من طريق سليمان بن يسار عن عبيد الله بن العباس أي ابن عبد المطلب:

(أن الغميصاء أو الرميضاء أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو من زوجها أنه لا يصل إليها، فلم يلبث أن جاء فقال: إنها كاذبة ولكنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول، فقال: ليس ذلك لها حتى تذوق عسيلته) ورجاله ثقات لكن اختلف فيه على سليمان بن يسار.

و وقع عند شيخنا في شرح الترمذي: (عبد الله بن عباس) مكبر وتعقب على ابن عساكر والمزي أنهما لم يذكرنا هذا الحديث في (الأطراف) ولا تعقب عليهما فإنهما

ذكره في مسند عبيد الله بالتصغير وهو الصواب، وقد اختلف في سماعه من النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا أنه ولد في عصره فذكر لذلك في الصحابة، واسم زوج الغميصاء هذه عمرو بن حزم أخرجه الطبراني وأبو مسلم الكجي وأبو نعيم في الصحابة من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن عمرو بن حزم طلق الغميصاء فتزوجها رجل قبل أن يمسه فأرادت أن ترجع إلى زوجها الأول الحديث ولم أعرف اسم زوجها الثاني، ووقعت لثالثة قصة أخرى مع رفاة رجل آخر غير الأول والزوج الثاني عبد الرحمن بن الزبير أيضا أخرجه مقاتل بن حيان في تفسيره ومن طريقه ابن شاهين في (الصحابة) ثم أبو موسى قوله تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ لِيُبَيِّنَهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ٢٣٠ البقرة.

قال: (نزلت في عائشة بنت عبد الرحمن بن عقيل النضرية كانت تحت رفاة بن وهب بن عتيك وهو ابن عمها فطلقها طلاقا بائنا فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير ثم طلقها فأنت النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت إنه طلقني قبل أن يمسنني أفأرجع إلى ابن عمي زوجي الأول؟ قال: لا) الحديث.

وهذا الحديث إن كان محفوظا فالواضح من سياقه أنها قصة أخرى وأن كلا من رفاة القرظي ورفاة النضري وقع له مع زوجة له طلاق فتزوج كلا منهما عبد الرحمن بن الزبير فطلقها قبل أن يمسه فالحكم في قصتهما متحد مع تغاير الأشخاص، وبهذا يتبين خطأ من وحد بينهما ظنا منه أن رفاة بن سموأل هو رفاة بن وهب فقال اختلف في امرأة رفاة على خمسة أقوال، فذكر الاختلاف في النطق بتميمة وضم إليها عائشة والتحقيق ما تقدم. ووقعت لأبي ركانة قصة أخرى سأذكرها آخر هذا الباب^١.

قوله: (فأنت النبي (صلى الله عليه وسلم)، في الكلام حذف، تقديره يظهر من الروايات الأخرى، فعند المصنف من طريق أبي معاوية عن هشام: (فتزوجت زوجا غيره فلم يصل منها إلى شيء يريد).)

وعند أبي عوانة من طريق الدراوردي عن هشام: (فنكحها عبد الرحمن بن الزبير فاعترض عنها) وكذا في رواية مالك بن عبد الرحمن ابن الزبير نفسه وزاد (فلم يستطع أن يمسه).

١. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٧٧ في ٢٧/١/٢٠١٠ ص ٢٣.

وقوله: (فاعترض) بضم المثناة وآخره ضادمعجمة أي حصل له عارض حال بينه وبين إتيانها إما من الجن وإما من المرض.

قوله: (فذكرت له أنه لا يأتيها) وقع في رواية أبي معاوية عن هشام (فلم يقربني إلا هنة واحدة ولم يصل مني إلى شيء) والهنة بفتح الهاء وتخفيف النون المرة الواحدة الحقيرة.

قوله: (وإنه ليس معه إلا مثل هدبة) بضم الهاء وسكون المهملة بعدها موحدة مفتوحة هو طرف الثوب الذي لم ينسج، مأخوذ من هدب العين وهو شعر الجفن، وأرادت أن ذكره يشبه الهدبة في الاسترخاء وعدم الانتشار، واستدل به على أن وطء الزوج الثاني، لا يكون محللا ارتجاع الزوج الأول للمرأة إلا إن كان حال وطئه منتشرًا فلو كان ذكره أشل أو كان هو عنيًا أو طفلاً لم يكف على أصح قولي العلماء، وهو الأصح عند الشافعية أيضًا.

قوله: (فقال لا) هكذا وقع من هذا الوجه مختصراً، و وقع في رواية أبي معاوية عن هشام بن عروة كما تقدم قريباً في (باب من قال لامرأته أنت على حرام): (ولم يكن معه إلا مثل الهدبة فلم يقربني إلا هنة واحدة ولم يصل مني إلى شيء فأحل لزوجي الأول؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لا تحلين لزوجك الأول) الحديث.

وفي رواية الزهري عن عروة كما تقدم أيضاً في أوائل الطلاق (وإنما معه مثل الهدبة. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة، لا) الحديث.

وسياتي في اللباس من طريق أيوب عن عكرمة: (أن رفاعة طلق امرأته فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير، قالت عائشة: فجاءت وعليها خمار أخضر فشكت إليها أي إلى عائشة من زوجها وأرتها خضرة بجلدها، فلما جاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والنساء يبصرن بعضهن بعضاً، قالت عائشة: ما رأيت ما يلقي المؤمنات، لجلدها أشد خضرة من ثوبها. وسمع زوجها فجاء ومعه ابنان له من غيرها، قالت: والله مالي إليه من ذنب إلا أن ما معه ليس بأغنى عني من هذه وأخذت هدبة من ثوبها فقال: كذبت والله يا رسول الله، إني لأنفضها نفض الأديم، ولكنها ناشزة تريد رفاعة. قال: فإن كان ذلك لم تحل له) الحديث.

وكأن هذه المراجعة بينهما هي التي حملت خالد بن سعيد بن العاص على قوله الذي

وقع في رواية الزهري عن عروة فإن في آخر الحديث كما سيأتي في كتاب اللباس من طريق شعيب عنه: (قال فسمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب فقال: يا أبا بكر ألا تنهي هذه عما تجهر به عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ فوالله ما يزيد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على التبسم).

وفيه ما كان الصحابة عليه من سلوك الأدب بحضرة النبي (صلى الله عليه وسلم) وإنكارهم على من خالف ذلك بفعله أو قوله لقول خالد بن سعيد لأبي بكر الصديق وهو جالس (ألا تنهي هذه)؟ وإنما قال خالد ذلك لأنه كان خارج الحجرة، فاحتمل عنده أن يكون هناك ما يمنعه من مباشرة نهيتها بنفسه، فأمر به أبا بكر لكونه كان جالسا عند النبي (صلى الله عليه وسلم) مشاهدا لصورة الحال، ولذلك لما رأى أبو بكر (رضي الله عنه) النبي (صلى الله عليه وسلم) يتبسم عند مقالاتها لم يزجرها، وتبسمه (صلى الله عليه وسلم) كان تعجبا منها، إما لتصريحها بما يستحي النساء من التصريح به غالبا، وإما لضعف عقل النساء لكون الحامل لها على ذلك شدة بغضها في الزوج الثاني ومحبتها في الرجوع إلى الزوج الأول، ويستفاد منه جواز وقوع ذلك.

(تنبيه): وقع في جميع الطرق من قول خالد بن سعيد لأبي بكر: (ألا تنهي هذه عما تجهر به)؟- أي ترفع به صوتها، وذكره الداودي بلفظ "تهجر" بتقديم التاء على الجيم، والهجر بضم الهاء الفحش من القول، والمعنى هنا عليه، لكن الثابت في الروايات ما ذكرته، وذكر عياض أنه وقع كذلك في غير الصحيح.

وتقدم البحث في الشهادات مع من استدل بكلام خالد هذا لجواز الشهادة على الصوت.- قوله (حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك) كذا في الموضوعين بالتصغير، واختلف في توجيهه فقيل:- هي تصغير العسل لأن العسل مؤنث، جزم به القزاز ثم قال وأحسب التذكير لغة.- وقال الأزهري يذكر ويؤنث، وقيل لأن العرب إذا حفرت الشيء أدخلت فيه هاء التأنيث، ومن ذلك قولهم دريهمات فجمعوا الدرهم جمع المؤنث عند إرادة التحقير.

وقالوا أيضا في تصغير هند هنيذة.

وقيل التأنيث باعتبار الوطأة إشارة إلى أنها تكفي في المقصود من تحليلها للزوج الأول، وقيل المراد قطعة من العسل والتصغير للتقليل إشارة إلى أن القدر القليل كاف في تحصيل الحل، قال الأزهري: الصواب أن معنى العسيلة حلوة الجماع الذي

يحصل بتغييب الحشفة في الفرج، وأنت تشببها بقطعة من عسل.
وقال الداودي: صغرت لشدة شببها بالعسل وقيل: معنى العسيلة النطفة، وهذا
يوافق قول الحسن البصري.
وقال جمهور العلماء: ذوق العسيلة كناية عن المجامعة وهو تغييب حشفة الرجل في
فرج المرأة، وزاد الحسن البصري: حصول الإنزال.
وهذا الشرط انفرد به عن الجماعة قاله ابن المنذر وآخرون.
وقال ابن بطال: شذ الحسن في هذا، وخالفه سائر الفقهاء وقالوا: يكفي من ذلك ما
يوجب الحد ويحصن الشخص ويوجب كمال الصداق ويفسد الحج والصوم.
قال أبو عبيد: العسيلة لذة الجماع والعرب تسمي كل شئ تستلذه عسلا، وهو في
التشديد يقابل قول سعيد بن المسيب في الرخصة، ويرد قول الحسن أن الإنزال لو كان
شرطا لكان كافيا، وليس كذلك لأن كلا منهما إذا كان بعيد العهد بالجماع مثلا أنزل
قبل تمام الإيلاج، وإذا أنزل كل منهما قبل تمام الإيلاج لم يذق عسيلة صاحبه، لا إن
فسرت العسيلة بالإمضاء ولا بلذة الجماع قال ابن المنذر: أجمع العلماء على اشتراط
الجماع لتحل للأول، إلا سعيد بن المسيب. ثم ساق بسنده الصحيح عنه قال: - يقول
الناس لا تحل للأول حتى يجامعها الثاني، وأنا أقول: إذا تزوجها تزويجا صحيحا لا
يريد بذلك إحلالها للأول فلا بأس أن يتزوجها الأول. وهكذا أخرج ابن أبي شيبة
وسعيد بن منصور، وفيه تعقب على من استبعد صحته عن سعيد، قال ابن المنذر: وهذا
القول لا نعلم أحدا وافقه عليه إلا طائفة من الخوارج، و لعله لم يبلغه الحديث فأخذ
بظاهر القرآن.

قلت: سياق كلامه يشعر بذلك.

وفيه دلالة على ضعف الخبر الوارد في ذلك.

وهو ما أخرجه النسائي من رواية شعبة عن علقمة بن مرثد عن سالم بن رزين عن
سالم بن عبد الله عن سعيد بن المسيب " عن ابن عمر رفعه في الرجل تكون له المرأة
فيطلقها ثم يتزوجها آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها فترجع إلى الأول، فقال: لا، حتى
تذوق العسيلة، وقد أخرجه النسائي أيضا من رواية سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد
فقال عن رزين بن سليمان الأحمري عن ابن عمر نحوه، قال النسائي: هذا أولي
بالصواب، وإنما قال ذلك لأن الثوري أتقن وأحفظ من شعبة، وروايته أولى بالصواب

من وجهين:- أحدهما أن شيخ علقمة شيخهما هو رزين بن سليمان كما قال الثوري لا سالم بن رزين كما قال شعبة، فقد رواه جماعة عن علقمة كذلك، منهم غيلان بن جامع أحد الثقات^٢.

ثانيهما أن الحديث لو كان عند سعيد بن المسيب عن ابن عمر مرفوعاً ما نسبته إلى مقالة الناس الذين خالفهم، ويؤخذ من كلام ابن المنذر أن نقل أبي جعفر النحاس في "معاني القرآن" وتبعه عبد الوهاب المالكي في "شرح الرسالة" القول بذلك عن سعيد بن جبير وهم، وأعجب منه أن أبا حبان جزم به عن السعيد بن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، ولا يعرف له سند عن سعيد بن جبير في شيء من المصنفات، وكفي قول ابن المنذر حجة في ذلك. وحكي ابن الجوزي عن داود أنه وافق سعيد بن المسيب على ذلك، قال القرطبي:- ويستفاد من الحديث على قول الجمهور أن الحكم يتعلق بأقل ما ينطلق عليه الاسم، خلافاً لمن قال لا بد من حصول جميعه. وفي قوله "حتى تذوقي عسيلته إلخ" إشعار بإمكان ذلك، لكن قولها "ليس معه إلا مثل هذه الهدية" ظاهر في تعذر الجماع المشترط، فأجاب الكرمانى بأن مرادها بالهدية التشبيه بها في الدقة والرقعة لا في الرخاوة وعدم الحركة واستبعد ما قال، وسياق الخبر يعطي بأنها شكت منه عدم الانتشار، ولا يمنع من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "حتى تذوقي" لأنه علقه على الإمكان وهو جائز الوقوع، فكأنه قال صبري حتى يتأني منه ذلك، وإن تفارقاً فلا بد لها من إرادة الرجوع إلى رفاعة من زوج آخر يحصل لها منه ذلك. واستدل بإطلاق وجود الذوق منهما لاشتراط على الزوجين به حتى لو وطئها نائمة أو مغمي عليها لم يكف ولو أنزل هو.- وبالغ ابن المنذر فنقله عن جميع الفقهاء. وتعقب وقال القرطبي: فيه حجة لأحد القولين في أنه لو وطئها نائمة أو مغمي عليها لم تحل.

وجزم ابن القاسم بأن وطئ المجنون يحلل، وخالفه أشهب، واستدل به على جواز رجوعها لزوجها الأول إذا حصل الجماع من الثاني، لكن شرط المالكية ونقل عن عثمان وزيد بن ثابت أن لا يكون في ذلك مخادعة من الزوج الثاني ولا إرادة تحليلها للأول.

وقال الأكثر: إن شرط ذلك في العقد فسد وإلا فلا، واتفقوا على أنه إذا كان في نكاح فاسد لم يحلل، وشذ الحكم فقال يكفي، وأن من تزوج أمة ثم بت طلاقها ثم ملكها لم يحل له أن يطأها حتى تتزوج غيره. وقال ابن عباس وبعض أصحابه والحسن

٢. إلى هنا تم نشرها: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٧٨ في ٣/شباط ٢٠١٠ ص ٣٣.

البصري: تحل له بملك اليمين، واختلفوا فيما إذا وطئها حائضا أو بعد أن طهرت قبل أن تطهر أو أحدهما صائما أو محرما.

وقال ابن حزم: أخذ الحنفية بالشرط الذي في هذا الحديث عن عائشة، وهو زائد على ظاهر القرآن، ولم يأخذوا بحديثها في اشتراط خمس رضعات لأنه زائد على ما في القرآن، فيلزمهم الأخذ به أو ترك حديث الباب، وأجابوا بأن النكاح عندهم حقيقة في الوطء فالحديث موافق لظاهر القرآن، واستدل بقولها "بت طلاقي" على أن البتة ثلاث تطليقات، وهو عجب ممن استدل به فإن البت بمعنى القطع والمراد به قطع العصمة، وهو أعم من أن يكون بالثلاث مجموعة أو بوقوع الثالثة التي هي آخر ثلاث تطليقات، وسيأتي في اللباس صريحا أنه طلقها آخر ثلاث تطليقات فبطل الاحتجاج به.

ونقل ابن العربي عن بعضهم أنه أورد على حديث الباب ما ملخصه أنه يلزم من القول به إما الزيادة بخير الواحد على ما في القرآن فيستلزم نسخ القرآن بالسنة التي لم تتواتر، أو حمل اللفظ الواحد على معنيين مختلفين مع ما فيه من الإلباس.

والجواب عن الأول أن الشرط إذا كان من مقتضيات اللفظ لم تكن إضافته نسخا ولا زيادة، وعن الثاني أن النكاح في الآية أضيف إليها وهي لا تتولي العقد بمجرد ما فتعين أن المراد به في حقها الوطء، ومن شرطه اتفاقا أن يكون وطئا مباحا فيحتاج إلى سبق العقد.

ويمكن أن يقال: لما كان اللفظ محتملا للمعنيين بينت السنة أنه لا بد من حصولهما، فاستدل به على أن المرأة لا حق لها في الجماع لأن هذه المرأة شكت أن زوجها لا يطؤها وأن ذكره لا ينتشر وأنه ليس معه ما يغني عنها ولم يفسخ النبي صلى الله عليه وسلم نكاحها بذلك، ومن ثم قال إبراهيم بن إسماعيل بن عليّة وداود بن علي: لا يفسخ بالعنة ولا يضرب للعنين أجل.

وقال ابن المنذر: اختلفوا في المرأة تطالب الرجل بالجماع، فقال الأكثر إن وطئها بعد أن دخل بها مرة واحدة لم يؤجل أجل العنين، وهو قول الأوزاعي والثوري وأبي حنيفة ومالك والشافعي وإسحاق.

وقال أبو ثور: إن ترك جماعها لعدة أجل له سنة، وإن كان لغير عدة فلا تأجيل. وقال عياض، اتفق جميع العلماء على أن للمرأة حقا في الجماع، فيثبت الخيار لها إذا تزوجت المحبوب والمسحوق جاهلة بهما، ويضرب للعنين أجل سنة لاحتمال زوال ما به. وأما

استدلال داود ومن يقول بقوله بقصة امرأة رفاعة فلا حجة فيها، لأن في بعض طرقه أن الزوج الثاني كان أيضا طلقها كما وقع عند مسلم صريحا من طريق القاسم عن عائشة قالت " طلق رجل امرأته ثلاثا فتزوجها رجل آخر فطلقها قبل أن يدخل بها فأراد زوجها الأول أن يتزوجها، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: لا " الحديث، وأصله عند البخاري وقد تقدم في أوائل الطلاق. ووقع في حديث الزهري عن عروة كما سيأتي في اللباس في آخر الحديث بعد قوله: لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك " قال ففارقته بعد " زاد ابن جريج عن الزهري في هذا الحديث أنها " جاءت بعد ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إنه يعني زوجها الثاني مسها فمنعها أن ترجع إلى زوجها الأول " وصرح مقاتل بن حيان في تفسيره مرسلًا أنها " قالت: يا رسول الله إنه كان مسني، فقال كذبت بقولك الأول فلن أصدقك في الآخر، وأنها أتت أبا بكر ثم عمر فمنعها " وكذا وقعت هذه الزيادة الأخيرة في رواية ابن جريج المذكورة أخرجها عبد الرزاق عنه، ووقع عند مالك في "الموطأ" عن المسور بن رفاعة عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير، زاد خارج الموطأ فيما رواه ابن وهب عنه وتابعه إبراهيم بن طهمان عن مالك عند الدار قطني في "الغرائب" عن أبيه " أن رفاعة طلق امرأته تميمية بنت وهب ثلاثا، فنكحها عبد الرحمن، فاعترض عنها فلم يستطع أن يمسه ففارقها، فأراد رفاعة أن يتزوجها " الحديث. ووقع عند أبي داود من طريق الأسود عن عائشة " سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته فتزوجت غيره فدخل بها وطلقها قبل أن يواقعها أتحل للأول؟ قال: لا " الحديث.

وأخرج الطبري وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة نحوه، والطبري أيضا والبيهقي من حديث أنس كذلك، وكذا وقع في رواية حماد ابن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة " أن عمرو بن حزم طلق الغميصاء فنكحها رجل فطلقها قبل أن يمسه، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: - لا، حتى يذوق الآخر عسيلتها وتذوق عسيلته " وأخرجه الطبراني ورواته ثقات، فإن كان حماد بن سلمة حفظه فهو حديث آخر لعائشة في قصة أخرى غير قصة امرأة رفاعة، وله شاهد من حديث عبيد الله بالتصغير ابن عباس عند النسائي في ذكره الغميصاء، لكن سياقه يشبه قصة رفاعة كما تقدم في أول شرح هذا الحديث، وقد قدمت أنه وقع لكل من رفاعة بن سموأل ورفاعة بن وهب أنه طلق امرأته وأن كلا منهما تزوجها عبد الرحمن بن الزبير وأن كلا

منهما شكت أنه ليس معه إلا مثل الهدية، فلعل إحدي المرأتين شكته قبل أن يفارقها والأخرى بعد أن فارقها، ويحتمل أن تكون القصة واحدة ووقع الوهم من بعض الرواة في التسمية أو في النسبة وتكون المرأة شكت مرتين من قبل المفارقة ومن بعدها، والله أعلم. وأما ما أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس قال " طلق عبد يزيد أبو ركانة أم ركانة ونكح امرأة من مزينة، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ما يغني عني إلا كما تغني هذه الشعرة لشعرة أخذتها من رأسها ففرق بيني وبينه، قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد يزيد: طلقها وراجع أم ركانة، ففعل " فليس فيه حجة لمسألة العين، والله أعلم بالصواب^٢.

٢. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٧٩ في ١٠/شباط ٢٠١٠ ص ٣٣ .

اهتمام الإسلام بالشباب، في القرآن و في السنة

بعيدا عن دنيا السياسة بمعناها المتداول لدى الكثيرين المعاصرين من أصحاب الأقلام، أخص بيدري اليوم بالحديث عن (اهتمام الإسلام بالشباب، في القرآن و في السنة) فقد أن يكون في ذلك تذكير بفلذات أكبادنا وإخواننا وأخواتنا اليافعين واليافاعات، يحفظهم الله ويرعاهم جميعا بمنه وكرمه، وقد إستقيت هذه المعلومات من موقع: (الإسلام اليوم) راجيا الله ان يمن علينا جميعا بالاستفادة من التربية القرآنية، وما احوجنا اليها، ولكن اعتذر للكاتب الموقر ولكم بانني لايمكنني نقل جميع ما كتب، وإليكم بعضا مما كتبه:

أ- الشباب في القرآن: يذكر الله تعالى في كتابه الكريم كل ما فيه هداية للبشر، فمن ذلك ذكره لقصص الأولين لناخذ منها العبرة كما قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ) يوسف الآية ١١١ .
أو يؤخذ منهم القدوة، كما قال تعالى بعد ذكر الأنبياء مخاطباً رسوله (صلى الله عليه وسلم):

(أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ) الأنعام آية ٩٠.

وقال تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ) المتحنة آية ٤.

فيذكر ربنا قصص الأنبياء، لحكم كثيرة منها: القدوة بهم في إيمانهم ودعوتهم وصبرهم:

(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) الأحقاف آية ٣٥.

وقد قال ابن عباس (رضي الله عنه): ما بعث الله نبياً إلا شاباً، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب) (رواه ابن أبي حاتم، وذكره ابن كثير في تفسيره (سورة الأنبياء الآية ٦٠).

ومن قصصهم ما يأتي:

١- قال تعالى في قصة إبراهيم (عليه السلام) يحكي ما قال قومه:

(قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)، الأنبياء آية ٦٠.

قال ابن كثير: أي شاباً.

٢- ويذكر الله تعالى لنا قصة يوسف (س) بتفاصيلها، وفيها من العبر والفوائد الشيء

الكثير وهو أحسن قدوة للشباب في العفة والطهر، وإيثار مرضاة الله، وإن ناله ما

نال في الدنيا من تعب وعناء.

٣- ويذكر الله تعالى قصة الفتية: أهل الكهف: (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)

الكهف آية ١٣.

ومن مواضع الاقتداء فيها: الاعتزاز بالدين، والدعوة إليه، والاستعانة بالله، ودعاؤه،

واعترال أهل الباطل عند العجز عن إصلاحهم، وغير ذلك. قال ابن كثير (رحمه الله):

فذكر الله تعالى أنهم فتية، وهم الشباب، وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ

الذي قد عتوا، وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى

ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) شباباً، وأما الشيوخ من قريش فعامتهم بقوا على

دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل. أ هـ.

ب- الشباب في السنة: أما رسول الهدى (صلى الله عليه وسلم) فقد اشتد حرصه

وتوجيهه للشباب، وظهرت عنايته الفائقة بهم، وإليك هذه النماذج اليسيرة:

١- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): سبعة

يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. الحديث وفيه: (وشاب نشأ في طاعة الله)

رواه البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل

المساجد (الفتح ١٤٣/٢) رقم (٦٦٠) كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة

٧١٥/٢ رقم ١٠٣١.

٢- عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال كنا مع النبي (صلى الله عليه وسلم)

شباب لا نجد شيئاً، فقال لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (يا معشر

الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم

يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء). (متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب النكاح،

باب من لم يستطع الباءة فليصم، (الفتح ١١٢/٩) رقم (٥٠٦٦) ومسلم كتاب

النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ١٠١٨/٢ رقم ١٤٠٠ .
 ٣- قال (صلى الله عليه وسلم) لعمر بن أبي سلمة (يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك). (رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام (الفتح ٩٥٢١) رقم (٥٣٧٦) ومسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب، ١٥٩٩/٣ رقم (٢٠٣٢).
 ٤- وقال لابن عباس (رضي الله عنه): يا غلام إني أعلمك كلمات: أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك.. (رواه أحمد ٢٩٣/١، والترمذي، كتاب صفة القيامة، باب (٥٩) برقم ٢٥١٦ وقال: حديث حسن صحيح) وغير ذلك كثير مما هو مسطر في كتب السنة، وتراجم الصحابة، وكتب السيرة.

حملة الإسلام الأوائل كانوا شباباً:

وقد كان أكثر حملة الإسلام الأوائل في أول زمن البعثة من الشباب: فهذا الصديق (رضي الله عنه) لم يتجاوز السابعة والثلاثين، وهذا عمر (رضي الله عنه) لم يتجاوز السابعة والعشرين، وهذا عثمان (رضي الله عنه) لم يتجاوز الرابعة والثلاثين، وعلي (رضي الله عنه) لم يكن تجاوز العاشرة، وكذلك بقية العشرة (رضي الله عنهم): طلحة بن عبيد الله لم يتجاوز الرابعة عشرة، والزبير بن العوام لم يتجاوز السادسة عشرة، وسعد بن أبي وقاص لم يتجاوز السابعة عشرة، وسعيد بن زيد لم يتجاوز الخامسة عشرة، وأبو عبيدة لم يتجاوز سبعاً وعشرين، وعبد الرحمن بن عوف لم يتجاوز الثلاثين.

قس في بعض أعمارهم اختلاف يسير، تراجع سيرهم في كتاب: الإصابة لابن حجر (رحمه الله)، وغيره. وجماعة كثيرة من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) كانوا شباباً، قام عليهم الدين، وحملوه على أكتافهم حتى أعزهم الله ونصرهم^١.

صور من حال الشباب في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم):

١- عن مالك بن الحويرث قال: أتينا النبي (صلى الله عليه وسلم) ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أننا اشتقنا لأهلنا، وسألنا عن تركنا في أهلنا فأخبرنا، وكان رقيقاً رحيماً فقال: (أرجعوا إلى أهليكم، ومروهم وصلوا كما

١. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٨٠ في ١٧ شباط ٢٠١٠ .

- رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحذكم، ثم ليؤمكم أكبركم) رواه البخاري كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (الفتح ٤٣٧/١٠) رقم ٦٠٠٨ .
- ٢- روي الإمام أحمد في مسنده، عن أنس (رضي الله عنه) قال: (كان شباب من الأنصار سبعين رجلاً يُقال لهم القراء، قال: كانوا يكونون في المسجد، فإذا امسكوا انتحوا ناحية من المدينة فيتدارسون ويصلون، يحسبهم أهلوهم أنهم في المسجد، ويحسب أهل المسجد أنهم في أهليهم، حتى إذا كانوا في وجه الصبح، استعذبوا من الماء واحتطبوا من الحطب، فجاجوا به، فاسندوه إلى حجرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فبعثهم النبي (صلى الله عليه وسلم) جميعاً، فأصيبوا، يوم بئر معونة، فدعا النبي (صلى الله عليه وسلم) على قتلتهم خمسة عشر يوماً في صلاة الغداة) مسند الإمام أحمد ٢٢٣٥/٣ .
- ٣- وأسامة بن زيد (رضي الله عنه) يشاوره النبي (صلى الله عليه وسلم) في حادثة الإفك، ويسلمه قيادة الجيش الزاهب إلى الروم.
- ٤- وعتاب بن أسيد، يجعله أميراً على مكة.
- ٥- وعبد الله بن الزبير، يقود الغلمان لمبايعة النبي (صلى الله عليه وسلم).
- ٦- ومصعب بن عمير، يرسله داعية إلى أهل المدينة، فيسلم على يديه أكثر أهلها، ويدخل نور الإسلام كل بيت من بيوتها.
- توجيهات للشباب: إن الشباب بالإسلام هو الخير والعطاء والبناء، وهو بغير الإسلام تعاسة وبلاء، فالشباب طاقة يسخرها الله في إصلاح البشرية، فأليك أخي الشاب هذه التوجيهات التي يملئها عليك دينك.
- ١- على الشاب أن يعرف دينه، ويمثله في سلوكه وعمله، ويكون على قناعة تامة به، ولا يلتفت لأقوال الحاقدين والمشككين، ولعلم أن دينه أفضل دين، وأن كل ما سواه فهو زور وباطل، عليه أن يسخر ما أودعه الله من قوة ونشاط في خدمة هذا الدين.
- ٢- على الشاب أن يعلم أن أمته هي خير أمة، وأن هذه الخيرية ثابتة لها ما دامت متمسكة بدينها، ويعلم أن أمته بقيت دهرًا طويلاً رائداً للعالم، وأنه يجب أن تبقي لها هذه الريادة، وذلك لا يتحقق إلا بالالتزام بتعاليم الإسلام.
- ٣- على الشاب أن تكون همته بعد إصلاح نفسه إصلاح الآخرين، وتعبيد الناس لرب

- العالمين، وليحذر أن يكون داعية سوء، يكون عليه وزر نفسه، ومن أوزار الآخرين.
- ٤- على الشاب أن يعرف ما لوطنه من ولاة أمره من الحق، فهو بلد الإسلام الذي ولد فيه، وعلى أرضه نشأ، وأن عليه لولاية أمره الطاعة في المعروف، وليحذر أن يكون آلة يستخدمها الأعداء لهدم الأمة من داخلها، والإفساد في الوطن.
- ٥- على الشاب أن يكون دائماً الارتباط بالله تعالى، من خلال أداء الصلاة في وقتها، وكثرة الذكر والدعاء، والاستعانة به في جميع الأمور، والتوكل عليه، والمحافظة على الأوراد المشروعة كأذكار الصباح والمساء، والدخول والخروج، والركوب، ونزول المكان، وغير ذلك.
- ٦- على الشاب أن يعلم أن قدوته الحقيقة هو محمد (صلى الله عليه وسلم)، وليحذر من التقليد الأعمى الذي يفقده شخصيته وتميزه.
- ٧- على الشاب أن يحافظ على رجولته، ويتجنب كل ما من شأنه أن يضعفها من ميوعة وتكسر، وتشبه بالنساء، وغير ذلك.
- ٨- ذلك وتستلذ به (فإن الخيرة عادة) جزء من حديث (رواه ابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء: (٢٢١) وابن حبان في صحيحه، (٨/٢) وعليه أن لا يتأثر بمن يسخر منه أو يلمزه، فقد قال تعالى: (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) المطففين آية ٢٩.
- ٩- على الشباب أن يستشعروا بأنهم آباء المستقبل، فلا بد أن يعدوا أنفسهم لتربية أبنائهم التربية الصحيحة، فليسألوا أنفسهم بالعلم والأدب.
- ١١- وعلى الشاب إذا أراد أن يروح عن نفسه أن يلتزم بالحلال، ويتجنب الحرام، فإن في الحلال غنية عن غيره، وإن عاقبة الحرام وخيمة، وليكن من دعائه (اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عن سواك) رواه الترمذي رقم (٣٦٣٤) وقال حديث حسن).
- ١٢- على الشباب أن يكونوا حذرين من الأفكار الهدامة حتى ولو كان ظاهراً الصلاح والإصلاح فلا يقبلوا فكرة إلا بعد عرضها على العلماء والأساتذة حتى لا يقعوا فريسة في أيدي دعاة الباطل^٢.

٢. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٨١ في ٢٤ شباط ٢٠١٠.

الخصائص الرئيسية في الإسلام

في الحلقة الماضية من هذه الزاوية تطرقت إلى الحديث عن اهتمام الاسلام بالشباب، كان لزاما على أن اخصص بيدري اليوم بالحديث عن الخصائص الرئيسية في الاسلام، وقبل الدخول في الموضوع أحب أن أشير إلى انني وان كنت واحدا من مرشحي الحزب الديمقراطي الكردستاني برقم ١٢ ضمن قائمة التحالف الكردستاني ٣٧٢، ضمن مرشحي مدينة السليمانية، وفيما اذا وفقت لاكسب رضا الجمهور والمواطنين فسوف لا اغيب عنكم باذن الله تعالى، واعتذر هذه المرة عن الاختصار.

١- الإسلام دين التوحيد، فالإيمان بوجود خالق واحد للعالم حقيقة تقتنع بها كل العقول المفكرة، وهذا الخالق هو الإله المستحق للعبادة وحده كالذبح والنذر، ولا سيما الدعاء لقوله صلى الله عليه وسلم: (الدعاء هو العبادة). حسن صحيح رواه الترمذي. فلا يجوز صرف شئ منها لغير الله.

٢- الإسلام يجمع ولا يُفرق: فهو يؤمن بجميع الرسل، الذين أرسلهم الله لهداية البشر، وتنظيم حياتهم، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتمهم، وشريعته نسخت ما قبلها بأمر من الله تعالى، أرسله الله إلى الناس جميعا لينقذهم من جور الديانات المحرفة إلى عدل الإسلام المحفوظ.

٣- إن تعاليم الإسلام سهلة واضحة مفهومة، فهو لا يقر الخرافات ولا المعتقدات الفاسدة، والفلسفات المعقدة، وهو صالح للتطبيق في كل زمان ومكان.

٤- إن الإسلام لا يفصل بين المادة والروح فصلا كاملا، بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة تشملهما معا، فلا يأخذ إحداهما ويهمل الأخرى.

٥- أكد الإسلام روح التساوي والأخوة بين المسلمين، فهو ينكر الفوارق الإقليمية والعصبية، ففي كتابه الكريم: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) سورة الحجرات، آية (١٣).

٦- ليس في الإسلام سلطة كهنوتية تحتكر الدين، ولا أفكار مجردة يصعب تصديقها، ويستطيع كل إنسان أن يقرأ كتاب الله تعالى وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب فهم السلف الصالح ثم يصوغ حياته طبقاً لهما^١.

١. تم نشر المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٨٢ في ٣ آذار ٢٠١٠ .

آذار شهر المناسبات أفرأها وأتراها

اليوم هو ١٧ من شهر آذار ٢٠١٠ أي مضى النصف الأول من الشهر ونحن مقبلون على النصف الثاني منه وقد مضت ذكريات منها محزنة ومنها مفرحة فبدأ بذكرى وفاة القائد البارزاني الراحل في ١٩٧٩/٣/١ ثم ذكريات الإنتفاضة المباركة في ١٤ آذار ١٩٩١، ثم ذكرى اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ بين قيادة الثورة التحريرية الكُردستانية والحكومة العراقية آنذاك، فذكرى ميلاد السيد الوالد في ١٤/٣/١٩٠٣ ذلك الرمز الذي سيبقي خلوه في أذهاننا خلود الحركات الكُردية، ذلك القائد الشهم الذي كلما احتجنا الى استذكار كلمة العدل وحكم العدالة في تأريخ ثورات الأمم وقادتها، افتقدناه ووجدنا بغيتنا في قراءة حياته، وكلما اردنا ان نقتدي بسيد الثوار احتجنا للقراءة ثانية وتصفح حياته المليئة بالأمال والآلام، ثم تحل ذكرى فاجعة حلبجة - القصف الكيماوي - في ١٦/٣/١٩٨٨ التي لما تندمل جروحها ومآسيها وإلى العيد القومي نوروز، في ٢١/٣ أي اليوم الأول من أيام السنة الكُردية، وبما أن الإنسان مأخوذ من النسيان كما يفسره ابن عباس (رضي الله عنه)، فلا انخرج فيما لو اعدت الى اذهانكم شيئاً مما كتبته لكم في مجلتنا هذه العدد ٢٣٦ في ١٤\٤\٢٠٠٩، ص ٣٢ تحت عنوان: (نوروز الكُرد والضرب على الأوتار البالية) وقد استفدت بالدرجة الأولى من البحث المقدم من قبل الاستاذ (عبدالرحمن صديق)، تحت عنوان (نوروز عيد قومي لشعب كُردستان) وقد نشره في: (الاصدار الخامس من إصدارات المنتدى الفكري في كُردستان، ضمن البحوث المقدمة للمؤتمر الفكري الأول، لمنتدى الفكر الإسلامي في كُردستان، المنعقد في أربيل للفترة من ٢٦-٢٨/٢/٢٠٠٧ ص (٢٣٤ - ٢٣٧)، وجاء فيه: بالنظر إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي يرويه كل من الامام البخاري ومسلم (ان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا) يتبادر إلى ذهن البعض، ان هذا يدل على تحريم غير العيدين الفطر والأضحى ولكن بعد العودة إلى المراجع والمصادر التي قام اصحابها بشرح

الحديث نجد مثل ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري) ويدر الدين العيني في كتابه (عمدة القاري) وابن حجر القسطلاني في كتابه (ارشاد الساري)، يقولون: (في قوله هذا عيدنا: وهو يوم الاضحى)، مما يدل على أن تلك العبارة فيها التحديد للعيد الديني وليس الحديث عن أعياد الأمم، ويقول الدكتور: (عبد الكريم حمادي الديان) في مجلة (التربية الاسلامية)، في جواب سؤال: (أما تسميته عيداً، فليست حراماً ولا مكروهة، إلا إذا اعتقدوا، أن ذلك اليوم عيد وضعه الشارع). ويقول شيخ الاسلام (ابن تيمية) في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم)، حول كلمة العيد الواردة في الحديث (العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد، أما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، أو نحو ذلك). ثم يستدل على عدم تحريمية الأحتفاء بنوروز بما جاء في كتاب (التراتيب الإدارية أو نظام الحكومة النبوية) لـ (عبد الحي الكتاني)، فقد ورد فيه مانصه: (جاء إلى على بفالوذج، فأكل منه، وقال: ما هذا؟، قالوا: نوروز، فقال نوروزنا في كل يوم). ويقول الإمام البيروني، كما جاء في ص ٢١٦ و ٢١٧ في كتاب (الأثار الباقية): (ان الملك اجتمعوا في عهد هشام بن عبد الملك الأموي، وشكوا إلى عامله خالد بن عبدالله القسري وشرحوا له ما يجدونه من الصعاب وسألوه أن يؤخر (نوروز) شهراً، فأبى)، حيث كانت السنة المالية عندهم تبدأ بنوروز، فلما لم يلب طلبهم بدأوا بإستئجار البعض لإصدار الفتاوى الرخيصة، في تكفير من يحتفي بنوروزاً. ويقول الدكتور (حسن إبراهيم حسن) في ص ٣٥٥ من كتاب (تأريخ الاسلام): (لأن التقويم الجديد، قدم يوم نوروز، فكان يجيء، والزرع اخضر، في الوقت الذي يجب أن يدفع فيه الضرائب).

وفي المجلد الثاني من ذات المصدر يقول: (أصبحت من أهم أعيادهم، الرسمية، في العصر العباسي الأول). وفي ص ٣٥٤ جاء أيضاً: (وكان الخلفاء يحتفلون بالعيدين، احتفالاً دينياً، فيؤمنون الناس في الصلاة، ويلقون عليهم الخطب في فضائل العيد، وما يجب على المسلمين اتباعه للمحافظة على شعائر الاسلام). ويقول (د. كونتر وشنر)، في كتاب (أحفاد صلاح الدين الأيوبي) المترجم من قبل (عبد السلام مصطفى): (لكن عملية إشعال النيران عند الكرد، هي عملية سياسية بحتة، فهي إشارة واضحة إلى رغبة الكرد في إعلان كونهم شعباً مستقلاً بذاته، ولذلك المغزى السياسي، تتم مراقبة عملية إشعال النيران ومنعها و مطاردة القائمين بها من قبل أجهزة الشرطة

والأمن في البلاد المعنية)، وبهذه النقول، نتأكد أن الأقوال التي تروج لها دائماً هي لاتمت إلى الشريعة بصله، إنما هي أغطية وأقنعة رخيصة تستخدم من قبل الأعداء ليس الا. وجاء في موقع (د. عبد الله بن بيه) (اليوم الوطني ليس عيداً، والأعياد التي لا يجوز إحداثها هي الأعياد الدينية وليست التجمعات التي يتجمع الناس بها لسبب أو لآخر، قد يحتفلون بالزواج وقد يحتفلون بالولادة، وقد يحتفلون بأي شئ فهذا ليس من الأعياد الدينية، لهذا يجب أن نزيل هذا الوهم، وهذه الشبهة التي يتعلق بها كثير من الناس، فيدخلون على الناس حرجاً وشغباً في دينهم، بحيث يصبح المتدين أو الملتزم في حرج يشعر وكأنه يأتي كبيرة ويأتي منكراً، هذا ليس بمنكر، فالأصل في الأشياء الإباحة. فقد أجاز الحنابلة- رحمهم الله تعالى- العتيرة وهي ذبيحة كان أهل الجاهلية يعملونها في رجب كرهها المالكية باعتبار أنها كانت فعل الجاهلية ولكن الحنابلة أجازوها؛ لأنه لا يوجد نص يمنع ذلك. أهل الجاهلية كانوا في رجب يذبحون ذبيحة اسمها الرجبية، واسمها العتيرة، فبعض العلماء يري أن هذا باق على أصل الجواز، فإذا اجتمع الناس وذبحوا ذبيحة في رجب أو في شعبان أو في أي زمن فهذا لا مانع منه أن يحتفل الناس أو يفرحوا بحدث زوال الاستعمار في بلد مثلاً، هذا ما يسمى باليوم الوطني غالباً عندنا في أفريقيا، أو في البلاد التي كانت مستعمرة، فالأمر إن شاء الله لا حرج فيه. أما أن نتشبه: بأن أبدلنا الله عيدين، هذه أعياد كانت للأئصار وكانت أعياد جاهلية وأصنام، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) ذكر أن أعياد الإسلام الدينية عيدان عيد الفطر وعيد الأضحى، وهذا لا يفهم منه أنه يمنع أن يتجمع الناس في تجمع حتى ولو كان كرهه المرء ورأى أنه إذا لم يكن هناك منكر فلا داعي إلى التشويش على الناس، وإثارة بعض الفتن والخصومات في أمور ليست ممنوعة، نصاً من كتاب أو سنة، ولا إجماعاً للعلماء ولا اتفاقاً داخل المذاهب؛ لأن التيسير في مثل هذه الأمور التي لا حرج فيها قطعاً، والأقوال التي تقول تحرج لا تستند إلى قاطع وهي أقوال ضعيفة، فلا مانع من أن نفسح للناس المجال وأن نيسر لهم، فاليسر أصل من أصول هذا الدين: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) الحج: ٧٨. (يريد الله أن يخفف عنكم النساء: ٢٨. (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) الشرح: ٥-٦. (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا) رواه البخاري (٦٩). ومسلم (١٧٣٤)١.

١. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٨٣ في ١٧ آذار ٢٠١٠ ص ٢٢.

حكمة تحريم لحم الخنزير

هذه مسألة فقهية تعبدية، كثيرا ما يوجه السؤال حولها، فأحببت أن أنقل إليكم ما اطلعت عليه عبر موقع طريق الاسلام، حيث فيه: (الحمد لله: أولا: لقد حرم ربنا جل وعلا أكل الخنزير تحريما قطعيا، قال تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ) الأنعام/١٤٥).

ومن رحمة الله تعالى بنا، وتيسيره علينا، أنه أباح لنا أكل الطيبات، ولم يحرم علينا إلا الخبائث، قال تعالى: (وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) الأعراف/١٥٧. فنحن لا نشك لحظة في أن الخنزير حيوان خبيث قذر، فإن أكله مضر بالإنسان، ثم هو يعيش على الأوساخ والقاذورات، وهو ما تأباه النفس السوية وتعافه وترفض تناوله، لما فيه من إخلال بطبع الإنسان ومزاجه السوي الذي خلقه الله عز وجل فيه. ثانيا: وأما أضرار أكل الخنزير على جسم الإنسان، فقد أثبت الطب الحديث جملة منها:

- ١- يعد لحم الخنزير من أكثر أنواع اللحوم الحيوانية التي تحتوي مادة الكوليسترول الدهنية، والتي تقترن زيادتها في دم الإنسان بزيادة فرص الإصابة بتصلب الشرايين. كما أن تركيب الأحماض الدهنية في لحم الخنزير تركيب شاذ غريب يختلف عن تركيب الأحماض الدهنية في الأغذية الأخرى، مما يجعل امتصاصها أسهل بكثير من غيرها في الأغذية الأخرى وبالتالي زيادة كوليسترول الدم.
- ٢- يسهم لحم الخنزير ودهنه في انتشار سرطان القولون والمستقيم والبروستاتا والثدي والدم.
- ٣- يسبب لحم الخنزير ودهنه الإصابة بالسمنة وأمراضها التي يصعب معالجتها.
- ٤- يسبب تناول لحم الخنزير الحكة والحساسية وقرحة المعدة.

هـ - يسبب تناول لحم الخنزير الإصابة بالتهابات الرئة والناجمة عن الدودة الشريطية ودودة الرئة والتهابات الرئة الميكروبية.

وتتمثل أهم مخاطر تناول لحم الخنزير في احتوائه على الدودة الشريطية وتسمى تينياسوليم التي يصل طولها إلى ٢-٣ أمتار.

ويؤدي نمو بويضات هذه الدودة في جسم الإنسان فيما بعد إلى الإصابة بالجنون والهستيريا في حال نموها في منطقة الدماغ، وإذا ما نمت في منطقة القلب فإنها تؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم وحدوث نوبات قلبية، ومن أنواع الديدان الأخرى الموجودة في لحم الخنزير دودة التريكانبلا الشعرية الحلزونية المقاومة للطبخ والتي قد يؤدي نموها في الجسم إلى الإصابة بالشلل والطفح الجلدي.

ويؤكد الأطباء أن أمراض الديدان الشريطية تعتبر من الأمراض الخطيرة التي تنجم عن تناول لحم الخنزير، وتتطور في الأمعاء الدقيقة عند الإنسان، وتنضج خلال شهور عدة لتصل إلى دودة بالغة، يتألف جسمها من زهاء ألف قطعة، ويصل طولها إلى ما بين ٤ - ١٠ أمتار، وتعيش وحيدة في أمعاء الإنسان المصاب ويخرج بيضه مع البراز.

وعندما تبتلع الخنازير البيض وتهضمه، يدخل إلى الأنسجة والعضلات مشكلاً الكيسة المذنبة أو اليرقة، وهي كيس يحتوي على سائل وعلى رأس الدودة الشريطية. وعند تناول لحم الخنزير المصاب تتحول اليرقة إلى دودة كاملة في أمعاء الإنسان، وتسبب هذه الديدان ضعف الإنسان، ونقص فيتامين (ب١٢)، الذي يسبب نوعاً خاصاً من فقر الدم، وقد يسبب حدوث أعراض عصبية مثل التهاب الأعصاب، وقد تصل اليرقات في بعض الحالات إلى الدماغ مسببة حدوث الاختلاج، أو ارتفاع الضغط داخل الدماغ، وما يتلوه من صداع، واختلاج، أو حتى حدوث الشلل. ويسبب تناول لحم الخنزير غير المطبوخ جيداً أيضاً الإصابة بالديدان الشعرينية، وعندما تصل هذه الطفيليات إلى الأمعاء الدقيقة تخرج يرقات كثيرة بعد ٤ إلى ٥ أيام لتدخل إلى جدار الأمعاء، وتصل إلى الدم ومنه إلى معظم أنسجة الجسم، وتمر اليرقات إلى العضلات وتشكل كيسات هناك. ويعاني المريض من آلام عضلية شديدة، وقد يتطور المرض إلى حدوث التهاب السحايا، والدماغ، والتهاب عضلة القلب والرئة، والكليتين، والأعصاب، وقد يكون المرض مميتاً في حالات قليلة.

ومن المعروف أن هناك أيضا بعض الأمراض الخاصة بالبشر، لا يشاركون فيها من الحيوانات إلا الخنزير، ومن ذلك الروماتيزم، وآلام المفاصل، وصدق الله العظيم إذ يقول: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) البقرة/١٣٧.

فهذه بعض أضرار أكل الخنزير، ولعلك بعد الوقوف عليها لا تستررب في تحريمه، وإننا لنأمل أن يكون ذلك الخطوة الأولى لهدايتك إلى الدين الحق، فلتقف، ولتبحث، ولتنتظر، ولتتأمل، بعدل وإنصاف وتجرد لمعرفة الحق واتباعه واسأل الله تعالى أن يهديك لما فيه خير لك في الدنيا والآخرة.

على أننا لو لم نعلم في أكل الخنزير مضرة ولا أذى، فهذا لا يغير من إيماننا بتحريمه شيئا، ولا يضعف من تركنا له، ولتعلم أن آدم عليه السلام إنما أخرج من الجنة لأجل أكلة أكلها من الشجرة التي نهاه الله عنها، وما علمنا عن تلك الشجرة شيئا، ولا كان آدم في حاجة إلى أن يبحث في سبب تحريم الأكل منها، بل كان يكفي، كما هو يكفينا ويكفي كل مؤمن، أن يعلم أن الله حرم هذا. وانظر حول بعض الأضرار المترتبة على أكل لحم الخنزير: أبحاث المؤتمر العالمي الرابع عن الطب الإسلامي، ط الكويت، ٧٣١ وما بعدها)، وأيضا: الوقاية الصحية في ضوء الكتاب والسنة، لؤلؤة بنت صالح، ٦٣٥ وما بعدها).

والخنزير محرم أيضا في العهد القديم الذي هو شطر الكتاب المقدس: (لا تأكل رجسا ما؛ هذه البهائم التي تأكلونها... والخنزير لأنه يشق الظلف، لكنه لا يجتر، فهو نجس لكم، فمن لحمها لا تأكلوا، وجثثها لا تلمسوا) سفر التثنية ١٤/٣-٨ ونحوه في سفر اللاويين ١١/٨-٨).

و تحريم الخنزير على اليهود لا يحتاج إلى أن ننقل دليلا عليه، ومن يشك في ذلك، فليسأل القوم ليخبروه لكن الذي نزن أن ما نحتاج إلى التنبيه عليه هو بعض ما جاء في الكتاب المقدس أيضا، لكن في عهده الجديد الذي يقول: إن أحكام التوراة ثابتة، لا يمكن أن تتغير؛ وفيها أن المسيح قال: (لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس، أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل؛ فأني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف أو نقطة واحدة من الناموس، حتى يكون الكل) متى ٥/١٧-١٨.

ومع أننا لا نحتاج مع هذا النص إلى أن نبحت عن حكم آخر للخنزير في العهد الجديد، فإننا نزيدكم هنا نصاً آخر قاطعاً في نجاسة الخنزير وخبثه: (وكان هناك عند الجبال قطع كبير من الخنازير يرعى. فطلب إليه كلُّ الشياطين قائلين: أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها. فأذن لهم يسوع للوقت، فخرجت الأرواح النجسة، ودخلت في الخنازير) إنجيل مرقس ٥/١١-١٣. وانظر نصوصاً أخرى في استقذار الخنازير، واحتقار من يقوم برعيها) متي ٦٧، رسالة بطرس الرسول الثانية ٢/٢٢ لوقا ١٥/١١-١٥.

ولعل هناك من يقول: هذا نسخ، فقد قال بطرس، أو قال بولس؟! وهكذا يبديل كلام الله، وتنسخ التوراة، وينسخ كلام المسيح الذي أكد لكم أنه ثابت ثبوت السماء والأرض، يبديل كل هذا وينسخ بكلام بولس أو بطرس؟! فلنفرض أنه صادق، وأن تحريمه قد نسخ حقيقة، فما تنكرون أن يكون حراماً في الإسلام كما كان عندكم أول مرة؟! ثالثاً: وأما قول: إذا كان أكله محرماً، فلماذا خلق الله الخنزير إذاً، فلا نحسبك جاداً فيه، وإلا فإننا نسألك لماذا خلق الله كذا وكذا من الأشياء المؤذية، أو المستقذرة، بل نسألك لماذا خلق الله الشيطان؟! أليس من حق الخالق أن يأمر عباده بما يشاء، ويحكم فيهم بما يريد، لا معقب لحكمه سبحانه، ولا مبدل لكلماته؟، أليس من واجب المخلوق العابد أن يقول لربه، كلما أمره بشيء: سمعنا وأطعنا؟ (قد يلذ لكم مذاقه، ويستهوكم أكله، ويتمتع به من حولك، لكن ألا تستحق الجنة منك أن تضحي ببعض ما تشتتبه نفسك؟)١ .

١. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٨ ص ٣١ آذار ٢٠١٠ ص ٣٢ .

شهادة امرأتين مقام شهادة رجل

وأنا اتصفح موقعا من مواقع الفتاوى الإسلامية استوقفني سؤال موجه حول شهادة امرأتين مقام شهادة رجل، وهو سؤال محير إلى حد ما، فاحببت أن أشرككم في الاستفادة منه، وأنقله لكم كما ورد في الموقع:

السؤال: هل تساوي شهادة المرأتين شهادة الرجل الواحد في كل الأحوال؟ وإذا كانت كذلك: فكيف سيعاقب المجرم إذا كان الشاهد على الجريمة امرأة واحدة أو أربع شاهدات في الزنا؟ وماذا عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) والتي روت الكثير من الأحاديث المتعلقة بالعلاقات الزوجية؟ على عهدها دون التثبت من أي راو آخر.

الجواب: الحمد لله:

أولاً:

أ- قصر جمهور الفقهاء قبول المرأتين بدلاً من رجل على الشهادة على ما هو مال أو بمعنى المال، كالبيع، والإقالة، والحوالة، والضمان، والحقوق المالية، كاشتراط الخيار في البيع أو الأجل... ونحو ذلك.

ب- وأضاف إليه الحنفية: شهادتهما على النكاح والطلاق والنسب.

قال ابن حجر (رحمه الله): وقول الله تعالى: (فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ) البقرة ٢٨٢.

(قال ابن المنذر: أجمع العلماء على القول بظاهر هذه الآية، فأجازوا شهادة النساء مع الرجال، وخص الجمهور ذلك بالديون والأموال، وقالوا: لا تجوز شهادتهن في الحدود والقصاص، واختلفوا في النكاح والطلاق والنسب والولاء فمنعها الجمهور، وأجازها الكوفيون) فتح الباري ٥ / ٢٦٦).

مع التنبيه على أن مذهب الحنفية ورواية عن أحمد أن لا تكون الشهادة كلها من نساء، بل يشترطون وجود رجل فيها. قال ابن قدامة (رحمه الله): وعن أحمد أنه قال:

(إذا تزوج بشهادة نسوة: لم يجز، وإن كان معهن رجل: فهو أهون)، فيحتمل أن هذا رواية أخرى في انعقاده بذلك، وهو قول أصحاب الرأي، ويروي عن الشعبي؛ لأنه عقد معاوضة، فانعقد بشهادتهن مع الرجال كالبيع (٣٣٧ / ٧).

وفي (الموسوعة الفقهية) (٢٦ / ٢٢٧): وقال الحنفية: ما يقبل فيه شاهدان، أو شاهد وامرأتان: هو ما سوي الحدود والقصاص سواء أكان الحق ما لا أم غير مال، كالنكاح والطلاق والعتاق والوكالة والوصاية).

ج- وأكثر أئمة العلم - ومنهم الأئمة الأربعة - على عدم قبول شهادة النساء في الحدود، فلا تقوم المرأتان مقام الرجل، وخالف فيه الظاهرية، فقالوا: إن شهادة المرأتين تقوم مقام شهادة الرجل في كل شيء، واختار هذا القول الشيخ عبد الرحمن السعدي (رحمه الله).

وانظر: (المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد السعدي) (٤ / ١٨٨، ١٨٩).

جاء في (الموسوعة الفقهية): (٢٤ / ٣٧): (ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة) إلى اشتراط الذكورة في شهود الزنى، فلا بد أن يكونوا رجالاً كلهم، للنصوص السابقة. ولا تقبل شهادة النساء في الزنى بحال؛ لأن لفظ الأربعة اسم لعدد المذكورين، ويقتضي أن يكتفي به بأربعة، ولا خلاف في أن الأربعة إذا كان بعضهم نساء لا يكتفي بهم، وأن أقل ما يجزئ خمسة، وهذا خلاف النص:

(أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) البقرة/ ٢٨٢.

والحدود تدرأ بالشبهات. وقال ابن عابدين: لا مدخل لشهادة النساء في الحدود). واختار الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله): أن المرأتين تقومان مقام الرجل في كل شيء إلا في الحدود، وهو مذهب الحنفية، وهو رواية عن الإمام أحمد اختارها بعض أصحابه. قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله): (وقال بعض أهل العلم: بل إن المرأتين تقومان مقام الرجل إلا في الحدود؛ من أجل الاحتياط لها، واستدل هؤلاء بعموم قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ) - متفق عليه - وأطلق ولم يفصل، ثم إن الله تعالى ذكر العلة في اشتراط العدد في النساء، وهي: أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، ولم يذكر أن العلة المال، بل العلة: أن تقوي المرأة بالمرأة فتذكرها إذا نسيت، وهذا يكون في الشهادة في الأموال وفي غير الأموال، إلا ما سلك فيه طريق الاحتياط، ويكون كذلك في المرأة معها

رجل أو ليس معها رجل، وهذا القول هو الراجح، فالقول الصحيح: أن المرأتين تقومان مقام الرجل مطلقاً، إلا في الحدود؛ للاحتياط لها؛ لقوله تعالى: (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ) النور / ٤.

فهو نص صريح في وجوب الذكورية). (الشرح الممتع على زاد المستقنع) (١٥ / ٤٥٣). وانظر جوابي السؤالين: (١١٤٨٧٧) و (٢٠٠٥١).

ثانياً: أما قول الأخ السائل (فكيف يعاقب المجرم إذا كان الشاهد على الجريمة امرأة واحدة أو أربع شهادات على الزنى؟) فالجواب عليه: أن هذا مثل: إذا شهد رجل واحد على آخر بالقتل، ومثل: شهادة ثلاثة رجال على آخر بالزنى، فكيف يعاقب المشهود عليهم؟ بل في الحالة الثانية يعاقب المشهود الثلاثة بحد القذف، فما دام العدد المطلوب في الشهادة لم يتم فلا تثبت الجريمة على المتهم، فلا عقاب عليه، والإسلام ليس متشوقاً إلى عقاب الناس وقتلهم، ومن القواعد المتفق عليها بين أهل العلم (أن الحدود تدرأ بالشبهات)، فلا يحتاط بإقامة الحد، بل يحتاط بعدم إقامته. ويكفي وجود العقوبة وتنفيذها في بعض الحالات الضيقة حتى تردع العصاة^١.

ثالثاً: قول الأخ السائل: وماذا عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) والتي روت الكثير من الأحاديث على عهدتها دون التثبت من أي راوٍ آخر: فهناك فرق بين الرواية والشهادة. قال الإمام الشافعي (رحمه الله): قد يخالف الشهادات في أشياء ويجمعها في غيرها.

قلت: وأين يخالفها؟ قلت: أقبل في الحديث: الواحد، والمرأة، ولا أقبل واحداً منهما وحده في الشهادة، وأقبل في الحديث: حدثني فلان عن فلان إذا لم يكن مدلساً، ولا أقبل في الشهادة إلا: سمعت، أو رأيت أو أشهدني) الرسالة (ص ٣٧٢، ٣٧٣).

وقال الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني (رحمه الله): (إن عماد الرواية الصدق ومعقول أن يشدد فيها فيما يتعلق به ما لم يشدد في الشهادة وقد خفف في الرواية في غير ذلك ما لم يخفف في الشهادة، تقوم الحجة بخبر الثقة ولو واحداً أو عبداً أو امرأة) التنكيل بما في تآنيب الكوثري من الأباطيل (١ / ٢١٨).

بل ذكر السيوطي (رحمه الله) أكثر من عشرين فرقاً بين الشهادة والرواية.

١. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٨ في نيسان ٢٠١٠ ص ٣٢.

ومما قاله (رحمه الله): وأما الأحكام التي يفترقان فيها (أي: الشهادة والرواية) فكثيرة، لم أر من تعرض لجمعها، وأنا أذكر منها ما تيسر:

الأول: العدد، لا يشترط في الرواية بخلاف الشهادة، وقد ذكر ابن عبد السلام في مناسبة ذلك أموراً:

١- أن الغالب من المسلمين مهابة الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخلاف شهادة الزور.

٢- أنه قد ينفرد بالحديث راو واحد فلو لم يقبل لفات على أهل الإسلام تلك المصلحة بخلاف فوت حق واحد على شخص واحد.

٣- أن بين كثير من المسلمين عداوات تحملهم على شهادة الزور بخلاف الرواية عنه (صلى الله عليه وسلم).

الثاني: لا تشترط الذكورية فيها مطلقاً، بخلاف الشهادة في بعض المواضع.

الثالث: لا تشترط الحرية فيها، بخلاف الشهادة مطلقاً... إلخ) تدريب الراوي (١) /

(٣٣٢).

وقد سئل علماء اللجنة الدائمة للإفتاء سؤالاً مطابقاً لسؤالك، فننقل السؤال والجواب لفائدته. السؤال: لماذا نسلم بقبول رواية امرأة واحدة للحديث مع أننا في الشهادة في الحالات العادية نطبق قول الله عز وجل: (فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) البقرة/٢٨٢)،

وفي علم الحديث يُطلب التثبت أكثر، وخاصة أن هناك أحاديث كثيرة جداً في الصحيحين عن عائشة، فهل يعتمد مثلاً قول ابن حجر في تجريح رجل ولا يؤخذ قول الله عز وجل: (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا).

نسأل الله عز وجل أن يوفقكم في الرد الشافي على هذا الموضوع الذي يراودني دائماً ولا أحدث به أحداً؟.

فأجابوا:

أولاً: الصحيح أنه لا يشترط في قبول الرواية العدد، بل يكفي في أداء الحديث وقبوله: واحد، سواء كان رجلاً أم امرأة، إذا كان عدلاً ضابطاً مع اتصال السند وعدم الشذوذ والعلّة القادحة؛ لاكتفاء النبي (صلى الله عليه وسلم)، في البلاغ بإرسال واحد

كمعاذ بن جبل إلى اليمن، ودحية الكلبي بكتابه إلى هرقل، ونحو ذلك، وكعلی بن أبي طالب إلى مكة في السنة التاسعة من الهجرة لينادي الناس في موسم الحج ألا يحج بعد العام مشرك وألا يطوف بالبيت عريان، وأما النساء: فقد أمر الله تعالى نساء النبي (صلى الله عليه وسلم)، أن يبلغن ما يُتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة، فقال تعالى:

(وَأَنْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)

الأحزاب/ ٣٤.

ولولا قبول روايتهن للقرآن والسنة لما أمرهن بالبلاغ، وقد كانت إحداهن تشترك أحياناً مع أخرى في البلاغ، وتنفرد به أحياناً، كما هو واضح لمن تتبع الروايات عنهن، ولم يُنكر ذلك أحدٌ عليهن، ولا على من أخذ عنهن في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولا في عهد أصحابه (رضي الله عنهم)، فكان قبول الرواية عنهن وعن إحداهن ثابتاً بالكتاب وإقرار النبي (صلى الله عليه وسلم) وإجماع صحابته (رضي الله عنهم)، واستمر على ذلك العمل في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي (صلى الله عليه وسلم)، بالخير وفيما بعدها، بل أجمع الصحابة (رضي الله عنهم)، ومن بعدهم على قبول رواية المرأة مطلقاً، منفردة، ومشاركة مع غيرها كالرجل، إذا توفر فيها شروط القبول.

ثانياً: ليست الشهادة والرواية على حدٍ سواء من كل وجه، بل تفترقان في أمور منها: أن الرواية إخبار عن أمر عام للراوي وغيره لا ترفع فيه إلى الحكام، بخلاف الشهادة فإنها في قضايا عينية تخص المشهود عليه وله، يترافع في مثلها إلى الحكام غالباً. ومنها: أن الرواية لا يشترط في قبولها العدد كما تقدم، بخلاف الشهادة فقد يشترط فيها أربعة من الرجال كما في حد الزنا والقذف، وقد يشترط رجلان كما في القتل عمداً، وقد يكتفي برجل وامرأتين كما في الحقوق المالية، وقد يُكتفي بامرأة واحدة، كقول المرضعة في ثبوت الرضاع. ومنها: أن الشهادة لكونها خاصة بالمشهود عليه والمشهود له لا تتعداهما إلا بالتبعية المحضة ردت بالقرابة والعداوة وتطرق التهم، بخلاف الرواية فإنها يكفي فيها ما يغلب على الظن صدق المخبر من العدالة والضبط، سواء كان الراوي رجلاً أم امرأة، واحداً أم أكثر. ومنها: أن بين كثير من المسلمين عداوة قد تحمله على شهادة الزور، بخلاف الرواية عنه (صلى الله عليه وسلم).

قال ابن القيم في الجزء الأول من: بدائع الفوائد: الفرق بين الشهادة والرواية: أن

الرواية يعم حكمها الراوي وغيره على مر الزمان، والشهادة تخص المشهود عليه وله ولا تتعداهما إلا بطريق التبعية المحضة، فالزام المعين يتوقع منه العداوة وحق المنفعة والتهمة الموجبة للرد، فاحتيط لها بالعدد والذكورية، وردت بالقرابة والعداوة وتطرق التهم، ولم يُفعل مثل هذا في الرواية التي يعم حكمها ولا يخص، فلم يشترط فيها عدد ولا ذكورية، بل اشترط فيها ما يكون مغلباً على الظن صدق المخبر، وهو العدالة المانعة من الكذب، واليقظة المانعة من غلبة السهو والتخليط، ولما كان النساء ناقصات عقل ودين: لم يكن من أهل الشهادة، فإذا دعت الحاجة إلى ذلك: قويت المرأة بمثلها؛ لأنه حينئذ أبعد من سهوها وغلطها لتذكير صاحببتها لها. اهـ.

ثالثاً: الذين قاموا بنقد رواية أحاديث دواوين السنة ودواوين السيرة والتاريخ تعديلاً وجرحاً جماعة من أئمة الحديث معروفون، لهم بصيرة ثاقبة في ذلك، عاصروا من نقدوهم وحكموا فيهم بما عرفوا عنهم، ولم يفرقوا في منهج نقدهم بين رجل وامرأة، بل هما سواء لديهم في الجرح والتعديل، أما من جاء بعدهم ممن لم يعاصر أولئك الرواة كابن حجر العسقلاني (رحمه الله): فإن شأنه مع أولئك الرواة نقل أقوال من عاصروهم من الأئمة فيهم، ومناقشة سندها إليهم، والترجيح بينها إذا تعارضت، ونحو ذلك، تعديلهم أو تجريحهم؛ لعدم معاصرته إياهم) الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الشيخ عبد الله بن غديان، الشيخ عبد الله بن قعود) فتاوى اللجنة الدائمة (٤ / ٣٦٠ - ٣٦٤). والله أعلم. تم نقل هذا الفتوى من موقع: (الإسلام سؤال وجواب، فتوى رقم ١٤٥٢٨٨)٢.

٢. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٨٦ في ١٤ نيسان ٢٠١٠ ص ٣٢.

الفروقات بين النكاح الشرعي و الميسار و بنية الطلاق و النكاح العرفي و نكاح المتعة

وأنا أتتبع المواقع الاسلامية للاستزادة من العلم فإذا بعيني تقعان على موقع: مكتبة مسجد المدينة المنورة، حيث وجدت فيه، دراسة وتبياناً للفروقات بين النكاح الشرعي وبين الأنكحة (الميسار) و (بنية الطلاق) و (النكاح العرفي) و (نكاح المتعة) كتبها الشيخ عثمان الخميس حفظه الله.

١- المُدَّة:

- ٠١ النكاح الشرعي: غير محدد بمدة.
 - ٠٢ المِيسار: غير محدد بمدة.
 - ٠٣ بنية الطلاق: غير محدد بمدة.
 - ٠٤ النكاح العُرفي: غير محدد بمدة.
 - ٠٥ نكاح المُتعة: محدد بمدة، ويجوز ولو على عردٍ واحد.
- (عن زُرارة قال: قلتُ للإمام: هل يجوز أن يتمتع الرجل بالمرأة ساعة أو ساعتين؟ قال: لا، ولكن العرد والعردين اليوم واليومين) الكافي ٥ / ٤٥٩ (العرد هو الجماع).

٢- الطلاق:

- ٠١ النكاح الشرعي: فيه طلاق.
 - ٠٢ المِيسار: فيه طلاق.
 - ٠٣ بنية الطلاق: فيه طلاق.
 - ٠٤ النكاح العُرفي: فيه طلاق.
 - ٠٥ نكاح المُتعة: ليس فيه طلاق.
- (عن أبي جعفر قال: لا تُطَلَّق الكافي ٥ / ٤٥١).

٣- الولي:

- ٠١ النكاح الشرعي: يُشترط الولي.
 - ٠٢ المِسيار: يُشترط الولي.
 - ٠٣ بنية الطلاق: يُشترط الولي.
 - ٠٤ النكاح العُرُفي: يُشترط الولي.
 - ٠٥ نكاح المُتعة: لا يُشترط.
- (قال أبو عبد الله: لا بأس يتزوج البكر إذا رضيت من غير إذن أبيها) مستدرک الوسائل ٤، ٤٥٩.

٤- عدد الزوجات:

- ٠١ النكاح الشرعي: لا يتجاوز الأربع.
 - ٠٢ المِسيار: لا يتجاوز الأربع.
 - ٠٣ بنية الطلاق: لا يتجاوز الأربع.
 - ٠٤ النكاح العُرُفي: لا يتجاوز الأربع.
 - ٠٥ نكاح المُتعة: مفتوح إلى الألف.
- (عن أبي عبد الله قال: تزوج منهنّ ألفاً، فإنهنّ مستأجرات) الكافي للكليني ٥ / ٤٥٢.

٥- الشهود:

- ٠١ النكاح الشرعي: يُشترط الشهود.
 - ٠٢ المِسيار: يُشترط الشهود.
 - ٠٣ بنية الطلاق: يُشترط الشهود.
 - ٠٤ النكاح العُرُفي: يُشترط الشهود.
 - ٠٥ نكاح المُتعة: لا يُشترط الشهود.
- (عن أبي عبد الله قال: يتزوج منهنّ ما شاء بغير ولي ولا شهود) الوسائل (٢١/٦٤)

٦- الحصانة:

- ٠١ النكاح الشرعي: يُحصن الرجل والمرأة ويعفهما.
- ٠٢ المِسيار: يُحصن الرجل والمرأة ويعفهما.

٠٣. بنية الطلاق: يُحصن الرجل والمرأة ويعفهما.
٠٤. النكاح العرفي: يُحصن الرجل والمرأة ويعفهما.
٠٥. نكاح المتعة: لا يُحصن.
- (سئل موسى الكاظم (س): إن كانت امرأة متعة تُحصن؟ قال: لا إنما هو على الشئ الدائم) الوسائل ٢٨ / ٦٩.
- ٧- التوثيق:

٠١. النكاح الشرعي: يوثق.
٠٢. المسيار: يوثق.
٠٣. بنية الطلاق: يوثق.
٠٤. النكاح العرفي: لا يوثق مدنياً.
٠٥. نكاح المتعة: لا يوثق.
- (سئل موسى بن جعفر: هل يتزوج المرأة بغير بيعة قال: إن كانا مسلمين مأمونين فلا بأس) الوسائل ٢١ / ٦٥
- ٨- الدوام:

٠١. النكاح الشرعي: مبني على الدوام.
٠٢. المسيار: مبني على الدوام.
٠٣. بنية الطلاق: مبني على الدوام.
٠٤. النكاح العرفي: مبني على الدوام.
٠٥. نكاح المتعة: غير مبني على الدوام، لأنه نكاح منقطع.
- ٩- السكنى:

٠١. النكاح الشرعي: لها السكنى.
٠٢. المسيار: لها السكنى إلا إذا تنازلت ولا يسقط حقها.
٠٣. بنية الطلاق: لها السكنى.
٠٤. النكاح العرفي: لها السكنى.
٠٥. نكاح المتعة: ليس لها سكنى. ولذلك تجوز على عرد واحد.

١٠- العدل:

١. النكاح الشرعي: يُشترط العدل بين الزوجات.
 ٢. المِسيار: يُشترط العدل إلا إذا تنازلت.
 ٣. بنية الطلاق: يُشترط العدل بين الزوجات.
 ٤. النكاح العُرُفي: يُشترط العدل بين الزوجات.
 ٥. نكاح المُتعة: لا يُشترط، لأنها مستأجرة ولا حق لها.
- ١١- إنشاء أسرة:

١. النكاح الشرعي: يهدف إلى إنشاء أسرة.
 ٢. المِسيار: يهدف إلى إنشاء أسرة.
 ٣. بنية الطلاق: لا يهدف إلى إنشاء أسرة.
 ٤. النكاح العُرُفي: يهدف إلى إنشاء أسرة.
 ٥. نكاح المُتعة: لا يهدف إلى إنشاء أسرة.
- (لأن الغرض من المتعة هو إشباع الغريزة الجنسية فقط باسم الزواج!!!).
- ١٢- المهر:

١. النكاح الشرعي: يجب فيه المهر.
 ٢. المِسيار: يجب فيه المهر.
 ٣. بنية الطلاق: يجب فيه المهر.
 ٤. النكاح العُرُفي: يجب فيه المهر.
 ٥. نكاح المُتعة: فيه أجرة.
- (عن أبي عبد الله قال: إنهن مستأجرات) الكافي ٥ / ٤٥٢).

١٣- استحقاق المهر:

١. النكاح الشرعي: تستحق المهر بالعقد.
٢. المِسيار: تستحق المهر بالعقد.
٣. بنية الطلاق: تستحق المهر بالعقد.
٤. النكاح العُرُفي: تستحق المهر بالعقد.

٥٠ . نكاح المتعة: إذا غابت يخصم عليها، فيحبس عنها مهرها.
(عن أبي عبد الله قال: يحبس عليها بمقدار ما لم تف له ما خلا أيام الطمث - يعني
الحيض) الكافي ٥ / ٤٦١).

١٤- نفقة العدة:

١٠١. النكاح الشرعي: لها نفقة أثناء العدة.
 ١٠٢. المسيار: لها نفقة أثناء العدة.
 ١٠٣. بنية الطلاق: لها نفقة أثناء العدة.
 ١٠٤. النكاح العرفي: لها نفقة أثناء العدة.
 ١٠٥. نكاح المتعة: ليس لها نفقة.
- (عن أبي عبد الله قال: لا نفقة لها) الوسائل ٢١ / ٧٩).

١٥- عدة الطلاق:

١٠١. النكاح الشرعي: عدتها ثلاثة قروء أو ثلاثة أشهر.
 ١٠٢. المسيار: عدتها ثلاثة قروء أو ثلاثة أشهر.
 ١٠٣. بنية الطلاق: عدتها ثلاثة قروء أو ثلاثة أشهر.
 ١٠٤. النكاح العرفي: عدتها ثلاثة قروء أو ثلاثة أشهر.
 ١٠٥. نكاح المتعة: حيضتان أو ٤٥ يوماً.
- (عن أبي جعفر قال: عدة المتعة ٤٥ يوماً أو حيضتان) الكافي للكليني ٥ / ٤٥٨).

١٦- الزواج بالزانية:

١٠١. النكاح الشرعي: لا يجوز أن يتزوج الزانية.
١٠٢. المسيار: لا يجوز أن يتزوج الزانية.
١٠٣. بنية الطلاق: لا يجوز أن يتزوج الزانية.
١٠٤. النكاح العرفي: لا يجوز أن يتزوج الزانية.
١٠٥. نكاح المتعة: يتزوج الزانية.

(عن إسحاق بن جرير قال: قلت لأبي عبد الله: عندنا بالكوفة امرأة معروفة
بالفجور، أيحل أن أتزوجها متعة؟ قال: رفعت راية؟ قلت: لو رفعت راية أخذها

السلطان، قال: نعم، تزوّجها متعة ولو رفعت راية) الوسائل ٢١ / ٢٩.

١٧- عدة الوفاة:

٠١. النكاح الشرعي: تعتد لوفاة زوجها.

٠٢. المسيار: تعتد لوفاة زوجها.

٠٣. بنية الطلاق: تعتد لوفاة زوجها.

٠٤. النكاح العرفي: تعتد لوفاة زوجها.

٠٥. نكاح المتعة: لا عدة عليها.

(عن أبي عبد الله قال في المتمتع بها: لا عدة لها) الوسائل ٢١ / ٧٩).

١٨- تحليل المطلقة:

٠١. النكاح الشرعي: يُحلّ المطلقة ثلاثاً لزوجها الأول.

٠٢. المسيار: يُحلّ المطلقة ثلاثاً لزوجها الأول.

٠٣. بنية الطلاق: يُحلّ المطلقة ثلاثاً لزوجها الأول.

٠٤. النكاح العرفي: يُحلّ المطلقة ثلاثاً لزوجها الأول.

٠٥. نكاح المتعة: لا يُحلّها. (سئل الباقر عن رجل طلق امرأته ثلاثاً ثم تمتع بها رجل

آخر، هل تحلّ للأول؟ قال: لا) الكافي ٥ / ٤٢٥) ولكن له أن يتمتع بها.

١٩- الميراث:

٠١. النكاح الشرعي: يتوارثان.

٠٢. المسيار: يتوارثان.

٠٣. بنية الطلاق: يتوارثان.

٠٤. النكاح العرفي: يتوارثان.

٠٥. نكاح المتعة: لا يتوارثان.

(عن أبي جعفر قال: لا ترث) الكافي للكليني ٥ / ٤٥١.

٢٠- ديانة الزوجة:

٠١. النكاح الشرعي: بالمسلمة والكتابية فقط.

٠٢. المسيار: بالمسلمة والكتابية فقط.

- ٠٣ .بنية الطلاق: بالمسلمة والكتابية فقط.
- ٠٤ .النكاح العُرفي: بالمسلمة والكتابية فقط.
- ٠٥ .نكاح المُتعة: يجوز حتى بالمجوسية.
- (عن أبي عبد الله قال: لا بأس بالرجل أن يتمتع بالمجوسية) الوسائل ٢١ / ٣٨^١

١ . تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٨٧ ص ٣٢ في ٢١/٤/٢٠١٠ .

أحكام فقهية متعلقة بالحياة الزوجية

تردني بين الفينة والأخرى، أسئلة فقهية قد تكون الإجابة عليها فيها بعض الإحراج، ربما لغيرمن يفهمون لغة الفقه وما يحكى بأن (لأحياء في الاستفتاء) وغالباً ما يلج باعثوها على أن تكون الإجابة عليها عبر الصفحة، وبما أننا كمسلمين في مثل هذه الأمور قضايانا واحدة، أحيل الإجابة على هذه الأسئلة على موقع الاسلام سؤال وجواب، حيث وجدت فيه ثلاثة أسئلة مشابهة حول:

- ٠١ حكم النظر إلى صور العورات من أجل التعلم.
- ٠٢ حكم قراءة كتب تتعلق بالجماع للمقبل على الزواج.
- ٠٣ حكم المواقع التي تفرد أقساماً للكتابة في تفاصيل العلاقة الزوجية الخاصة.

١- حكم النظر إلى صور العورات من أجل التعلم:

الجواب: الحمد لله:

أولاً: سدت الشريعة كل الأبواب المؤدية لافتتان كل واحد من الجنسين بالآخر، فأمرت بغض البصر، وحفظ الفرج، وستر العورة؛ لأن النظر للجنس الآخر وخاصة مكان العورة مدعاة للافتتان، قال الله تعالى:

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ × وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) النور/٣٠، (٣١).

ولم تبح الشريعة النظر إلى العورة المغلظة إلا عند وجود الحاجة الملحة الداعية إلى ذلك كالعلاج، والختان، ونحوهما. جاء في "الموسوعة الفقهية" (١٩/١٤):

(لَا خِلَافَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي أَنَّ النَّظَرَ إِلَى عَوْرَةِ الْغَيْرِ حَرَامٌ مَا عَدَا نَظَرَ الزَّوْجَيْنِ كُلِّ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ. فَلَا يَجِلُّ لِنَ عَدَا هُوَ إِلَى النَّظَرِ إِلَى عَوْرَةِ الْآخَرِ، مَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ ضَرُورَةٌ

تَدْعُو إِلَيْ ذَلِكَ، كَنَظَرِ الطَّبِيبِ الْمُعَالِجِ، وَمَنْ يَلِي خِدْمَةَ مَرِيضٍ أَوْ مَرِيضَةٍ فِي وُضُوءٍ أَوْ اسْتِنْجَاءٍ وَغَيْرِهِمَا، وَكَقَابِلَةٍ، فَإِنَّهُ يَبَاحُ لَهُمُ النَّظْرُ إِلَى مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَّةُ مِنَ الْعُورَةِ، وَعِنْدَ الْحَاجَّةِ الدَّاعِيَةِ إِلَيْهِ، كُضْرُورَةُ التَّدَاوِيِّ وَالتَّمْرِيضِ وَغَيْرِهِمَا، إِذْ الضَّرُورَاتُ تُبِيحُ الْمُحْظُورَاتِ، وَتَنْزِلُ الْحَاجَّةُ مَنْزِلَةَ الضَّرُورَةِ، ثُمَّ النَّظْرُ مُقَيَّدٌ بِقَدْرِ الْحَاجَّةِ؛ لِأَنَّ مَا أُبِيحَ لِلضَّرُورَةِ يُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا. انتهى.

ثانياً: النظر إلى الصورة - سواء كانت صورة حقيقة أم مرسومة باليد - تأخذ حكم النظر إلى الأصل، لما يترتب على هذا النظر من فتنة وإثارة للشهوة. ومجرد أخذ المعلومات ليس مبرراً مباحاً لهذا الأمر، اللهم إلا أن يكون طالب علم يحتاج لذلك في دراسته وتخصصه، فيرخص له بمقدار الحاجة. والنظر للورة المغلظة أشد من غيرها؛ فلا يرخص فيها إلا للضرورة أو الحاجة الماسة. قال النووي:

(أصل الحاجة كافٍ في النظر إلى الوجه واليدين، وفي النظر إلى سائر الأعضاء يعتبر تأكد الحاجة... وفي النظر إلى السواتين يعتبر مزيد تأكد). انتهى (روضة الطالبين) (٣٠/٧).

وأما مجرد أخذ المعلومات بالقراءة المجردة من غير نظر للصور أو بعد طمسها فليس هناك ما يمنع منه شرعاً، على أن تكون كتابات علمية موثوقة بعيدة عن الإثارة وتهييح الغرائز. والله أعلم.

٢- حكم قراءة كتب تتعلق بالجماع للمقبل على الزواج:

- الجواب: الحمد لله، في قراءة الكتب التي تعلم كيفية الجماع عدة محاذير، ومنها:
- ٠١ أنها قد تثير الشهوة عندك، ولا تجد تصريحها في الحلال، وهو محذور غير بعيد، وبخاصة لمن لا يستطيع الالتقاء بزوجه المعقود عليها.
 - ٠٢ أن أكثر هذه الكتب تعلم أوضاعاً شاذة في الجماع، فبعضها مخالف للفطرة والطبع السليم، وبعضها الآخر مخالف للشرع، كالجماع في الدبر.
 - ٠٣ أن قراءة هذه الأوضاع قد يزهّد الرجل في امرأته التي لا تحسن مثل هذه الأفعال، ويبقي قلبه متعلقاً بتلك الأوضاع وأهلها.
 - ٠٤ أن قراءة تلك الكتب قد تؤدي بك لطلب المزيد منها أو الإيضاح لبعضها فيديك شياطين الإنس والجن على كتب فيها صور، فتقع في محاذير شرعية.

٥٠ أن في قراءتها تشجيعاً على شرائها، وفي هذا إعانة على ترويجها والمزيد من الطباعات لها.

٥٦ أنه لا يؤمن عدم وقوع تلك الكتب في يد أشخاص تهيجهم على فعل الحرام، فحالك من حيث التعلم للزواج ليس كحال غيرك مما يمكن أن تقع في أيديهم. ثم أن الله سبحانه وتعالى قد جعل في فطرة كل ذكر الميل إلى الأنثى وإتيان المرأة ليس من الأشياء المعقّدة التي تحتاج إلى معلومات كثيرة بل يعرفها الشخص بالطبيعة والواقع ثم لو احتاج إلى مساعدة في هذا فطريقة تلقي مثل هذه المعلومات تكون عادة من أقرب الأقربين أو أخلص الأخوان من المتزوجين ولذلك لا داعي لهذه الكتب. ولعله يوجد غير هذا من المحاذير، لذا لا نرى لك قراءة مثل هذه الكتب، ولا يعني ذلك أنه ليس لك أن تتعلم كيفية الجماع الشرعي أو المباح، لكن ما ذكرناه هو المنع من قراءة ما يكتبه من كان بعيداً عن الشرع والذوق والفطرة السليمة. والله أعلم^١.

٣- حكم المواقع التي تفرد أقساماً للكتابة في تفاصيل العلاقة الزوجية الخاصة:

الجواب: الحمد لله:

أولاً: أمر الله تعالى الأزواج أن يعاشر كل منهما صاحبه بالمعروف، والمعاشرة الجنسية بين الأزواج تدخل في هذا الأمر، ومما لا شك فيه أن كلا الزوجين بحاجة لـ "ثقافة جنسية" تسهل عليهما الحياة الزوجية، وتقوي ما بينهما من رباط. وإنه لمن المحزن أننا نجد في هذا الأمر إفراطاً، وتفريطاً، أما الإفراط: فهو ما ينتشر في الآفاق من نشر لهذه الثقافة الجنسية بقوة، من غير حياء، ولا حشمة، فتتناولها المناهج الدراسية بالتعليم النظري، ويتناولها دعاة الفحش، والعهر، بالتطبيق العملي، وذلك من خلال تسهيل عملية اللقاء بين الجنسين بكل ما هو محرّم، ومثل هذا العلم والعمل يكون قبل الزواج بسنوات، بل إنه ليبعد كثيرين عن الزواج؛ لما يراه من متعة! من غير تحمل مسؤولية، ومن غير ارتباط بشريك واحد. وأما التفريط: فهو منع تعلم ما جاء به الشرع من الأحكام المتعلقة بذلك، وعدم معرفة ما يحتاج إليه منها؛ فربما تزوجت الفتاة وهي لا تعلم متى يحل لزوجها أن يجامعها، ومتى يحرم، وماذا يحل له منها، وماذا يحرم، وهكذا. وليعلم أن التوجيهات الشرعية في مثل هذه الأمور، تأتي في سياقات متنوعة،

١. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٨٨ ص ٣٢ في ٢٨/نيسان ٢٠١٠.

وفي مواقف متنوعة أيضا، بحسب الحاجة والمصلحة، مما يجعل الحديث عنها في سياقه الطبيعي، وحجمه المعقول، دون إفراط ولا تفريط، ومن غير أن تتحول تلك المسائل إلى شغل عام في حياة الإنسان؛ بل هي أمور مهمة ومطلوبة، لكن لها حجمها الطبيعي، وأدبها العام.

ومن أدب الشرع في تعليم ذلك والحديث عنه:

أنه يعتمد على الكناية المفهمة، والتي يستغني بها عن التصريح بما يستحيا من ذكره، ويخشد الحياء التفصيل فيه. كما في قوله تعالى:

(أَحْلَلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ) البقرة/ ١٨٧.

وقوله تعالى: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ) البقرة/ من الآية ٢٢٣.

وقوله (صلى الله عليه وسلم) لجابر بن عبد الله لما علم بتزوجه من ثيب:

(فَهَلَا تَزَوَّجْتَ بِكَرًّا تُضَاحِكُكَ وَتُضَاحِكُهَا وَتُلَاعِبُكَ وَتُلَاعِبُهَا) رواه البخاري (٥٠٥٢)

ومسلم (٧١٥).

ومن الآداب المهمة لذلك الاعتماد على الرصيد الفطري لكل امرأة، والذي يعطيها قدرا كبيرا مما تحتاجه في ذلك، وفي كل بيئة ينتقل قدر من المعارف المكتسبة، والخبرات المتعلقة بذلك من خلال نساء أهلها، اللاتي سبقن إلى خوض مثل هذه التجارب، في حدود لا تخدش الأدب، ولا تخل بالحياء.

ثانياً: أما بخصوص المواقع التي تعلم النساء تلك الثقافة الجنسية فلا بأس بمطالعة ما فيها من المواضيع الجادة العلمية المفيدة، بشرط أن تكون تلك المواقع موثوقة فيما تقدمه من معلومات، جادة في أداء رسالة تعليمية نزيهة، بعيدة عن الإثارة الرخيصة، والدعايات التافهة. وهو الأمر الذي ينطبق على الكتب والنشرات التي تعنى بذلك اللون من المعارف. على أن يبدأ انشغال الفتاة بمثل ذلك اللون من المعلومات عند حاجتها الفعلية إليها، بدخولها في الزواج، أو إقبالها عليه وقرب حصوله لها.

ثالثاً: المشاركة المباشرة في مثل هذه المنتديات: تكتنفها محاذير عديدة، ولعل من أخطرها: تلصص الفساق وأهل الفساد، بأسماء مستعارة، ومعلومات وهمية باعتباره امرأة، بغية التسلية الرخيصة، والتلاعب بالعقول والقلوب. لا سيما إذا كان المنتدى يعرض لتلك الموضوعات الحساسة. بل إن مجرد مطالعة الموضوعات في مثل هذه

المنتديات، ينبغي أن تضبط بأمور مهمة، منها:

- ٠١ أن تخلو تلك المواقع، والمقالات من الصور المحرّمة، كصور النساء عموماً، أو الصور اليدوية، وخاصة تلك التي تُرسم فيها الأعضاء الجنسية.
- ٠٢ تجنب الألفاظ النابية، والتخلّق بأخلاق الإسلام في الاكتفاء بما يوصل الرسالة، دون التعرض للألفاظ الصريحة المؤذية، إلا أن تكون حاجة لذلك.
- ٠٣ تجنب عرض تلك المواضيع بالصوت - كما تعقدها بعض النساء في دورات! -، ومن باب أولي بالصوت والصورة؛ لما في ذلك من تعريض المتكلمات أنفسهن للسوء، من خلال انتشار أشرطة تلك المحاضرات بين أيدي السفهاء، وتعريض المتكلمات أنفسهن لتعليقات ساخرة، ومهينة، من أهل الفساد.
- ٠٤ عدم الاكتفاء في التعليم والتوجيه لمسائل الحب، والعشق، وممارسة الجنس، وتعليق الزوج بالفراش، فالعلاقة الزوجية أسمى من أن تكون موجهة لذلك الاتجاه دون غيره، بل تعلّم المرأة أخلاق الإسلام في التعامل مع زوجها، وأهل زوجها، وتعلّم أصول تربية أولادها، وضبط علاقاتها بجيرانها، وأقرباء زوجها، وأمور تنظيف البيت، وترتيبه، والطهي، واستغلال الوقت في التزود بالعلم الشرعي، والإتيان بالأذكار، وتعليمهن مسائل الشرع الخاصة بالنساء، كأحكام الحيض، والغسل، وغير ذلك، وبذلك تكون هذه المواقع قد أدت رسالتها على أكمل وجه، وإننا لنرى أنه من المهانة للمرأة حصر تعليمها وتوجيهها في الأمور الجنسية، وأمور الفراش، وهذه الأمور وإن كانت لها أهمية بالغة، لكنها جزء من الحياة الزوجية، لا كلها. فمتى التزم المنتدى، أو الكتاب، أو الموقع: بما مر من الضوابط، وغيرها من أصول الآداب العامة: فلا مانع من قراءته ومطالعة ما فيه من المواضيع النافعة. وأما مشاركة المرأة المباشرة في مثل هذه المنتديات: فتكتنفها محاذير عديدة، توجب البعد عنها، لا سيما مع إمكانية تحصيل الفائدة الحقيقية دون تلك المشاركة. والله أعلم^٢.

٢. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٨٩ ص ٣٢ في ٥/أيار ٢٠١٠.

مشكلات الشباب أسبابها وعلاجها

كثيرا ما أشير إلى أنني من خلال كتابتي لهذه الصفحة أعتبر نفسي كأبار النحل أبحث عن الرحيق أينما كان وأنظر إلى ما قيل دون النظر إلى من قال!، وقد انقل ممن لا أرتضي جميع طروحاته واستعير من مواقع قد لا أكون معهم في كل ما ينشرونه، ولكن هناك في الأفق نقطة أركز عليها دائما وهي: التذكير والتأثير بقوله سبحانه و تعالى في محكم تنزيله:

(والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله، لهم البشري فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله و أولئك هم أولوا الألباب) ١٧-١٨ الزمر).

ويديري اليوم أقتبسه من كتابة أحد الطيبين^١، ممن أحسن بهم الظن وإن كان لي بعض الوقفات على كتابته التي استعمل فيها كثيرا من العموم، وفيها نوع من عدم الواقعية وعدم الإكتراث بالحال الذي فرض نفسه على مجتمعاتنا للمسميات الإسلامية، أو النائمة، - والنائمة اجدر بها! - وهذا لا يعني أن أقبل بأي انحطاط أخلاقي للأبنائنا وبناتنا ولا للغير مادام باليد حيلة، وبعد ما يقدم لنا الكاتب بحثه بمقدمة يحدد المشكلات وعلاجها حسب رؤيته الدينية البحتة، موضحا المشكلة تلو الأخرى، وهي: غياب دور المؤسسات التربوية وفساد مناهجها و الصحبة السيئة و الفراغ و الجنس و البطالة و السجائر والمخدرات والمسكرات.

المشكلة الأولى: غياب دور المؤسسات التربوية وفساد مناهجها^٢:

إن أول ما يواجه الشباب أن يفقد القدوة الصالحة والوثوق بها، إن غياب الدور

١. وهو: أ. عبيد كامل حافظ) ووجدت البحث منشورا في موقع: (الإخوان المسلمون).

٢. ليس بالضرورة أن تكون المؤسسات غائبة في كل مكان، وليست بالضرورة أن يكون السبب الكامن وراء المشكلة هو المنهج بقدر ما يكون قلة العناصر الخبيرة، في المجالات كلها (عمر).

الرقابي والتربوي للأسرة أمام المادية الطاغية وانحصار دور الأب والأم في أكثر الأحيان في توفير متطلبات الحياة وخروج الأم للعمل بدون مبرر في كثير من الأحيان وغياب الأب إما خارج البلاد أو داخلها؛ بحثاً عن لقمة العيش وغياب الدور الرقابي وترك الشباب فريسةً لوسائل الإعلام التي تعمل متعمدةً على تغيير المفاهيم إلى اتجاه معاكس للإسلام وليست المدارس والجامعات بأفضل من شأن الأسرة؛ إذ فسدت معظم المناهج وفسدت القدوة وساعت العلاقات بين الأستاذ وتلاميذه وانتشرت العلاقات غير الأخلاقية بين المدرسين والطالبات؛ مما دفع الشباب إلى أخذ القدوة من شخصيات فارغة من نجوم تليفزيون ولاعبي كرة القدم والممثلين والممثلات البعيدين عن مفاهيم الإسلام وتعاليمه^٢.

المشكلة الثانية: الصحة السيئة:

الصحة السيئة هي من أخطر المشكلات التي تواجه الشباب؛ ولذا يقول النبي (صلى الله عليه وسلم):

(المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) رواه أبو داود والترمذي وإسناده صحيح. وقال أبو حاتم بن حبان: (وما رأيت شيئاً أدل على شئٍ - ولا الدخان على النار - مثل صاحب على صاحب!!).

ولخطورة ذلك يوضح النبي (صلى الله عليه وسلم) صفات الصديق الطيب فيقول:

(لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقياً) رواه الترمذي).

ويحذر القرآن من مصاحبة الأشرار وترك مصاحبة الأخيار، فقال الله تعالى:
وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعُ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا الْكَهْفَ ٢٨.

ويحذر القرآن من مصادقة غير المسلمين، فيقول في كتابه الكريم:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأْتِيكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنَتُمْ قَدْ بَدَتْ
الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صدورُهُمْ أَكْبَرُ أَلْ عَمْرَان: من الآية ١١٨.

،وقال سبحانه وتعالى: وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَهُود: ١١٣.

٢. هذا فيه تعميم لولا الحفاظ على أمانة نقل الكلمة لما وضعتها بين أيديكم (عمر).

فالصحة السيئة تجلب المفسدة في الدنيا والندم في الآخرة كما قال الله تعالى في كتابه الكريم:

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا الفرقان: ٢٧ - ٢٩.

إن جميع المنكرات التي يقترفها الشباب إنما هي من نتائج الصحة السيئة.

خطورة مصاحبة الشباب للفتيات:

ليست هناك في الإسلام ثمة علاقة بين الرجل والمرأة اسمها الصداقة والمصاحبة البريئة.. بل إن هناك إما علاقة حلال تسمى بالزواج وعلاقات المحارم أو بما يسمي بعلاقة الخل والخدن أو العشق، وهذه العلاقات والألفاظ لا تمت للإسلام بصلة، وإنما تصب في مصب العلاقات الأثيمة التي تقود إلى الفاحشة المحرمة التي هي من أكبر الكبائر. إن الإسلام أمر الشاب أن يفض بصره عن النساء وأمر النساء أن يفضضن أبصارهن عن الرجال، فحرم الإسلام النظرة والابتسامه المغرضة والمصافحة والملامسة، فضلاً عن الخلوة والملاصقة، ولو كانت بين الخطيب ومخطوبته حتى ولو كانت لغاية شريفة كالتعليم أو حتى مدارس القرآن. إن إباحة العلاقة بين الشاب والفتاة بدون ضوابط إسلامية تكتنفها مخاطر جمّة تهدد أمن المجتمع وأخلاقه، وليست الزيجات العرفية والحمل غير المشروع وفساد الحياة الأسرية لكون قلب الرجل مشغولاً بغير امرأته أو لكون قلب المرأة مشغولاً بغير زوجها إلا نتائج مرة وثمرات علقم للعلاقة الماجنة بين الرجل والمرأة. إن الإسلام لا يقر أبداً العلاقة بين الشاب والفتاة خارج الإطار الإسلامي المضبوط بأحكام عقد الزواج، وفي العلاقة بين الشباب أنفسهم مدعاة إلى تحقيق مطالب الرجولة والعمل الإيجابي المنتج. وللصحة الصالحة حقوق وأداب، منها: الإعلام بالمحبة- حفظ السر- النصح لصاحبه- قبول النصيحة- طلب النصيحة- العفو عن الزلات- الإعانة والمساعدة بالنفس والمال والشفاعة- وتنفيس الكربات- والستر عليه- والدفاع عنه بالحق- ونصره مظلوماً بجلب حقه وظالماً بمنعه عن الظلم- والوفاء والإخلاص والتخفف وترك التكيف- ومتابعة أحواله وإن بعد.

٤. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٩٠ ص ٣٢ في ١٢ أيار ٢٠١٠.

المشكلة الثالثة: الفراغ: قال (صلى الله عليه وسلم):

(نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ) رواه الترمذي- حديث حسن صحيح).

والوقت ليس ملكيةً خاصةً تُوجب حرية التصرف فيها كيفما شاء صاحبها، بل كل إنسان مسؤول عن وقته وفي أي شئ قضاه، قال صلى الله عليه وسلم: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق، وعن علمه ماذا عمل به).

إن الشاب مسؤول عن عمره مرتين: مرةً عن جملة عمره ومرة عن فترة شبابه خاصةً.. إن الفراغ يولد الأعمال القبيحة بدعوى قتل الوقت، من الجلوس على المقاهي بدون داعٍ، أو النوم نهاراً والسهر ليلاً، وفي هذا انقلاب على النواميس الكونية؛ حيث جعل الله الليل لباساً والنهار معاشاً، والشباب يجعلون الليل لهواً والنهار نوماً، فلا يكتسبون معاشاً لا في الليل ولا في النهار، أو قضاء اليوم في الغيبة والنميمة والتسكع على النوادي والطرقات، دون إعطاء حق للطريق كما أمر الإسلام بغضُّ البصر ورد السلام وإزالة الأذى. إن هذه السلوكيات إنما تولد أمراضاً نفسيةً ومشكلات اجتماعية، ومنها الضيق والانفعال لآتفه الأسباب والمشاجرة مع الأهل والآباء والأمهات وتعلم العادات السيئة، مثل العادة السرية وغيرها والخمول الذهني واليأس والإحباط والجمود والسلبية.

المشكلة الرابعة: الجنس:

إن الإسلام لم يأمر بقتل الغريزة ولا بالتبطل أو الرهينة كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم):

(لا رهبانية في الإسلام).

وإنما أباح الإسلام الاستمتاع بالغريزة ولكن على أسس إسلامية، منها:

١- أن يكون الزواج هو المنفذ الوحيد لتنقيس الغريزة، وخصوصاً بعد إقراض الإمام، قال تعالى:

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. المؤمنون: من الآية ٥: ٧.

٢- تحريم كل ما يؤدي إلى إضعاف الغريزة أو وضعها في غير موضعها الصحيح لما يؤدي إلى انتشار الأمراض واختلاط الأنساب؛ لذا حرم الإسلام الزنا واللواط، وأن يأتي الرجل الرجل وحرم السحاق وهو أن تأتي المرأة المرأة، وحرم إتيان المرأة في دبرها وإتيان المرأة حال الحيض أو النفاس، وحرم الاختلاط الفاسد والنظرة المحرمة وإتيان المحرمات من النساء، سواء كانت حرمتهن مؤبدة أو مؤقتة.

٣- تشريع ما يعين على العفة من آداب الدخول على النساء وآداب الاستئذان.

المشكلة الخامسة: البطالة: وهي تتمثل في سيطرة فئة قليلة على الموارد بما يسمى بالاحتكار، وانتهاج الدولة لسياسات فاشلة تجعل سوق البطالة يزداد يوماً بعد يوم، وكأنها تسعى لإذلال شعبها وتعاسة شبابها.

المشكلة السادسة: السجائر والمخدرات والمسكرات:

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ مائدة: ٩٠.

وقال تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا النساء: ٢٩.

وقال تعالى: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا البقرة: ١٩٥.

وقال (صلى الله عليه وسلم): (لا ضرر ولا ضرار).

وقال أيضاً: (ما أسكر كثيره فقليله حرام).

وهذه المشكلة تنجم عنها مشكلات عدة، منها:

١- الإصابة بالأمراض الخطيرة، مثل سرطان الرئة والحنجرة والمريء، والإصابة بالأمراض النفسية والعقلية.

٢- ضعف الجسد واعتلال الصحة وتأثير ذلك على الإنتاج.

٣- ضياع أموال المدخنين والمدمنين، وما يتولد عن ذلك من جرائم سطو وسرقة وقتل واغتصاب وغير ذلك.

الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ظهور هذه المشكلات:

١- عدم قيام الوالدين بواجبهما التربوي والتوجيهي الذي أناطه الله بهما.

٢- عدم إعطاء القدوة في السلوك والألفاظ من الآباء والأمهات.

٣- تزكية التفوق العلمي الدنيوي على التفوق العبادي.

- ٤- عدم الاحترام المتبادل بين الزوجين.
- ٥- التفكك الأسري، سواءً بالطلاق أم بتعلق قلب الرجل بالنساء^{٥-٦}.

٥. وهو: أ. عيد كامل حافظ) ووجدت البحث منشورا في موقع: (الإخوان المسلمون .
٦. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٩١ ص٣٢ في ١٩ أيار ٢٠١٠ .

الفاروق مُحَقِّقُ جَنَائِي وَصَائِنُ لَشْرَفٍ وَعَرَضُ الْمُسْلِمَاتِ

كثيرا ما استشهد بأقوال ومواقف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في حياتي اليومية وكتاباتي وبرامجي وإن كنت كما يقول الشافعي (رحمه الله):

أحب الصالحين ولست منهم لعلني أن أُنالَ بهم شفاعَةَ
وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعة

وما استشهدادي وتذكيري بمواقف ذلك الجبل الشهم، إلا من إيماني النابع بأنه الرجل الذي يمكن للإنسانية أن تعتنز به كرمز للعدالة ومراعاة حقوق البشر وبدون النظر إلى انتماءاتهم الدينية، وكما وجدت بلية أراني ملزما بأن أعود إلى سيرته العطرة، فقد كان (رحمه الله) محققا جنائيا وصائنا لشرف وعرض المسلمات، وكان له في حياته أولويات لا يستهان بها، فقد كان من حرصه الفائق على حفظ شرف وعرض المسلمات، ما يذكره أهل الحديث و السير: (فيروي الشعبي (رحمه الله) أن رجلا أتى إلى الفاروق يستشيريه في أمر رجل!! فقال: يا أمير المؤمنين، إبنتي كنت وأدتها في الجاهلية، ثم استخرجتها قبل أن تموت، فأدركت معنى الإسلام فأسلمت، ثم أصابها حدٌ من حدود الله، فأخذت الشفرة لتذبح نفسها، وأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها، فداويناها حتى برأت، ثم أقبلت بعد توبة حسنة، وهي تُخطب إلى قوم، فأخبرهم بالذي كان؟ فقال الفاروق (رضي الله عنه): أتعهد إلى ما ستره الله فتبديه؟ والله لئن أخبرت بشأنها أحدا من الناس لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار، أنكحها نكاح العفيفة المسلمة) وذات مرة (عندما أصبح أهل المدينة وجدوا فتى أمرد مقتولا وملقي على وجهه في أحد أزقة المدينة، فسأل عمر عن أمره وأمر بالتحقيق في شأن قتله، لكنه لم يظفر بشيء، وأخيرا ضُبطت القضية ضد مجهول وفشي بين الناس أن قضية هذا الفتى قد انتهت، لكن الفاروق أسرَّ في نفسه هذه الجناية ولم ينسها وقال: اللهم أظفري بقاتله، حتى إذا كان قريبا من رأس الحول أصبح أهل المدينة فإذا بصبي مولود ملقي موضع القتل، لا

يعرف من ألقاه، وضبطت العملية ضد مجهول، لكن الفاروق جمع بين الحادثتين و بدأ في التحقيق بنفسه، فأخذ المولود إلى امرأة تحفظ السر وتربي المولود البريء، فقال لها: قومي بشأته، وخذي منا نفقته، وانظري من يأخذه منك، فإذا وجدت امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فأعلميني بمكانها، وشدد على كتمان الموضوع.

فلما شب الصبي، ومرت الأيام، أتت جارية إلى هذه المرأة وطلبت اصطحاب الصبي إلى سيدتها لتراه وترده إليها، فوافقت شرط أن تصحبها مع الصبي، فلما دخلوا على تلك المرأة عرفوا أنها بنت شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخبرت عمر بالقصة، فاشتمل عمر على سيفه ثم أقبل إلى منزل الأنصاري فوجده متكئا على باب داره، فسلم عليه الفاروق وسأله عن حاله، وعن حال ابنته، فقال:

يا أمير المؤمنين، جزاها الله خيرا، هي من أعرف الناس بحق الله تعالى وحق أبيها مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها، فطلب الفاروق منه أن يقابل ابنته، فلما استأذن لعمر من ابنته دخل الفاروق وسلم عليها وعلى من كان عندها، فأصابها رعب وهيبة من عمر، وكأنها عرفت سبب مجيئه إليها..طلب الفاروق من الحاضرين الخروج وبقي معها منفردا، فكشف عمر عن السيف وقال متوعدا:

لتصدقيني، ولم يأت بسيرة الصبي أو الفتى الأمد المقتول، فقالت: على رسلك يا أمير المؤمنين، فوالله لأصدقن، إن عجوزا كانت تدخل علي فاتخذتها أمًا، وكانت تقوم في أمري بما تقوم به الوالدة، وكنت لها بمنزلة البنت، فأمضيت بذلك حينًا، ثم إنها قالت لي يا بنية إنه قد عرض لي سفر ولي بنت أتخوف عليها من أن تضيع، وقد أحببت أن أضمها إليك حتى أرجع من سفري، فعمدت إلى ابن لها شاب أمرد فهيأته كهيأة الجارية، وأتتني به لا أشك أنها جارية، فكان يرى مني ما ترى الجارية من الجارية، حتى اغتفلني يوما وأنا نائمة فما شعرت حتى علاني وخالطني، فمددت يدي إلى شفرة كانت إلى جنبي فقتلته، ثم أمرت به فألقي حيث رأيت، فاشتملت منه على هذا الصبي، فلما وضعته ألقىته في موضع أبيه.. فهذا والله خبرهما على ما أعلمتك، قال لها الفاروق (رضي الله عنه): صدقت ببارك الله فيك، ثم أوصاها بوصايا منها كتمان القصة وعدم فضح أمرها، ووعظها ودعا لها بخير، وخرج من عندها وقال لأبيها: بارك الله في ابنتك، فنعم الابنة ابنتك، وقد وعظتها وأمرتها، فقال الشيخ الأنصاري: وصلك الله يا أمير المؤمنين، وجزاك خيرا عن رعيتك.

- أما أولوياته فتتجسد في الأمور التي تعتبر أوليات و سبق له (رضي الله عنه) والتي يعتز بها كل مسلم، وهي كون عمر (رضي الله عنه):
١. أول من لُقِّبَ بالفاروق، وهو لقبُ لقبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعمراً لأن الله فرق به بين الحق والباطل.
 ٢. أول من لُقِّبَ بأمير المؤمنين.
 ٣. أول من أسس نظام دوريات العسس في الليل لفرض الأمن ومعرفة أوضاع المدينة وكان يعس بنفسه.
 ٤. أول من استخدم العصا الصغيرة في التأديب حتى صارت درة الفاروق مضرب المثل في المهابة والعدل.
 ٥. أول من وضع التاريخ للمسلمين، واختياره بدء التاريخ من الهجرة دلالة عبقريته الفذة.
 ٦. أول من فتح الطرق ومهداها للسير، وله مقولته المشهورة: (لوعثرت بغلة في العراق لخشيت أن يسألني الله عنها، لِمَ لَمْ يُمهد لها عمر الطريق).
 ٧. أول من مَصَّرَ الأقاليم المفتوحة ونظمها تنظيمًا إداريًا فتيًا.
 ٨. أول من عقد مؤتمرات سنوية للولاية وقادة الجيوش في موسم الحج لمحاسبتهم ومعرفة أحوالهم والتشاور معهم.
 ٩. أول من أمر بكشف حسابات أموال عماله وولاته وقواد جيوشه.
 ١٠. أول من دون الدواوين.
 ١١. أول من انشأ بيتاً لأموال المسلمين ومركزاً تموينياً للغذاء وهو (دار الدقيق).
 ١٢. أول من ضرب الدراهم وقدر أوزانها والعمل بها.
 ١٣. أول من قام بتوسعة المسجد النبوي.
 ١٤. أول من مسح الأراضي وحدد مساحاتها وأطوالها.
 ١٥. أول من اتخذ داراً للضيافة.
 ١٦. أول من أقرض الفأض من بيت المال للمضاربة والتجارة.
 ١٧. أول من أجلى اليهود عن جزيرة العرب بعدما شعر بخطرهم ومؤامراتهم.

- ١٨ . أول من أسقط الجزية عن الفقراء والمساكين وغير المستطيعين من أهل الكتاب وغيرهم.
- ١٩ . أول من فرض معاشاً لأطفال المسلمين المواليد.
- ٢٠ . أول من فرض معاشاً لفقراء وعجزة أهل الكتاب من بيت مال المسلمين.
- ٢١ . أول من أقام المعسكرات لتدريب الجند.
- ٢٢ . أول من أمر بالتجنيد الإجباري وإنشاء قوات احتياط مدربة.
- ٢٣ . أول من وضع ديواناً للجند فيه أسماءهم ومراتبهم.
- ٢٤ . أول من أنشأ هيئات قضائية ولجان طبية ومترجمين يرافقون الجيوش في فتوحاتهم للأمصار.
- ٢٥ . أول من أنشأ خطط إمدادات للجيش ومخازن أمن غذائية لمواجهة المتطلبات والظروف.
- ملاحظة: من أراد المزيد عليه مراجعة: (فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب، د. على محمد محمد الصلابي، ص ١١٤-١٢٥) و (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية أو الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية) لابن قيم الجوزية. ص ٢٨ و٢٩ ط دار الوطن^١.

١ . تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٩٢ ص ٣٢ العدد في ٢٦/٥/٢٠١٠ .

طلاق الحائض و الطلاق البدعي، بين الاعتبار والإلغاء

اختلف الفقهاء في طلاق الحائض هل يقع أو لا؟ فذهب جمهورهم إلى وقوعه، وذهب جماعة منهم إلى عدم وقوعه، وعليه الفتوى عند كثير من فقهاء العصر منهم الشيخ ابن باز (رحمه الله) ، والشيخ ابن عثيمين (رحمه الله).

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله) :

(طلاق الحائض لا يقع في أصح قولي العلماء، خلافاً لقول الجمهور. فجمهور العلماء يرون أنه يقع، ولكن الصحيح من قولي العلماء الذي أفتى به بعض التابعين، وأفتى به ابن عمر (رضي الله عنهما) ، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وجمع من أهل العلم أن هذا الطلاق لا يقع؛ لأنه خلاف شرع الله، لأن شرع الله أن تطلق المرأة في حال الطهر من النفاس والحيض، وفي حال لم يكن جامعها الزوج فيها، فهذا هو الطلاق الشرعي، فإذا طلقها في حيض أو نفاس أو في طهر جامعها فيه فإن هذا الطلاق بدعة، ولا يقع على الصحيح من قولي العلماء، لقول الله جل وعلا: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ) الطلاق/١.

والمعنى: طاهرات من غير جماع، هكذا قال أهل العلم في طلاقهن للعدة، أن يكنَّ طاهرات من دون جماع، أو حوامل. هذا هو الطلاق للعدة) انتهى من "فتاوى الطلاق" (ص ٤٤).

وجاء في "فتاوى اللجنة الدائمة" (٥٨/٢٠): (الطلاق البدعي أنواع منها: أن يطلق الرجل امرأته في حيض أو نفاس أو في طهر مسها فيه، والصحيح في هذا أنه لا يقع) انتهى.

وعليه فإذا كان الطلاق صدر حال الحيض فإنه لا يقع ولا يعتد به، وتظل المرأة في عصمة زوجها. وسئل الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله) عن رجل طلق امرأته وهي حائض، وكان لا يدري أنها حائض، فهل يقع هذا الطلاق؟ فأجاب: (الطلاق الذي وقع

وعلى المرأة العادة الشهرية اختلف فيه أهل العلم، وطال فيه النقاش، هل يكون طلاقاً ماضياً أم طلاقاً لاغياً؟ وجمهور أهل العلم على أنه يكون طلاقاً ماضياً، ويحسب على المرء طلاقاً، ولكنه يؤمر بإعادتها وأن يتركها حتى تطهر من الحيض ثم تحيض مرة ثانية ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك، وإن شاء طلق، هذا الذي عليه جمهور أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة: الإمام أحمد والشافعي ومالك وأبو حنيفة (رحمهم الله)، ولكن الراجح عندنا ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)، أن الطلاق في الحيض لا يقع، ولا يكون ماضياً، ذلك لأنه خلاف أمر الله ورسوله، وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) والدليل على ذلك في ذات المسألة الخاصة: حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) حيث طلق زوجته وهي حائض، فأخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بذلك فتغيظ فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال: (مره فليراجعها ثم يتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق) ثم قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء) أي أن يطلقها الإنسان طاهراً من غير جماع، وعلى هذا فإذا طلقها وهي حائض لم يطلقها على أمر الله. ولا عبرة في علم الرجل في تطليقه لها أنها طاهرة أو غير طاهرة، نعم، لا عبرة بعلمه، لكن إن كان يعلم صار عليه الإثم، وعدم الوقوع، وإن كان لا يعلم فإنه ينتفي وقوع الطلاق، ولا إثم على الزوج) انتهى. "فتاوى إسلامية" (٢٦٨/٣) نقلاً عن موقع الإسلام سؤال وجواب فتوى رقم ٧٢٤١٧.

الطلاق البدعي.. بين الاعتبار والإلغاء:

الطلاق البدعي هو أن يطلق الزوج زوجته وهي في حيض أو نفاس أو في طهر جامعها فيه، وقد اختلف الفقهاء في وقوع الطلاق البدعي وعدم وقوعه، فجمهور الفقهاء على أن الطلاق البدعي يقع، وذهب بعض السلف إلى القول بعدم وقوع الطلاق البدعي وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وجماعة من فقهاء الحنابلة المتأخرين، وكثير من المعاصرين. هذا خلاصة ما أفتي به الشيخ الدكتور سلمان العودة - المشرف العام على موقع الإسلام اليوم- وإليك نص فتواه: في مسألة الطلاق المعروضة ثلاثة أمور:

الأول: أنه قد يكون بسبب السحر، وهذا مجرد احتمال، فلا يلتفت إليه، لكن لو حدث أن وقع سحر على إنسان فصار يوقع الطلاق، وهو لا يريد، ولا يقصده، أو قل: لو

أصاب الإنسان وسواس، بحيث صار يتكلم في الطلاق عن غير إرادة، ولا تقصُّد، فهذا لا يقع طلاقه.

الثاني: إن الطلاق وقع في طهر جامعها فيه، وهذا طلاق بدعي محرم اتفاقاً؛ لقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ) الطلاق ١. وفي قراءة: (في قُبُلِ عدتهن)، وهي قراءة تفسيرية توضيحية، فالمعنى: لا يجوز طلاق المرأة إلا في الوقت الذي تحتسب عدتها فيه منذ أول طلاقها، وذلك لا يكون إلا في الطهر الذي لم يجمعها فيه، بخلاف حال الحيض والنفاس، وحال الطهر الذي جامع فيه. والحامل يجوز طلاقها بكل حال؛ لأنها لا تحيض، وأجلها يكون بوضع الحمل، كما قال تعالى: (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) لطلاق ٤. وهذا كله محل اتفاق بين العلماء، أنه لا يجوز الطلاق في حيض، ولا في طهر جامع فيه إذا كانت غير حامل. لكن تنازع العلماء: هل يقع ذلك الطلاق البدعي، أم لا يقع؟ والأظهر أنه لا يقع إلا إذا أمضاه القاضي، واعتبره؛ لأن البدعة مردودة، (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨). أي: مردود. والذين قالوا بوقوع الطلاق البدعي، هم أكثر العلماء، ومنهم الأئمة الأربعة (رحمهم الله)، ولذلك يجب المبالغة في الزجر عنه، والتأنيب على فعله.

أما الذين قالوا بعدم وقوعه، فهم جماعة من السلف: كطاووس، وعكرمة، وخلاس، وعمر، ومحمد بن إسحاق، وحجاج بن أرطاة، وأهل الظاهر: كداود الظاهري وأصحابه، وطائفة من أصحاب أبي حنيفة ومالك وأحمد، ويروي عن أبي جعفر الباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وغيرهما من أهل البيت، كما أشار إلى ذلك كله الإمام (ابن تيمية) في (الفتاوي الكبرى ٣/٢٦٤)، وانظر: (ص ٢٨٧-٢٩٧). والقول بعدم الوقوع هو اختيار الشيخ ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وجماعة من فقهاء الحنابلة المتأخرين، وكثير من المعاصرين، والله أعلم.

الثالثة: الطلاق في الغضب، وقد قسم (ابن القيم)، ثم (ابن عابدين)، وغيرهم الغضب إلى ثلاث مراحل: الأولى: مبادئ الغضب، بحيث لا يحدث له تغير في عقله، ويكون عالماً عامداً لما يقول، وهذا يقع طلاقه. الثانية: أن يغلق الغضب عليه عقله، فلا يعلم ما يقول، ولا يملك نفسه، فهذا لا يقع طلاقه، ولا سائر تصرفاته. الثالثة: وهي الوسطي بين

المرتبتين، فهذا محل نظر، وتردد، واجتهاد، ويمكن إلحاق ما غلب عليه الغضب بالحالة الثانية، فلا يقع طلاقه، وإلحاق من كان قادراً على التحكم في لسانه، وحركاته بالحالة الأولى فيقع طلاقه. والله أعلم .

١. تم نشر هذه المقالة في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٩٢ في ٢ حزيران ٢٠١٠ ص ٣٢ .

حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة

من خلال هذه الصفحة سأنقل اليكم رسالة لسماحة الشيخ: (محمد الصالح بن العثيمين) يرحمه الله، تحت عنوان: (حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة)، راجيا من الله ان يجعلها في ميزان حسناته وان يكتب لنا اجر بثها: (فإن من محاسن شريعة الله تعالى مراعاة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه من غير غلو ولا تقصير. - فقد أمر الله بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وبالعدل بعثت الرسل وأنزلت الكتب و قامت أمور الدنيا والآخرة. - والعدل إعطاء كل ذي حق حقه وتنزيل كل ذي منزلة منزلته، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة الحقوق حتى تعطي أهلها، ومن ثم حررنا هذه الكلمة في بيان المهم من تلك الحقوق ليقوم العبد بما علم منها بقدر المستطاع، ويتخلص من ذلك فيما يأتي:-

الحق الأول، حق الله: هذا الحق أحق الحقوق وأوجبها وأعظمها؛ لأنه:

- ١- حق الله تعالى الخالق العظيم المالك المدبر لجميع الأمور.
 - ٢- حق الملك الحق المبين الحي القيوم الذي قامت به السماوات والأرض، خلق كل شئ فقدره تقديرا بحكمة بالغة.
 - ٣- حق الله الذي أوجدك من العدم ولم تكن شيئا مذكورا.
 - ٤- حق الله الذي رباك بالنعم وأنت في بطن أمك في ظلمات ثلاث لا يستطيع أحد من المخلوقين أن يوصل إليك غذاءك ومقومات نموك وحياتك، أدر لك الشديين، وهداك النجدين، وسخر لك الأبوين، أمدك وأعدك..- أمدك بالنعم والعقل والفهم، وأعدك بقبول ذلك والانتفاع به:- (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) النحل:- ٧٨.
- فلو حجب عنك فضله طرفة عين لهلكت، ولو منعك رحمته لما عشت، فإذا كان هذا

فضل الله عليك ورحمته بك فإن حقه عليك أعظم الحقوق، منه إيجادك وإعدادك وإمدادك، إنه لا يريد منك رزقاً ولا طعاماً: - (لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرِزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) - طه: ١٣٢).

وإنما يريد منك شيئاً واحداً مصلحته عائدة إليك: يريد منك أن تعبه وحده لا شريك له:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) الذريات: ٥٦-٥٨ .

يريد منك أن تكون عبداً له بكل معاني العبودية، كما أنه هو ربك بكل معاني الربوبية، عبداً متذللاً خاضعاً له، ممتثلاً لأمره مجتنباً لنهيهِ مصدقاً بخبره، لأنك ترى نعمه عليك سابغة تترى، أفلا تستحي أن تبدل هذه النعم كفوفاً. - لو كان لأحد من الناس عليك فضل لاستحييت أن تبارزه بالمعصية وتجاهره بالمخالفة، فكيف بربك الذي كل فضل عليك فهو من فضله؟- وكل ما يندفع عنك من سوء فمن رحمته:

(وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ) - النحل: ٥٣ .

وأن هذا الحق الذي أوجبه الله لنفسه ليسير سهل على من يسر الله له، ذلك بان الله لم يجعل فيه حرجاً ولا ضيقاً ولا مشقة قال الله تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَيَّ النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) - الحج: ٧٨ .

إنه عقيدة مثلي وإيمان بالحق وعمل صالح مثمر، عقيدة قوامها المحبة والتعظيم وثمرتها الإخلاص والمثابرة:

١- خمس صلوات في اليوم والليلة يكفر الله بهن الخطايا ويرفع بهن الدرجات ويصلح بهن القلوب والأحوال يأتي بهن العبد بحسب استطاعته:

(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ (التغابن: - من الآية ١٦).

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لعمران بن حصين وكان عمران مريضاً: (صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب) - أخرجه البخاري، كتاب أبواب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب (١١١٧).

٢- زكاة هي جزء يسير من مالك تدفع في حاجة المسلمين للفقراء والمساكين وابن السبيل والغارمين وغيرهم من أهل الزكاة.

٣- صيام شهر واحد في السنة، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر، ومن لم يستطع الصيام لعجز دائم يطعم مسكينا عن كل يوم.

٤- حج البيت الحرام مرة واحدة في العمر للمستطيع. - هذه هي أصول حق الله تعالى وما عداها فإنما يجب لعارض: - كالجهاد في سبيل الله، أو لأسباب توجيهه كالنصر للمظلوم. - أنظر يا أخي هذا الحق اليسير عملاً والكثير أجراً إذا قمت فيه كنت سعيداً في الدنيا والآخرة ونجوت من النار ودخلت الجنة:

(فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) آل عمران: - من الآية ١٨٥.

الحق الثاني، حق الرسول (صلى الله عليه وسلم): وهذا الحق هو اعظم حقوق المخلوقين، فلا حق لمخلوق أعظم من حق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال الله تعالى:

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا × لِنُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الفتح: ٨-٩).

١- ولذلك يجب تقديم محبة النبي (صلى الله عليه وسلم) على محبة جميع الناس حتى على النفس والولد والوالد. - قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) - أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب حب الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الإيمان (١٥) - ومسلم كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين.... ((٤٤)).

٢- ومن حقوق النبي (صلى الله عليه وسلم) توقيره واحترامه وتعظيمه التعظيم اللائق به من غير غلو ولا تقصير فتوقيره في حياته توقير سنته وشخصه الكريم وتوقيره بعد مماته توقير سنته وشرعه القويم ومن رأى توقير الصحابة وتعظيمهم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) عرف كيف قام هؤلاء الأجلاء الفضلاء بما يجب عليهم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال عروة بن مسعود لقريش حينما أرسلوه ليفاوض النبي (صلى الله عليه وسلم) في الصلح في قصة الحديبية، قال: (دخلت على

الملوك، كسرى وقيصر والنجاشي فلم أرَ أحدا يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمد محمداً، كان إذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له) هكذا كانوا (رضي الله عنهم) يعظمونه (صلى الله عليه وسلم) مع ما جلبه الله عليه من الأخلاق الكريمة ولين الجانب وسهولة النفس، ولو كان فظاً غليظاً لنفضوا من حوله.

٣- وإن من حقوق النبي (صلى الله عليه وسلم) تصديقه فيما أخبر به من الأمور الماضية والمستقبلية وامتنال ما به أمر واجتناب ما عنه نهي وزجر، والإيمان بأن هديه أكمل الهدى وشريعته أكمل الشرائع وأن لا يقدم عليها تشريعاً أو نظاماً مهما كان مصدره:

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) النساء: ٦٥ .
(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)
آل عمران: ٣١ .

٤- ومن حقوق النبي (صلى الله عليه وسلم) الدفاع عن شريعته وهديه بما يستطيع الإنسان من قوة بحسب ما تتطلبه الحال من السلاح، فإذا كان العدو يهاجم بالحجج والشبه فمدافعتة بالعلم ودحض حججه وشبهه وبيان فسادها، وإن كان يهاجم بالسلاح والمدافع فمدافعتة بمثل ذلك- ولا يمكن لأي مؤمن أن يسمع من يهاجم شريعة النبي (صلى الله عليه وسلم) أو شخصه الكريم ويسكت على ذلك مع قدرته على الدفاع^١ .
الحق الثالث: حق الوالدين: لا ينكر أحد فضل الوالدين على أولادهما، فالوالدان سبب وجود الولد ولهما عليه حق كبير فقد ربياه صغيراً وتعبا من أجل راحته وسهرا من أجل منامه، تملك أمك في بطنها وتعيش على حساب غذائها وصحتها لمدة تسعة أشهر غالباً، كما أشار الله إلى ذلك:

(أُمُّهُ وَهَنًا عَلَيَّ وَهَنًا لِقَمَانٍ: - من الآية ١٤ .

ثم بعد ذلك حضانة ورضاع لمدة سنتين مع التعب والعناء والصعوبة.
والأب كذلك يسعى لعيشك وقوتك من حين الصغر حتى تبلغ أن تقوم بنفسك، ويسعى بتربيتك وتوجيهك وأنت لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً، ولذلك أمر الله الولد بوالديه

١. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٩٤ ص ٣٢ في ٩ حزيران ٢٠١٠ .

إحساناً وشكراً، فقال تعالى:

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ . لقمان: ١٤.

وقال تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تُنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا × وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) الإسراء: ٢٣-٢٤.

إن حق الوالدين عليك أن تبرهما وذلك بالإحسان إليهما قولاً وفعلًا بالمال والبدن. تمتثل لأمرهما في غير معصية الله وفي غير ما فيه ضرر عليك، تلين لهما القول وتيسر لهما الوجه وتقوم بخدمتهما على الوجه اللائق بهما، ولا تتضجر منهما عند الكبر والمرض والضعف، ولا تستثقل ذلك منهما فإنك سوف تكون بمنزلتهما، سوف تكون أباً كما كانا أبوين، وسوف تبلغ الكبر عند أولادك إن قدر لك البقاء كما بلغاه عندك، وسوف تحتاج إلى بر أولادك كما احتاجا إلى برك، فإن كنت قد قمت ببرهما فأبشر بالأجر الجزيل، والمجازاة بالمثل، فمن بر والديه بر به أولاده، ومن عق والديه عق به أولاده، والجزاء من جنس العمل فكما تدين تدان، ولقد جعل الله مرتبة حق الوالدين مرتبة كبيرة عالية حيث جعل حقهما بعد حقه المتضمن لحقه وحق رسوله - صلى الله عليه وسلم - فقال تعالى:

(وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) النساء: من الآية ٣٦.

قال تعالى: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ . لقمان: من الآية ١٤.

وقدم النبي (صلى الله عليه وسلم) بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله كما في حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: (قلت يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله) أخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب فضل الصلاة لوقتها (٥٢٧) ومسلم كتاب الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٥)).

وهذا يدل على أهمية حق الوالدين الذي أضاعه كثير من الناس، صاروا إلى العقوق والقطيعة فترى الواحد منهم لا يري لأبيه ولا لأمه حقاً، وربما احتقرهما وازدراهما وترفع عليهما وسيلقي مثل هذا جزاءه العاجل أو الآجل.

الحق الرابع، حق الاولاد: الاولاد تشمل البنين والبنات وحقوق الاولاد كثيرة من أهمها التربية وهي: تنمية الدين والأخلاق في نفوسهم حتى يكونوا على جانب كبير من ذلك، قال الله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحریم: ٦).

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته) أخرجه البخاري كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٨٩٣) ومسلم كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر (١٨٢٧).

فالاولاد أمانة في عنق الوالدين وهما مسؤولان عنهم يوم القيامة، وبتربيتهم التربية الدينية والأخلاقية يخرج الوالدان من تبعه هذه الرعية، ويصلح الاولاد فيكونوا قرة عين الأبوين في الدنيا والآخرة يقول الله تعالى:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) الطور: ٢١.

التناهم: أي نقصناهم: ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به من بعده أو ولد صالح يدعوله) أخرجه مسلم كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ((١٦٣١)).

فهذا من ثمرة تأديب الولد إذا تربي تربية صالحة أن يكون نافعا لوالديه حتى بعد الممات. ولقد استهان كثير من الوالدين بهذا الحق فأضاعوا أولادهم ونسوهم، كأن لا مسؤولية لهم عليهم لا يسألون أين ذهبوا؟ ولا متى جاعوا؟ ولا من أصدقائهم وأصحابهم؟ ولا يوجهونهم إلى الخير ولا ينهونهم عن الشر.

ومن العجب أن هؤلاء حريصون كل الحرص على أموالهم بحفظها وتنميتها والسهر على ما يصلحها مع إنهم ينامون هذا المال ويصلحون لغيرهم غالبا أما الأولاد فليسوا منهم في شيء مع أن المحافظة عليهم أولى وأنفع في الدنيا والآخرة.

وكما أن الوالد يجب عليه تغذية جسم الولد بالطعام والشراب وكسوة بدنه باللباس كذلك يجب عليه أن يغذي قلبه بالعلم والإيمان ويكسو روحه بلباس التقوى فذلك خير.

ومن حقوق الأولاد أن ينفق عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقصير؛ لأن ذلك من واجب أولاده عليه ومن شكر نعمة الله عليه بما أعطاه من المال، وكيف يمنعهم المال في حياته ويبخل عليهم به ليجمعه لهم فيأخذوه قهرا بعد مماته؟ حتى لو بخل عليهم بما يجب فلهم أن يأخذوا من ماله ما يكفيهم بالمعروف كما أفتي بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هند بنت عتبة.

ومن حقوق الأولاد أن لا يفضل أحدا منهم على أحد في العطايا والهبات فلا يعطي بعض أولاده شيئا ويحرم الآخر، فإن ذلك من الجور والظلم والله لا يحب الظالمين، ولأن ذلك يؤدي إلى تنفير المحرومين وحدث العداوة بينهم وبين الموهوبين، بل ربما تكون العداوة بين المحرومين وبين آبائهم.

وبعض الناس يمتاز أحد من أبنائه على الآخرين بالبر والعطف والديه، فيخصه والده بالهبة والعطية من أجل ما امتاز به من البر ولكن هذا غير مبرر للتخصيص فالتمييز بالبر لا يجوز أن يعطي عوضا عن بره، لأن أجر بره على الله، ولأن تمييز البار بالعطية يوجب أن يعجب ببره ويرى له فضلا وأن ينفر الآخرين ويستمر في عقوقه، ثم إننا لا ندري فقد تتغير الأحوال فينقلب البار عاقا والعاق باراً، لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء.

وفي الصحيحين صحيح البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير أن أباه بشير بن سعد وهبه غلاما فأخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بذلك فقال النبي: (صلى الله عليه وسلم): (أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ قال: لا. قال النبي (صلى الله عليه وسلم) فأرجعه) أخرجه البخاري كتاب الهبة باب الهبة للولد (٢٥٨٧) ومسلم كتاب الهبات باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (١٦٢٣/٩).

وفي رواية: (اتقوا واعدلوا بين أولادكم) أخرجه البخاري كتاب الهبة باب الاشهاد في الهبة (٢٥٨٧) ومسلم في الموضوع السابق (١٦٢٣/١٣).

وفي لفظ: (أشهد على هذا غيري، فإنني لا أشهد على جور) أخرجه البخاري كتاب الهبة الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٢٦٥٠) ومسلم في الموضوع السابق (١٦٢٣/١٤).

فسمي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، تفضيل بعض الأولاد على بعض جورا والجور ظلم وحرام. لكن لو أعطي بعضهم شيئا يحتاجه والثاني لا يحتاجه مثل أن

يحتاج أحد الأولاد إلى أدوات مكتبة أو علاج أو زواج فلا بأس أن يخصه بما يحتاج إليه لأن هذا التخصيص من أجل الحاجة فيكون كالنفقة.

ومتى قام الوالد بما يجب عليه للولد من التربية والنفقة فإنه حري أن يوفق الولد للقيام ببر والده ومراعاة الحقوق، ومتى فرق الوالد بما يجب عليه من ذلك كان جديرا بالعقوبة بأن ينكر الولد حقه ويبتلي بعقوقه جزاء وفاقا وكما تدين تدان^٢.

الحق: الخامس حق الاقارب:

لل قريب الذي يتصل بك في القرابة كالأخ والعم والخال وأولادهم وكل من ينتمي إليك بصلة، فله حق هذه القرابة بحسب قربه، قال تعالى:

(وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) الإسراء: من الآية ٢٦.

وقال: (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى النِّسَاء: من الآية ٣٦).

فيجب على كل قريب أن يصل قريبه بالمعروف ببذل الجاه والنفع البدني والنفع المالي، بحسب ما تتطلبه قوة القرابة والحاجة و هذا ما يقتضيه الشرع والعقل والفطرة.

وقد كثرت النصوص في الحث على صلة الرحم وهو القريب، والترغيب في ذلك، ففي الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة.

فقال الله: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك).

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (اقْرؤُوا إِن شِئْتُمْ: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ × أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) محمد: ٢٢-٢٣. أخرج البخاري في كتاب الأدب باب من وصل وصله الله (٥٩٨٧) ومسلم كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ((٢٥٥٤)). وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه) أخرج البخاري كتاب الأدب باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ((٦١٣٨)).

٢. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٩ ص ٣٢ في ١٦ حزيران ٢٠١٠.

وكثير من الناس مضيعون لهذا الحق مفردون فيه، تجد الواحد منهم لا يعرف قرابته بصلة، لا بالمال ولا بالجاه ولا بالخلق وتمضي الأيام والشهور ولا رآهم ولا قام بزيارتهم ولا تودد إليهم بهدية، ولا دفع عنهم ضرورة أو حاجة، بل ربما أساء إليهم بالقول أو بالفعل أو بالقول والفعل جميعا، يصل البعيد ويقطع القريب.

ومن الناس من لا يصل أقاربه إن وصلوه ويقطعهم إذا قطعوه. وهذا ليس بواصل في الحقيقة إنما هو مكافئ للمعروف بمثله وهو حاصل للقريب وغيره، فإن المكافأة لا تختص بالقريب، والواصل حقيقة هو: الذي يصل قرابته لله ولا يبالي سواء وصلوه أم لا، كما في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب ليس الواصل بالمكافئ (٥٩٩١)).

وسأله رجل فقال: (يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، واحسن إليهم ويسئئون إليّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليّ فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٢٥٥٨) رواه مسلم. ولو لم يكن في صلة الرحم إلا أن الله يصل الواصل في الدنيا والآخرة فيمده بالرحمة وييسر له الأمور ويفرج عنه الكربات. مع ما في صلة الرحم من تقارب الأسر وتوادهم وحنو بعضهم على بعض ومعاونة بعضهم البعض في الشدائد والسرور والبهجة والحاصلة بذلك كما هو مجرب معلوم. وكل هذه الفوائد تنعكس حينما تحل القطيعة ويحصل التباعد.

الحق السادس، حق الزوجين:

للزواج آثار هامة، ومقتضيات كبيرة فهو رابطة بين الزوج وزوجته، يلزم كل واحد منهما بحقوق للآخر: حقوق بدنية، وحقوق اجتماعية، وحقوق مالية. فيجب على الزوجين أن يعاشر كل منهما الآخر بالمعروف، وأن يبذل الحق الواجب له بكل سماحة وسهولة من غير تكره لبذله ولا مماطلة. قال الله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) النساء: من الآية ١٩.

وقال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) البقرة: من الآية ٢٢٨.

كما يجب على المرأة أن تبذل لزوجها ما يجب عليها بذله، ومتى ما قام كل واحد من الزوجين بما يجب عليه للآخر كانت حياتهما سعيدة ودامت العشرة بينهما، وإن كان الأمر بالعكس حصل الشقاق والنزاع وتنكدت حياة كل منهما.

ولقد جاءت النصوص الكثيرة بالوصية بالمرأة ومراعاة حالها، وأن كمال الحال من المحال، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء).

وفي رواية: (إن المرأة خلقت من ضلع ولن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها فاستمتع بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها) وقال (صلى الله عليه وسلم): (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر).
ومعنى لا يفرك: لا يبغض.

ففي هذه الأحاديث إرشاد النبي (صلى الله عليه وسلم)، أمته كيف يعامل الرجل المرأة وأنه ينبغي أن يأخذ منها ما تيسر لأن طبيعتها التي خلقت أن لا تكون على الوجه الكامل، بل لا بد فيها من عوج، ولا يمكن أن يستمتع بها الرجل، إلا على الطبيعة التي خلقت عليها وفي هذه الأحاديث أنه ينبغي للإنسان أن يقارن بين المحاسن والمساوي في المرأة فإنه إن كره منها خلقاً فليقارنه بالخلق الثاني الذي يرضاه منها ولا ينظر إليها بمنظار السخط والكراهية وحده.

وإن كثيراً من الأزواج يريدون الحالة الكاملة من زوجاتهم، وهذا شيء غير ممكن وبذلك يقعون في النكد، ولا يتمكنون من الاستمتاع والمتعة بزوجاتهم، وربما أدى ذلك إلى الطلاق كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها).

فينبغي للزوج أن يتساهل ويتغاضى عن كل ما تفعله الزوجة إذا كان لا يخل بالدين أو الشرف. ومن حقوق الزوجة على زوجها: أن يقوم بواجب نفقتها من الطعام والشراب والكسوة والمسكن.

وتوابع ذلك لقوله تعالى: (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) البقرة: من الآية ٢٣٣.

قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) وسئل

ما حق زوجة أحدنا عليه قال: (أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت) أخرجه أبو داود كتاب النكاح باب حق المرأة على زوجها (٢١٤٢) وابن ماجه كتاب النكاح باب حق المرأة على الزوج (١٨٥٠) وقال الالباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٩٧٢/٢) إسناده حسن) رواه أبو داود).

ومن حقوق الزوجة على زوجها: أن يعدل بينها وبين جاريتها إن كان له زوجة ثانية، يعدل بينهما في الانفاق والسكني والمبيت وكل ما يمكنه العدل فيه، فإن الميل إلى إحدهما كبيرة من الكبائر، قال (صلى الله عليه وسلم): (من كانت له امرأتان فمال إلى إحدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل) أخرجه أبو داود كتاب النكاح باب في القسم بين النساء (٢١٣٣) والترمذي كتاب النكاح باب ما جاء في التسوية بين الضرائر (١١٤١) وابن ماجه كتاب النكاح باب القسمة بين النساء (١٩٦٩) وصحه الالباني في صحيح الجامع (٦١١٥).

وأما ما لا يمكنه أن يعدل فيه كالمحبة وراحة النفس فإنه لا إثم عليه فيه؛ لأن هذا بغير استطاعته قال الله تعالى: (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ) النساء: من الآية ١٢٩.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) أخرجه أبو داود كتاب النكاح باب في القسم بين النساء (٢١٣٤) والترمذي كتاب النكاح باب ما جاء في التسوية بين الضرائر (١١٤٠) وابن ماجه كتاب النكاح باب القسمة بين النساء (١٩٧١) ٣.

ولكن لو فضل إحدهما على الأخرى في المبيت برضاها فلا بأس؛ كما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقسم لعائشة يومها ويوم سودة حين وهبته سودة لعائشة؛ وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسأل وهو في مرضه الذي مات فيه؛ أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات. أخرجه البخاري كتاب النكاح باب إذا استأذن الرجل نساءه (٥٢١٧) ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة (رضي الله عنها) (٢٤٤٣).

٢. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٩٦ ص ٣٢ في ٢٣ حزيران ٢٠١٠.

أما حقوق الزوج على زوجته فهي أعظم من حقوقها عليه لقوله تعالى:
(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) البقرة: من الآية ٢٢٨.
والرجل قوام على المرأة يقوم بمصالحها وتأديبها وتوجيهها كما قال تعالى:
(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ
أَمْوَالِهِمْ) النساء: من الآية ٣٤.

فمن حقوق الزوج على زوجته: أن تطيعه في غير معصية الله وأن تحفظه في سره
وماله فقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت
أن تجيء فبات غضباناً عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح) أخرجه البخاري كتاب
النكاح باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها (٥١٩٣) ومسلم كتاب النكاح باب
تحريم امتناعها في فراش زوجها (١٤٣٦/١٢٢).

ومن حقوقه عليها: أن لا تعمل عملاً يضيع عليه كمال الاستمتاع حتى لو كان ذلك
تطوعاً بعبادة لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (لا يحل لامرأة أن تصوم و زوجها
شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه) أخرجه البخاري كتاب النكاح باب لا
تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه (٥١٩٥) ومسلم كتاب الزكاة؛ باب ما أنفق
العبد من مال مولاه (١٠٢٦).

ولقد جعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رضى الزوج عن زوجته من أسباب
دخولها الجنة؛ فروى الترمذي من حديث أم سلمة (رضي الله عنها) أن رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) قال: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة).

الحق السابع: حقوق الولاية على الرعية:

الولاية: هم الذين يتولون أمور المسلمين، سواء كانت الولاية عامة كالرئيس الأعلى في
الدولة أو ولاية خاصة على إدارة معينة أم عمل معين، وكل هؤلاء لهم حق القيام
به على رعيته، ولرعيتهم حق عليهم كذلك.

فحقوق الرعية على الولاية: أن يقوموا بالأمانة التي حملهم الله إياها وألزمهم القيام
بها من النصح للرعية والسير بها على النهج القويم الكفيل بمصالح الدنيا والآخرة
وذلك بإتباع سبيل المؤمنين، وهي الطريق التي كان عليها رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) فإن عليه الصلاة والسلام فيها السعادة لهم ولرعيتهم ومن تحت أيديهم وهي

أبلغ شئ يكون به رضا الرعية عن رعاتهم والارتباط بينهم والخضوع لأوامرهم وحفظ الأمانة فيما يولونه إياهم؛ فإن من اتقى الله اتقاه الناس ومن أرضى الله كفاه الله مؤونة الناس وأرضاهم عنه لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء.

وأما حقوق الولاة على الرعية فهي: النصح لهم فيما يتولاه الإنسان من أمورهم، وتذكيرهم إذا غفلوا والدعاء لهم إذا مالوا عن الحق، وامتنال أمرهم في غير معصية الله، لأن في ذلك قوام الأمر وانتظامه، وفي مخالفتهم وعصيائهم انتشار الفوضى وفساد الأمور ولذلك أمر الله بطاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) النساء: ٥٩.

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة). متفق عليه.

وقال عبد الله بن عمر: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سفر فنزلنا منزلا فنادي منادي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: (الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: (إنه ما من نبي بعثه الله إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمهم لهم، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيئ فتنة يرقق بعضها بعضا تجيئ الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي و تجيئ الفتنة فيقول المؤمن: هذه؛ فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتي إليه، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فأضربوا عنق الآخر) رواه مسلم.

وسأل النبي (صلى الله عليه وسلم) رجل فقال: (يا نبي الله أرأيت إن قام علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله مرة ثانية، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم) ومن حقوق الولاة على الرعية: مساعدة الرعية لولاتهم من مهماتهم بحيث يكونون عوناً لهم على تنفيذ الأمر الموكول إليهم، وأن يعرف كل واحد دوره ومسئوليته في المجتمع حتى تسير الأمور على الوجه المطلوب، فإن الولاة إذا لم تساعدهم الرعية على مسؤولياتهم لم تات شؤونهم على الوجه المطلوب.

الحق الثامن: حق الجيران:

الجار هو: القريب منك في المنزل وله حق كبير عليك فإن كان قريباً منك في النسب وهو مسلم فله ثلاثة حقوق: حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام، وإن كان مسلماً وليس بقريب في النسب فله حقان، حق الجوار وحق الإسلام، وكذلك إن كان قريباً وليس بمسلم فله حقان: حق الجوار وحق القرابة، وأن كان بعيداً غير مسلم فله حق واحد حق الجوار قال تعالى: (وَالْأَوْلَادِ الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِوَالِدَيْهِمُ الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ) النساء: من الآية ٣٦.

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) متفق عليه.

فمن حقوق الجار على جاره: أن يحسن إليه بما استطاع من المال والجاه والنفق فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (خير الجيران عند الله خيرهم لجاره).

وقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره).

وقال أيضاً: (إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك).

ومن الإحسان إلى الجار تقديم الهدايا إليه في المناسبات فإن الهدية تجلب المودة وتزيل العداوة. ومن حقوق الجار على جاره: أن يكف عنه الأذى القولي والفعلي، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن فقالوا من يا رسول الله؟ قال الذي لا يأمن جاره بوائقه). وفي رواية: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه).

وبوائق الشرور فمن لا يأمن جاره شره فليس بمؤمن.

وكثير من الناس الآن لا يهتمون بحق الجوار ولا يأمن جيرانهم من شرورهم، فتراهم دائماً في نزاع معهم وشقاق واعتداء على الحقوق وإيذاء بالقول والفعل وكل هذا مخالف لما أمر الله ورسوله، وموجب لتفكك المسلمين وتباعد قلوبهم وإسقاط بعضهم حرمة بعض)٤.

الحق التاسع: حقوق المسلمين عموماً:

وهذه الحقوق كثيرة جداً: ومنها ما ثبت في الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم

٤. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٩٧ ص ٣٢ في ٣٠ حزيران ٢٠١٠.

- قال: (حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فَأَنْصَحْ له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه) أخرجه مسلم كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام (٢١٦٢) ° وأخرجه البخاري بلفظ قريب وفيه (خمس) بدل ست كتاب الجنائز باب الأمر باتباع الجنائز (١٢٤٠).

ففي هذا الحديث بيان عدة حقوق بين المسلمين:

الحق الأول، من حقوق المسلمين عموماً: السلام: فالسلام سنة مؤكدة وهو من أسباب تآلف المسلمين وتوادهم، كما هو مشاهد وكما يدل عليه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - (والله لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وإن محبة المؤمنين من الإيمان. (٥٤).

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبدأ من لقيه بالسلام ويسلم على الصبيان إذا مر بهم.

والسنة أن يسلم الصغير على الكبير، والقليل على الكثير والراكب على الماشي ولكن إذا لم يقم بالسنة من هو أولى بها فليقم بها الآخر لئلا يضيع السلام، فإذا لم يسلم الصغير فليسلم الكبير وإذا لم يسلم القليل فليسلم الكثير ليحوز الأجر.

قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: (ثلاث من جمعهن فقد استكمل الإيمان: الإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والإنفاق من الإقتار). وإذا كان بدء السلام سنة فإن رده فرض كفاية إذا قام به من يكفي أجراً عن الباقيين، فإذا سلم على جماعة فرد واحد منهم أجراً عن الباقيين قال تعالى:

(وَإِذَا حِينُكُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) النساء: ٨٦.

فلا يكفي في رد السلام أن يقول: أهلاً وسهلاً فقط، لأنها ليست أحسن منه ولا مثله؛ فإذا قال: السلام عليكم. فليقل: وعليكم السلام. وإذا قال: أهلاً فليقل أهلاً مثلاً بمثل. وإن زاد تحية فهو أفضل.

الحق الثاني، من حقوق المسلمين عموماً: إذا دعاك فأجب: أي إذا دعاك إلى منزله

٥. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٩٨ ص ٣٢ في تموز ٢٠١٠.

لتناول طعام أو غيره فأجبه، والإجابة إلى الدعوة سنة مؤكدة، لما فيه من جبر قلب الداعي، وجلب المودة والإلفة ويستثنى من ذلك وليمة العرس، فإن أجاب فإن الإجابة إلى الدعوة إليها واجبة بشروط معروفة لقول النبي - صلى الله عليه وسلم: (ومن لم يجب فقد عصى الله ورسوله) أخرجه مسلم كتاب النكاح باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة (١٤٢٣) - (١١٠)، وأخرجه البخاري بمعناه في كتاب النكاح باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله (٥١٧٧).

ولعل قوله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا دعاك فأجبه) يشمل حتى الدعوة لمساعدته ومعاونته فإنك مأمور بإجابته فإذا دعاك لتعينه على حمل شئ أو القائه أو نحو ذلك فإنك مأمور بمساعدته لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً).

الحق الثالث، من حقوق المسلمين عموماً: إذا استنصحك فأنصحه: يعني إذا جاء إليك يطلب نصيحتك له في شئ فأنصحه لأن هذا من الدين كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة، لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم).

أما إذا لم يأت إليك يطلب النصيحة فإن كان عليه ضرر أو إثم فيما سيقدم عليه وجب عليك أن تنصحه وإن لم يأت إليك، لأن هذا من إزالة الضرر والمنكر عن المسلمين، وإن كان لا ضرر عليه فيما سيفعل ولا إثم ولكنك ترى أن غيره أنفع له فإنه لا يجب عليك أن تقول له شيئاً إلا أن يستنصحك فتلزم النصيحة.

الحق الرابع، من حقوق المسلمين عموماً: إذا عطس فحمد الله فشتمته: أي قل له: يرحمك الله، شكرا له على حمده لربه عند العطاس أما إذا عطس ولم يحمد الله فإنه لا حق له، فلا يشمت لأنه لما لم يحمد الله كان جزاؤه أن لا يشمت. وتشميت العاطس إذا حمد فرض، ويجب عليه الرد فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم، وإذا استمر معه العطاس وشتمته ثلاثاً فقل له في الرابعة: عافاك الله. بدلا عن قولك: يرحمك الله.

الحق الخامس، من حقوق المسلمين عموماً: إذا مرض فعده: وعبادة المريض زيارته وهي حق له على إخوانه المسلمين، فيجب عليهم القيام بها وكلما كان للمريض حق عليك من قرابة أو صحبة أو جوار كانت عيادته أوكد.. والعبادة بحسب حال المرض فقد تتطلب الحال كثرة التردد إليه، وقد تتطلب الحال قلة التردد إليه، فالأولى مراعاة الأحوال، والسنة لمن عاد مريضا أن يسأله عن حاله، ويدعو له ويفتح له باب الفرج

والرجاء، فإن ذلك من أكبر أسباب الصحة والشفاء وينبغي أن يذكره التوبة بأسلوب لا يروعه، فيقول له مثلاً: إنك في مرضك هذا تكسب خيراً، فإن بالمرض يكفر الله الخطايا ويمحو به السيئات، ولعلك تكسب بانحباسك أجراً كثيراً بكثرة الذكر والاستغفار والدعاء.

الحق السادس، من حقوق المسلمين عموماً: إذا مات فاتبعه: فاتباع الجنائز من حقوق المسلم على أخيه، وفيه أجر كبير، فقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (من تبع جنازة حتى يصلي عليها فله قيراط، ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان) وقيل: ما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين).

الحق السابع، من حقوق المسلمين عموماً: كف الأذى عنه: فإن في أذية المسلمين إثماً عظيماً قال الله تعالى:

(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كُتِبَ لَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (الأحزاب: ٥٨). والغالب أن من تسلط على أخيه بأذية فإن الله ينتقم منه في الدنيا قبل الآخرة، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) أخرجه البخاري مختصراً كتاب الأدب باب ما ينهي عن التحاسد والتدابير (٦٠٦٥) وفي باب الهجرة (٦٠٦٧) ومسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره (٢٥٦٧).

وحقوق المسلم على المسلم كثيرة، ولكن يمكن أن يكون المعنى الجامع لها قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (المسلم أخو المسلم) فإنه متى قام بمقتضي هذه الإخوة اجتهد أن يتحرى له الخير كله وأن يجتنب كل ما يضره.

الحق العاشر: حق غير المسلمين: ويشمل جميع الكافرين وهم أصناف أربعة: حربيون ومستأمنون - بكسر الميم - ومعاهدون وذميون. فأما الحربيون فليس لهم علينا حق الحماية في الوقت والمكان المحددين لتأمينهم لقول الله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) التوبة: ٦ .

وأما المعاهدون فلهم علينا حق الوفاء بعهدهم إلى المدة التي جرى الاتفاق عليها بيننا

وبينهم ما داموا مستقيمين لنا على العهد لم ينقصونا شيئاً ولم يعينوا أحداً علينا ولم يطعنوا في ديننا لقول الله تعالى:

(الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) التوبة: ٤ .
وقوله: (وَأَنْ نَّكُونُوا بِأَيْمَانِهِمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ) التوبة: ١٢ .

وأما الذميون فهم أكثر هؤلاء الأصناف حقوقاً فيما لهم وعليهم، وذلك لأنهم يعيشون في بلاد المسلمين وتحت حمايتهم ورعايتهم بالجزية التي يبذلونها.

فيجب على ولي أمر المسلمين أن يحكم فيهم بحكم الإسلام في النفس والمال والعرض، وأن يقيم الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه، ويجب عليه حمايتهم وكف الأذى عنهم.

ويجب أن يتميزوا عن المسلمين في اللباس، وألا يظهرُوا شيئاً منكراً في الإسلام أو شيئاً من شعائر دينهم كالناقوس والصليب، وأحكام أهل الذمة موجودة في كتب أهل العلم لا نطيل بها هنا.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
محمد الصالح العثيمين ° .

٥ . إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٩٨ ص ٣٢ في ٧ تموز ٢٠١٠ .

من طرائف التأريخ والأدب

ليس بالضرورة أن يكون كل ما قيل صحيحاً، وليس من المعقول أن نرد كل ما قيل و نرفضه، كانت مجالس الأمراء أو الخلفاء كما يذكر لنا أرباب التأريخ والأدب، مليئة بالمفارقات، من قمة التدين إلى السياسة والأدب فالمجون أيضاً، كان ذلك في زمن لم تكن الأمور كما عليها الآن، حيث كان للحكام وقت للجد و وقت للعب وأوقات للقاء بالرعية والإحتكاك بهم، وكانت مجالسهم لا تخلو من أهل العلم والأدب ومن يرشدونهم وكانت المشاورات على أوجهها، وكان الوصول إليهم عبر حواجب معينة وأمور وطرق محددة، أما اليوم فوضع البلاد والعباد قد تغير، في معظم البلاد الإسلامية الموسومة بالنامية، تجد أصحاب الأقلام الكريمة وذوي العلم - طبعاً غير المتملقين منهم -، أحدهم يتمني لو وفق يوماً ما لينعم برؤية أحد السادة من أصحاب القرار عن قرب، ليقول له: أخي الراعي و يا صاحب الجلالة والعظمة!، ما كل من طلب اللقاء بكم لفرط حبه فقط، ولا لإعلان الولاء لمقامكم الكريم العالي فقط، ولا رغبة باللقاء وتعطشا له، ولا طلباً للمال كما يصور لكم!، فلربما هناك مظالم يريد أن يسمعكم إياها - حفظكم الله - وإن كان الرد على طلب اللقاء كثيراً ما يأتي و بعد انتظار سنين طوال، من قبل رئيس جيش الحجاب، أو (السكرتير) المحترم، أو (السكرتيرة) المدلعة، بأن سيادة المسؤول - أدام الله ظله -، مشغول جداً!، وقد أمر سعادتته، بأن أبلغك بأن تكتب كل ما عندك، لنوصله إلى فخامتته! جاهلاً أو متجاهلاً، بأن ما يراد كتابته، ذكر بعض من مساويء ذلك الشخص الموقر وأشباهه من البطانة المحترمين، الذين أصبحوا سلاسل جبال و جداراً من حديد بين السادة والمواطنين!، طبعاً هذا واقع معظم أصحاب الأقلام مع الساسة أصحاب القرار في بلادنا الإسلامية، الديمقراطية، الاشتراكية، الجماهيرية، الوطنية، التقدمية، العلمانية، الدينية، اللادينية، العظمى!، في حين تجد ذوي الحظوظ المرموقة والأصوات الحسنة المتملقة، ومن على شاكلتهم،

وأصحاب الأموال ومصالحها، فلامواعيد ولا استئذان، إذ هم أهل الدار وخيرة أهلها الموقرين! أقول هذا متحسرا على جهود نبذلها هنا وهناك، وقلما نجد انعكاسا لما نكتبه على الواقع، فعلى أية حال، لست الكاتب والشيخ الوحيد الذي أشعر بهذا التباعد، فغيري الكثير الكثير، وليس بأيدينا - أين كنا - حيلة، سوى (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) البقرة ١٥٦. و لكي لا آخذ بكم إلى الأبعد مما يجوز حسب بعض المقاييس، أعود إلى ماعنونت به الحلقة: (من طرائف التأريخ والأدب) فأحكي لكم طريفتين، عسى أن يكون فيهما تذكير بصفحة من الماضي من جهة، وأن يعود إلى مجالس بعض المسؤولين شئ من الشفافية والإحتكاك بال جماهير، كل الجماهير ويكتفوا بهذا القدر الذي إلى الآن هم عليه من البعد من الرعية وأن لا يكتفوا بنقل الأخبار من الثقات عندهم!:

الطرفة الأولى: (لقد كان (أبو جعفر المنصور)، الخليفة العباسي، يحفظ القصيدة من أول مرة، وعنده غلام يحفظ القصيدة من المرة الثانية، وعنده جارية تحفظ القصيدة من المرة الثالثة، وكان أبو جعفر ذكياً، فأراد أن يباري الشعراء فنظّم مسابقة للشعراء فإن كانت من حفظه منح جائزة، وإن كانت من نقله فلم يعط شيئاً، فيجيء الشاعر وقد كتب قصيدة ولم ينم في تلك الليلة، لأنه كان يكتب القصيدة؛ فيأتي فيلقبها فيقول الخليفة: إنني أحفظها منذ زمن!، ويخبره بها.

فيتعجب الشاعر ويقول في نفسه: يكرر ذات النمط في بيت أو بيتين أما في القصيدة كلها فمستحيل!. فيقول الخليفة: لا وهناك غيري، أحضروا الغلام.

فيحضرونه من خلف ستار بجانب الخليفة، فيقول له: هل تحفظ قصيدة كذا؟ فيقول: نعم، ويقولها فيتعجب الشاعر! فيقول: لا وهناك غيرنا، أحضروا الجارية. فيحضرونها من خلف الستار، فيقول لها: هل تحفظين قصيدة كذا؟ فتقول: نعم، وتقولها.

عندها ينهار الشاعر ويقول في نفسه: لا أنا لست بشاعر! وينسحب مهزوماً.

فتجتمع الشعراء في مكان يواسون بعضهم؛ فمر بهم الأصمعي فرأهم على هذه الحال، فسألهم: ما الخبر؟ فأخبروه بالخبر فقال: أن في الأمر شيئاً، لا بد من حل.

فجاءه الحل فكتب قصيدة جعلها منوعة الموضوعات، وتنكر بملايس أعرابي وغطي وجهه حتى لا يعرف وحمل نعليه بيديه وربط حماره إلى عامود بالقصر، ودخل على الخليفة وقال: السلام عليك أيها الخليفة. فرد السلام، وقال: هل تعرف الشروط؟ قال: نعم.

فقال الخليفة: هات ما عندك. قال الأصمعي:

صَوْتُ صَفِيرِ البُّبُلِ

هَيْجَ قَلْبِي التَّمَلِّ

المَاءِ وَالزَّهْرُ مَعًا

مَعَ زَهْرٍ لِحْظِ المَقْلِ

وَأَنْتَ يَا سَيِّدَ لِي

وَسَيِّدِي وَمَوْلِي لِي

فَكَمْ فَكَمْ تَيَّمَنِي

غَزِيلُ عَقِيقَتِي

قَطَفْتُ مِنْ وَجَنَّتِهِ

مِنْ لَنْمٍ وَرَدِ الخَجَلِ

فَقَالَ بَسْ بِسَبْسُتِي

فَلَمْ يَجِدْ بالقَبْلِ.

فَقَالَ لَا لَا لَا لَا لَا

وَقَدْ غَدَا مُهْرُولٌ.

وَالخُودُ مَالَتْ طَرِبًا

مِنْ فَعَلِ هَذَا الرَّجُلِ

فَوَلَّوْتُ وَوَلَّوْتُ.

وَلِي وَلِي يَا وَيْلَ لِي

فَقُلْتُ: لَا تُؤْلَوِي

وَبَيْنِي اللُّؤْلُوِي

لَمَّا رَأَتْهُ أَشْمَطًا

يُرِيدُ غَيْرَ القَبْلِ

وَبَعْدَهُ لَا يَكْتَفِي

إِلَّا بِطِيبِ الوَصْلِ لِي

قَالَتْ لَهُ حِينَ كَذَا
انْهَضْ وَجِدْ بِالنَّقْلِ
وَفِتْيَةَ سَقَوْنِي
فَهَوَّةٌ كَالْعَسَلِ لِي
شَمَمْتُهَا بِأَنْفِي
أَزْكِي مِنَ الْقَرْنَفْلِ
فِي وَسْطِ بُسْتَانِ حُلِي
بِالزَّهْرِ وَالسُّرُورِ لِي
وَالْعُودِ دُنْ دُنْدُنِ لِي
وَالطَّبْلِ طَبْ طَبْلٍ لِي
وَالسَّقْفِ قَدْ سَقَسَقَ لِي
وَالرَّقْصِ قَدْ طَبَّطَبَ لِي
شَوِي شَوِي وَشَاهِشُ
لِي وَرَقٌ سَفَرَجَلٍ
وَعَرْدَ الْقَمْرِ يَصِيحُ
مَنْ مَلَلٍ فِي مَلَلٍ
فَلَوْ تَرَانِي رَاكِباً
عَلَى حِمَارٍ أَهْزَلٍ
يَمْشِي عَلَى ثَلَاثَةٍ
كَمَشْيَةِ الْعَرَنْجِلِ
وَالنَّاسِ تَرْجِمُ جَمَلِي
فِي السُّوقِ بِالْقُلُقُلِ
وَالكُلُّ كَعَكَعُ كَعَكَعُ
خَلْفِي وَمَنْ حُوَيْلِي
لَكِنْ مَشَيْتُ هَارِباً

مِنْ حَشِيَّةِ الْعَقَقَلِيِّ
 إِلَى لِقَاءِ مَلِكٍ
 مُعْظَمٍ مُبْجَلٍ
 يَأْمُرُنِي بِخَلْعَةٍ
 حَمْرَاءَ كَالدَّمِ دَمَلِي
 أَجْرُ فِيهَا مَا شِئَا .
 مَبْعُدًا لِلذَّيْلِ
 أَنَا الْأَدِيبُ الْأَلْعِي
 مِنْ حَيِّ أَرْضِ الْمُوصِلِ
 نَظَمْتُ قِطْعًا زُخْرَفَتْ
 يَعْجِزُ عَنْهَا الْأَدَبُ لِي
 أَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا
 صَوْتُ صَفِيرِ الْبَيْلِ...

هنا تعجب الخليفة ولم يستطع حفظها لأن فيها أحرفا مكررة فقال: والله ما سمعت
 بها من قبل. أحضروا الغلام، فأحضره؛ فقال: والله ما سمعت بها من قبل.
 قال الخليفة: أحضروا الجارية، فقالت: والله ما سمعت بها من قبل.
 فقال الخليفة: إذاً أحضر ما كتبت عليه قصيدتك لنزينها ونعطيك وزنها ذهباً. فقال
 الأصمعي: لقد ورثت لوح رخامٍ عن أبي لا يحمله إلا أربعة من جنودك.
 فأمر الخليفة بإحضاره، فأخذ بوزنه كل مال الخزانة فعندما أراد الأصمعي المغادرة
 قال الوزير: أوقفه يا أمير المؤمنين والله ما هو إلا الأصمعي.
 فقال الخليفة: أزل اللثام عن وجهك يا أعرابي.
 فأزال اللثام فإذا هو الأصمعي، فقال: أتفعل هذا معي، أعد المال إلى الخزانة. فقال
 الأصمعي: لا أعيده إلا بشرط أن ترجع للشعراء مكافآتكم.
 فقال الخليفة: نعم. فأعاد الأصمعي الأموال وأعاد الخليفة المكافآت^١.
 أما الطرفة الثانية: عن عبد السلام بن حرب أن المنصور بعث إلى عمرو بن عبيد -

١. يمكن مراجعة: موقع (الملك) .

كان رجلا زاهدا من معتزلي العقيدة - فجاءه، فأمر له بمال، فأبى أن يقبله.

فقال المنصور: والله لتقبلنه.

فقال: والله لا أقبله.

فقال له المهدي: - ولي العهد وابن المنصور - قد حلف أمير المؤمنين!

فقال: أمير المؤمنين أقوى على كفارة اليمين من عمك.

فقال له المنصور: سل حاجتك؟ قال: أسألك أن لا تدعوني حتى آتيك، ولا تعطيني

حتى أسألك.

فقال: علمت أنني جعلت هذا ولي عهدي - ويشير إلى المهدي - فقال: يأتيه الأمر يوم

يأتيه، وأنت مشغول!.

ولما خرج أنشد أبو جعفر:

كلكم يمشي رويدُ

كلكم طالبُ صيدُ

غير عمرو بن عبيد^٢.

كما رأينا مثلما كان هناك من يطلب دراهم الأمير والخليفة، كان هناك من يستغني عنها ويعف عن أخذها، ولكن الستم معي اليوم في أن هناك أسئلة محيرة تفرض نفسها:

إن كان الظن بالناس أنهم سيطلبون المال، ولذلك يمنعون من اللقاء، مالذي جعلهم يطلبون؟ أهو تعلم الناس التسول وقلّة الحياء؟ أم قلّة العدالة الإجتماعية؟ إن لم نقل افتقادها! أم أن الواقع فرض على الناس الصادقين الذين بقدر ما تعبوا ما بلغوا معشار غيرهم وبذات درجاتهم الوظيفية؟ أية عدالة هي التي تجعل من موظف صاحب درجة وظيفية محددة، مالكا للشقق والسيارات الفارهة والأسهم في الشركات الداخلية والأجنبية؟ في حين غيره في مثل وظيفته، أشرف وأتعب وأخلص منه يعاني من ضنك العيش ودون درجة الصفر؟ ألم يحن وقت طرح سؤال عمر (رضي الله عنه) على الولاة: (من أين لك لا أم لك؟) أم ندع السفينة ينتحبها كل من جهته حتى نغرق جميعا؟ هل من إجابة؟ أم نرفع أكف الضراعة قائلين: (إلى الله المشتكى) فإن النجاة كل النجاة لا

٢. يمكن مراجعة: موقع (اسرة آل باوزير العباسية الهاشمية) .

تكون الا بيده كما قالها كعب بن زهير:
إلى الله (لا العزى ولا اللات) وحده
فتتجو إذا كان النجاء وتسلم^{٣-٤}

٢. يمكن مراجعة: موقع (اسلام ويب) .
٤. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٢٩٩ ص ٣٢ في ١٤ تموز ٢٠١٠ .

شعبان: شهر تغفل الناس فيه عنه

أخصص حلقة اليوم للتذكير بنصوص صحيحة من أقوال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) عسى أن ينفعنا ويوفقنا لأن نقوم ببعض ما قام به اسلافنا الخيرون.

١- عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كان رسول الله يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيت أكثر صياما منه في شعبان، رواه البخاري برقم (١٨٣٣). ومسلم برقم (١٩٥٦) وفي رواية لمسلم برقم (١٩٥٧): (كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلا). وقد رجح طائفة من العلماء منهم ابن المبارك وغيره أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يستكمل صيام شعبان، وإنما كان يصوم أكثره، ويشهد له:

٢- ما في صحيح مسلم برقم (١٩٥٤) عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (ما علمته - تعني النبي (صلى الله عليه وسلم) - صام شهرا كله إلا رمضان) وفي رواية له أيضا برقم (١٩٥٥) عنها قالت: (ما رأيت صام شهرا كاملا منذ قدم المدينة إلا أن يكون رمضان).

٣- وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: (ما صام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شهرا كاملا غير رمضان) أخرجه البخاري رقم ١٩٧١ ومسلم رقم ١١٥٧، وكان ابن عباس يكره أن يصوم شهرا كاملا غير رمضان، قال ابن حجر رحمه الله: كان صيامه في شعبان تطوعا أكثر من صيامه فيما سواه وكان يصوم معظم شعبان.

٤- وعن أسامة بن زيد (رضي الله عنه) قال: قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، فقال: (ذاك شهر تغفل الناس فيه عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم)، رواه النسائي، أنظر صحيح الترغيب والترهيب ص ٤٢٥، وفي رواية:

٥- لأبي داود برقم (٢٠٧٦) قالت: (كان أحب الشهور إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان). صححه الألباني.... أنظر صحيح سنن أبي داود ٤٦١/٢.

قال ابن رجب رحمه الله: صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم، وأفضل التطوع ما كان قريبا من رمضان قبله وبعده، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها وهي تكملة لنقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بعد عنه.

وقوله (شعبان شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان: يشير إلى أنه لما اكتنفه شهران عظيمان - الشهر الحرام وشهر الصيام - اشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولا عنه، وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيام شعبان لأن رجب شهر حرام، وليس كذلك. وفي الحديث السابق إشارة إلى أن بعض ما يشتهر فضله من الأزمان أو الأماكن أو الأشخاص قد يكون غيره أفضل منه. وفيه دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة، كما كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة ويقولون هي ساعة غفلة، ومثل هذا استحباب ذكر الله تعالى في السوق لأنه ذكُر في موطن الغفلة بين أهل الغفلة، وفي إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد منها: أن يكون أخفي للعمل وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل، لا سيما الصيام فإنه سرٌّ بين العبد وربّه، ولهذا قيل إنه ليس فيه رياء.

وقد اختلف أهل العلم في أسباب كثرة صيامه- (صلى الله عليه وسلم) - في شعبان على عدة أقوال:

أ- أنه كان يشتغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره فتجتمع فيقضيتها في شعبان وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا عمل بنافلة أثبتها وإذا فاتته قضاها.

ب- وقيل إن نساءه كن يقضين ما عليهن من رمضان في شعبان فكان يصوم لذلك، وهذا عكس ما ورد عن عائشة أنها تؤخر قضاء رمضان إلى شعبان لشغلها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الصوم.

ج- وقيل لأنه شهر يغفل الناس عنه: وهذا هو الأرجح لحديث أسامة السالف الذكر

والذي فيه: (ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان) رواه النسائي، أنظر صحيح الترغيب والترهيب ص ٤٢٥ وكان إذا دخل شعبان وعليه بقية من صيام تطوع لم يصمه قضاؤه في شعبان حتى يستكمل نوافله بالصوم قبل دخول رمضان - كما كان إذا فاتته سنن الصلاة أو قيام الليل قضاؤه - فكانت عائشة حينئذ تغتتم قضاؤه لنوافله فتقضي ما عليها من فرض رمضان حينئذ لفظها فيه بالحيز وكانت في غيره من الشهور مشغولة بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، فيجب التنبه والتنبيه إلى أن من بقي عليه شيء من رمضان الماضي فيجب عليه صيامه قبل أن يدخل رمضان القادم ولا يجوز التأخير إلى ما بعد رمضان القادم إلا لضرورة (مثل العذر المستمر بين الرمضانين)، ومن قدر على القضاء قبل رمضان ولم يفعل فعليه مع القضاء بعده التوبة وإطعام مسكين عن كل يوم، وهو قول مالك والشافعي وأحمد. وكذلك من فوائد صوم شعبان أن صيامه كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده فيدخل رمضان بقوة ونشاط. ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان فإنه يكون فيه شيء مما يكون في رمضان من الصيام وقراءة القرآن والصدقة، وقال سلمة بن سهيل كان يقال: شهر شعبان شهر القراء، وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال هذا شهر القراء، وكان عمرو بن قيس الملائني إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن

الصيام في آخر شعبان

ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لا تقدموا رمضان بيوم أو يومين، إلا من كان يصوم صوما فليصمه) أخرجه البخاري رقم (١٩٨٣) ومسلم برقم (١٠٨٢)، فكيف نجتمع بين حديث الحث وحديث المنع فالجواب: قال كثير من العلماء وأكثر شراح الحديث: إن هذا الرجل الذي سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يعلم أن له عادة بصيامه، أو كان قد نذره فلذلك أمره بقضائه. وقيل في المسألة أقوال أخرى، وخلاصة القول أن صيام آخر شعبان له ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يصومه بنية الرضائية احتياطا لرمضان، فهذا محرم.

الثاني: أن يصام بنية النذر أو قضاء عن رمضان أو عن كفارة ونحو ذلك، فجوّزه الجمهور.

الثالث: أن يصام بنية التطوع المطلق، فكرهه من أمر بالفصل بين شعبان ورمضان بالفطر؛ منهم الحسن - وإن وافق صوماً كان يصومه - ورخص فيه مالك ومن وافقه، وفرق الشافعي والأوزاعي وأحمد وغيرهم بين أن يوافق عادة أو لا.. وبالجملة فحديث أبي هريرة - السالف الذكر - هو المعمول به عند كثير من العلماء، وأنه يكره التقدم قبل رمضان بالتطوع بالصيام بيوم أو يومين لمن ليس له به عادة، ولا سبق منه صيام قبل ذلك في شعبان متصلاً بآخره. فإن قال قائل لماذا يكره الصيام قبل رمضان مباشرة (لغير من له عادة سابقة بالصيام) فالجواب أن ذلك لمعانٍ منها:

أحدها: لئلا يزداد في صيام رمضان ما ليس منه، كما نهى عن صيام يوم العيد لهذا المعنى، حذراً مما وقع فيه أهل الكتاب في صيامهم، فزادوا فيه بآرائهم وأهوائهم. ولهذا نهى عن صيام يوم الشك، قال عمار من صامه فقد عصي أبا القاسم (صلى الله عليه وسلم)، ويوم الشك: هو اليوم من جعله يوم شك ونهى عن صيامه، وهو قول الأكثرين.

المعنى الثاني: الفصل بين صيام الفرض والنفل، فإن جنس الفصل بين الفرائض والنوافل مشروع، ولهذا حرم صيام يوم العيد، ونهى النبي (صلى الله عليه وسلم) أن توصل صلاة مفروضة بصلاة حتى يفصل بينهما بسلام أو كلام، وخصوصاً سنة الفجر قبلها^١.

١. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣٠٠ ص ٣٢ في ٢١ تموز ٢٠١٠.

حكم المراسلة بين الجنسين بالبريد الإلكتروني

هناك اسئلة كثيرة من القراء والمتابعين لبرامجي الإذاعية و متصفحني موقعي الإلكتروني، وقراء صفحتي هذه، حول أمور آنية، وفي كل مرة بقدر ما أوتينا من العلم وبالعودة إلى المصادر الشرعية والمواقع الالكترونية للفتاوي نرد على تلکم الإستفسارات، وقد وردت إلينا اسئلة مشابهة لما وجدناها في المواقع الإسلامية، لذا احببت جعلها زاد حلقتنا هذه:

س١: حكم المراسلة بين الجنسين بالبريد الإلكتروني للتعارف على ثقافات العالم؟ و هل تختلف المراسلة عبر البريد الإلكتروني عن المراسلة عبر البريد العادي، أو عبر صفحات الجرائد والمجلات؟

ج: لا شك أن المحصلة واحدة مع فارق طبيعة الوسيلة، ولكن العبرة في الحكم بالجواز أو عدم الجواز ليست في الوسيلة الناقل للخطاب، ولكن في مضمون الخطاب نفسه، وما إذا كان هذا المضمون منضبطاً بضوابط الشرع أم لا، وحيث إن هذه الوسيلة، وسيلة البريد الإلكتروني، تتيح لمستخدمها قدراً كبيراً من الخصوصية والبعد عن الرقيب وحرية التعبير والمراسلة بمختلف أنواع المصنفات الفنية، الصوتية والمرئية، فإنها تصبح أكثر إغراء من غيرها على التمادي والغواية، والاقتراب من خطوات الشيطان وقد نهانا الله تعالى عن اتباع خطوات الشيطان فقال تعالى:

(وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) ١٦٨ البقرة.

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ٢١ النور.

فالأولى الابتعاد عن ذلك، حتى لا ينجر المرء إلى ما بعد ذلك ؛ من التدرج في موضوعات المراسلة إلى ما نهى الله عنه، فعندما نهانا الله تعالى عن الزنا نهانا عنه وعن مقدماته و عما يقربنا إليه فقال تعالى:

(وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) الإسراء ٣٢.

ولا نقول هنا أن مثل هذه المراسلات ستؤدي بالقطع إلى الوقوع في الزنا والعياذ بالله، ولكنها تظل مظنة الوقوع فيما لا يرضي الله.

وإذا كان لا بد للمرء أحياناً من المراسلة بغرض التبادل الثقافي والمعرفي في هذا الزمن الذي بدأت فيه وسيلة الإنترنت تحتل حيزاً كبيراً في حياة الناس، فالأولى أن تكون المراسلة بين أفراد من جنس واحد، ما لم يكن هناك ضرورة خاصة تقتضي المراسلة مع الجنس الآخر، وفي هذه الحالة يجب التأدب والاحتياط خشية الوقوع فيما يغضب الله. والله تعالى أعلم.

س٢: المراكز الإسلامية والطلاق في الغرب:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ويعد: فقد نظر المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي هذه القضية في دورته التاسعة عشرة، وقرر أنه ينبغي للمسلمين أن ينصوا في عقود الزواج على اشتراط اللجوء إلى الهيئات الإسلامية عند التنازع حتى يأخذ هذا التحكيم قوة القانون. وإليك نص قرار المجمع:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته التاسعة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ٢٢-٢٧/شوال/١٤٢٨هـ الذي يوافقها ٨٣/نوفمبر/٢٠٠٧م قد نظر في موضوع: مدى مشروعية قيام المراكز الإسلامية، وما في حكمها بتطبيق زوجات المسلمين اللاتي ترافعن إليها أو النظر في ذلك ممن حصلن على الطلاق من محاكم غير إسلامية. وقد ناقش المجلس ما يواجهه المسلمون خارج ديار الإسلام من تحديات ونوازل، وقدر حرصهم على معرفة الأحكام الشرعية، وتطبيقها في أمور حياتهم، وبعد استعراض البحوث التي قدمت والاستماع إلى المناقشات المستفيضة حول الموضوع قرر ما يأتي:

أولاً: حث المسلمين في البلاد غير الإسلامية على اللجوء إلى الهيئات والمؤسسات والمراكز الإسلامية المعتمدة للقيام بإجراءات الزواج أو الطلاق، وسائر أنواع التفريق، مع مراعاة القوانين المنظمة للعقود في تلك البلاد؛ لضمان استيفاء الحقوق.

ثانياً: التأكيد على أن المصلحة تستدعي تضمين عقود الزواج شرط التحكيم عند النزاع وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

ثالثاً: عند حصول إنهاء الزواج لدى المحاكم المدنية في تلك البلاد، فعلى الزوجين

مراجعة المراكز الإسلامية المعتمدة؛ لاتخاذ اللازم حسب الأصول الشرعية.
رابعاً: إذا كانت إجراءات التفريق بين الزوجين المدنية تسمح بتحويل القضية إلى
المركز الإسلامي، أو محام مسلم، أو محكم يفصل في النزاع، فإن الواجب قبول هذا
التحويل، والحرص عليه.

ويوصي المجلس تلك الهيئات والمؤسسات الممثلة للمسلمين بما يأتي:
أولاً: بأن تقيم هيئات للإصلاح والتحكيم في قضايا الأسرة من ذوي الكفاية
الشرعية، والمعرفة القانونية، والخبرة العملية، وتأهيل أعضائها، بما يعينهم على أداء
مهامهم على وجه صحيح معتبر شرعاً وقانوناً.

ثانياً: السعي لتحصيل مكتسباتهم الدينية، وفق ما تكفله لهم قوانين تلك البلاد من
اعتماد لجان التحكيم وما يسمى بالوسيط الديني ونحوها لدي المحاكم والسعي
للحصول على الخصوصية القضائية في أحوالهم الشخصية مما يعزز تحقيق المواعمة
بين الالتزام بأحكام شريعتهم ومراعاة قوانين البلاد التي يعيشون فيها.

ثالثاً: على المراكز الإسلامية العمل على تنسيق جهودها ونشر الوعي لدي المسلمين
بأمور الأسرة والأحوال الشخصية وأحكامها الشرعية والإجرائية. والله أعلم^١.

١. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣٠١ ص ٣٢ في ٢٨ تموز ٢٠١٠ .

الشور الأربعة المذكورة في سورة الفلق... وكيف عالجهما الإسلام

(سورة الفلق سورة لم يُ مثلها كما عبر عن ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم)، هي والسورة التي تليها. سورة الناس. (فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيَّ آيَاتُ لَمْ أَرْ أَوْ لَمْ يَرِ مِثْلَهُنَّ يَعْنِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ) سنن الدارمي، كتاب فضل القرآن، باب في فضل المعوذتين، حديث ٣٣٠٦.

وحيث مدحها عليه السلام بهذه الكلمات؛ فمعنى ذلك أننا أمام كنوز ضخمة، وذخائر حية، وأسلحة قوية، في مواجهة شرور الحياة ومصاعبها وشدائدها والكائدين فيها، والمكائدين، والحاسدين، والسحرة المشعوذين الدجالين، يعني ذلك: أننا أمام أخطار كبيرة تؤثر في مسيرة الحياة، وتنعكس على الإنسان حيث تؤدي هذه الشرور التي ذُكرت في السورة الكريمة إلى الوفاة في بعض الأحيان، والجنون وفقدان الذاكرة وحالات صرع في أحيانٍ أخرى، فهي وأختها (سورة الناس) آيات بينات تذكر الداء والدواء.. وكان عليه الصلاة والسلام يوليها عناية خاصة؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْجَانِّ وَعَيْنِ الْإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا) سنن الترمذي، كتاب الطب عن رسول الله، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين، حديث ١٩٨٤.

و الملاحظ المتأمل والمتمعن في السورة الكريمة يجد أنها تعالج شروراً خفية غير ظاهرة، وتأثيراتها تظهر على المصاب دون أن تعرف من قام بها في كثير من الأحيان، وقد تتشاجر مع أحد الناس - لا سمح الله - فتراه ويراك، وتشتكيه إلى المحاكم، ويؤتي بالشهود، أما في هذه الشرور المذكورة فلا يرى الفاعل إلا الله تعالى، أو إذا أخبر صاحبها بارتكاب جريمته، وقليلاً جداً ما يحدث ذلك، ولذلك جاء الأمر الرباني يخص هذه الشرور بالذكر من بين كثرة هائلة من الأخطار والأفات المحدقة بالإنسان، وجاء الأمر الرباني كذلك بطلب الغوث والمعونة والاستجارة والاستعاذة بالله سبحانه،

من كل الشرور بشكل عام، ومن هذه الشرور المذكورة بشكل خاص.

وإذا كان القرآن الكريم ذكرها مجملة، من غير تفصيل، فقد تكفلت السنة المطهرة، وأتباعها من صحابة أجلاء، وتابعين كرام وعلماء جهابذة ببيان كل شر من هذه الشرور، معنىً، وخطورةً، وتحذيراً، وعلاجاً...وما أحوجنا في هذا الزمان الذي كثرت فيه الشرور وتنوعت، وتعددت أساليب الإيذاء واختلفت، وتطورت التقنيات ووسائل التخريب والقتل، وظهرت فنون الجريمة وانتشرت، أقول: ما أشد حاجتنا إلى مولانا يحوطنا برعايته، ويكلؤنا بحفظه، ويجيرنا من كل سوء وشر، ويبعد عنا كيد الكائدين، وعيون الحاسدين، وشعوذة المشعوذين، وغدر الغادرين.

(فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يوسف: ٦٤.

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (لا بد من الصراحة في إعلان الحقيقة الكبرى، وهي أن الإنسان مخلوق ضعيف، مفتقر إلى الله سبحانه في كل أحواله يقول خالقنا سبحانه:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَيَّ اللَّهُ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) فاطر: ١٥.

ولذلك دفعه خوفه من الأشياء، وخشيته من الأخطار، إلى التعوذ والاستعانة بالجن، والسحر، والأصنام، والأنداد والشركاء، ويظن أن هذه الأشياء قادرة على حمايته، وتوفير الأمن والطمأنينة له، وهو واهم في ذلك.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمْعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) الحج: ٧٣.

والحقيقة الكبرى التي طلبها رب الفلق من نبيه عليه السلام أن يعلنها على الملأ ويقولها بملء فيه أنه: إذا كنتم أيها الناس، أيها الكفار، أيها المشركون، يا ضعاف الإيمان، تستعيذون بالشركاء وبالأنداد، وبالسحرة والكهنة والجن وما أشبه، فإنني "أعوذ برب الفلق.

(والاستعاذة معناها: كما جاء في لسان العرب: (عاز به يعوذ عوذاً وعياداً ومعاذاً: لاذ به ولجأ إليه واعتصم. يقال: عوَّذت فلاناً بالله وأسمائه وبالمعوذتين إذا قلت أُعِيذُكَ بالله وأسمائه من كل ذي شر وكل داء وحاسد وحين ابن منظور، لسان العرب، ج٣، بيروت: دار صادر) ص ٤٨٩.

(فالاستعاذة حالة نفسية، قوامها الخشية من الخطر، و الثقة بمن يستعاذ به، و هي إلى ذلك ممارسة عملية بابتغاء مرضاة من نستعيذ به، و هي - فوق ذلك - الثقة بأنه وحده القادر على درء الخطر، و إنقاذ الإنسان) (محمد تقي المدرسي، موقع المدرسي). أما الفلق فقد اختلفوا فيه اختلافا كبيرا، فمن قائل: أنه بئر في جهنم تحترق جهنم بناورها. إلى قائل: بأنه الصبح، أو الخلق، أو ما اطمأن من الأرض، أو الجبال و الصخور. قال ابن جرير: (والصواب القول الأول إنه فلق الصبح وهذا هو الصحيح وهو اختيار البخاري في صحيحه رحمه الله تعالى) (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ) ص ٥٧٤).

قال المفسرون: (سبب تخصيص الصبح بالتعوذ أن انبثاق نور الصبح بعد شدة الظلمة، كالمثل لمجيء الفرج بعد الشدة، فكما أن الإنسان يكون منتظراً لطلوع الصباح، فكذلك الخائف يترقب مجيء النجاح) (الصابوني، صفوة التفاسير، ج ٣، (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١) ص ٦٢٤).

الأول: الشر العام: ويشمل الشرور البارزة والخفية: من شر ما خلق: قال بعض الأفاضل: (هو عام لكل شر في الدنيا والآخرة وشر الإنس والجن والشياطين وشر السباع والهوام وشر النار وشر الذنوب والهوى وشر النفس وشر العمل وظاهره تعميم ما خلق بحيث يشمل نفس المستعيز) (الألوسي البغدادي، روح المعاني، ج ٣٠، (دار إحياء التراث العربي) ص ٣٣. لهذا كان عليه الصلاة والسلام يستعيز من أشياء كثيرة، نذكر منها مثلاً: ما روته السيدة عائشة (رضي الله عنها) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْتَمِّ وَالْمُغْرَمِ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمُغْرَمِ! فَقَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَّبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ" البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل الأذان، حديث (٧٨٩).

وكذلك ما رواه عمرو الأودي قال: (كَانَ سَعْدٌ يَعْلَمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا يَعْلَمُ الْمُعَلِّمُ الْعُلَمَانَ الْكِتَابَةَ، وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبْرَ الصَّلَاةِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَيَّ أَرْدَلُ الْعُمَرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَحَدَّثْتُ بِهِ مُصْعَبًا فَصَدَّقَهُ) البخاري، كتاب

الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن، حديث (٢٦١٠)١ .

الشر الثاني: (غاسق إذا وقب): قالوا: (الغسق: شدة الظلام، و الغاسق: هو الليل أو من يتحرك في جوفه، والوقب: الدخول، قال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، والحسن، وقتادة، أنه الليل إذا أقبل بظلامه) ولهذا نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) المسلم أن يمشي في الليل وحده: ولهذا أيضاً كان من توجيهات النبي (صلى الله عليه وسلم)، ألا يسافر المرء وحده، بل مع ركب أقله ثلاثة.

الشر الثالث (النفاثات في العقد): والنفاثات: (السواحر الساعيات بالأذى عن طريق خداع الحواس، وقد شنَّ الإسلام على السحر حرباً ضروساً لا هواده فيها، يقول تعالى فيمن يتعلمون السحر: (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) البقرة: ١٠٢.

وقد عد النبي (صلى الله عليه وسلم) السحر من كبائر الذنوب الموبقات، التي تهلك الأمم قبل الأفراد، وتردي أصحابها في الدنيا قبل الآخرة.

وقد اعتبر بعض فقهاء الإسلام السحر كفراً، أو مؤدياً إلى الكفر، وذهب بعضهم إلى وجوب قتل الساحر تطهيراً للمجتمع من شره.

وكما حرم الإسلام على المسلم الذهاب إلى العرافين لسؤالهم عن الغيوب والأسرار حرم عليه أن يلجأ إلى السحر أو السحرة لعلاج مرض ابتلي به، أو حل مشكلة استعصت عليه، فهذا ما برى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منه.

إن السحر داء خفي ومستتر يحتاج إلى علاج خاص وهذا العلاج ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما يتَّقى به السحر قبل وقوعه ومن ذلك: تجديد الإيمان في النفوس، ونشر العلم بقضايا العقيدة والحرص على سلامتها، وبيان ما يخدشها وتعميم الوعي بمخاطر السحر والشعوذة، وتحذير الناس منها، وإصلاح البيوت وعمارتها بالذكر والصلاة وتلاوة القرآن) سليمان العودة، الموقع السابق، وأكل سبع تمرات على الرِّيق صباحاً إذا أمكن. وأما الحصن الحصين والسبب الوافي المنيع - بإذن الله - من كل سوء ومكروه، فهو المحافظة على الأوراد الشرعية في الصباح والمساء، وهي صالحة للاستشفاء قبل وقوع السحر أو بعد وقوعه.

١. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣٠٢ ص ٣٢ في ٤/٨/٢٠١٠ .

القسم الثاني: علاج السحر بعد وقوعه وهو أنواع:

١- (استخراجه وإبطاله إذا علم مكانه بالطرق المباحة شرعاً وهذا من أبلغ ما يُعالج به المسحور).

٢- الرقية الشرعية:

أ- من القرآن الكريم: تقرأ سورة الفاتحة، وآية الكرسي، والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، وسورة الإخلاص، والمعوذتين ثلاث مراتٍ أو أكثر مع النفث ومسح الوجع باليد اليمني.

ب- من السنة النبوية: أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يشفيك (سبع مرات. ويضع المريض يده على الذي يؤلمه من جسده ويقول: "بسم الله" ثلاث مرات، ويقول: "أعوذ بالله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر (سبع مرات).
واللهم ربَّ الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً ولا يُغادر سقماً.

وأعوذ بكلمات الله التامات من كلِّ شيطانٍ وهامٍ ومن كلِّ عينٍ لامة. وبسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك ومن شرِّ كلِّ نفسٍ أو عين حاسدة الله يشفيك بسم الله أرقيك. وهذه التعوذات، والدَّعوات، والرُّقي وغيرها مما صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) يعالج بها من السحر، والعين، ومسَّ الجان، وجميع الأمراض، فإنها رقيٌّ جامعةٌ نافعةٌ بإذن الله تعالى.

٣- الاستفراغ بالحجامة في المحلِّ أو العضو الذي ظهر أثر السحر عليه.

النوع الرابع: الأدوية الطبيعية، فهناك أدويةٌ طبيعيةٌ نافعةٌ دلَّ عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومن العلاجات الطبيعية النافعة بإذن الله تعالى: العسل، والحبة السوداء، وماء زمزم، وماء السماء، وزيت الزيتون، والاعتسال والتنظف والتطيب.

الشر الرابع: حاسد إذا حسد: (الحسد أول ذنب عصى الله به في السماء، وأول ذنب عصى به في الأرض؛ فحسد إبليس آدم، وحسد قابيل هابيل، والحاسد ممقوت، مبعوض، مطرود، ملعون) ولعل من أنواع الحسد الشديدة الخطورة "العين"؛ فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الذي رواه أبو هريرة (رضي الله عنه): (العينُ حقُّ) البخاري، حديث (٥٢٩٩).

أما علاج الإصابة بالعين فأقسام:

١- قبل الإصابة وهو أنواع: التحصن وتحصين من يُخاف عليه بالأذكار، والدَّعوات، والتعوُّذات المشروعة كما في القسم الأول من علاج السحر. وأن يدعو من يخشى أو يخاف الإصابة بعينه - إذا رأى من نفسه أو ماله أو ولده أو أخيه أو غير ذلك مما يُعجبه - بالبركة "ما شاء الله لا قوة إلا بالله اللهم بارك عليه.

٢- بعد الإصابة بالعين وهو أنواع: إذا عُرف العائن أمر أن يتوضأ ثم يغتسل منه المصاب بالعين. والإكثار من قراءة "قل هو الله أحد" والمعوذتين، وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، والأدعية المشروعة في الرقية مع النَّفث ومسح موضع الألم باليد اليمني كما ذكرنا في علاج السحر.

٣- عمل الأسباب التي تدفع عين الحاسد وهي كالاتي: الاستعاذة بالله من شره. وتقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه سبحانه "حفظ الله يحفظك. والصبر على الحاسد والعفو عنه فلا يُقاتله، ولا يشكوه، ولا يُحدث نفسه بأذاه. والتوكُّل على الله فمن يتوكَّل على الله فهو حسبه. و الصدقة والإحسان ما أمكن فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء والعين وشر الحاسد. وإطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه. وتجريد التوحيد وإخلاصه للعزیز الحكيم الذي لا يضرُّ شئ ولا ينفع إلا بإذنه سبحانه وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب، فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الأمنين. فهذه عشرة أسباب يدفع بها شر الحاسد والعائن والساحر^{٢-٣}.

٢. تم نقل هذا المبحث مختصراً، من موقع: صيد الفوائد: للكاتب إبراهيم عطية السعودي .

٣. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣٠٣ ص ٣٢ في ١١/٨/٢٠١٠ .

جدول مقترح للمسلم في شهر رمضان

يوم المسلم في رمضان: يبدأ المسلم يومه بالسحور قبل صلاة الفجر، والأفضل أن يؤخر السحور إلى أقصى وقت ممكن من الليل.

ثم يستعد المسلم لصلاة الفجر قبل الأذان، فيتوضأ في بيته، ويخرج إلى المسجد قبل الأذان، فإذا دخل المسجد صلى ركعتين (تحية المسجد)، ثم يجلس وينشغل بالدعاء، أو بقراءة القرآن، أو بالذكر، حتى يؤذن المؤذن، فيردد مع المؤذن ويقول ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد الفراغ من الأذان، بعد ذلك يصلي ركعتين (راتبة الفجر)، ثم ينشغل بالذكر والدعاء وقراءة القرآن إلى أن تُقام الصلاة، وهو في صلاة ما ينتظر الصلاة.

بعد أن يؤدي الصلاة مع الجماعة يأتي بالأذكار التي تشرع عقب السلام من الصلاة، بعد ذلك إن أحب أن يجلس إلى أن تطلع الشمس في المسجد مشغلاً بالذكر وقراءة القرآن فذلك أفضل، وهو ما كان يفعله النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد صلاة الفجر.

ثم إذا طلعت الشمس وارتفعت ومضى على شروقها نحو ربع ساعة فإن أحب أن يصلي صلاة الضحى (أقلها ركعتان) فذلك حسن، وإن أحب أن يؤخرها إلى وقتها الفاضل وهو حين ترمض الفصال، أي: عند اشتداد الحر وارتفاع الشمس فهو أفضل. ثم إن أحب أن ينام ليستعد للذهاب إلى عمله، فلينوي بنومه ذلك التقوي على العبادة وتحصيل الرزق، كي يؤجر عليه إن شاء الله تعالى، وليحرص على تطبيق آداب النوم الشرعية العملية والقولية.

ثم يذهب إلى عمله، فإذا حضر وقت صلاة الظهر، ذهب إلى المسجد مبكراً، قبل الأذان أو بعده مباشرة، وليكن مستعداً للصلاة مسبقاً، فيصلي أربع ركعات بسلامين (راتبة الظهر القبليّة)، ثم يشتغل بقراءة القرآن إلى أن تُقام الصلاة، فيصلي مع

الجماعة، ثم يصلي ركعتين (راتبة الظهر البعيدة).

وبعد الصلاة يعود إلى إنجاز ما بقي من عمله، إلى أن يحضر وقت الانصراف من العمل، فإذا انصرف، فإن كان قد بقي وقت طويل على صلاة العصر ويمكنه أن يستريح فيه، فليأخذ قسطاً من الراحة، وإن كان الوقت غير كاف ويخشى إذا نام أن تفوته صلاة العصر فليشغل نفسه بشيء مناسب حتى يحين وقت الصلاة، كأن يذهب إلى السوق لشراء بعض الأشياء التي يحتاجها أهل البيت ونحو ذلك، أو يذهب إلى المسجد مباشرة من حين ينتهي من عمله، ويبقى في المسجد إلى أن يصلي العصر.

ثم بعد العصر ينظر الإنسان إلى حاله، فإن كان بإمكانه أن يجلس في المسجد ويشغل بقراءة القرآن فهذه غنيمة عظيمة، وإن كان الإنسان يشعر بالإرهاق، فعليه أن يستريح في هذا الوقت، كي يستعد لصلاة التراويح في الليل.

وقبل أذان المغرب يستعد للإفطار، وليشغل نفسه في هذه اللحظات بشيء يعود عليه بالنفع، إما بقراءة القرآن، أو الدعاء، أو حديث مفيد مع الأهل والأولاد. ومن أحسن ما يشغل به هذا الوقت الأسهام في تفتير الصائمين، إما بإحضار الطعام لهم أو المشاركة في توزيعه عليهم وتنظيم ذلك، ولذلك لذة عظيمة لا يذوقها إلا من جرب. ويذهب بعد الإفطار للصلاة في المسجد مع الجماعة، وبعد الصلاة يصلي ركعتين (راتبة المغرب)، ثم يعود إلى البيت ويأكل ما تيسر له - مع عدم الإكثار -، ثم يحرص على أن يبحث عن طريقة مفيدة يملأ بها هذا الوقت بالنسبة له ولأهل بيته، كالقراءة من كتاب قصصي، أو كتاب أحكام عملية، أو مسابقة، أو حديث مباح، أو أي فكرة أخرى مفيدة تتشوق النفوس لها، وتصرفها عن المحرمات التي تبث في وسائل الإعلام، والتي يعد هذا الوقت بالنسبة لها وقت الذروة، فتجدها تبث أكثر البرامج جذبا وتشويقا، وإن حوت ما حوت من المنكرات العقديّة والأخلاقيّة، فاجتهد يا أخي في صرف نفسك عن ذلك، واتق الله في رعبتك التي سوف تسأل عنها يوم القيامة، فأعد للسؤال جوابا.

ثم استعد لصلاة العشاء، واتجه إلى المسجد، فاشتغل بقراءة القرآن، أو بالاستماع إلى الدرس الذي يكون في المسجد. ثم أد صلاة العشاء وصل ركعتين (راتبة العشاء) ثم صل التراويح خلف الإمام بخشوع وتدبر وتفكر، ولا تنصرف قبل أن ينصرف الإمام، وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة. رواه أبوداود (١٣٧٠) وغيره، وصححه الألباني في (صلاة التراويح) ص ١٥.

ثم اجعل لك برنامجا بعد صلاة التراويح يتناسب مع ظروفك وارتباطاتك الشخصية. وعليك مراعاة ما يأتي: البعد عن جميع المحرمات ومقدماتها.

مراعاة تجنب أهل بيتك الوقوع في شئ من المحرمات أو أسبابها بطريقة حكيمة، كإعداد برامج خاصة لهم، أو الخروج بهم للنزهة في الأماكن المباحة، أو تجنبهم رفقة السوء والبحث لهم عن رفقة صالحة. أن تشتغل بالفاضل عن المفضول. ثم احرص على أن تنام مبكرا، مع الإتيان بالآداب الشرعية للنوم العملية والقولية، وإن قرأت قبل النوم شيئا من القرآن أو من الكتب النافعة فهذا أمر حسن، لا سيما إن كنت لم تنه وردك اليومي من القرآن، فلا تتم حتى تنهه.

ثم استيقظ قبل السحور بوقت كاف للاشتغال بالدعاء، فهذا الوقت - وهو ثلث الليل الأخير- وقت النزول الإلهي، وقد أثني الله عز وجل على المستغفرين فيه، كما وعد الداعين فيه بالإجابة والتائبين بالقبول، فلا تدع هذه الفرصة العظيمة تفوتك.

يوم الجمعة: يوم الجمعة هو أفضل أيام الأسبوع، فينبغي أن يكون له برنامج خاص في العبادة والطاعة، يراعي فيه ما يأتي: التبكير في الحضور إلى صلاة الجمعة.

البقاء في المسجد بعد صلاة العصر، والاشتغال بالقراءة والدعاء حتى الساعة الأخيرة من هذا اليوم، فإنها ساعة ترجي فيها إجابة الدعاء.

اجعل هذا اليوم فرصة لاستكمال بعض أعمالك التي لم تتمها في وسط الأسبوع، كإتمام الورد الأسبوعي من القرآن، أو إتمام قراءة كتاب، أو سماع شريط، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة.

العشر الأواخر: العشر الأواخر فيها ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، لذا يشرع للإنسان أن يعتكف في هذه العشر في المسجد، كما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يفعل، طلبا لليلة القدر، فمن تيسر له الاعتكاف فيها، فهذه منة عظيمة من الله عليه.

ومن لم يتيسر له اعتكافها كلها، فليعتكف ما تيسر له منها.

وإن لم يتيسر له اعتكاف شئ منها فليحرص على إحياء ليلها بالعبادة والطاعة من قيام وقراءة وذكر ودعاء، وليستعد لذلك من النهار بإراحة جسمه ليتمكن من السهر في الليل.

تنبيهات: هذا الجدول جدول مقترح، وهو جدول مرن يمكن لكل فرد أن يعدل فيه بحسب ظروفه الخاصة، وروعي فيه الالتزام بذكر السنن الثابتة عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، فلا يعني ذلك أن جميع ما فيه هو من الواجبات والفرائض، بل فيه كثير من السنن والمستحبات. أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، فالإنسان في أول الشهر قد يتحمس للطاعة والعبادة، ثم يصاب بالفتور، فاحذر من ذلك، واحرص على المداومة على جميع الأعمال التي تؤديها في هذا الشهر الكريم.

ينبغي على المسلم أن يحرص على تنظيم وقته في هذا الشهر المبارك، حتى لا يضيع على نفسه فرصا كبيرة للزيادة من الخير والعمل الصالح، فمثلا: يحرص الإنسان على شراء الأغراض التي يحتاجها أهل البيت قبل بداية الشهر، وكذلك الأغراض اليومية يحرص على شرائها في الأوقات التي لا يكون فيها زحام في الأسواق، ومثال آخر: الزيارات الشخصية والعائلية ينبغي أن تنظم بحيث لا تشغل الإنسان عن عبادته. اجعل الإكثار من العبادة والتقرب إلى الله هو همك الأول في هذا الشهر المبارك. اعقد العزم من بداية الشهر على التبكير إلى المسجد في أوقات الصلاة، وعلى ختم كتاب الله عز وجل تلاوة، وعلى المحافظة على قيام الليل في هذا الشهر العظيم، وعلى إنفاق ما تيسر من مالك. اغتنم فرصة شهر رمضان لتقوية صلتك بكتاب الله عز وجل، وذلك من خلال الوسائل الآتية: ضبط القراءة الصحيحة للآيات، والسبيل إلى ذلك هو تصحيح القراءة على مقرئ جيد، فإن تعذر فمن خلال متابعة أشرطة القراء المتقنين.

مراجعة ما من الله عز وجل به عليك من حفظ، والاستزادة من الحفظ. القراءة في تفسير الآيات، وذلك إما بمراجعة الآيات التي تشكل عليك في كتب التفسير المعتمدة كتفسير البغوي وتفسير ابن كثير وتفسير السعدي، وإما بأن تجعل لك جدولا للقراءة المنتظمة في كتاب من كتب التفسير، فتبدأ أولا بجزء عم، ثم تنتقل إلى جزء تبارك، وهكذا.

العناية بتطبيق الأوامر التي تمر بك في كتاب الله عز وجل. نسأل الله عز وجل أن يتم علينا نعمة إدراك رمضان، بإتمام صيامه وقيامه، وأن يتقبل منا، وأن يتجاوز عن تقصيرنا^{٢-١}.

١. يمكن العودة إلي: موقع: الإسلام سؤال وجواب .

٢. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣٠٤ ص ٣٣ في ١٨ آب ٢٠١٠ .

أحكام زكاة الفطر

يقال: زكاة الفطر، وصدقة الفطر، و يقال للمُخْرَجِ فطرة.

حكما: عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال: (فرض رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة) رواه البخاري).

وصدقة الفطر هي ما يخرجها المسلم من ماله للمحتاجين طهرةً لنفسه، وجبراً لما يكون قد حدث في صيامه من خلل مثل لغو القول وفحشه، لقول ابن عباس (رضي الله عنه): (فرض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زكاة الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث وطعمةً للمساكين) رواه أبو داود بسند جيد).

وقد شرعت زكاة الفطر في شعبان من السنة الثانية من الهجرة. وهي تفترق عن زكاة المال فالزكاة هي صدقةُ المال، والفطر والكفارةُ صدقةُ الأبدان.

وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله) أن صدقة الفطر فريضة فرضها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على المسلمين وما فرضه رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) أو أمر به فله حكم ما فرضه الله تعالى وأمر به.

قال الله تعالى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) النساء: ٨٠ .

وقال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) الحشر: ٧ .

وهي فريضة على الكبير والصغير والذكر والأنثى والحر والعبد من المسلمين. لحديث ابن عمر السابق. ولا تجب عن الحمل الذي في البطن إلا أن يُتطوعَ بها فلا بأس، فقد كان أمير المؤمنين عثمان (رضي الله عنه) يخرجها عن الحمل. ويخرجها المسلم عن نفسه وكذلك عمن تلزمه مؤونته من زوجة أو قريب إذا لم يستطيعوا إخراجها عن

أنفسهم فإن استطاعوا فالأولى أن يخرجوها عن أنفسهم لأنهم المخاطبون بها أصلاً. ولا تجب إلا على من وجدها فاضلة زائدة عما يحتاجه من نفقة يوم العيد وليلته، فإن لم يجد إلا أقل من صاع أخرجه لقوله تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (التغابن: ١٦)، وقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) متفق عليه.

حكمتها: وأما حكمتها فظاهرة، ففيها إحسان إلى الفقراء وكف لهم عن السؤال في أيام العيد ليشاركوا الأغنياء في فرحهم وسرورهم به ويكون عيداً للجميع. وفيها الاتصاف بخلق الكرم وحب المواساة، وفيها تطهير الصائم مما يحصل في صيامه من نقص ولغو وإثم. وفيها إظهار شكر نعمة الله بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه وفعل ما ييسر من الأعمال الصالحة فيه.

وأما جنس الواجب في زكاة الفطر فهو طعام الأدميين من تمر أو بر أو أرز أو زبيب أو أقط - وهو اللبن الذي لم تنزع زبدته - أو غيرها من طعام بني آدم. قال أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه): (كنا نخرج يوم الفطر في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) صاعاً من طعامنا: الشعير والزبيب والأقط والتمر) رواه البخاري.

ولا يجزئ إخراج القيمة عند جمهور العلماء لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، لأن إخراج القيمة مخالف لعمل الصحابة (رضي الله عنهم) حيث كانوا يخرجونها صاعاً من طعام، وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي).

ولأن زكاة الفطر عبادة مفروضة من جنس معين فلا يجزئ إخراجها من غير الجنس المعين كما لا يجزئ إخراجها في غير الوقت المعين، ولأن النبي (صلى الله عليه وسلم) عينها من أجناس مختلفة، وقيمتها مختلفة غالباً، فلو كانت القيمة معتبرة لكان الواجب صاعاً مما يقابل قيمته من الأجناس الأخرى.

ولأن إخراج القيمة يخرج الفطرة عن كونها شعيرة ظاهرة إلى كونها صدقة خفية، فإن إخراجها صاعاً من طعام يجعلها ظاهرة بين المسلمين معلومة للصغير والكبير كانت دراهم يخرجها الإنسان خفية بينه وبين الآخذ.

مقدارها: وأما مقدار الفطرة فهو صاع بصاع النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو عبارة عن كيلوين وأربعين جراماً من البرّ توضع في إناء بقدرها بحيث تملؤه ثم نكيل به.

وقت وجوبها: وأما وقت وجوب زكاة الفطر فهو غروب الشمس ليلة العيد. فمن كان من أهل الوجوب حينذاك وجبت عليه وإلا فلا.

وعلى هذا فإذا مات قبل الغروب ولو بدقائق لم تجب، وإن مات بعده ولو بدقائق وجب إخراج الزكاة عنه، ولو ولد مولود بعد الغروب ولو بدقائق لم تجب، لكن يُسن إخراجها كما سبق، وإن ولد قبل الغروب ولو بدقائق وجب إخراج الصدقة عنه، لأنه أدرك بعض الوقت من رمضان.

وإنما كان وقت وجوبها غروب الشمس من ليلة العيد لأنه الوقت الذي يكون به الفطر من رمضان وهي مضافة إلى ذلك فإنه يقال: زكاة الفطر من رمضان فكان مناط الحكم ذلك الوقت. وقت إخراجها: وأما وقت إخراجها فوقتان: وقت فضيلة، ووقت جواز.

١- فأما وقت الفضيلة: فهو صباح العيد قبل الصلاة لما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه): (كنا نخرج في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم الفطر صاعاً من طعام) وفيه أيضاً من حديث ابن عمر (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم): (أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة) رواه مسلم وغيره).

وقال ابن عيينة في تفسيره: عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: يقدم الرجل زكاته يوم الفطر بين يدي صلاته فإن الله يقول: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى × وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) الأعلى: ١٤-١٥.

ولذلك كان من الأفضل تأخير صلاة العيد يوم الفطر ليتسع الوقت لإخراج الفطرة.

٢- وأما وقت الجواز: فهو قبل العيد بيوم أو يومين ففي صحيح البخاري عن نافع قال: (كان ابن عمر يعطي عن الصغير والكبير حتى إن كان يعطي عن بني (أولاد نافع الراوي عن ابن عمر) وكان ابن عمر يعطي الذين يقبلونها وكانوا يُعطون قبل الفطر بيوم أو يومين) ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، فإن أخرها عن صلاة العيد بلا عذر لم تقبل منه، لأنه خلاف ما أمر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وفي حديث ابن عباس (رضي الله عنه): (أن من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات).

أما إن أخرها لعذر فلا بأس، مثل أن يجيء العيد وليس عنده من يدفع إليه، أو يأتي خبر بثبوت العيد فجأة بحيث لا يتمكن من إخراجها قبل الصلاة أو يكون معتمداً على

شخص في إخراجها فينسى أن يخرجها قبل الصلاة فلا بأس أن يخرجها ولو بعد العيد لأنه معذور في ذلك. والواجب أن تصل إلى مستحقها أو وكيله في وقتها قبل الصلاة، فلو نواها لشخص ولم يجده ولا وكيله وقت الإخراج فإنه يدفعها إلى مستحق آخر ولا يؤخرها عن وقتها.

جهة إخراجها: وأما جهة إخراجها فتدفع إلى فقراء المكان الذي هو فيه وقت الإخراج سواء كان محل إقامته أم غيره من بلاد المسلمين لا سيما إن كان مكاناً فاضلاً كمكة والمدينة أو كان فقراؤه أشد حاجة، فإن كان في بلد ليس فيه من يدفع إليه أو كان لا يعرف المستحقين فيه، وكل من يدفعها عنه في مكان فيه مستحق.

المستحقون لزكاة الفطر: والمستحقون لزكاة الفطر هم الفقراء ومن عليهم ديون لا يستطيعون وفاءها فيعطون منها بقدر حاجتهم.

ويجوز توزيع الفطرة على أكثر من فقير ودفع عدد من الفطر إلى مسكين واحد، لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قدر الواجب ولم يقدر من يدفع إليه، وعلى هذا لو جمع جماعة فطرهم في وعاء واحد بعد كيله وصاروا يدفعون منه بلا كيل ثان أجزأهم ذلك. يجوز للفقير إذا أخذ الفطرة من شخص أن يدفعها عن نفسه أو أحد من عائلته، إذا كاله أو أخبره دافعها أنها كاملة ووثق بقوله.

والمسلم تلزمه الصدقة عن الوالدة الفقيرة والأولاد الذكور الذين لا مال لهم حتى يشتغلوا بمعاشهم، وكذلك الإناث إلى أن يدخل بهن الزوج، والمماليك والخدم الذين التزم المخدمون بنفقتهم ومعاشهم ويجوز صرفها للمسافرين المغتربين الذين لا مال لهم بأيديهم، أو الداخلين في الإسلام الذين لا يجدون عملاً يعيشون منه. والحمد لله رب العالمين^{٢-١}.

١. ينظر موقع: طريق القرآن و مجلة التوحيد .

٢. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣٠ ص ٣٣ في ٢٥ آب ٢٠١٠ .

افطار الصائم

مما يحسن بالمرء ان يكون لدى حسن نية اخيه المؤمن ولن يبلغ ذلك ما لم يتزين بزينة الاسلام وينعكس في سلوكه الاخلاق الحميدة، واجدر ما يحسن به، أن يصطبغ باستشعار آلام غيره من أهله واقاربه فالجار فالمؤمنون جميعا، وخير ما يعين المرء على ذلك في هذا الشهر الفضيل التزامه بواجبات الصوم وسننه واحياء ما نسي أوبالكاد ان يرى من آداب الصوم، ومن تلكم الآداب الاسلامية المطلوبة دينا افطار الصائم، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (من فطر صائما كان له مثل أجره - غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا). (وهناك خطأ شائع بين بعض الناس، وهو أن بعضهم يظن أن الصائم إذا أفطر عند أحد الناس، فإن ثواب الصيام ينتقل من الصائم إلى صاحب الطعام.. وهذا خطأ.. فقد بين رسول الله أن ثواب الصائم لا ينقص، بقوله: (غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا)).

من بركة تفتير الصائم: الملائكة تصلى عليك وجبريل يضافحك ! فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من فطر صائما في شهر رمضان من كسب حلال صلت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها، وصافحه جبريل ليلة القدر، ومن صافحه جبريل عليه السلام يرق قلبه وتكثر دموعه).

فما أجمل هذا التقدير من جبريل لمن فطر صائماً.. وكون المصافحة في ليلة القدر، إشارة بفوز هذا المسلم بثواب هذه الليلة.

والجزاء بالمثل وأعظم: وعن أبي سعيد الخدري أنه قال: أيما مؤمن سقي مؤمنا شربة على ظمأ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم.

وأيما مؤمن أطمع مؤمنا على جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة (صحيح).

ولا ريب أن تفتير الصائمين من خصال الخير، لما يترتب عليه من المصالح العظيمة، وعلى رأسها: زيادة التآلف والحب بين المسلمين.

ولو بتمرّة: ففي حديث سلمان أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من فطر فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء)، قالوا: يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً، على مذقة لبن، أو تمرّة، أو شربة ماء، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظماً بعدها، حتى يدخل الجنة) رواه البيهقي وابن خزيمة وابن حبان).

توصية عملية: أحرص على المشاركة في إفطار المارة والمسافرين ولو على تمرّة. وذلك بالنزول إلى الطريق قبيل صلاة المغرب، وإهداء الطعام والتمر لمن تقابله من المارة والمسافرين.

حال الصحابة والتابعين: كان عبد الله ابن عمر لا يفطر إلا مع اليتامي والمساكين، وربما علم أن أهله قد ردهم عنه فلم يفطر في تلك الليلة.

وكان من السلف من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم ويجلس بخدمهم ويروّحهم... منهم الحسن وابن المبارك.. وكان حماد بن أبي سليمان يفطر كل ليلة في شهر رمضان خمسين إنساناً فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوباً ثوباً.. وكان ابن المبارك يطعم إخوانه أشكلاً من الحلوي وغيرها وهو صائم.

تفطير الصائم من أخلاق أهل الجود: وقدوتنا في ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: (كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أجود بالخير من الريح المرسلة) صحيح.

وقد عدد ابن رجب فوائد جوده (صلى الله عليه وسلم) في رمضان وذكر منها:

١- شرف الزمان، ومضاعفة أجر العمل فيه.

٢- إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما أن من جهز غازياً فقد غزا.. و سئل أحد السلف: لم شرع الصيام؟ قال: ليزوق الغني طعم الجوع فلا ينسى الجائع.. فهنيئاً لأناس أودع الله في قلوبهم حب الخير، فوجدوا سعادة قلوبهم وراحة أفئدتهم عندما يحرصون على تفطير الصائمين، وتفقدتهم في البيوت وفي الشوارع وفي وسائل المواصلات والطرق.

توصية عملية:أحرص على تفقد أصحاب الخدمات (أفراد المرور- المطافىء - الحراسات)، قبيل المغرب، واحمل إليهم تمرات أو وجبة، أو شارك أهل الخير بالجهد والمال في تفتير الصائمين.. وأحرص على المشاركة في إفطار المصلين بالمسجد. وأرسل لهم التمر والعصائر^{١-٢}.

١. يمكن العودة إلي: موقع عالم التطوع .

٢. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد٣٠٦ص٣٢في ١١أيلول ٢٠١٠ .

أحكام صيام الست من شوال

هكذا ودعنا رمضان وودعنا، فما الذي أودعناه فيه؟ سؤال قد تكون الإجابة عليه لدي كل واحد منا بقدر قد لا يرتضيه هو أيضا، سيما إذا قاس نفسه وعباداته بما كان عليه السلف الصالح، فعلى كل حال أغتنم فرصة ماتبقي من أيام شهر شوال والذي نحن في ١٣ منه اليوم، لأذكر ببعض أحكام صيام ست منه عسي أن يكون في ذلك تذكير لمن يتذكر وأولهم أنا، وكديدي وودون استحياء أو تكبر حيث (لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر) حديث شريف. انقل بكم إلى موقع صيد الفوائد، إذ وجدت فيه بحثا مختصرا مفيدا للكاتب (محمد بن عبدالله بن صالح الهيدان) تحت عنوان (أحكام صيام الست من شوال) أنقله إليكم راجيا المولى أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه: يقول الكاتب حفظه الله: (هذه لمحة مختصرة عن أحكام صيام الست من شوال أسأل الله أن ينفع بها الجميع، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: حكمها: صيام الستة من شوال سنة لما ثبت عن أبي أيوب (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر) رواه أحمد (٤١٧/٥) ومسلم (٨٢٢/٢) وأبو داود (٢٤٣٣) والترمذي ١١٦٤.

قال ابن قدامة في المغني: (صوم ستة أيام من شوال مستحب عند كثير من أهل العلم). وجاء في الموسوعة الفقهية: (ذهب جمهور الفقهاء - المالكية، والشافعية، والحنابلة، ومتأخرو الحنفية - إلى أنه يسن صوم ستة أيام من شوال بعد صوم رمضان... ونقل عن أبي حنيفة (رحمه الله) كراهة صوم ستة من شوال، متفرقا كان أو متتابعا.

وعن أبي يوسف: كراهته متتابعا، لا متفرقا. لكن عامة المتأخرين من الحنفية لم يروا به بأسا. قال ابن عابدين، نقلا عن صاحب الهداية في كتابه التجنيس: والمختار أنه لا

بأس به، لأن الكراهة إنما كانت لأنه لا يؤمن من أن يعد ذلك من رمضان، فيكون تشبها بالنصاري، والآن زال ذلك المعنى، واعتبر الكاساني محل الكراهة: أن يصوم يوم الفطر، ويصوم بعده خمسة أيام، فأما إذا أفطر يوم العيد ثم صام بعده ستة أيام فليس بمكروه، بل هو مستحب وسنة. وكره المالكية صومها لمقتدي به، ولمن خيف عليه اعتقاد وجوبها، إن صامها متصلة برمضان متتابعة وأظهرها، أو كان يعتقد سنوية اتصالها، فإن انتفت هذه القيود استحب صيامها. قال الحطاب: قال في المقدمات: كره مالك (رحمه الله) ذلك مخافة أن يلحق برمضان ما ليس منه من أهل الجهالة والجفاء، وأما الرجل في خاصة نفسه فلا يكره له صيامها.

ثانياً: فضلها: لقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن من صام الست من شوال كان كصيام الدهر كما في الحديث السابق، وقد فسّر ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم): (من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها).

وفي رواية: (جعل الله الحسنة بعشر أمثالها فشهر بعشرة أشهر وصيام ستة أيام تمام السنة) النسائي وابن ماجه وهو في صحيح الترغيب والترهيب ٤٢١/١ ورواه ابن خزيمة بلفظ: (صيام شهر رمضان بعشرة أمثالها وصيام ستة أيام بشهرين فذلك صيام السنة).

يقول الإمام النووي (رحمه الله): قال العلماء: (وإنما كان كصيام الدهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، فرمضان بعشرة أشهر، والستة بشهرين).

ثالثاً: ثمراتها: إليك هذه الفوائد أسوقها إليك من كلام الحافظ ابن رجب (رحمه الله):

- ١- إن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله.
- ٢- إن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها، فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل ونقص، فإن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة.. وأكثر الناس في صيامه للفرض نقص وخلل، فيحتاج إلى ما يجبره من الأعمال.

٣- إن معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان، فإن الله تعالى إذا تقبل عمل عبد، وفقه لعمل صالح بعده، كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها، كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها.

٤- إن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب، كما سبق ذكره.

٥- أن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر، وهو يوم الجوائز فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكراً لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب، كان النبي يقوم حتى تتورم قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيقول: (أفلا أكون عبداً شكوراً .) وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره، وغير ذلك من أنواع شكره، فقال:

(وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) البقرة: ١٨٥.

فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان، وإعانتته عليه، ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكراً عقيب ذلك. كان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالي أصبح في نهارها صائماً، ويجعل صيامه شكراً للتوفيق للقيام.

وكان وهيب بن الورد يسأل عن ثواب شيء من الأعمال كالطواف ونحوه، فيقول: لا تسألوا عن ثوابه، ولكن سلوا ما الذي على من وفق لهذا العمل من الشكر، للتوفيق والإعانة عليه. كل نعمة على العبد من الله في دين أو دنيا يحتاج إلى شكر عليها، ثم التوفيق للشكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان، ثم التوفيق للشكر الثاني نعمة أخرى يحتاج إلى شكر آخر، وهكذا أبداً فلا يقدر العباد على القيام بشكر النعم.

وحقيقة الشكر الاعتراف بالعجز عن الشكر.

رابعاً: مسائل متفرقة:

١- يستحب البدء بها بعد العيد مباشرة؛ لأن ذلك من باب المسارعة إلى الخير. قال

تعالى:

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) آل

عمران: ١٣٣.

وقوله تعالى: (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) ٢١ الحديد).

٢- يجوز تفريقها في شهر شوال كاملاً ولا يلزم التتابع فيها؛ لأن الرسول (صلى

الله عليه وسلم) أطلق صيامها ولم يذكر تتابعاً ولا تفريقاً، حيث قال (صلى الله عليه

(وسلم): (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر).
 ٣- من صامها في عام لا يلزمه أن يصومها في عام آخر لكنه يستحب له ذلك؛ لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة (رضي الله عنها)١ .
 ٤- يلزم في الست من شوال ونحوها من النفل المقيد من تبييت النية من الليل لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (من لم يبيت الصيام قبل الفجر، فلا صيام له) رواه النسائي وصححه الألباني.
 ٥- لا يلزم إتمام الست من شوال، فمن استطاع الإتمام فقد أحسن ومن لا فلا حرج عليه لقوله (صلى الله عليه وسلم) (الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر) قال النووي في المجموع (٣٩٥/٦): (إسناده جيد).
 ٦- الأولى لمن عليه قضاء من رمضان أن يبدأ به لأنه أبرأ لذمته؛ ولأن الفرض مقدم على النافلة، واختلف أهل العلم فيمن قدم الست من شوال على صيام الفرض على قولين:

القول الأول: أن فضيلة صيام الست من شوال لا تحصل إلا لمن قضى ما عليه من أيام رمضان التي أفطرها لعذر. واستدلوا لذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما رواه مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري: من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر. وإنما يتحقق وصف صيام رمضان لمن أكمل العدة. قال الهيثمي في تحفة المحتاج (٤٥٧/٣): (لأنها مع صيام رمضان أي: جميعه، وإلا لم يحصل الفضل الآتي وإن أفطر لعذر)).

وقال ابن مفلح في كتابه الفروع (١٠٨/٣): (يتوجه تحصيل فضيلتها لمن صامها وقضى رمضان وقد أفطرها لعذر، ولعله مراد الأصحاب، وما ظاهره خلافه خرج على الغالب المعتاد، والله أعلم)).

وبهذا قال جماعة من العلماء المعاصرين كشيخنا عبد العزيز بن باز وشيخنا محمد العثيمين (رحمهما الله).

القول الثاني: أن فضيلة صيام الست من شوال تحصل لمن صامها قبل قضاء ما عليه من أيام رمضان التي أفطرها لعذر؛ لأن من أفطر أياماً من رمضان لعذر يصدق

١. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣٠٧ ص ٥٠ في ٢٢ أيلول ٢٠١٠ .

عليه أنه صام رمضان فإذا صام الست من شوال قبل القضاء حصل ما رتبته النبي (صلى الله عليه وسلم) من الأجر على إتباع صيام رمضان ستاً من شوال.

وقد نقل البجيرمي في حاشيته على الخطيب بعد ذكر القول بأن الثواب لا يحصل لمن قدم الست على القضاء محتجاً بقول النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم أتبعه ستاً من شوال (٣٥٢/٢) عن بعض أهل العلم الجواب الآتي: (قد يقال التبعية تشمل التقديرية لأنه إذا صام رمضان بعدها وقع عما قبلها تقديراً، أو التبعية تشمل المتأخرة كما في نفل الفرائض التابع لها هـ. فيسن صومها وإن أفطر رمضان).

وقال في المبدع (٥٢/٣): (لكن ذكر في الفروع أن فضيلتها تحصل لمن صامها وقضى رمضان وقد أفطر لعذر ولعله مراد الأصحاب، وفيه شيء).

والذي يظهر أن ما قاله أصحاب القول الثاني أقرب إلى الصواب؛ لا سيما وأن المعنى الذي تدرك به الفضيلة ليس موقوفاً على الفراغ من القضاء قبل الست فإن مقابلة صيام شهر رمضان لصيام عشرة أشهر حاصلة بإكمال الفرض أداء وقضاء وقد وسع الله في القضاء فقال: (فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ) البقرة: (١٨٥)، أما صيام الست من شوال فهو فضيلة تختص هذا الشهر و تفوت بفواته.

ومع هذا فإن البداءة بإبراء الذمة بصيام الفرض أولي من الاشتغال بالتطوع. لكن من صام الست ثم صام القضاء بعد ذلك فإنه تحصل له الفضيلة إذ لا دليل على انتفائها، والله أعلم.

٧- استدلل بعض أهل العلم بهذا الحديث على استحباب صيام الدهر، وقالوا: لو كان صوم الدهر مكروها لما وقع التشبيه به، بل هذا يدل على أنه أفضل الصيام. وأجاب عن ذلك ابن القيم فقال: (هذا الاستدلال فاسد جدا من وجوه:

أحدها: أن في الحديث نفسه أن وجه التشبيه هو أن الحسنه بعشر أمثالها، فسته وثلاثون يوماً بسنة كاملة ومعلوم قطعاً أن صوم السنة الكاملة حرام بلا ريب والتشبيه لا يتم إلا بدخول العيدين وأيام التشريق في السنة وصومها حرام فعلم أن التشبيه المذكور لا يدل على جواز وقوع المشبه به فضلاً عن استحبابه عن أن يكون أفضل من غيره. نظير هذا: قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لمن سأله عن عمل يعدل الجهاد؟ فقال: لا تستطيعه!).

هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تقوم فلا تفتر، وتصوم فلا تفطر؟ قال: لا.
قال: فذلك مثل المجاهد، ومعلوم أن هذا المشبه به غير مقدور ولا مشروع.
فإن قيل: يحمل قوله: (فكأنما صام الدهر) على ما عدا الأيام المنهي عن صومها.
قيل: تعليقه (صلى الله عليه وسلم) حكمة هذه المقابلة، وذكره الحسنه بعشر أمثالها،
وتوزيع الستة والثلاثين يوماً على أيام السنة: يبطل هذا الحمل.
الثاني: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) سئل عن صام الدهر، فقال: (لا صام ولا
أفطر، وفي لفظ لا صام من صام الأبد) فإذا كان هذا حال صيام الدهر فكيف يكون
أفضل الصيام؟.

الثالث: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: (أفضل
الصيام صيام داود) وفي لفظ (لا أفضل من صوم داود: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً)
فهذا النص الصحيح الصريح الرافع لكل إشكال، يبين أن صوم يوم وفطر يوم أفضل
من سرد الصوم.

مع أنه أكثر عملاً. وهذا يدل على أنه مكروه لأنه إذا كان الفطر أفضل منه لم يمكن
أن يقال بإباحته واستواء طرفيه.

فإن العبارة لا تكون له بالإبطال، فتعين أن يكون مرجوحاً،
وهذا بين لكل منصف. والله الحمد.

٨: هل يمكن أن تُصام هذه الست في غير شوال وتحصل ذات المزية؟

أجاب عن ذلك العلامة ابن القيم (رحمه الله) في تعليقه على سنن أبي داود فقال:
(اختصاص شوال ففيه طريقان:

أحدهما: أن المراد به الرفق بالمكلف، لأنه حديث عهد بالصوم، فيكون أسهل عليه
ففي ذكر شوال تنبيه على أن صومها في غيره أفضل، هذا الذي حكاه القرافي من
المالكية، وهو غريب عجيب.

الطريق الثاني: أن المقصود به المبادرة بالعمل، وانتهاز الفرصة، خشية الفوات. قال
تعالى: (فاستبقوا الخيرات)).

وقال: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم)) وهذا تعليل طائفة من الشافعية وغيرهم.
قالوا: ولا يلزم أن يعطي هذا الفضل لمن صامها في غيره، لفوات مصلحة المبادرة
والمسارعة المحبوبة لله.

قالوا: وظاهر الحديث مع هذا القول.

ومن ساعده الظاهر فقوله أولى. ولا ريب أنه لا يمكن إلغاء خصوصية شوال، وإلا لم يكن لذكره فائدة.

وقال آخرون: لما كان صوم رمضان لا بد أن يقع فيه نوع تقصير وتفريط، وهضم من حقه وواجبه ندب إلى صوم ستة أيام من شوال، جابرة له، ومسددة لخلل ما عساه أن يقع فيه. فجرت هذه الأيام مجري سنن الصلوات التي يتنفل بها بعدها جابرة ومكاملة، وعلى هذا: تظهر فائدة اختصاصها بشوال، والله أعلم.

٩- هناك فرق بين أن يقول: (فكأنما قد صام الدهر) وبين قوله: (فكأنما صام الدهر) هو أن المقصود تشبيهه الصيام بالصيام.

ولو قال: فكأنه قد صام الدهر، لكان بعيدا عن المقصود، فإنه حينئذ يكون تشبيها للصائم بالصائم.

فمحل التشبيه هو الصوم، لا الصائم، ويجيء الفاعل لزوما، ولو شبه الصائم لكان هو محل التشبيه، ويكون مجيء الصوم لزوما، وإنما كان قصد تشبيه الصوم أبلغ وأحسن لتضمنه تنبيه السامع على قدر الفعل وعظمه وكثرة ثوابه، فتتوفر رغبته فيه. قاله ابن القيم في تعليقه على سنن أبي داود. وفي الختام أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا المبحث المختصر وأن يجعله في موازين الحسنات وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وكتبه محمد بن عبدالله بن صالح الهبدان ٣، /١٠/ ١٤٢٥هـ-٢-٣.

٢. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣٠٨ ص ٣٢ في ٢٩ أيلول ٢٠١٠.

٣. أنظر: شبكة نور الإسلام.

آداب طالب العلم

يقول الشيخ محمد صالح المنجد، يحفظه الله ويرعاه: (الحمد لله، إن لطلب العلم جملةً من الآداب ينبغي على من طلب العلم أن يتحلى بها فأليك هذه الوصايا والآداب في طريق الطلب لعل الله ينفعك بها:

أولاً: الصبر: أيها الأخ الكريم.. إن طلب العلم من معالي الأمور، والعلي لا تُنال إلا على جسر من التعب. قال أبو تمام مخاطباً نفسه:

ذريني أنال ما لا يُنال من العلي فصعب العلي في الصعب والسهل في السهل
تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل
(الشهد هو العسل)

وقال آخر:

دببت للمجد والساعون قد بلغوا جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا
وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم وعانق المجد من أوفي ومن صبرا
لا تحسبن المجد تمراً أنت أكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبراً
(الصبردواءً مرُّ)

فاصبر وصابر، فلئن كان الجهاد ساعةً من صبر، فصبر طالب العلم إلى نهاية العمر. قال الله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ٢٠٠ سورة آل عمران).

ثانياً: إخلاص العمل: الزم الإخلاص في عملك، وليكن قصدك وجه الله والدار الآخرة، وإياك والرياء، وحب الظهور والاستعلاء على الأقران فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ

وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ) رواه النسائي (٢٦٥٤) وحسنه الألباني في صحيح النسائي.

وبالجملة: عليك بطهارة الظاهر والباطن من كل كبيرة وصغيرة.

ثالثاً: العمل بالعلم: اعلم بأن العمل بالعلم هو ثمرة العلم، فمن علم ولم يعمل فقد أشبه اليهود الذين مثلهم الله بأقبح مثل في كتابه فقال: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٥ سورة الجمعة).

ومن عمل بلا علم فقد أشبه النصاري، وهم الضالون المذكورون في سورة الفاتحة. وبالنسبة للكتب التي تدرسها فقد ذُكرت في السؤال رقم (٢٠١٩١) فليراجع للأهمية.

رابعاً: دوام المراقبة: عليك بالتحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن، سائراً إلى ربك بين الخوف والرجاء، فإنهما للمسلم كالجنحين للطائر، فأقبل على الله بكليتك، وليمتلي قلبك بمحبته، ولسانك بذكره، والاستبشار والفرح والسرور بأحكامه وحكمه سبحانه. وأكثر من دعاء الله في كل سجود، أن يفتح عليك، وأن يرزقك علماً نافعاً، فإنك إن صدقت مع الله، وفقك وأعانك، وبلغك مبلغ العلماء الربانيين.

خامساً: اغتنام الأوقات: أيها اللبيب... (بادر شبابك، وأوقات عمرك بالتحصيل، ولا تغتر بخدع التسوييف والتأميل، فإن كل ساعة تمضي من عمرك لا بدل لها ولا عوض عنها، واقطع ما تقدر عليه من العلائق الشاغلة، والعوائق المانعة عن تمام الطلب وابدل الاجتهاد وقوة الجد في التحصيل؛ فإنها كقواطع الطريق، ولذلك استحب السلف التغرب عن الأهل، والبعد عن الوطن؛ لأن الفكرة إذا توزعت قصرت عن درك الحقائق وغموض الدقائق، وما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه، وكذلك يُقال العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك.

سادساً: تحذير: إياك أن تشتغل في بداية الطلب بالاختلاف بين العلماء، أو بين الناس مطلقاً، فإنه يحير الذهن، ويدهش العقل، وكذلك الحذر من المصنفات؛ فإنه يضيع زمانك ويفرق ذهنك، بل أعط الكتاب الذي تقرؤه أو الفن الذي تأخذه كليتك حتى تتقنه، واحذر من التنقل من كتاب إلى كتاب من غير موجب؛ فإنه علامة الضجر وعدم الفلاح. وعليك أن تعتني من كل علم بالأهم فالأهم.

سابعاً: الضبط والإتقان: احرص على تصحيح ما تريد حفظه تصحيحاً متقناً؛ إما

على شيخ أو على غيره مما يعينك، ثم احفظه حفظاً محكماً ثم أكثر من تكراره وتعاهده في أوقات معينة يومياً، لئلا تنسى ما حفظته.

ثامناً: مطالعة الكتب: بعد أن تحفظ المختصرات وتتنقنها مع شرحها وتضبط ما فيها من الإشكالات والفوائد المهمات، انتقل إلى بحث المبسوطات، مع المطالعة الدائمة، وتعليق ما يمر بك من الفوائد النفيسة، والمسائل الدقيقة، والفروع الغريبة، وحل المشكلات، والفروق بين أحكام المتشابهات، من جميع أنواع العلوم، ولا تستقل بفائدة تسمعها، أو قاعدة تضبطها، بل بادر إلى تعليقها وحفظها.

ولتكن همتك في طلب العلم عالية؛ فلا تكتفِ بقليل العلم مع إمكان كثيره، ولا تقنع من إرث الأنبياء صلوات الله عليهم بيسيره، ولا تؤخر تحصيل فائدة تمكنت منها ولا يشغلك الأمل والتسويق عنها؛ فإن للتأخير آفات، ولأنك إذا حصلتها في الزمن الحاضر؛ حصل في الزمن الثاني غيرها.

واغتتم وقت فراغك ونشاطك، وزمن عافيتك، وشرح شبابك، ونباهة خاطرك، وقلة شواغلك، قبل عوارض البطالة أو موانع الرياسة. وينبغي لك أن تعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنت؛ لأنها آلة التحصيل، ولا تجعل تحصيلها وكثرتها (بدون فائدة) حظك من العلم، وجمعها نصيبك من الفهم، بل عليك أن تستفيد منها قدر استطاعتك.

تاسعاً: اختيار الصاحب: احرص على اتخاذ صاحب صالح في حاله، كثير الاشتغال بالعلم، جيد الطبع، يعينك على تحصيل مقاصدك، ويساعدك على تكميل فوائده، وينشطك على زيادة الطلب، ويخفف عنك الضجر والنصب، موثقاً بدينه وأمانته ومكارم أخلاقه، ويكون ناصحاً لله غير لاعبٍ ولا لاه. " انظر تذكرة السامع لابن جماعة."

وإياك وقرين السوء؛ فإن العرق دساس، والطبيعة نقالة، والطباع سراقة، والناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض، فاحذر معاشرة من كان كذلك فإنه المرض، والدفع أسهل من الرفع.

عاشراً وأخيراً: التأدب مع الشيخ: بما أن العلم لا يؤخذ ابتداءً من الكتب، بل لابد من شيخ تتقن عليه مفاتيح الطلب، لتأمن من الزلل، فعليك إذا بالأدب معه، فإن ذلك عنوان الفلاح والنجاح، والتحصيل والتوفيق.

فليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الأدب مع شيخك

في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال، والاستماع، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه، وترك التناول والممارسة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده، أو مداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك، أو الإلحاح عليه في جواب، متجنباً الإكثار من السؤال لا سيما مع شهود الملاء؛ فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل، ولا تناده باسمه مجرداً، أو مع لقبه بل قل: (يا شيخي، أو يا شيخنا).

وإذا بدا لك خطأ من الشيخ، أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينك، فإنه سبب لحرمانك من علمه، ومن ذا الذي ينجو من الخطأ سالماً. انظر حلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد. نسأل الله لنا ولك التوفيق والثبات، وأن يُرينا اليوم الذي تكون فيه عالماً من علماء المسلمين، مرجعاً في دين الله، إماماً من أئمة المتقين، آمين.. آمين.. وإلى لقاء قريب، والسلام^{١-٢}.

١. أنظر: موقع الاسلام سؤال وجواب .

٢. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣٠٩ ص ٣٢ في ٦/١٠/٢٠١٠ .

الهدوء قيمة جميلة يجب أن نسعى إليها

كما لا يخفى عليكم انتم القراء الاعزاء، بأن أحد المواقع الإسلامية المعروفة لدي المسلمين والمتبعين لقضايا الإسلام وأهله، هو موقع (اسلام اليوم) والذي يديره سماحة الشيخ سلمان بن فهد العودة، فأحببت أن أجعل زاد بيدنا اليوم قبسات مما قاله سماحته حول الهدوء وكما ورد في موقعه نقلا عن إحدى حلقات برنامجه (الحياة كلمة) والذي يبث عبر فضائية (mbc)، حيث يقول سماحته: (إن ترويض الإنسان لنفسه على الهدوء يمكن أن يكون من خلال عدة أمور، منها:

١- التجربة: فالهدوء تجربة، ولذلك فإن الناس الذين ربما حصلوا على قدر من الهدوء لم يحصلوا عليه دفعة واحدة ولا مفاجأة، وإنما حصلوا عليه من خلال تراكم وتجربة طويلة، وهذه التجربة فيها العديد من الإخفاقات، ولكن ما يجعل هؤلاء الناس يختلفون عن الآخرين هو أنهم لم يستسلموا لهذا الإخفاق، لأن الإنسان دائماً ما يتذكر موقفاً ربما أخطأ فيه.

مثلاً إنني عندما أرتكب خطأً في حق أحد أو أستجيب للاستفزاز، فإنني عندما أوي إلى فراشي قبل النوم أستعيد هذا الموقف مرة ومرتين وعشر مرات، وأشعر بتأنيب الضمير ويندم شديد، وأنه ما كان يليق بمقامي أو بخلقي أو بتجربتي أن أقوم بهذا العمل أو أستجيب أو أستفز له.

٢- الكتابة: وذلك مثل أن يعوّد الإنسان نفسه على أن يكتب، وعلى سبيل المثال، فقد يكتب الإنسان عشر أو عشرين أو ثلاثين مرة ويخط جميل "الطم سيد الأخلاق"، وكأنه ما بين عقاب أو مكافأة للنفس، كما أنه يجب على الإنسان أن يعلم أنه إذا سيطر عليه هذا الموقف الذي فشل أو أخفق فيه فإن ذلك ربما يفضي به إلى اليأس وعدم تكرار التجربة، ولذا فإنه يجب عليه أن يدرك أن هذا الفشل أو الإخفاق هو أمر عابر، وأنه نجح في مواقف أخرى، فلا تكن قاسياً أو مبالغاً مع نفسك.

٣- الاسترخاء: وهو ليس أمراً معقداً ولا يتطلب مدربين أجنباً أو عرباً ولا دورات يقوم الإنسان بحضورها وربما حتى قراءة كتب أو غيرها، وإن كان لا بأس أن يتعلم الإنسان، لكن لابد أن يكون عند الإنسان قدرة على المراقبة الذاتية، وتركيز التفكير على النفس، وأنه بدلاً من أن تفكر بالأزيز عندما تخلد إلى النوم، فإن عليك أن تستمع إلى دقات قلبك وهو يضخ الدم، وتخيل أنك تشاهد الدم يذهب في العروق، وتخلل الجسم والمسالك، يقول تعالى:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات: ٢١).

وهنا يجب الانتباه إلى أن ذلك يساعد الإنسان على أن يتخلص كثيراً من المشاعر المتوترة أو المشاعر القلقة، فالاسترخاء أمر أساس ومهم في تحقيق الهدوء النفسي والروحاني.

٤- القرب من الطبيعة: فالهدوء قد يتحقق من خلال قرب الإنسان من الطبيعة، والتي هي عبارة عن معبد يسبح الله تعالى، وكما يقول الشاعر:

وحين يساق السحاب الجواد
ليبعث في الأرض ميت النشور
أفر إلى ساحة الساجدين
أشارك في مهرجان كبير
أبيع وربي مني اشترى
أبيع الحياة ولا أستشير

فهذه الطيور وهذه الأشجار وهذه المياه وهذا الهواء من حولنا وهذه الجبال وهذه الرمال كلها في مهرجان واحد تسبح الله - سبحانه وتعالى -.

كون الإنسان قريباً من الطبيعة فإنه يستمع إلى الأصوات الجميلة؛ من خرير المياه، وأصوات العصافير، وحفيف الأشجار، وأحياناً يستمع إلى الصمت، مذكراً بطرفة، تقول: إن شخصاً كان عنده هدوء فوضع شريطاً فارغاً يستمع إليه، وكان الآخر أكثر هدوءاً منه، فأخذ هذا الشريط حتى يقوم بتسجيله!.

وتعقياً على مداخلة تقول: إن استدعاء الخيال يعد من أكثر مقومات ترويض الهدوء في الذات، قال الشيخ سلمان: هذا صحيح، فالخيال من أكثر مقومات ترويض الهدوء،

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف نفعل الخيال؟ فنحن أحياناً لا ندري أن عندنا خيالاً، كما أن بعض الناس لا يدري أن هناك شيئاً اسمه خيال أو أن لديه مخيالاً يمكن أن يوظفه!، مشيراً إلى أن الخيال قد لا يكون متصلاً بشئ غير موجود، فمن الخيال أن تستدعي أسماء أشخاص أو صور أشخاص محبين إلى قلبك وتستحضرهم في نفسك وتذكر معنى التعرف عليهم أو الصلة الجميلة.

وأضاف فضيلته أنه من الخيال أيضاً أن تتذكر موقفاً جميلاً وحميمياً ومحبباً إلى نفسك وتستحضره بشكل جيد، أو أن تستذكر أطفالك، أو زوجتك، أو أن تستذكر والديك وحبهما وحنينهما وشوقهما إليك، أو أن تستذكر مواقف نجحت أو تفوقت فيها، وذلك لأنه ليس مطلوباً أن يكون الإنسان دائماً في مقام التوبيخ للنفس، ولذلك فإن الخيال كما يقول أنشتاين: أهم من المعرفة، ولذلك فإننا أحياناً نحتاج إلى أن نفعل الخيال، وأن ندري أن هناك شيئاً اسمه الخيال، وأنه موجود عندنا بنسب تزيد أو تنقص، وأن هذا الخيال مهم جداً حتى في ضبط تصرفاتنا. ورداً على سؤال يقول: هل نحن بحاجة إلى الحب لكي نكون أكثر هدوءاً؟، قال الشيخ سلمان: إن الحب يورث الهدوء، فالحب نعمة من الله - سبحانه وتعالى -، مشيراً إلى أن من أفضل المشاعر وأصدقها وأحلاها وأجملها سمو الروح وتآلق العاطفة، لافتاً إلى أن الحب ليس إحساساً تقدمه لشخص فحسب، ولكنه عبارة عن ينبوع بقدر ما تقوم بإيجاد الجاري له يزيد منسوبه. وأضاف فضيلته: ولذلك فإنه بقدر ما يكثر من تحبهم وتبادلهم الحب ولو كان هذا الحب كلمة، أو رسالة عابرة، أو ابتسامة، أو نظرة معبرة فإن هذا الحب نفسه سوف يزيد مع الاستخدام، تماماً مثل المال، كما يقول الله - سبحانه وتعالى -: «أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ».

وأوضح الدكتور العودة أنه بقدر ما نعطي الآخرين من الحب، فإن منسوب الحب سيزيد في داخلنا، ونكون محتاجين أيضاً إلى أن يحبنا الآخرون، مشيراً إلى أن ذلك يكون من خلال الكلمة الجميلة والمشاعر الإيجابية، فأحد الرؤساء أو الحكماء كان يقول: إن فنجاناً من العسل يصيد من الذباب أكثر مما يصيد برميل من الأشياء المرة، مع الفارق في التشبيه، فحن نتحدث عن الناس والبشر الراقين. وتابع فضيلته: ولذلك يظل العسل أو الكلمات السحرية المصادقية في القلب وطيب النفس من أقوى المعابر التي تجعلك تقدم الحب للآخرين، وبالتالي تجعلهم يحصلون على السعادة وتحصل على

الحب منهم، لأنك في هذه الحالة سوف تفتح جسراً لنفسك لتحصيل السعادة وتمنح الآخرين السعادة أيضاً. وفيما يتعلق بأن هناك من يري أنه كلما كان الإنسان أكثر تصالحاً مع عمله كلما كان أكثر هدوءاً داخلياً، قال الشيخ سلمان: إن العمل من أسباب الهدوء، وذلك لأن العمل يأخذ طاقة الإنسان، فالإنسان طاقة، وعلى سبيل المثال، فإننا نري أن الطفل الصغير يركض ويضرب في الجدار ويرمي اللعبة هنا وهناك ويتحرك ويصرخ، وذلك لأن لديه طاقة داخلية.

وأضاف فضيلته أن لكل إنسان طاقة خلق بها، والتي لا بد أن يكون لها ثمة تصريف، ولذلك فإننا لا يجب أن ننظر إلى العمل فقط على أنه وسيلة لكسب الرزق، ولكنه وسيلة لتحقيق الذات وتصريف الطاقة بشكل صحيح. وتعقيباً على مداخلة تقول: إن القراءة هي منهل ضخم لأرفع منسوبي الثقافة أو الاطلاع والمعرفة، لكنها في ذات الوقت هي عنصر للسكينة والهدوء في الذات، قال الشيخ سلمان: إن القراءة هي عبارة عن سياحة في عقول الناس وأفكارهم، فالقراءة ترقى بذوق الإنسان وبعقله، ولذلك دائماً أزعج أن الشخص الذي يحمل الكتاب متميز عن الشخص الذي لا يحمل الكتاب، كما أنك تستطيع من خلال لقاء عابر مع شخص أن تدري إن كان هذا الشخص قارئاً أو غير قارئ، فالقراءة تحدث انطباعاً عند الإنسان في سلوكه وتصرفه مع الآخرين، بل وفي نظرات عينيه^١.

وأضاف فضيلته: كما أن القراءة تمنح الإنسان العديد من المعارف والأفكار والتفكير في داخل الذات والنفس، والتفكير في ملكوت السماوات والأرض، والاستفادة من تجارب الآخرين وخبراتهم في الحياة، فعندما تمسك بالكتاب وتضعه فإن هذا هدوء، فلا يستطيع الإنسان أن يمسك الكتاب ليقرأ ويُنقل عينه من سطر إلى سطر إلا حينما يكون محتفظاً بقدر من الهدوء، ولذلك فإن الإنسان عندما يكون في حالة من الانزعاج والغضب فإنه لا يستطيع أن يقرأ كتاباً. وفيما يتعلق بالهدوء الذي يقصده الشيخ سلمان، قال فضيلته: إننا نقصد الهدوء الحقيقي وليس المظهرية، فبعض الناس قد يتظاهر بالهدوء وفي داخله براكين من الانفجار أو الانفجار أو الغضب، مشيراً إلى أن الهدوء الفعلي هو الذي تكشفه التجارب الحقيقية، وذلك حينما يكون الإنسان أمام محك حقيقي، مثل أن يتعرض لشيء من الاستفزاز ثم يحافظ على هدوئه، فالهدوء الحقيقي

١. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣١٠ في ١٣/١٠/٢٠١٠ ص ٣٢.

هو هدوء القلب والمشاعر، كما أنه هدوء الانفعالات، وذلك من خلال قدرة الإنسان على ضبط النفس في المواقف المختلفة. وأضاف فضيلته: وكذلك هدوء الفكر، والذي لا يقصد منه أن يكون الفكر خاملاً، ولكن يجب أن نفرّق بين الهدوء وبين اللامبالاة أو الكسل، مشيراً إلى أن المقصود بالهدوء أن تكون حركة الإنسان محسوبة وأن يكون تعبيره عن أفكاره أو انفعالاته تعبيراً متوازناً معتدلاً، فحينما يعجب الإنسان بشخص أو يريد أن يعبر عن الامتنان لشخص، فإنه ينبغي أن يكون هادئاً ومعتدلاً في مشاعره وتعبيراته.

وأوضح الدكتور العودة أن الهدوء لا يعني إظهار الفوقية والاستعلاء على الآخرين، ولكنه عبارة عن الهدوء الروحاني الذي يستلهم الآخرون منه، ويشجع الآخرين على أن يكونوا متجاوبين معك، لافتاً إلى أن الإنسان ربما يظهر الهدوء كنوع من تقصّد الاستفزاز للطرف الآخر، وذلك مثل أن يسيء إليك إنسان فتقول له:

(وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) الفرقان: من الآية ٦٣.

فأله - سبحانه وتعالى - لم يقل: قل وإذا خاطبهم الجاهلون؛ وذلك لأنك في هذه الحالة وصفته بالجهل وبالسفه، وكما يقول الشاعر:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تَجِبُهُ
فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

وتابع فضيلته: إن على الإنسان إذا أساء إليه أحد أن يقول له كلاماً سليماً (سلاماً)، أي: كلاماً فيه سلام ومودة وحب وتهنئة لمشاعره وليس فيه مزيد من الاستفزاز يصب الزيت على النار كما يقال، فالهدوء وإن كان معني نفسياً أو داخلياً إلا أن هناك أيضاً الهدوء الظاهر وهدوء الكلمة، وهدوء اللغة، وهدوء التعبير، وهدوء الملامح، وهدوء الجسد. وتعقيباً على مداخلة تقول: كيف يكون الحديث عن الهدوء داخل الأسرة وذلك بعد رمضان وموسم الأعياد وبداية العام الدراسي الجديد وما يعانیه الآباء مع الأبناء؟، قال الشيخ سلمان: إن أفضل ما يكون الحديث عن الموضوع في هذا الوقت، فما ذكرته صاحبة المداخلة يؤكد أن الحديث عن الهدوء مطلب، وأنه جاء أيضاً في وقته المناسب. ورداً على سؤال يقول: كيف نحافظ على الهدوء الروحاني الذي اكتسبناه خلال شهر رمضان، قال الشيخ سلمان: إن العبادات كلها، وبالذات الصلاة وكذلك الصوم، لم تشرع من أجل أن يقاسي العباد معاناة أو عذاباً، فأله - سبحانه وتعالى - غني عن تعذيب الإنسان نفسه:

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ) النساء: من الآية ١٤٧.

وإنما المقصود هو بناء النفس، وأن تتحول الحياة كلها إلى معبد يربي الإنسان على الانضباط حتى مع النفس.

وأضاف فضيلته: إننا كثيراً ما نتحدث عن العلاقة مع الله أو العلاقة مع الآخر أو العلاقة مع الحياة، لكن لا بد أن يوجد عندنا بند خاص اسمه العلاقة مع النفس، لافتاً إلى أن الكثيرين ربما لا يوجد عندهم مربع لهذه الكلمة. وأوضح الدكتور العودة أن العلاقة مع النفس تعني أن يتأمل الإنسان في ذاته، وأن يحاول أن يكتشفها، وأن يجري تعديلات، وألا يستجيب فقط للدوافع أو للعفوية، فبعض الناس يظن أن تصرفه بمقتضى العفوية هو الشئ الطبيعي، ولا يدرك أن الأمر أحياناً ربما يتطلب فكرة إجماع العفوية، وأن يقوم الإنسان بعملية التصحيح، وعلى سبيل المثال، فإنه فيما يتعلق بالصوم فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: «فَإِنْ امْرُؤُ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ»، فهذا مثل للهدوء، وذلك بأنه بدلاً من أن تواجه الضجيج بالضجيج والصياح بالصياح والصخب بالصخب، فإنه يكون هناك تعامل مع الموقف من منطلق التقوى، يقول تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة: من الآية ١٨٣، بحيث يردع الصوم الإنسان عن مجارة الآخر أياً كان هذا الآخر.

وتابع فضيلته: إن أكثر ما نشكو منه اليوم هو التناهد والتسارع إلى صدمات، سواء داخل البيت، أم في مقر العمل، أم في الشارع، أم على الصعيد السياسي، أو صدمات عسكرية، لافتاً إلى أن الدين جاء لكي يلجم النفس ويشدها إلى الوراء قليلاً، ويديربها على أن تفكر قبل أن تعمل. ورداً على سؤال يقول: هل وجود مصطلح السكينة مرادف للهدوء؟ أم هو تأصيل للهدوء؟

قال الشيخ سلمان: إنه من الواضح جداً أن السكينة لها اتصال بمعنى الهدوء، يقول تعالى:

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ) الفتح: من الآية ٤.

فالسكينة هي نقيض الانزعاج والصخب والصياح والصراخ، كما أنها نوع من الصفات أو الملامح الشخصية للإنسان، فالسكينة تطبع الإنسان في ظروفه وأحواله، حتى عندما يكون الإنسان في حالة الغضب، فإنك تجد أن الغضب يكون في حدود معينة لا يتعداها. وأضاف فضيلته: كما تجد سرعة الفيئة كما قال النبي (صلى الله

عليه وسلم): (بَطِيءُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الْفَيْئَةِ)، أي: سريع الرجوع، فلا يصمم على موقفه الغاضب ويفرض التصالح أو أسف واعتذار الآخرين، حيث ينبغي على الإنسان أن يراعي السكينة حتى في حالة الغضب.

وأردف الدكتور العودة أن السكينة لا تعني فقط الطمأنينة، يقول تعالى:

(فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) النساء: من الآية ١٠٣.

حيث تشير هذه الآية إلى طمأنينة الفكر، والقلب، والحياة، ولكن هناك حديث نبوي يقول فيه النبي (صلى الله عليه وسلم):

(إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ)، فهذا متصل كثيراً بالهدوء، وذلك لأن قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً)، معناه أن كل الأشياء فيها اندفاع في بدايتها، ولكنها سرعان ما تهدأ وتسكن.

وضرب فضيلته مثلاً لذلك، قائلاً: إن الثورات هي عبارة عن اندفاع لكنها بعد ذلك تتحول من ثورة إلى دولة، فتعيد النظر في كثير من مقرراتها ومسلّماتها، وربما تشعر - أحياناً - بحرج مع شعارات أو مقررات أو مبادئ أعلنتها في بداية الأمر، أو بحرج مع جزء من الأتباع الذين أردوا منها أكثر مما يجب أن يكون^٢.

ولفت الشيخ سلمان إلى أنه على الرغم من أن طبيعة الأشياء الحب، إلا أن الحب في بدايته قد يكون اندفاعاً، وكذلك العمل، فالإنسان ربما يبدأ العمل باندفاع، وكذلك الدراسة، فالإنسان قد يبدأ الدراسة باندفاع وقوة وحماس - أحياناً -، ولهذا فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما يقول: (إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً)، فإن هذا معناه أن هذا شيء فطري ليس مستنكراً أو مستغرباً بذاته، لكن يجب على الإنسان أن يكون واعياً أن هذا الاندفاع ليس مطلوباً أن يظل إلى ما لا نهاية، لأن من طبيعة الحياة أن فيها اندفاعاً وفتوراً.

واستطرد فضيلته أن هذه الفترة التي سماها النبي (صلى الله عليه وسلم) فترة أو فتوراً، والتي من الممكن أن نعبر عنها بشيء من الهدوء أو السكينة أو الطمأنينة أو أي مصطلح شرعي أو حتى مصطلح معرفي آخر هي جزء من طبيعة الحياة. ورداً على سؤال يقول: كيف يمكن أن يكون الهدوء مكتسباً؟

٢. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣١١ في ٢٠/١٠/٢٠١٠ ص ٣٢.

قال الشيخ سلمان: إنه يجب على الشخص الذي يكون طبيعه مناقضاً للهدوء أن يتصالح مع نفسه، كما أن كونه يعرف أن طبيعه غير هادئ، فإن التصالح مع النفس وتقبل هذا الوضع يعد جزءاً من الحل، بحيث يحاول أن يعوّض، وربما يكون عنده جانب آخر إيجابي ضخم جداً. وذكر فضيلته طرفة، قائلاً: إن شخصاً كان يدخن في أحد المطارات في غرفة التدخين، وعندما خرج أمسك به أحدهم وقال له: كم تدخن يومياً؟ قال له: لماذا تسأل؟ قال: فقط أريد أن أعرف.

قال المدخن: أدخن عشرة.. عشرين.

فجلس يضرب و يطرح و يجمع و يقسم و قال: لو كنت تركت التدخين و وفرت هذا المال بعد كذا سنة ربما الطائرة هذه كنت تملكها!، قال المدخن: حسناً هل أنت مدخن؟ قال: لا.

قال المدخن: هل تملك هذه الطائرة؟! قال: لا.

فقال المدخن: هذه الطائرة ملكي أنا وأنا أدخن!

وأردف الدكتور العودة أن هذا يؤكد أن الإنسان قد يكون عنده عيب، لكن مقابل هذا العيب ربما يكون عنده إبداع أو إنتاج جيد، مشيراً إلى أن اكتساب الهدوء أمر مؤكد جداً، لأن هناك بعض الناس طبيعهم الهدوء، فإذا تحدثت بهدوء، وإذا فكرت فكر بهدوء، وحتى ردود أفعاله دائماً هادئة، كذلك عندما ترى ملامحه وقسماته في سلامه أو ابتسامته تجدها هادئة.

ولفت فضيلته إلى أن هذا شيء جميل ورائع، شريطة ألا يتعدي حدود الهدوء ويتحول إلى برود أو بلادة، فهناك فرق بين الهدوء والبرود أو البلادة.

وأوضح الشيخ سلمان أنه فيما يتعلق بالمشير والاستجابة، فإن هناك ما ذكره استيفن كافي ونقله عن شخص لم يعرفه، وهو عالم نفسي كان في سجون النازية عنده كتاب مطبوع ومترجم اسمه (الإنسان يبحث عن معنى)، حيث يقول: إن الإنسان يتعرض لمثير معين، وذلك مثل أن يهاجمك شخص أو ينتقدك بعنف وبشكل أكبر من الواقع أو يتهمك بشيء أنت منه بريء أو بطريقة مفاجئة، وأن هذا يمثل نوعاً من الاستفزاز، ولكن هناك ثواني ما بين هذا الاستفزاز وبين استجابتك أنت، سواء بقول أم بفعل، وسواء كان هذا القول إيجابياً أم سلبياً، غضباً أم صمتاً أو هدوءاً أو ابتساماً أو تحويل الموقف إلى مزاح. وأضاف فضيلته أن هذه الثواني هي سر إنسانية الإنسان، وذلك أن

سر تمييز الإنسان عن غيره من الكائنات هو الخيارات التي تمنحه قدرًا من الحرية وتربيته، مشيرًا إلى أن توظيف هذه الثواني هو شيء في غاية الأهمية والخطورة، فعلى الإنسان ألا يتعود على أن يكون رد الفعل عنده دائماً عفويًا وسريعاً بدون تفكير، ولكن عليه أن يفكر قبل أن يتخذ القرار.

وأكد الدكتور العودة أن هذه اللحظة أو الثواني ما بين الشيء الذي استفزك وما بين ردة فعلك، هي أساسية جداً، وعليها يعوّل في مسألة اكتساب الهدوء، بأن يتعود الإنسان على كيفية اكتساب الهدوء من خلال ضبط النفس في هذه الحاجة، وذلك من خلال الولوج بالهدوء، وأن ندرك أن الهدوء مطلب؛ وعلى سبيل المثال، فنحن نشاهد الكاميرا الخفية، وكما يشعر الإنسان بالفرح والاعتباط عندما يشاهد نفسه في موقف استفزاز ويرى أنه يمتلك أعصاباً حديدية وهادئة، ويمكن أن يبتسم، أو لا يفعل، ويغبط نفسه.

واستطرد فضيلته: علينا أن ندرك أن الهدوء قيمة جميلة يجب أن نسعى إليها، متسائلاً: ماذا لو تخيل الإنسان دائماً أن هناك كاميرا خفية تلاحظه، مشيرًا إلى أن هناك كاميرا بالفعل تتمثل في الملائكة الكرام الكاتبين كل شيء، فإله - سبحانه وتعالى - يقول:

(وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهذا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) الكهف: من الآية ٤٩.

فالإنسان يري ما عمل يوم القيامة، وهذا يشير فعلاً إلى أن هناك كاميرا ربانية تراقب الإنسان وترصد كل الأشياء، فكم هو جميل أن تتخيل هذه الكاميرا دائماً وأنها ترصد حركاتك، ولذلك فإنه على الإنسان أن يحاول أن يعتبر نفسه في محل اختبار، فقد يتعمد أحد أن استفزك حتى يري مقدار الانفعال أو الغضب أو الهدوء الذي يمكن أن تتميز به، موضحاً أن هناك الكثير من تقنيات الهدوء المكتسب.

وفيما يتعلق بالعلاقة بين الهدوء والقلق، قال الشيخ سلمان: يجب على الإنسان أن يتسم بالهدوء وأن يبتعد عن القلق، وعلى سبيل المثال، فإنه يحكي أن شخصاً قام ونثر جردلاً من الماء على صديقه بطريقة سريعة، فتفاجأ الحاضرون بأن صديقه لم يكن منه أي ردة فعل، ومضى إلى عمله بكل بساطة وعفوية، فسأله أحدهم: هذه فضلاً عن أنها

مفاجأة، فإن فيها إهانة.. كيف تحملتها؟ قال: هو لم يصب الماء عليّ، لقد صب الماء على شخص آخر ظنه أنا!

وأضاف فضيلته: أي أنه صب الماء على شخص يظن أنه سيغضب ويثور، فهو ربما أراد أن يختبرني بهذا الفعل -، مشيراً إلى أن ٩٣٪ مما يخافه الإنسان لا يقع، وكما يقول الشاعر العربي:

فقلت لقلبي إن نزا بك نزوة
من الهم أقصر أكثر الهول باطله
فأكثر المخاوف لا تقع.

وضرب الدكتور العوده بعض الأمثلة لذلك قائلاً: إن فتاة قالت لي: إن والدها سيبيع المزرعة.

قلت لها: لا تقلقي، لن يقع.

وبعد فترة عرض على الأب السعر المطلوب ولم يتم بيع هذه المزرعة أو الاستراحة، كما أن عجوزاً كانت في إحدى المدن كتبت لوحة في غرفتها "لا تقلق ربما لا يقع"، وعندما دخل عليها الجيران لاحظوا أنها امرأة هادئة جداً، وسألوها فهي دائماً تشرح لهم وتعطيهم دروساً في الصبر وعدم القلق وإلى آخره، فهم أحياناً يصدقون وأحياناً يأتي موقف فيرجع واحد منهم للبداية لأنهم ليس عندهم اللياقة الكاملة لتقبل فكرة عدم القلق، فأى شئ عارض ربما يفشل التعليم أو الدرس الذي أخذوه. وتابع فضيلته أنه قد حدث ذات مرة ما لم يكن في الحسبان، حيث هدمت قنبلة جزءاً من البيت وسقطت البويات على البلاط، كما سقطت الأواني كلها، وسقطت بعض الملابس والأشياء وصار البيت معفوساً تماماً، فجاءوا كلهم وفوجئوا بأن معها مكنسة وهي تقوم بالكس وتعيد الأشياء إلى مواضعها بقدر كبير من الهدوء، فرفع أحدهم رأسه فوجد اللوحة التي تقول: "لا تقلق ربما لا يقع"، قال لها: يا عمّة، فيما تنفك هذه اللوحة؟، ألا ترين الوضع بهذا الشكل؟

فرفعت رأسها وقالت: أوه يا الله، أنا نسيت أن أقلب اللوحة، فقامت وقلبت اللوحة وإذا مكتوب في الوجه الآخر من اللوحة: "اطمئن فسوف نعيده!".

وأوضح الشيخ سلمان أن هذا يؤكد أن الحياة وجهان، الوجه الأول: لا تقلق ربما لا

يقع، وأن ٩٠٪ من الأشياء التي يخشاها الإنسان لن تقع، فإذا كنت خائفاً من مرض اطمئن، فهذه أوهام وظنون، وحتى في حال حصول المرض، فإن وجود الطمأنينة عندك هو سبب قوي للشفاء بإذن الله تعالى.

وتابع فضيلته: كذلك فإنه في حالة لم يكن هناك مرض، فإن المرض النفسي والوهم سيكون مرضاً أشد، أما الوجه الثاني، فهو: اطمئن فسوف نعيده، وستعود المياه إلى مجاريها^٢.

ورداً على سؤال يقول: كيف يكون الحديث عن الهدوء في ظل الحديث عن الحراك الاجتماعي والصخب الفكري والتيارات والعراك الطائفي، قال الشيخ سلمان: إن المشكلة تكمن في حالة الاحتقان التي تعيشها مجتمعاتنا، حيث تجد أن كثيراً من الدوائر اليوم، سواء الإعلام أم بعض القيادات السياسية وغيرها، تعتمد على إثارة الآخرين، لأن هذه الإثارة هي التي تضمن ضمهم إلى المواقف وانحيازهم إليها، وبالتالي استسلامهم لمبدأ القضية، مشيراً إلى ضرورة الالتزام بالهدوء حتى في حالة الصراع.

وأضاف فضيلته أن النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو في مكة مع المشركين كان في غاية الهدوء في دعوتهم إلى الله - سبحانه وتعالى - وصبره عليهم، كما أن ابن مسعود (رضي الله عنه) يقول: (كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَهُوَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).

وأوضح الدكتور العودة أن الغيرة ليست دائماً نقيض الهدوء، وعلى سبيل المثال فإن هناك الغيرة الشرعية أو الدينية، حيث يمكن للإنسان أن يغار، ولكن لا بد وأن يكون هادئاً، مشيراً إلى أن هناك ربطاً بين الغيرة والغضب الذي يمنع الإنسان من أن يتصرف بطريقة صحيحة، في حين أن الهدوء يساعد الإنسان على معرفة الأسباب، وبالتالي السعي في إزالتها. وتابع فضيلته أن الغضب المستحكم لا يساعد الإنسان على تقدير المواقف، فربما يكون الموقف صعباً وأنت قدرته بأقل من ذلك، أو أن يكون سهلاً وأنت ضخمته، والسبب هو سيطرة الغيرة غير المنضبطة، أو أن الغضب أبعد الإنسان عن دائرة الهدوء التي يجب أن تحكمه؛ ولذلك فإننا نتحدث أحياناً عن ما نسميه

٢. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣١٢ ص ٣٣ في ٢٧/١١/٢٠١٠.

ب"هدوء القائد"، وكما يقول الشاعر:

إِذَا كَانَ رَبُّ الْبَيْتِ بِالْدَفِّ ضَارِباً
فَشَيْمَةً أَهْلَ الْبَيْتِ كُلِّهِمُ الرِّقْصُ

فإذا كانت القيادات طائفية، سواء كانت قيادات دينية أم سياسية أم قيادات عالمية كما لاحظنا في مرحلة مضت، تعتمد في أجدتها على إثارة الخوف عند الناس والجمهير من أجل ضمهم إلى نظامها وفكرتها فإن هذا أمر في غاية الخطورة.

ولفت الشيخ سلمان إلى أن القائد الهادئ هو ذلك الإنسان الذي يتعامل مع الفجائع على أنها أشياء عادية، مشيراً إلى أن هذا لا يعني أنه لا يبالي ولكن يعني أنه يحتفظ بقدر كبير من الهدوء يمكنه من التفكير والبحث واختيار الطول بعيداً عن أن يقع في قبضة العدو أو الخصم أو الموقف. وأردف فضيلته أنه عكس القائد غير الهادئ، القائد الأرعن أو القائد الأحمق أو ما يمكن أن نسميه بـ "الأحمق المطاع" كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم). تجد أن فكرة "الأحمق المطاع" قائمة تماماً، فالأحمق المطاع هو الذي ينظر إلى الأشياء العادية على أنها فجائع. وفيما يتعلق بأن الهدوء لا يعني إلغاء الطابع الشخصي، قال الشيخ سلمان: هذا صحيح، مشيراً إلى أن كثيراً من الناس عندما يسمعون أننا نتحدث في برنامج عن الهدوء أو عن أي شيء آخر أو التغيير، فإنهم ربما يأتي في بالهم أنهم تلقائياً يلغون كل العناوين الموجودة عنده ويفكرون فقط في الهدوء فيقول: لماذا أنتم تتكلمون بهذه الطريقة؟ وهل معنى ذلك أن كل الأصوات المرتفعة يجب أن تخمد، وكل الأخطاء يجب أن تتوقف، وأن يتحول الإنسان إلى ملاك أو شخص هادئ في كل الظروف؟.

وأضاف فضيلته: نحن لا نقصد ذلك، ولكننا نسعى إلى أن نضيف تراكماً، وأنه على الإنسان أن يضيف إلى العناوين الإيجابية الجميلة الموجودة عنده عنواناً جديداً اسمه "الهدوء"، مما يساعده على التحكم في نفسه.

وتعقيباً على مداخلة تقول: إن الهدوء يكون في حالات النجاح والرضا والسعادة، قال الشيخ سلمان: هذا جميل، فالهدوء يكون بعد لحظة نجاح أو سعادة أو رضا، كما أنه قد يكون بعد لحظة غضب أو انفعال أو فشل. وأضاف فضيلته: نحن نحتاج إلى الهدوء حتى لا تتحول تلك اللحظة إلى سرمد لا يزول أو إلى إحباط لكل مشاريع الإنسان وأحلامه. وفيما يتعلق بأن الهدوء هو التصالح مع الذات بالدرجة الأولى، قال الشيخ

سلمان: هذا أكيد، فالهدوء يضيف قيمة للنفس، كما أنه معرفة بالذات، فربما إنسان يعرف من نفسه أنه هادئ وبالتالي يستفيد من هذا المعنى الإيجابي، أو يعرف من نفسه أنه على النقيض من ذلك، فيتصالح مع النفس من خلال التعويض بأشياء أخرى، فبعض الناس ربما تقرأ في وجوههم الهدوء، وعلى سبيل المثال، فإن أحد الأطفال كان يقول لوالده: يا أبي إنني بمجرد ما أنظر إلى وجهك أشعر بالهدوء وأشعر بالسكينة !.

وضرب فضيلته مثلاً آخر، لذلك، قائلاً: لقد كنت في الأردن في بداية الأسبوع للمشاركة في مؤتمر "الإسلام والبيئة" والذي نظمته مؤسسة آل البيت، حيث التقيت بالأمير غازي بن محمد، المسؤول عن هذه المؤسسة، وهو دكتور مثقف متفوق، فقال لي: إنني كلما جلست مع الشيخ عبد الله بن بيّه أشعر بالسكينة، كذلك فإن الإنسان قد يعرض عليك مشكلة قد لا تجد لها حلاً، لكن بمجرد أن تضيفي السكينة على هذا الإنسان السائل وتعطيه جرعة روحانية وإيمانية وتدعو له وتعطيه قبساً من إحساسك وعاطفتك وروحانيتك، فإن هذا ربما يساعده على الخروج من أزمته أو مشكلته.

وتعقيماً على مداخلة تقول: إن هناك من يرى أن الهدوء يعني العجز والموت، خاصة في ظل حياة الصخب التي نعيشها، قال الشيخ سلمان: إن الإنسان قد يحن إلى الصخب أحياناً، وعلى سبيل المثال، فإن إنساناً يذهب إلى السوق يريد أن يسمع أصوات الباعة وتداخل هذه الأصوات أحياناً، ولكن الحياة الصاخبة تعد مشكلة كبيرة، خاصة إذا تحولت الحياة كلها إلى ضجيج في داخلنا، سيما ما يحدثه صخب الطائرات وأزيزها وصخب السيارات والمنبهات وصخب الأصوات والمصانع.

وأضاف فضيلته: وذلك لأن هذا الصخب له تأثير ضخم جداً حتى على العقل، خاصة فيما يتعلق بالأطفال، كما أنه له تأثير على التربية والأجهزة العصبية على المخ، فلقد ثبت علمياً أن الناس الذين يسكنون في مناطق قريبة من القطارات أو المطارات أو غيرها، وخاصة الأطفال منهم، أكثر عرضة للإصابة بالنوبات القلبية من أولئك الناس الذين يعيشون في الأرياف أو في الضواحي أو في القرى. وأردف الدكتور العودة أننا نعتبر أن هذه دعوة للناس إلى أن يعيشوا في القرى والأرياف، وكذلك دعوة للناس القرييين من الأرياف أو الموجودين فيها، أنهم لا ينبغي أن يكون عندهم ولع بالذهاب إلى المدينة وصخب المدينة، وعلى سبيل المثال، فعندما كنت يوماً من الأيام في بريدة، كنت أتمنى أن أرى زحام السيارات حتى يكون هذا مظهراً أن البلد متقدم، وخاصةً

أنا جننا إلى الرياض ورأينا الازدحام فيه، كما شاهدنا الناس أصبحوا يشكون من شدة الازدحام، ولذلك فإن هذه دعوة إلى الناس لكي يعيشوا حيث هم في قراهم، وأن يصنعوا في هذا الجو الهادئ الحياة الجميلة.

وتابع فضيلته أن حياة الريف أكثر جمالية في الغالب من حياة المدن بصخبها، مشيراً إلى أن الناس في الريف اليوم يستطيعون أن يحصلوا على كل الأشياء، سواء فيما يتعلق بالعلاقات أم البرامج والمناشط وعلى غيرها، لكن هذا الصخب يتحول إلى ضجيج في داخلنا، حيث ترى في دبي أو في بلاد أخرى في العالم، الناس في المطارات والقطارات والشباب والبنات معهم الأجهزة والسماعات في آذانهم، مما يشير إلى أن الإنسان دائماً يعيش حالة من الضجيج والصخب. وتساءل الشيخ سلمان: ماذا سيكون حال ذلك الشاب الذي يقضي أربعاً وعشرين ساعة وهو على اللابتوب يسمع أغاني أو يسمع برامج أو أشياء، أو منهمك في مسابقات أو في ألعاب، ويعيش في دوامة سريعة.. عندما يأوي إلى فراشه!!؟

مشيراً إلى أنه سيكون أمامكم هائل من الضجيج والصخب في مخه، كما أن الاستسلام للنوم في هذه الحالة سيكون عملية صعبة جداً، لافتاً إلى أن الحل يكمن في العودة إلى الطبيعة التي هي عبارة عن معبد يسبح فيها الله - سبحانه وتعالى.

وذكر فضيلته أن كل ما في الكون يسبح لله تعالى، يقول عز وجل: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) الإسراء: من الآية ٤٤، حيث يجب علينا أن نشارك في هذا المهرجان، وأن يكون عندنا حالة تسبيح في رياضة تمشيها أو مشي أو حركة معينة أو ذكر أو تسبيح أو استغفار أو قراءة شيء من القرآن، مما يعيد إلى الإنسان هدوءه وسكينته، مؤكداً على ضرورة ألا يتجاوز الصخب قدره بحيث يهيمن على الحياة. وفيما يتعلق بأن هناك من يرى أن الفجر له ساعة ألق وسحر تورث هدوءاً، قال الشيخ سلمان: هناك وقت السحر، يقول تعالى:

(سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) مريم: من الآية ٤٧.

ويقول أيضاً: (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) يوسف: من الآية ٩٨. وهي ساعة التنزل الإلهي، والتي هي عبارة عن ساعة روحانية، والتي أجمل ما فيها هو الهدوء واستقبال أنوار الصباح القادمة بتفاؤل وأمل وإشراق، مما يشير إلى

ضرورة أن يكون عندنا أمل في الحياة، وأن يكون هذا الهدوء مبنياً على الأمل والإيمان بالله^٤.

وأضاف فضيلته أن ممارسة الرياضة نفسها وبالذات رياضة المشي، خاصة المشي الطويل مع نشاط آخر، هو أمر هام جداً، خاصة أن يكون هذا النشاط تسييحاً أو استغفاراً أو تفكيراً وتأملاً، فكثير من الأفكار التي أبدعها الإنسان أو استلهمها جاءت في مثل هذه الأجواء، فالإنسان بعد المشي يشعر بنفسية مختلفة عنه قبل المشي. ورداً على سؤال من مشارك يقول: هل نظل هادئين رغم أن هناك حملات سيئة وبذيئة لسب الصحابة وأمّهات المؤمنين؟، قال الشيخ سلمان: لقد أكدت أن الغيرة لا تناقض الهدوء، ولكنها لا يجب أن تتحول إلى انفعال غير مدروس، مشيراً إلى أنه حتى فيما يتعلق بالغيرة الشخصية أو غيرة الحب أو الشعور بامتلاك شخص معين لا يجب أن تتحول إلى أمر مناقض للهدوء، بحيث تعصف بسكينة الإنسان وحياته. وأضاف فضيلته أنه فيما يتعلق بعائشة الصديقة (رضي الله عنها) فيكفي شهادة الله - سبحانه وتعالى - لها والثناء عليها في القرآن الكريم في آيات تتلى إلى يوم القيامة، كما يكفي اختيار الله تعالى لها أن تكون شريكة الحياة للنبي (صلى الله عليه وسلم) حتى يموت الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حجرها. وأردف الدكتور العودة: لقد تحدثنا عن هذا الأمر مبكراً، مشيراً إلى أنه من حق الناس أن يعبروا عن شعور الحب كلما تعرض شخص يعزونه ويجلونهم ويقدمونه لاعتداء أو لانتهاك، سواء كان هذا التعبير في صورة شعر أم نثر أم مقال، أو التعبير بالبحث والكلمة الهادئة، فهذه كلها من المعاني الجميلة.

وتابع فضيلته: إننا حينما نتحدث عن عائشة الصديقة (رضي الله عنها)، فإننا لا يجب أن نتكلم عنها فقط باعتبارها زوجة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكأن الأمر الذي يحمي من النيل منها هو كونها زوجة للرسول (عليه الصلاة والسلام) وإن كان هذا معني صحيح واختياراً إلهياً، ولكن هي أيضاً في شخصها وأدبها ونسبها وعلمها وتقواها وإيمانها وشخصيتها وذكائها وتأثيرها الضخم في الحياة الإسلامية هي رقم غير عادي. وأوضح الشيخ سلمان أنه لذلك ينبغي أن يكون هناك حديث واضح ومستفيض عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، مشيراً إلى أنه مما يشاد به أن

٤. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الاخر العدد ٣١٣ ص ٣٢ في ٣/١١/٢٠١٠.

الكثير من المسلمين عبروا عن هذا الشعور تعبيراً إيجابياً رائعاً، ويدل على صدق الإيمان، كما أنني أشيد بأن هناك من إخواننا الشيعة من تكلموا أيضاً بكلام يحمد، ودانوا مثل هذا العمل، وليس فقط من أجل الحفاظ على مقدسات السنة، وإنما من أجل أن عائشة الصديقة (رضي الله عنها) لها مقامها المقدس ومنزلتها الرفيعة والترضي عنها (رضي الله عنها) وأنها أم المؤمنين وزوجة خاتم الأنبياء والمرسلين.

وتساءل فضيلته: ماذا لو تم التعرض لشخص أو لزوجته شخص رمزي مقدس أو زوجة واحد من الرموز السياسية أو الرموز الطائفية وكان هناك نوع من الادعاءات الفضائحية المفتراة، مشيراً إلى أن هذا سيكون استهدافاً للشخص والمذهب، بل واستهدافاً للمجتمع ذاته وسكينته، فكيف بأم المؤمنين (رضي الله عنها)؟!؟

وتعقيباً على مداخلة من مشارك، يتحدث عن ارتباط لحظات الفرح والغضب بالهدوء، قال الشيخ سلمان: إن الصخب دائماً هو فقدان التوازن أو فقدان نقطة الوسط، فالإنسان عندما يكون في وضعه الطبيعي، فإنه غالباً ما يبين، لكن إذا صار أمراً طارئاً، سواء كان هذا فرحاً شديداً أم حزناً شديداً أو غضباً شديداً، فإن الإنسان في هذه الحالة يحتاج إلى التذكير بالهدوء حتى يعبر عن شعوره باعتدال.

وأضاف فضيلته أن الناس في بعض الفرح، سواء في مناسبة عيد أم يوم وطني أم زواج أو أي مناسبة، ربما يتجاوزون في التعبير عن الفرح إلى أمر قد يضر بالسكينة الاجتماعية أو يضر بالآخرين، مما يؤكد على ضرورة أن تكون لدينا القدرة على التعبير عن السعادة بشكل معتدل. وتعقيباً على مداخلة من مشارك يقول: إن الهدوء قد يفهم منه أنه حالة ضعف، قال الشيخ سلمان: إن العرب يقولون: "ترى الأقوام كالدخل وما أدراك ما الدخل"، فأنت تقابل شخصاً لا تعرف بالضبط كيف هو حتى تختبره، كما أنهم يقولون: "في الزوايا خبايا"، مشيراً إلى أننا كثيراً ما نقيس الإنسان بالكلام، فإذا كان الشخص متحدثاً ومتكلماً ويأخذ المجلس توقعنا أنه شخص ناجح وموفق، وأنه يملك المفاتيح كلها، والواقع أنه ربما هناك أشخاص ليسوا فصحاء بألسنتهم ولكنهم فصحاء بأعمالهم، لأنهم أصحاب مبادرات وعقول. وأضاف فضيلته: إننا يجب أن نعي أن الكلام ليس هو معيار الحكم على الأشخاص، فهناك أناس ربما يكون عنده حسبة في لسانه، فلا يتحدث، أو يقول كلمتين ويسكت، أو أنه إذا أراد التعبير لا يشد الناس الذين حوله، لكن عندما تسأل عنه ربما تجده يملك أكبر شركة في العالم! أو عنده

أضخم مصنع، أو ربما يكون مبدعاً أو كاتباً، لكنه لا يستطيع أن يتكلم، ولذلك فإننا يجب ألا نعتبر أن الهدوء علامة ضعف، فأحياناً يكون العكس هو الصحيح، بل هذا هو الأغلب؛ أن الهدوء علامة قوة، لأنه أهدأ ما يكون البحر عميقاً، بينما العربة الفارغة أشد جلبة من العربة المملأى، والسنابل الثقيلة تجدها منحنية ومتواضعة، والسنابل الخفيفة تجدها مرتفعة إلى أعلى، فاللتواضع معنى جميل.

وتعقياً على مداخلة من مشارك، يتحدث عن العلاقة بين العنف الأسري وواد الهدوء في بيوتنا، قال الشيخ سلمان: إننا لا بد أن نشيع الابتسامه داخل البيت، فإذا أردت تصوير شخص فإنك تقول له: ابتسم، وذلك لأن الابتسام يضيف الهدوء على الملامح ويجعلها أكثر جمالية، حيث يجب علينا أن نشيع الابتسام، والضحك، والمزاح، وأن نتعامل مع المواقف الصعبة بأريحية ومزاح الواحد. وأضاف فضيلته أن الإنسان الواصل قد يصنع النكتة على نفسه، أو قد يحول الموقف المخرج إلى موقف طريف ومضحك، وذلك بدلاً من أن يشعر بالخجل أو الإحراج، كذلك الأمر فيما يتعلق بالعمل، حيث يجب على الإنسان أن يبتعد عن التوتر عندما يقوم بأعمال يدوية معينة، أو المرأة حينما تقوم بأعمال في المنزل أو في المطبخ أو غيرها، أو الرجل، حتى تحريك المسبحة نفسه يعتبر عملاً يدوياً، حيث يجب على الإنسان أن يبتعد عن العنف الأسري. وتعقياً على مداخلة من مشاركة تقول: إنها تعمل في التأمين الصحي، وقلقها من أن هذا العمل حرام يفقدها هدوءها، قال الشيخ سلمان: إن التأمين الصحي أصبح ضرورة لا مناص منها اليوم، كما أنه أصبح منظماً حكومياً في معظم بلاد العالم، مشيراً إلى أنه لا يعد مالاً مقابل مال، وإنما هو خدمة مقابل شئ.

وأضاف فضيلته أن الغالب أن هذا أمر مدروس ومبني على مقارنة جيدة ما بين الأقساط التي يتم تحصيلها والخدمات التي يتم تقديمها، و أن معظم الشركات والمؤسسات والجهات مندرجة في مثل هذا التأمين؛ ولذلك أرى أنه لا حرج فيه إن شاء الله.

وفيما يتعلق بأن البحث عن الهدوء قد يدخل بعض الناس في فن التمثيل، قال الشيخ سلمان: إنه لا يصلح أن يكون الإنسان ممثلاً، لكن على الإنسان دائماً أن يعمل حفريات داخل نفسه، فعليه أن يراقب نفسه بشكل معتدل، وأن يكون لديه اتصال مع الذات، إلا أنه يدرك أن هناك مع الاتصال مبدأ تطوير الذات، فالتصال مع الذات لا

يعني الاستسلام للأخطاء أو أن يقوم الإنسان بعملية تمثيلية خالصة. وأضاف فضيلته أن التمثيل في هذه الحالة لا يمكن أن يدوم، فالحياة ليست مسرحاً، كما أن الناس الذين حولك ليسوا أشباحاً، والنبى (صلى الله عليه وسلم) يقول: (وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا)، ولذلك أعتقد أنه يمكن أن نتدرب على الهدوء من دون أن نتحول إلى مجرد ممثلين أو متقمصين لهذه الصفة^٥.

٥. إلى هنا تم نشرها في: مجلة الصوت الاخر العدد ٣١٤ ص ٣٢ في ١٠/١١/٢٠١٠.

مسعود بارزاني، حلال عقد وتمام شمل

مما يذكره لنا المؤرخون ويثنون على كاتبه كتاب (رحلة ابن جبير) سيما حديثه عن ابن جوزي ولباقته الكلامية وتفوقه في الوعظ وتأثيره الفائق على الحضور وانعكاس نواياه الصادقة في نصحه للسلطين عليهم و وقوفه أمام الخليفة و ارشاده اياه وباعه الطويل في الكلام أثناء تخاطبه مع الناس وتساقط التائبين بين يديه واكتظاظ مجلسه بعشرات الألواف من الحضور - على حد قول ابن جبير - وكيف أن من أراد أن يحصل على القرب منه في مجلسه كان عليه الحضور في ساعات مبكرة من النهار كي يتمكن من الجلوس في موقع يمكنه رؤيته!، كل هذه أثرت على ابن جبير، - وهو يذ كر ابن جوزي - ليستشهد بقوله تعالى:

(أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) ١٥ الطور.

على بلاغة ذلك العالم الرباني والمصلح الإجتماعي الفذ، الذي عجزت الأمهات عن أن يلدن مثله الا نادرا، ومع كون ابن جبير عالما دينيا متربي بين أيدي المشايخ، لم تمنعه براعته وتقواه ليستشهد بتلك الآية الكريمة، أثناء حديثه عن (ابن جوزي)، لذا أراني ملزما حيث لامانع شرعا، يمنعي لأستشهد أيضا بالآية نفسها، في معرض الحديث عن إنقاذ العراق والعراقيين من دوامة جدل بينظني طائفني عنصرني بغيض، حيث لم يكن لأحد أن يرتضي بسوي نفسه، حاكما، أميرا، رئيسا، زعيما، متكلما، حجة، مفتيا، قائدا، عبقريا.. إلى مالانهاية من تلكم الألقاب التي قبلت عن مثلها:

مما يزهدني عن ملك أندلس

القاب معتضد فيها ومعتمد

القاب مملكة في غير موضعها

كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

لم يكن لمن بالداخل ولامن حولنا ولامن هو بعيد عنا، أن يمنحه الله ذلك الشرف، في

لم الشمل وجمع كلمة العراقيين، إلى أن قيض الله لذلك، الكريم ابن الكريم، مسعود بارزاني، ليقوم بما عجز عنه غيره و كما يقول الشاعر:

فإني وإن كنت الأخير زمانهم

لأت بما لم تستطعه الأوائل

بارادته الخيرة ونواياه الصادقة النابعة عن تربيته الكريمة الخاصة الزاخرة بروح التسامح والإيمان بالإستماع للغير و قوة المنطق وليس منطق القوة، وتربيته من قبل المرحوم الوالد (ملا مصطفى البارزاني) ليقوم بأداء هذا العمل المشرف و ينقذ مرة أخرى العراق من براثن الخلاف و يحقن دماء الأبرياء ويتسبب في الوصول إلى حل مثالي، فيجمع القريب والنائي معا على طاولة الكرم والعقل والعرفان، هنا في (هولير) عاصمة إقليم كُردستان، ثم يحضر بذاته في بغداد عاصمة السلام يوما ما!، ليتمخض عن ذلك اختيار الأستاذ جلال الطالباني الكُردى لولاية ثانية على العراق، وتتولد حكومة عراقية، بعد مضي أكثر من ثمانية أشهر على المخاض العسير!، كل هذه جعلتني أن افعل ما فعله ابن جبير، وأنا انظر إلى هذا الرجل الشهم (مسعود بارزاني) فأستشهد بقوله تعالى: (أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) ١٥ الطور.

بل وأزيد على ما فعله ابن جبير، فأذكر - وكما قالها شقيقي العزيز عثمان - بقوله تعالى:

(مَنْ أَجْلُ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمُسْرِفُونَ) ٣٢ المائدة.

أقول: إن كان انقاز نفس مظلومة يساوي عند الله تعالى انقاز أنفس البشرية جميعها و يستحق الثناء من الله، فما بالكم بإنقاز أنفس وحقن دماء الألوفا من العراقيين، نتيجة التحاكم إلى العقل وبخطة من سيادته و سياسته الحكيمة؟ ترى لو فعل غيره، أقل مما فعله هو من قادة المنطقة، كيف كان الإعلام يكبر الأمر و يجعله زاد برامج وخطب الجوامع؟ وكيف كان يدعي له من على المنابر وفي الأماكن المقدسة، سيما في الحرمين؟

فماذا دهي معظم القوم، أفهم لا يشعرون!، اليس ما فعله الأخ مسعود، كان جديرا بكل تقدير لينعكس ذلك على الأمة كلها، أم كونه كُرديا يمنع من الإعتراف بجميله؟ لماذا

الكيل بمكيالين يا أمة الإسلام وياحملة راية العروبة؟ ويا من يحبون أن يسموا بحملة
راية الإسلام والسلام معا؟

أنا متأكد من أن سيادته والحمد لله في غنى عن ذكره عند الآخرين، وهو لايهمه
الكلام معشار مايهمه العمل، ولربما لايرضى مني هذا الثناء، ولكن الحق يقتضي ذلك.
وفي النهاية لا أستبعد ان يأتي بإذن الله تعالى عن قريب، تشريف جائزة نوبل
للسلام به، وذلك من قبل غير أهل المنطقة ومن قبل غير اتباع دين السلام! لذا أذكر
بقول الشاعر:

لقد أسمعت لونايت حيا...^١

١. تم نشرها في: مجلة الصوت الآخر العدد ٣١ في ٢٤ من ١١ عام ٢٠١٠ ص ٣٢ .

الفصل الثاني

هكذا رأيت وبأم عيني

هذا هو العنوان العام الذي كنت نشرت تحته ما كتبته أثناء إحدى سفراتي إلى شمال كُردستان و البلد الجار (تركيا) والتي نشرتها عبر أعداد من (مجلة الصوت الآخر) الموقرة من (العدد ٢٥٤) في ٢٠٠٩/٨/٥، إلى العدد ٢٦٤ في ٢٠٠٩/١٠/٢١ .

في مدينة بورصة

ليست هذه هي المرة الأولى وأنا أعبر من جنوب كُردستان متوجها إلى البلد الجار (تركيا)، ففي عام ١٩٩٤ كانت سفرتي الأولى إليها ضمن رفقة كريمة كأول وفد كُردستاني مكون من الأئمة والمشايخ، للمشاركة في المؤتمر القرآني الذي عقد في حينه بمكة المكرمة وقدمت الحدود في ١٩٩٤/١/٢٦ كل من السادة:

١- (د. محمد احمد كهزني (ر)، عميد كلية الشريعة جامعة دهوك، وقتها).

٢- (ملا محمود ديرشوي (ر)، عن اتحاد علماء الدين الاسلامي في كُردستان).

٣- (ملازاهد - أحد مدرسي كلية الشريعة في دهوك، لحينه) ثم دخلت أنا في (١٩٩٤/١/٢٨) والتقينا في (أنقرة) عاصمة تركيا، وبقينا بها إلى (١٩٩٤/١/٣١) حيث توجهنا إلى (الرياض) عاصمة المملكة العربية السعودية، وإن لم نلحق المؤتمر ولكن كان وجودنا بالمملكة واجراء لقاءات من الضرورة بمكان، وإن لم تنتج كثيرا لما لا أعلمه أو لما لا يمكنني قوله! وبعدها و في مناسبات أخرى، دخلت تركيا عبورا منها الى بلاد أخرى أو زيارات خاصة بغية العلاج إلى المرة الخامسة عشرة والتي بدأت من (٢٠٠٩/٦/٢٨) برفقة أحد أبنائي وانتهت في ٢٠٠٩/٧/١٠، ولم يشد انتباهي سفراتي الى هذا البلد مثل هذه المرة ولربما ذلك يعود لأمر:

أولا: موقعي الآن كرجل عامل ضمن الإعلام و بقدر ما امكنني من الاهتمام الاعلامي بما رأيت، ولوجود أمور هناك قد جلبت إنتباهي ثانيا، وللتغيير الذي لمستته على كثير من جوانب الحياة فيها وحسب وجهة نظري و رؤيتي الشخصية ثالثا، ولكني قبل البدء

بأي شيء أعتترف لكم بأنني لست بالصحفي المتمرس، كما ينبغي أن يكون، وأرجو أن يشفع لي هذا الاعتراف عندكم أن لا تلوموني كثيرا فيما انقله لكم و بكل أمانة، وأما ما يتعلق بالصور التي أضعتها بين ايديكم - نشرت في أعداد المجلة - فالتقاط معظمها يعود إلى إبنني أيضا غير الخبير، والذي كان يعتمد بالدرجة الأولى على آلة التصوير الصغيرة الشخصية و جهاز هاتفه أيضا، و أبدأ من حيث المرفأ الأخير: فقد بلغني بعض المشائخ بأن هناك عالما كُرديا جليلا يعرف باسم: (ملا محمد الشوشكي) قد تجاوز ثمانين سنة، وقد أَلَف تفسيراً للقرآن الكريم باللغة الكُردية، بعد ما نال من الإضطهاد ما لا يطيق الانسان سماعه، مما جعله مضطرا لأن يختار مدينة (بورصة)، كوطن للعيش، والملفت، أن الرجل لم يستسلم لما قد فرضته السلطات السابقة عليه من أن يعتبر نفسه تركيا جبلياً، وأن لا يعظ من على منبر مسجده باللغة الكُردية وأن لا يكتب بها، إلى أن تغيرت الأحوال بحقه لاحقا فأبلغ السلطات بأن الذين يؤمهم هو و يعظ فيهم كُرد، ولا يمكنهم فهم غير لغتهم، تساهل أخيرا بعض المسؤولين معه فسمح له بأن يلقي وعظه وخطبه باللغة التركية ثم بعدها يخرج إلى خارج حرم الجامع - باعتباره كدائرة حكومية خاضعة لقانون البلد الذي ينص على أن اللغة الرسمية هي التركية لا غيرها - فيقف أمام المصلين اذا استفسروا منه عن شيء لم يفهموه فيجيبهم باللغة الكُردية، شريطة أن يحضر معه رجل أمن يجيد اللغتين كي لا يتجاوز حده وحدوده!

نعم: لقد اخبرنا الشيخ بأننا مقبلون عليه ورحب بنا وكان لنا معه لقاء، وأول ما استقبلنا به قوله: (الحمد لله قبل أن أموت قد شعرتم بأن هناك عالما كُرديا ضحية أفكاره الدينية والقومية وهو يحترق على قومه وعدالة قضيته)، ولما بادرت به بالسؤال عن كيفية مرادته الفكرة لكتابة تفسير باللغة الكُردية قال: (بعدما عرفت أنه ليس من وراء التفاسير المؤلفة باللغات غير الكُردية بالنسبة للكُردية أية جدوي و فائدة، وجددتني ملزما بأن أوّل لبني قومي تفسيراً للقرآن الكريم، فشمرت عن ساعد الجد مستعينا بالله و مستفيدا من التفاسير المكتوبة باللغة العربية المتاحة بين يدي، غير أنني لم أنقل فيه الروايات الخرافية والبدعية التي تعتمد على الروايات الإسرائيلية)، وكان تفسيره باللغة الكُردية وطبعا باللهجة الكرمانجية التي يتكلم بها معظم الكُرد سواء شمال كُردستان أم غربها أم الكثيرون من جنوب وشرق كُردستان، والخط الذي إعتمده في الكتابة هو الإملاء العربي ويقع الكتاب في ثمان مجلدات كبيرة وقد تكفل بعض الشباب بتحويل

كتابته الى الحروف اللاتينية كي يستفيد منه أبناء عمومته، سيما قاطنو شمال كُردستان لأنه قلما تجد من يستطيع قراءة الخط المكتوب على الوجه الذي كتب به القرآن الكريم، وإلى جانب تفسيره كان له مؤلف آخر في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وديوان شعر وكتاب في الرقائق والنصح، فقد كان ملا محمد الشوشكي كريما معنا في العطاء والح علينا البقاء عنده وسمح لنا بتصوير بعض مما كتبه وبخط يده، وكان هذا اللقاء، ووفاء للرجل واداء خدمة للقرآن جعلت القسم الاول من هذا الاستطلاع خاصا به^١.

جولة داخل مدينة بورصة

في القسم الأول من هذا الإستطلاع اصطحبتكم إلى مدينة بورصة الجميلة في تركيا حيث المعالم الأثرية والأجواء اللطيفة والمناظر الطبيعية الخلابة، ومما سأذكره في هذه الحلقة بها أيضا هو:

أولا: المساجد الأثرية القديمة: والتي يعود تأريخ معظمها إلى العهد العثماني، حيث توجد في هذه المدينة مساجد عدة مما جعل بلدية المدينة تضع في (تيرمينال، محطة وقوف الباصات) المدينة، مجسمة لجميع المساجد القديمة والحديثة بها، وذلك لجلب انتباه بعض من السياح الذين ينبهرون ممن يحلو لهم ذلك، ولعل أكبر تلكم المساجد الجامع الكبير الذي يتميز بجماله ووجود كتابات باللغة العربية على جدرانه وبطرق فنية دقيقة حيث تقرأ من جهتين، وكتابة أحاديث لا يصح معظمها، والإستغاثة بروح بلال الحبشي والتي لا يجوز شرعا، اذ كل مسلم يردد سبع عشرة مرة في صلاته قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين) فيخص الله بالاستعانة والعبادة، فهي مسألة عقيدية كان العثمانيون معروفين بالتهاون فيها وسلوكهم مسالك بعيدة عن العقيدة السليمة، وقد حظي هذا الجامع كشأن غيره من جوامع المدينة بالزائرين والسياح، سيما الأجانب مع مراعاة بعض الآداب من المتبرجات، ومن هذه المساجد أيضا مسجد مازالت فيه مدرسة لتعليم القرآن الكريم، يسمى مسجد (اسماعيل حقي) وبداخل حوش الجامع أضرحة منها ضريح (أبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الاسلامبولي الحنفي المولوي الرومي البرسوي- ١١٢٧ هـ =

١. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٥٤ في ٨\٩\٢٠٠٩ ص ٢٠-٢٢ .

١٧١٥ م، والذي كان من أهل التصوف واللغة و التفسير و ولد في (آيدوس) وسكن القسطنطينية، وانتقل إلى (بورصة) وكان ممن انخرطوا في الطريقة الخلوتية، ومن مصنفاته: (روح البيان في تفسير القرآن) و (الرسالة الخليلية، في التصوف) وقبره يزار ويتبرك به العوام)، ومما يجب ذكره هنا، أن هذا الرجل (اسماعيل حقي) كان مولعا بيبغض الكُرد، لدرجة أنه لم يتورع عن الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ر)، ليستدل على تقوية وجهته الخاطئة، ولعل خير دليل على حقه الدفين تجاه هذا الشعب، ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) ٦٨ الانبياء). أي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة، وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافترض، لا يبقى له مفرع الا المناصبه واتفقت كلمتهم على احراقه لانه اشد العقوبات، وقال ابن عمر (ر): ان الذي اشار باحراقه رجل من اعراب العجم) يعني من الاكراد (كُرد). - طبعا دون سند - ولعمري انهم لفي فسادهم وجفائهم وغلوهم في تعذيب الناس بعد يقدمون ولا ينفكون عن ذلك ما ترى للاسلام الذي هو دين ابراهيم الخليل عليهم اثرا في خلق ولا عمل خلقهم نهب اموال المسلمين وعلمهم الظلم والسرقة والقتل وقطع الطريق، والله ما هؤلاء بأهل الملة الغراء لاكثر الله في الناس مثل هؤلاء إياك والمصاحبة بأصلحهم والمرور ببلادهم)^٢. ولا أراني مضطرا للتعليق على هذا القول الزائف المليء بالتجني، فقد رأيت من الواجب على و أنا في تلك المدينة أن أمر بقبره وادعو الله عنده أن لا يزيد الأمة بمثله وأن يجازيه بما يستحق، فالله هو العليم كم قرية كُردية هدمت وكم امرأة رملت وكم من أبناء هذه الأمة الكُردية المسلمة حرموا من حنين آبائهم وأمهاتهم وكم من بلاد دمرت من كُردستاننا الحبيبة وكم بساتين جعلت يبابا وأحرقت بعد قراءة الظالمين لتلك العبارات وكم اعتمد المستعمرون على ذلك التفسير في إباحة اموالنا ودمائنا وأعراضنا، وكيف كانوا يشكون في ديننا و بنائنا للمساجد والمدارس الدينية! و بالقرب منه قبر جديد مكتوب عليه، (قطب الأقطاب، نائب الرسول، أحمد أفندي قدس سره!)، في حين لما يزور الحجيج مقبرة الصحابة (ر) ببقيع في المدينة المنورة لا يجدون أي أثر لكتابة

٢. أراني هنا ملزما بتقديم الشكر إلى الشيخ محمد علي الصابوني، حيث لم يلتفت إلى هذه الخزعبلات، في كتابه الموسوم ب: تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، لاسماعيل حقي البروسوي) ج٢ص٦٩ط دار القلم .

شبيهة بتلك العبارات على قبورهم بل ولا يجدون آثارا لقبورهم (ر).
ثانيا: الأماكن الأثرية الأخرى: ك (طوبخانة) التي تحكي للزائرين جانبا من قوة العثمانيين وتقع على تلة مرتفعة مطلة على جوانب من المدينة وداخلها، وبالقرب منها تربة أو قبر كبير لآل عثمان الذي يعتز به كثير ممن أغتر بحكمهم في زمانهم.
ثالثا: شجرة (جنار): التي تقع على سفح أرفع جبل في المدينة، والتي تجاوز عمرها ٦٠٢ سنوات، وقد اعتنت البلدية بها وجعلتها محط أنظار السياح ولربما لجلب أكبر عدد ممكن من السياح راعوا في المطاعم والمقاهي الواقعة تحت ظلها، منع تناول المواد الكحولية، وكم تأملت وأنا أتناول الغداء في أحد المطاعم الواقعة تحت ظلها، لما تذكرت الأشجار في بلادي كيف كان يعمل ليل نهار لاجتثاثها وعدم الابقاء عليها وعلى أثرها، بل وتدمير القرى التي يقعن بها، ولو كانت لنا أيضا ما لغيرنا من الحقوق والدول، لكانت كل بقعة من أرض كُردستان وجهة السياح وكانت أولى من غيرها بالاهتمام، وكان على قمة الجبل (تلفريك) أو ما يسمى (بالعربات المعلقة) الكهربائية، وكلما اقتربت مني واحدة منهم أو صعدها تأوهت لحال بلادي وجبالنا الشامخة التي تناطح السحاب، وهذه الغابات والبساتين والعيون العذبة والمناظر الخلابة التي لا يمكننا أو لا نمكن من الاستفادة منها وكما ينبغي، فكم كان حريا بنا أن نستغلها ونجلب السياح إليها إن لم يكدر أزيز الطائرات الاجواء علينا، وكلنا أمل أن يشهد المستقبل تحقيق جانب منها، وعلى مقربة من هذه المدينة منطقة ومرفأ (مودانيا) الواقعة على ضفاف النهر، جزا الله الأخوة المضيفين هناك، حيث اخذوني إليها واروني فيها من آيات الجمال بأنواعها! سيما منظر الغروب وقرص الشمس وكيف تودع ساكنيها و ساكني الجزر الصغيرة التي تتراءى للناظرين، وأما حديقة الحيوانات في المدينة فهي بأراضيها الواسعة متواضعة، تواضع ساكنيها سيما أنواع الأسود التي وضعت حبيسة في الأقفاص ككثير من بني جلدتي الذين يدعون الى الحرية المفتقدة، ويمنعون من رؤية أشعة الشمس وهي تشرق وتغرب على محبسهم ومعتقلهم صباح مساء، ومهما طال السفر وحسن بنا المقام فلا بد من المغادرة والتوجه إلى البلد، مقبلا اليه من على البحر عبر مدينة اسطنبول^٢.

٢. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٥ في ١٢\١٨\٢٠٠٩ ص ١٨-١٩.

اسطنبول

إن كان من حق الإمام الشافعي (ر) أن يقول: (لا بد من صنعاء وإن طال السفر) فمن حقنا أن نقول: لا يمكن للمرء أن يزور تركيا دون أن يمر بأسطنبول تلك المدينة التي: (تربط بين قارتي آسيا و أوروبا، و يربط مضيق البسفور فيها البحر الاسود ببحر مرمرة وخليج القرن الذهبي، والتي كانت في السابق عاصمة للإمبراطوريات الثلاث الرومانية والبيزنطية والعثمانية)^٤ وتكتظ بالمعالم الأثرية التي لاتعد ولا تحصى وتحكي حفقات من التأريخ سيما العثماني منها و الذي اختلف الناس حوله وحول تقييمهم لحكمهم، وبأذن الله سأحاول من خلال هذه القراءة أن أعبر عما أراه حقا ولغيري الحق في القبول أو الرد، فقد كان نزولي بالدرجة الأولى في ضاحية سلطان بايلي القريبة من منطقة (ساماندره) أي موقع التبن حيث كان العثمانيون في حينه يستخدمونها كمواقع لخدمة بغالهم و يخزنون فيها العلف، ومن ضمن من التقيتهم هناك الحاج (علي) وهو أخ كُردي من أتباع المذهب الجعفري وكان متشددا في (تمذهبه) ولكنه كان من الحس القومي لدرجة يغبطه عليه كثير من أمثالي ونزولا عند رأيه بدأنا من الآثار القديمة مستقلين سيارته المتواضعة، و بصحبة مضيفنا الأخ (ملاحمت) الكُردي أيضا، حيث كانا معنا طول بقائنا في اسطنبول، وبدأنا زيارتنا بمسجد (أياصوفيا).

مسجد أياصوفيا

وهو: (أروع وأشهر نموذج للعمارة البيزنطية في العالم وكان كاتدرائية بناها جستنيان الأول بين عامي خمسمائة وإثنين وثلاثين، وخمسمائة وسبعة وثلاثين للميلاد في إسطنبول. وبنيت قبّة أعلى من القبّة الأصلية، بين عامي خمسمائة وثمانية وخمسين، وخمسمائة وثلاثة وستين للميلاد بعد أن تشوّهت الأولى إثر زلزال، واستعمل المبنى مسجداً بعد عام ألف وأربعمائة وثلاثة وخمسين ميلادي، عندما فتح الأتراك المدينة، وأصبحت "أيا صوفيا" مُتَحَفًا عام ألف وتسعمائة وخمسة وثلاثين ميلادي. وعبارة "أيا صوفيا" اليونانية القديمة تعني الحكمة المقدسة، ويعطي شكل المبنى الداخلي إحساساً بالسعة والعلو والفخامة، وقد أحضرت المواد الأولية النادرة المكلفة من أماكن مختلفة من الإمبراطورية الرومانية، وتوجد على جدران المبنى قطع من الرُّخام، بألوان

٤. استفد من موقع ويكيديبا و غيره.

وأنماط مختلفة كما استعملت الفسيفساء لتزيين بعض الجدران والقباب، يأخذ المبنى شكلاً مستطيلاً ويبلغ طوله ستة وسبعين متراً من الشرق إلى الغرب، واثنين وسبعين متراً من الشمال إلى الجنوب، وتقع القبة الكبرى فوق وسط المبنى، وترتفع ستة وخمسين متراً فوق أرض المبنى، ويبلغ قطرها ثلاثة وثلاثين متراً^٥. فقد كان الدخول إليها عبر طابور السياح الذي لا ينتهي، واستطاعت إدارة البلدية و السياحة أن تستغل ذلك إستغلالاً موفقاً، حيث لا يمكن لأحد الدخول إليها الا (لكروت) التي لا تقل قيمة الواحد منها عما يساوي عشرة دولارات، وكان الترميم سائداً عليها وهناك آثار أيادي العثمانيين فيها، وأنا أتجول داخل هذا المعبد أو المسجد الذي تحول إلى متحف في موقعه، تولد لدي أسئلة كثيرة: ترى هل تحويل هذه الكنيسة في حينها من قبل العثمانيين إلى مسجد كان بتحول أهلها إلى الإسلام وإعتناقهم الدين الحنيف؟ أم أنه كان من ضمن بطش العثمانيين الذين كانوا يمارسون أمورا لاينبغي وبإسم الدين و بمحض اختيارهم؟! إذ يعلم كل منصف أنه ما من بقعة في أرجاء المعمورة بلغتها أياديهم الا وتركوا عليها بصماتهم من التتريك والخرافة والبدع و علامات الترف لهم، في حين كان معظم الشعوب يعيشون في ضنك من العيش، فها هي بلاد الكُرد وتغييرهم الديموغرافي لها، وفرض الأسامي التركية عليها، و جنوب كُردستان بعد كل هذه السنين من التخلص منهم، مازالت الأسامي التركية توجد في قراها بل ومدنها! كما قلدهم البعثيون وغيرهم في ذلك، سيما في الأماكن التي حكموها ويحكمونها الآن، ولا أدل على ما فعله العثمانيون من أنك ما تمر بمنطقة من مناطقنا الا وتجد اسماء (اللهي، قزلي، قازانقايه، قزلته به، يالان قوز، أعجلر، قشلة، قرداغ...الخ)، في حين أن الذي اعلمه عن السيرة وعن فعل عمر (ر) كما يرويهِ الطبري وغيره يختلف تماما عما هنا، لذا أراني ملزما بالتذكير ببعض ما ذكره الأولون عن ذلك الرجل الشهم المهتم بالاسلام وبلاده أكثر من هؤلاء الذين اتخذوا من الاسلام وسيلة للوصول إلى مبتغاهم، وبعدها أنتم الحكم، فقد جاء في بيان المعاهدة التي وقعت في عهد عمر (ر) إبان فتح إيلياء في سنة ١٧هـ الهجرية ما يأتي: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطي عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص

٥. استقذ من موقع ويكيديبيا و غيره .

منها ولا من حيزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم اللصوت (الصوص) فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه و ماله مع الروم و يخلي بيعهم و صلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم و صلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد الله على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة)^٦ . ويوم دخل عمر القدس لم يظلم أحدا ولم يعتد على مقدسات أحد فقد روي أبو سلمة: (حدثني أبوسنان عن عبيد ابن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب (ر) يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه وكنس الناس.

وقال ابن تيمية (ر): المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد.. وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب (ر) في مقدمه، والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين، أفضل من الصلاة في سائر المسجد، فإن عمر بن الخطاب (ر) لما فتح بيت المقدس، وكان على الصخرة زبالاة عظيمة، لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها، مقابلة لليهود الذي يصلون إليها، فأمر عمر بإزالة النجاسة عنها. وقال كعب: أين ترى أن نبنى مصلى للمسلمين؟ فقال: خلف الصخرة. فقال: يا ابن اليهودية، خالطت اليهودية! بل أبنيه أمامها، فإن لنا صدور المساجد^٧ . مع اعتذاري

٦. أنظر فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب (ر) / د. على محمد محمد الصلابي / دار الإيمان / ص ٦٤٩ و ٦٥٠ .

٧. أنظر فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب (ر) / د. على محمد محمد الصلابي / دار الإيمان / ص ٦٥٧ .

للقرءاء الكرام في الإطالة من هذه النقول أتساءل: ترى ما الذي حمل العثمانيين على تحويل ذلك المعبد إلى مسجد؟ وكما اشترت في البداية، فالمكان كان مليئًا بالسياح سيما الأجانب وقد كانوا يمارسون بعض الأمور الملفتة للنظر كوضعهم أصبع الإبهام والإستدارة بها داخل ثقبه في أحد أعمدة المكان والذي يتصور البعض أن الخضر (س) قد جاء إلى هناك وأشار للمسلمين بتحويل المكان إلى مسجد وتحويل القبلة بداخلها، وبعد ما قضينا أكثر من ساعة في هذا المعلم الأثري خرجنا إلى مسجد سلطان أحمد القريب من أياصوفيا).

مسجد سلطان أحمد

وهو مسجد (يعود تأريخه إلى عهد السلطان أحمد الأول الملك العثماني الرابع عشر واستمر سلطانه من ١٦٠٣ - إلى ١٦١٧ وبني هذا المسجد في عهده ويعتبر من أكبر جوامع اسطنبول واجملها واستمر بناؤه ما بين عامي ١٦٠٩ و١٦١٦ ويضم المسجد مدرسة وامارة ودارا للشفاء وخانا وسبيلا. اما الخان ودار الشفاء فهما في القرن الـ ١٩ أقام السلطان أحمد هذا المسجد وعمره «٢٨ عاما» لانه اخذ زمام الحكم وعمره ١٤ عاما واستمر نفوذه ١٤ عاما ولم يمض على افتتاح المسجد سوى اسابيع قليلة حتى اصيب السلطان بمرض السرطان فمات ودفن في تربة قريبة من المسجد عام ١٦٢٠ ومنظر البناء لمن ينظر اليه من الخارج في غاية الروعة والجمال ويبلغ مجموعة النوافذ الموجودة ٢٦٠ نافذة و تبلغ ارتفاع القبة الكبرى ٤٣مترا وقطرها ٢٣,٥^٨. و هنا أراني ملزما بالتذكير ببعض أحكام زخرفة المساجد شرعا، بعدها يحكم القرءاء على ذلك الإهتمام اللامحدود بل واللامعقول بزخرفة المساجد من قبل العثمانيين الذين كانوا يتباهون ببناء المساجد لا حاجة الناس إليها، بل لمجرد التفاخر وذر الرماد في أعين الرعية ومن ينخدعون بمثل هذه الألاعيب من قبل الحكام المتشبهين بكراسي الحكم قديما وحديثا! فكل زائر يقتنع بهذه الحقيقة بعد ما يرى أن بين كل مسجد و مسجد أمتارا عدة وليست أميالا ولا كيلومترات، فبين أياصوفيا و سلطان أحمد والمساجد الأخرى الموجودة في ذات المسافة أقل بقليل من بين قصر وقصر من قصورهم الفخمة التي سندخل بعضها في الحلقة القادمة إن شاء الله، أما حكم

٨. ينظر موقع: دار اخبار اليوم .

زخرفة المساجد شرعا: (فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يكره زخرفة المسجد بذهب أو فضة، أو نقش، أو صبغ، أو كتابة أو غير ذلك مما يلهي المصلي عن صلاته، لما أخرجه ابن حبان في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في سننهما عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما أمرت بتشييد المساجد" قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى.

والتشييد: الطلاء بالشيد أي الجص. ولفظ ابن ماجه: (أراكم ستشرفون مساجدكم بعدي، كما شرفت اليهود كنائسها، وكما شرفت النصارى بيوعها). وقد ذكر الإمام البخاري الجزء الموقوف على ابن عباس من هذا الحديث، مع أثر آخر عن أبي سعيد، وآخر عن أنس (ر) فقال: (باب ببيان المسجد، وقال أبو سعيد كان سقف المسجد من جريد النخل، وأمر عمر ببناء المسجد، وقال: أكن الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس، وقال أنس: يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلا، وقال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى). وفي المسند، وصحاحي ابن خزيمة، وابن حبان، وسنن أبي داود، والنسائي، وابن ماجه، عن أنس (ر) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يتباهي الناس في المساجد) ويروي عن جمع من الصحابة منهم أبو هريرة، وأبو الدرداء، وأبوذر، وأبو سعيد (ر)، أنهم كانوا يقولون: إذا حلبيتم مصاحفكم وزخرفتكم مساجدكم فالدمار عليكم. وقد نقلت كراهة ذلك أيضا عن الأئمة مثل: مالك وأحمد وغيرهما، ففي المدونة قلت: أكان مالك يكره أن يكون في القبلة مثل هذا الكتاب الذي كتب في مسجديكم بالفسطاط؟ قال: سمعت مالكا وذكر مسجدا المدينة وما عمل فيه من التزويق في قبلته وغيره، فقال: كره ذلك الناس حين فعلوه وذلك لأنه يشغل الناس في صلاتهم ينظرون إليه فيلهيهم، قال مالك: ولقد بلغني أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة أراد نزعها. فقيل له: إن ذلك لا يخرج كبير شيء من الذهب فتركه. وذهب بعض الفقهاء ومنهم الحنابلة وأحد الوجهين لدى الشافعية إلى أنه تحرم زخرفة المسجد بذهب أو فضة، وتجب إزالته كسائر المنزلات، لأنه إسراف، ويفضي إلى كسر قلوب الفقراء. وقال ابن الحاجب في المدخل عند ذكره لما يجب تغييره من المنكرات (وينبغي له أن يغير ما أحدثوه من الزخرفة في المحراب وغيره، فإن ذلك من البدع وهو من أشراط الساعة. (وقد اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز زخرفة المسجد أو نقشه من مال الوقف، وأن الفاعل يضمن ذلك ويغرم القيمة؛ لأنه

مَنْهِي عَنْهُ وَلَا مَصْلَحَةَ فِيهِ وَلَيْسَ بِنَاءً وَبِنَاءً عَلَى مَا تَقْدِمُ فَإِنْ زَخْرَفَ الْمَسَاجِدَ بِالنَّقُوشِ الْمَرْكُشَةِ وَالْأَصْبَاحِ الْمُخْتَلِفَةِ وَتَحْلِيَّتِهَا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَكِتَابَةِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَقْوَالِ الْمَثُورَةِ عَلَى جِدْرَانِهَا مَكْرُوهَةٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ مُحْرَمَةً، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَتْ تَقْضِي إِلَى انْشِغَالِ الْمُصَلِّينَ بِهَا. وَأَمَّا تَفْرِيشُ الْمَسْجِدِ بِالْفَرَشِ الْفَاحِشَةِ وَإِنَارَتِهِ، فَإِنْ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ ذَلِكَ مُطْلُوبٌ شَرْعاً، بَلْ مُرْغُوبٌ فِيهِ. وَلَا حَرَجٌ فِي ذَلِكَ مَا دَامَ مُتَنَاسِباً مَعَ حَالِ الْمَسْجِدِ وَمَكَانَتِهِ، مَا لَمْ يَصِلْ حُدُودَ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ، وَأَمَّا تَرْكِيبُ الْأَعْمَدَةِ الَّتِي فِيهَا نَحُوتَاتٌ، فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ النَحُوتَاتُ صُوراً لِذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ مِنْ حَيَوَانَاتٍ وَبِشَرٍ، فَإِنْ تَرْكِيبُهَا لَا يَجُوزُ، لَا فِي الْمَسْجِدِ وَلَا فِي غَيْرِهِ، لِحُرْمَةِ اتِّخَاذِ صُورِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ، وَخَاصَّةً مَا كَانَ مِنْهَا فِي مَكَانٍ غَيْرِ مُمْتَهَنٍ. وَأَمَّا إِنْ لَمْ تَكُنْ النَحُوتَاتُ صُوراً لِذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ، فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي عَمُومِ الزَّخْرَفَةِ، وَقَدْ عَرَفْتَ حُكْمَهُ^٩. وَمِمَّا أَحَبُّ التَّنْوِيهِ إِلَيْهِ، هَذَا التَّسَابُقُ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ فِي زَخْرَفَةِ مَسَاجِدِهِمْ، وَاعْمَارِهَا بِالتَّزْيِينِ بِدَلِّ الْعِبَادَةِ! وَلَا يَشُكُّ أَحَدٌ بِأَنَّهُ مَأْخُوذٌ بِالدَّرَجَةِ الْأُولَى، بَعْدَ تَقْلِيدِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، مَأْخُوذٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَّامِ الَّذِينَ كَانُوا أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْ فَهْمِ أَمَالِ وَأَلَامِ الرَّعِيَةِ سِيَمَا الْكُرْدِيِّ الَّذِي قَسَمُوا بِلَادَهُ بَلْ كَانُوا يَحْكُمُونَ بِالنَّارِ وَالْحَدِيدِ عَلَى مَنْ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْحَقِّ وَيَطَالِبُ بِالْعَدَالَةِ الْمُفْتَقِدَةَ أَصْلًا تَحْتَ جَبْرُوتِهِمْ، وَلَعَلَّ مِنْ الطَّرَائِفِ أَوْ مَا يَبْكِي مَانِجِدَهُ كَثِيرًا مِنْ الْإِهْتِمَامَاتِ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ لِدَرَجَةِ أَنَّهَا أَصْبَحَتْ كَشَرِكَاتِ اسْتِثْمَارِيَّةٍ لِمَنْ يَدِيرُونَهَا!، وَمِمَّا يَوْجَدُ الْآنَ وَلَعَلَّ كَثِيرًا مِنَ الْقُرَاءِ لَا يَعْلَمُونَ بِذَلِكَ (مَسْجِدٌ كُلُّ مَا بَدَاخِلُهُ مُصْنُوعٌ مِنَ الذَّهَبِ)، وَهُوَ مَسْجِدٌ عَمْرٌ عَلَى فِي سُلْطَنَةِ بَرُونَايَ، وَحَتَّى قَبِيَّتَهُ صَنَعَتْ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ، وَ سُلْطَنَةُ بَرُونَايَ تَعْتَبِرُ مِنْ أَغْنَى دُولِ الْعَالَمِ، وَسُلْطَانُهَا حَسَنٌ بَلْقِيَّةٌ، وَهِيَ تَعْتَبِرُ دَوْلَةً إِسْلَامِيَّةً، وَمِنْ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ هَذِهِ الدَّوْلَةَ فَقَطُّ الْقَلَائِلُ فِي الْعَالَمِ سَمِعُوا عَنْهَا، وَهِيَ غَنِيَّةٌ بِالنَّفْطِ وَالْغَازِ وَالكَثِيرِ مِنَ الْمَعَادِنِ فِي جُوفِ الْأَرْضِ، وَ عَدَدُ سَكَانِهَا، هُوَ ٣٢٠ أَلْفَ نَسْمَةٍ فَقَطُّ، وَ مِنْ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ هَذِهِ السُّلْطَنَةَ تَدْفَعُ أَعْلَى أَجْرِ شَهْرِيٍّ لِلْفَرْدِ فِي الْعَالَمِ، وَيَذُكَّرُ أَنَّ ٨٠٪ مِنَ السُّلْطَنَةِ هِيَ مِنَ الْغَابَاتِ، وَلَكِنْ أَلَيْسَ هَذَا اسْرَافًا فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ... كَانَ الْأُولَى بِهِمُ التَّبَرُّعُ بِهَذِهِ الْمَبَالِغِ الضَّخْمَةِ مِنْ أَجْلِ الدَّوْلِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تَقَعُ تَحْتَ حُدُودِ الْفَقْرِ. فَالَّذِينَ لَيْسَ تَفَاخُرًا وَتَظَاهِرًا وَالْإِعْتِدَالَ مُطْلُوبًا^{١٠} وَبَعْدَ

٩. ينظر موقع: اسلام ويب مركز الفتوى .

١٠. من موقع: المسجد بالصور، في سلطنة بروناي .

خروجنا من المسجد توجهنا إلى بعض من قصورهم واعظم مجموعة هي التي تسمى بقصر الباب العالي أو (قاعات طوب قابي) والتي يوجد فيها آثار قديمة و نطلعكم على بعضها.

قاعات طوب قابي

وكغيرها من الأماكن الأثرية التي لا يمكن الدخول إليها الا بعد شراء تذكرة الدخول التي تساوي الواحدة منها خمسة عشر دولار تقريبا، ومن الباب الرئيسي بعد المرور بالحدائق الواسعة وبين الورود دخلناها لدخول الى عالم، يوما ما كانت الرعية لتحلم بالإقتراب منها، سيما الكردي الذي لم يكونوا ليفهموه ولا ليقبلوا به الا من كان ممن يمدحهم أو يرتضيه خلفاء عن الله تعالى في الأرض! ولربما أدخل في هذه القصور التي ظاهرها رحمة وباطنها الله بها عليم، الجواري المجلوبة من بلاد الله الواسعة، سيما الأوروبيات منهن، و إلى حيث لارجعة! فهناك في الجانب الآخر الماء، ومن السهل في حالة الإستغناء عنهن، اللطف بمن في البحر ورمي من أراد السلطان رميهن فيه كطعمة سخية من مقامه العالي! إذ لولا حبههم المفرط للنساء والجنس لما وجدنا تلكم الأسامي الكثيرة لمناطق عدة في بلادنا وهم قد غيروا أساميتها الكردية الحقيقية إلى عناوين وأسامي تركية كلها توحى بالنساء ك(قززلر)، الفتيات أو البنات أو النساء، وبصفة مكررة، وأستسمح القراء الكرام لأطيل الحديث عن هذه القصور الشامخات وما بقي فيها من آثار والتي يحكي المؤرخون لنا بأنه (بعد فتح القسطنطينية، أمر السلطان محمد الثاني بتشيد قصر له، وكان في الموقع الذي تقوم فيه الآن الأبنية الرئيسية لجامعة إستانبول، حيث ميدان بايزيد، ولكنه اختفى نهائياً. وأنشأ الفاتح فيما بعد عدة استراحات فوق تل الزيتون بإستانبول وموقعها الآن نقطة سراغليو. وبمضي الوقت (١٤٧٤-١٤٧٩)، تجمعت تلك المباني بعضها إلى بعض في نطاق معماري واحد، نموذجة الأساسي ما كان عليه قصر أدرنة. وقد كون هذا العمل، القواعد التي قام على أساسها قصر طوب قابي كما نراه الآن. وظل القصر مقراً للإقامة الرسمية للسلطين العثمانيين من بعد السلطان محمد الفاتح، حتى جرى الانتقال في القرن التاسع عشر إلى سراي (دوله باغجه)، وشارك كل السلطين الذين أقاموا فيه تقريباً بتشيد قسم فيه أو بتعديل قسم موجود. وكان جوسق مجيديه هو آخر المباني التي أقيمت في السراي، وشُيد بكامله على الطراز الأوربي. وفي ٣ ابريل (نيسان) عام ١٩٢٤م أصدر

مجلس الوزراء قراراً بتحويل سراي طوب قابي إلى متحف مفتوح يزوره من يشاء)^{١١} وليت العراقيين فعلوا ما فعلته الشعوب الإيرانية بقصور الشاه محمد رضا البهلوي و ما فعله الأتراك بتلك القصور تجاه كثير من قصور صدام التي دمرها، فليتهم أبقوا عليها، لتصبح عبرة لمن أتى بعده ولكي يستفاد منها كمصدر تمويل للسياحة في البلد، فقد كان صدام دقيقاً في إختياره المواقع الاستراتيجية وبناء ما أحب بناءه وكان، كما لا يتورع من سفك الدماء، لا يتورع عن صرف أموال الدولة في سبيل تشييد القصور التي تحمل أمجاداً طالما حلم بها، وبناء مساجد ضرار كمسجد أم المكارك وغيره، فقد كان العثمانيون دقيقين أيضاً في اختيار المواقع حيث (أقيم القصر على أرض أوروبية ببيزنطية وموضع استيطاني، كان للإغريق والرومان قبل ذلك، إذ يوجد فوق ساحل منطقة (سراي بورني) شبه الجزيرة الإستراتيجي، الذي يتمتع بأجمل مناظر إستانبول، ويطل على القرن الذهبي ومضيق البسفور وبحر مرمرة، وهو مجموعة ضخمة من المباني المحاطة بالأسوار العالية، والأبراج المتعددة، ويبدو وكأنه مدينة مستحكمة)^{١٢} أما من حيث الدقة المعمارية ومساحاتها الشاسعة: (تبلغ مساحة القصر ٧٠٠,٠٠٠ متر مربع، ويحده من جهة البر سور ضخم بطول ١٤٠٠ متر. ويتصل بالسور البيزنطي المطل على بحر مرمرة الممتد حتى القرن الذهبي، والسور مدعم بثمانية وعشرين برجاً. ويشتمل قصر طوب قابي على استراحات ومساجد وقاعات اجتماعات ودواوين حكومية، ومكتبات ومعسكرات ومبان أخرى متنوعة، تدور حول أربعة أفنية كبيرة، يقع الواحد منها وراء الآخر. وقد أخذ الموقع شكله الحالي، بعد إضافة عدد من المنشآت الأخرى إليه كالمطابخ وأجنحة الحريم والأسبلة والحدائق، على مدى سنوات وعصور متتالية. فقد أحال السلطان محمد الفاتح منطقة طوب قابي إلى متنزه ترويحي بأكشاك وأجنحة خاصة، أولها كان الكشك المبلط، وبذلك تكون بداية القصر في منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، واستمر في التوسعة بإضافات السلاطين الذين توالوا حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، عندما شيد آخر جناح خاص للسلطان عبدالمجيد. تقع المكاتب الحكومية مثل قاعة العرش، وقاعة الطلب حول الفنائين الأولين بالقرب من المدخل

١١. إلى هنا تم نشرها في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٥٧ في ٢٦\٨\٢٠٠٩ ص ١٨-١٩ .

١٢. من موقع: مركز شادروان للتراث العمراني .

الرئيس المسمى باب السعادات، كما انتشرت المناطق السكنية داخل الأفنية والحدائق الواقعة في الداخل. وقد خططت الأفنية الأولى والثاني والثالث ببساطة قد تمهد أرض مناطق الأفنية أو تترك مخضرة في المناطق الأخرى حيث تشق فيها ممرات تُدك بالأتربة وتُظلل داخل أحواض مرتفعة قليلاً. وعموماً فقد أُطلق على أراضي القصر الخارجة عن الثلاثة أفنية الفناء الرابع مع أنها في حقيقة الأمر عبارة عن حدائق. ومن خلال تشكيلات الأجنحة في الحدائق استطاع مجمع القصر الرئيس على قمة الجبل أن يجد صلة مع أكشاك شاطئ البحر، والقصور الصغيرة. وقد خططت الحدائق على شكل ممرات مكشوفة ومطوقة القصر من الشمال والغرب والشرق. وتوجد هناك حدائق الأزهار والفاكهة والخضر، ومساحة واسعة من الأرض تركت للصيد، وممارسة أنواع أخرى من الرياضة. ويحتوي القصر على خمس مجموعات من الشقق، ومجموعتين للمكاتب الحكومية، وخمس مدارس، و١٢ مكتبة، و ٨ أحياء للخدم، إلى جانب ٢٢ نافورة، وعدة برك، كما تحتوي على أكشاك، سيتم التعرف إليها لاحقاً، وبشكل منفصل، وتحيط بها الحدائق والأفنية والأجنحة الخاصة. كان يعمل بداخل هذا القصر ما يزيد على عشرين ألف موظف، وبييت بداخله من هؤلاء نحو أربعة آلاف شخص. ويوجد لهؤلاء مهاجع وحمامات ومطابخ ومساجد ومكتبات وغير ذلك، كما كان يوجد عدا هذا مبانٍ ودوائر خاصة لإدارة الدولة، وإقامة الاحتفالات والسهرات الخاصة، وأماكن للاستقبال. وخصصوا مباني مستقلة لخزانة السراي والسلاحخانه والضربخانه. أما أهم المباني في السراي فهو مبنى الديوانخانه، الذي يقع في الساحة الثانية، ويجتمع فيه الصدر الأعظم مع أعضاء الديوان الهمايوني الآخرين لإدارة شؤون الإمبراطورية. ويمثل قصر طوب قابي مجموعة لا نظير لها، تلبي الاحتياجات الرسمية والخاصة على السواء، وتبرز ماضي العمارة المدنية العثمانية على مدي أربعمئة سنة تقريباً^{١٣}. وبعد دخولنا إلى القصور من البوابة الداخلية كان أول ما استوقفنا العربات التي كان السلاطين يستخدمونها أثناء تجوالهم في القصر ولربما أحياناً إلى الخروج منها لتوزيع البركات على الرعية، وهي باقية إلى الآن و الأحجار التي كتبت عليها آيات من الذكر الحكيم وعبارات تمجد السلاطين وهي معروضة أمام السياح.

١٣. من موقع: مركز شادروان للتراث العمراني .

بعض محتويات قصور طوب قابي

ولكي نبرهن على ما نقول نذكر ببعض النصوص الدينية التي تحدد معالم الحياة للفرد المسلم سيما الحاكم أو ولي الأمر، ولكن فلندخل أولاً إلى القصر الذي (يحتوي على عدد من الأجنحة والأكشاك أو القصور الموزعة في حديقة القصر، على شكل استراحات) و نستعرض أهمها:

١- قصر الخزف: (جينلي كوشك): يعدّ من أقدم وأهم المنشآت المعمارية التي ترجع إلى أسلوب عصر محمد الفاتح، الذي يعود إلى سنة ٨٧٧ هـ، الموافق ١٤٧٢ م. ويشغل هذا القصر جزءاً كبيراً من الفناء الأول. ونلاحظ على جناح الخزف أن التوزيع التقليدي للبيت التركي قد انتقل إلى هنا مع ترجمته إلى قصر كبير، فهو يتألف من طابقين اثنين، وله أربعة إيوانات تطل على قاعة مركزية فسيحة عليها قبة، ثم أربع غرف في كل ركن، على كل منها قبة بقطر السابقة. وهناك أربع غرف متتاليات ذوات قباب وعلى محور واحد. وهذه تبدأ من المدخل، وتنتهي إلى الخارج ببروز ذي خمسة جوانب. وواجهة المبنى لها صفة بعقود عالية، وأقواس مدببة، محمولة على أعمدة نخيلية تمتد بطول الواجهة، وتكسو الفسيفساء الخزفية الإيوان الكبير الذي يتوسط جدار واجهة المدخل. ما يعطينا فكرة واضحة عن روعة وفخامة التقاليد الفنية السلجوقية، وتخطيط الطابق الأول مماثل تماماً للذي يعلوه. ويشير كل جزء من أجزاء جناح الخزف إلى تأثره بالعمارة السلجوقية والتركية القديمة، ولهذا يعدّ المبنى فريداً في مذاقه المعماري العثماني، كذلك توجي قبته المركزية، بزخارفها من المقرنصات، وبعقودها الحاملة والممتدة على هيئة أبراج، بتأثيرات وسط آسيا وعمارة القره خانيين والتيموريين. والمبنى الآن متحف للخزفيات التركية، ويحتوي على مجموعة الأطباق والصحون والمزهريات والفناجين والأكواب والسلطانيات والبلطات.

٢- كوشك (استراحة) محمد الفاتح: تأتي هذه الاستراحة بعد قصر الخزف (أو الخزينة حيث الجانب الشرقي من الفناء الثالث) بسيط في أسلوب عمارته، وأكثر وقاراً. ويمتد البناء بطول الفناء، وتعتبر عمارة هذه الاستراحة عن فكر متفتح، باحث عن إمكانية استخدام كل الأشكال عن ثقة ومعرفة. والحقيقة أن عصر الفاتح كان عصراً امتزجت فيه تأثيرات عديدة متنوعة. تحولت الاستراحة بقرار من السلطان سليم الأول، لتكون خزانة للمجوهرات والنفائس، ولا تزال تستخدم لهذا الغرض، كجزء من متحف

طوب قباي)^{١٤}. عندما دخلت هذا القسم وجدت بعض الزوار من الإخوة العرب يشرحون لمن كان معهم من أفراد أسرهم وبكل صفاء وبساطة وإنبهار، ينظرون إلى آثاره هذه النعم التي كانت على هؤلاء والتي تمنع سلطات المتحف تصوير معظمها، اغتنمت الفرصة ورفعت صوتي بتلاوة قوله تعالى: (كم تركوا من جنات ونعيم. و زروع السماء والأرض وما كانوا منظرين) ٢٥ - ٢٩ الدخان) وقوله تعالى: (أتبينون بكل ريع آية تعبثون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون. وإذا بطشتم بطشتم جبارين) الشعراء (١٢٨ - ١٣٠).

وبعد ما حان وقت صلاة الظهر، دخلت مسجدا صغيرا في المتحف وقد أم رجل ملتج، بعض الحضور وبعد التعارف وجدته من أهالي المدينة المنورة وقد أصغى قبل إلي وأنا أتلو تلكم الآيات وبكل أدب سألني: ترى هل يمكن أن نتلو مثل هذه الآيات في حق هؤلاء الخلفاء والسلاطين المسلمين؟ في حين أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد بشر بمجيبى محمد الفاتح! مع أنني أعطيه الحق لينظر إلى الأمور كما يشاء، قلت: حبيبي، أنا كردي من بلاد الكرد، القسم الجنوبي منها والملحق ظلما بالعراق، و طالب علم، ومن حسن الحظ تخرجت من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأعلم ما قاله السادة علماء الأصول: من (أن العبرة في الآيات القرآنية، بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، وإن كانت الآيات التي تلوتها من سورة الدخان، تتحدث عن فرعون موسى (س) ومن معه، والتي تلوتها من سورة الشعراء في حق عاد قوم هود (س)، وأحفظ الحديث الذي تشير إليه عن ظهر قلب وهو قوله: (كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص (ر)، وسئل أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أم رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابا قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب، إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أم رومية؟ فقال رسول الله: مدينة هرقل تفتح أولا: يعني قسطنطينية)^{١٥}. وليس بالضرورة أن يكون المراد بالحديث محمد الفاتح، كما وليس

١٤. إلى هنا تم نشر هذه المقالة في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٥٨\٢\٩١\ص-١٦-١٧\٢٠٠٩ .
١٥. الراوي: أبو قبيل - خلاصة الدرجة: صحيح-المحدث: الألباني-المصدر: السلسلة الصحيحة - الرقم: ٤ .

بالضرورة أن يكون ما فعله جميعا صوابا، أو يكون انتقادنا لترفعهم، يعتبر ذنبا أو تكفيرا لهم، ولكن الست معي الآن في أن ما ينفقه الحكام من أموال المسلمين من أجل متعهم، ألف مرة أكثر مما ينفقونه للرعية؟ فما أظنك غافلا عن القصور الموجودة في بلاد المسلمين للملوك والأمراء والرؤساء، في حين يئن معظم شعوبهم تحت وطأة الفقر؟ ثم يا أخي: من قال لك أنني أقبل بكل ما قيل وكتب في حق هؤلاء من المديح؟ من يدري، لربما بعد مرور سنين، سيأتي اليوم الذي يجعل من صدام، وغيره رؤساء للدين وخلفاء عن محمد صلى الله عليه وسلم، فكل شيء من تأريخنا بحاجة إلى إعادة النظر فيه، فأجابني قائلاً: ألم يكن جديرا بهؤلاء الخلفاء كغيرهم، ممن عاصروهم، أن يظهر الأبهة والعننة والطنطنة الحكيمة، مسايرة لمن كان في زمانهم؟ قلت له مبتسما: بلي! لولم يدعوا الخلافة الإسلامية، لأن الذي أعلمه من ديني، وأعلمه من سيرة الخلفاء الراشدين سيما عمر بن الخطاب (ر) عدم رضائهم بمثل ذلك، ولأمارسته من قبلهم، فهاهو عمر (ر) يدخل إلى الشام كما ورد في مستدرک الحاكم وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين البخاري ومسلم و وافقه في ذلك الإمام الذهبي قال: (في صحيح الترغيب والترهيب المجلد الثالث ٢٨٩٣ (صحيح موقوف) وعن طارق قال خرج عمر (ر) إلى الشام ومعنا أبو عبيدة فأتوا على مخاضة وعمر على ناقه له فنزل وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض فقال أبو عبيدة يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ فأجابه عمر بقوله أه لوقال ذا غيرك لجعلته نكالا لأمة محمد! إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله). وهاهم أئمة الحديث يروون لنا عن الرسول صلى الله عليه وسلم عدم جواز استعمال الرجال للحريز والذهب، وأنت ترى حتى أباريق هؤلاء وخوذهم وكراسي عروشهم وملابسهم لاتخلو مما هو محرم على الرجل المسلم! فقد جاء (عن عمر بن الخطاب (ر) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتلبسوا الحريز، فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة) بخاري ٥٨٣٠ ومسلم ٢٠٦٩ ونحوه عن أنس عند بخاري ٥٨٣٢ ومسلم ٢٠٧٣ و عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما يلبس الحريز من لا أخلاق له) بخاري ٥٨٣٥ ومسلم ٢٠٦٨ و ٦١٤ - وعن علي (ر) قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا، فجعله في يمينه، وذهبا فجعله في شماله، ثم قال: (إن هذين حرام على نكور أمتي) أبوداود ٤٠٥٧، وله شواهد عن أبي

موسي وغيره. ترمذي ١٧٢٠. و ٦١٥ عن حذيفة (ر) قال: نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نشرب في أنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج، وأن نجلس عليه) بخاري ٥٦٣٣ و مسلم ٢٠٦٧. هكذا انهيت لقائي بالرجل وأغلب ظني أنه لم يحل له ماقلته، ولا ادري كيف ينعكس عليه؟ وبعد ذلك توجهنا إلى قاعات الأمانات المقدسة التي سنطلعكم عليها في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى.

ملاحظة: لعدم سماح القائمين على المتاحف بالتقاط الصور، اضطررت أن آتي ببعض الصور من المواقع الإلكترونية.

قاعات الأمانات

مازلنا في طوب قابي نستمر في تجوالنا داخل تلكم القصور التي كان ساكنوها يوما ما يتباهون بها ويرون أنفسهم فوق بني البشر قاطبة، ونأخذكم اليوم إلى قاعة الأمانات المقدسة، غير أنني لأكثر من الكتابة لأفسح المجال أمام نشر بعض من الصور الموجودة داخل تلك القاعة وطبعا لمنع السلطات تصويرها إضطررنا أن نأتي بها عبر المواقع الإلكترونية، وأدع المقارنة بين ملابس هؤلاء الخيرة من البشر - ان صحت نسبة هذه الآثار اليهم - وملابس الذين يعلقون أنفسهم بأستار الخيرين، و يعد (مبنى الأمانات المقدسة من أهم المباني في قصر طوب قابي، فبعد أن نجح السلطان سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠) في ضم الشام ومصر والحجاز إلى الإمبراطورية العثمانية، أقام في القاهرة عشرة أسابيع، ثم عاد إلى إستانبول و معه ألف جمل محملاً بالذهب والفضة وغيرها الكثير من الغنائم. ومفاتيح الكعبة، التي بعث بها إليه أمير مكة المشرفة محمد أبو البركات مع ابنه أبو نمي، وكذلك مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، التي تسلمها مع المفاتيح، وتلك التي حصل عليها من مصر، ومنها خرقة السعادة، ونعلان وسجادة صلاة وقبضة سيف وسهم تخص جميعها النبي صلى الله عليه وسلم ، وحجر يحمل أثر قدم النبي، وبعض من ماء وضوء الحبيب صلى الله عليه وسلم، وسجادة تعود إلى الصحابي أبي بكر الصديق (ر)، وعدد من سيوف ومسابح الخلفاء الراشدين، والمصاحف المشرفة ومنها مصحف الصحابي عثمان بن عفان (ر)، عندما اغتيل وهو يتلو منه، وعمامة سيدنا يوسف (س)، وعصيان للنبي شعيب (س)، ومزrab من الكعبة. وغيره من الأمانات المقدسة الأخرى. وقد أمر السلطان سليم ببناء مبنى خاص في قصر طوب قابي لحفظ هذه الأمانات ويحفظ معظمها في صناديق

وعلب من الفضة، وكان السلاطين العثمانيون يذهبون للزيارة والتبرك بها في الخامس عشر من شهر رمضان كل عام^{١٦}. ولكن الى أية درجة تصح نسبة هذه الأمانات إلى من كتب باسمهم وما حقيقتها، وهل يصحُّ أن بعضها نبوية؟ للبحث عن الإجابة راجعت مصادر قديمة وحديثة فوجدت في موقع (الإسلام اليوم)، بكتابة: د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع، عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ما يأتي: (ليس هنالك ما يدلُّ على ثبوت صحَّة نسبة هذه الآثار ونحوها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. قال صاحب كتاب (الآثار النبوية) المحقق أحمد تيمور باشا ص ٧٨، بعد أن سرد الآثار المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالقسطنطينية (اسطنبول): (لا يخفي أن بعض هذه الآثار محتمل الصحة، غير أنا لم نرَ أحداً من الثَّقة ذكَّرها بإثبات أو نفي، فالله سبحانه - أعلم بها، وبعضها لا يسعنا أن نكتم ما يُخامرُ النفس فيها من الرِّيب، ويتنازعها من الشُّكوك) إلخ. ولاشكَّ في مشروعية التبرك بآثار نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته، ولكن الشَّان في حقيقة وجود شيء من آثار الرسول صلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر. وإن مما يُضعف هذه الحقيقة ما جاء في صحيح البخاري (١٨٦/٣) عن عمرو بن الحارث (ر) قال: (مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا، وَلَا عَبْدًا وَلَا أُمَّةً، وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَغَلْتَهُ الْبَيْضَاءَ، وَسَلَّحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً)؛ فهذا يدلُّ على قلة ما خلفه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته من أدواته الخاصة وأيضاً، فقد ثبت فقدان الكثير من آثار الرسول صلى الله عليه وسلم على مدى الأيام والقرون؛ بسبب الضياع، أو الحروب، والفتن ونحو ذلك. ومن الأمثلة على ذلك فقدان البردة في آخر الدولة العباسية؛ حيث أحرقتها التتار عند غزوهم لبغداد سنة (٦٥٦هـ)، وذهاب نعلين ينسبان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في فتنة تيمورلنك بدمشق سنة (٨٠٣هـ). ويلاحظ كثرة ادعاء وجود وامتلاك شعرات منسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في كثير من البلدان الإسلامية في العصور المتأخرة، حتى قيل: إن في القسطنطينية وحدها ثلاثاً وأربعين شعرة سنة (١٣٢٧هـ)، ثم أهدى منها خمس وعشرون، وبقي ثمانى عشرة. ولذا قال مؤلف كتاب (الآثار النبوية) (ص ٨٢) بعد أن ذكر أخبار التبرك بشعرات الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل أصحابه (ر): (فَمَا

١٦. ينظر موقع: منتديات إقلاع سوفت .

صَحَّ مِنَ الشَّعْرَاتِ الَّتِي تَدَاوَلَهَا النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِنَّمَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِمَّا قُسِمَ بَيْنَ الْأَصْحَابِ (ر)، غَيْرَ أَنَّ الصُّعُوبَةَ فِي مَعْرِفَةِ صَحِيحِهَا مِنْ زَائِفِهَا). وَمِنْ خِلَالِ مَا تَقَدَّمَ فَإِنَّ مَا يُدْعَى الْآنَ مِنْ وَجُودِ بَعْضِ الْآثَارِ النَّبَوِيَّةِ فِي تَرْكِيَا أَوْ غَيْرِهَا سِوَاءً عِنْدَ بَعْضِ الْجِهَاتِ، أَمْ عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْخَاصِ مَوْضِعُ شَكِّ، يَحْتَاجُ فِي إِثْبَاتِ صِحَّةِ نَسْبَتِهِ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بُرْهَانٍ قَاطِعٍ، يُزِيلُ الشَّكَّ الْوَارِدَ، وَلَكِنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ وَلَا سِيَّمَا مَعَ مُرُورِ أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَانِ عَلَى وَجُودِ تِلْكَ الْآثَارِ النَّبَوِيَّةِ، وَمَعَ إِمْكَانِ الْكُذْبِ فِي ادِّعَاءِ نَسْبَتِهَا إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَصُولِ عَلَى بَعْضِ الْأَعْرَاضِ، كَمَا وَضَعْتَ الْأَحَادِيثُ، وَنُسِبَتْ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذِبًا وَزُورًا. وَعَلَى أَيِّ حَالٍ، فَإِنَّ التَّبْرَكَ الْأَسْمِيَّ وَالْأَعْلَى بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ اتِّبَاعُ مَا أَثَرَتْ عَنْهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَالْإِقْتِدَاءُ بِهِ، وَالسَّيْرُ عَلَى مَنِهَاجِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا).

قاعات الاستراحات

كان من حسن القدر صدور العدد السابق في ١٦ أيلول الموافق لل ٢٦ من رمضان ١٤٣٠ قد قدمنا عبر تلك الحلقة صوراً لآثار تنسب إلى الأنبياء والرسل (س) سيما خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم واكتفينا بما أتينا به من قبل غيرنا للتعليق على الصور، وكان عملنا بمثابة تقديم هدايا عيد لقرائنا الأكارم المهتمين بالدين منهم خاصة، وكان من حسن القدر أيضاً أن المجلة لم تصدر في الأربعة الموافق ٢٢ أيلول ٢٠٠٩ والذي صادف اليوم الملحق بعيد الفطر المبارك فكان استراحة للسادة القائمين على إصدارها والحال اننا قد وصلنا إلى قاعات الاستراحات في طوب قابي حيث هناك قاعات و أكشاك مختلفة الأحجام ويعود بناء كل واحدة منها إلى زمن معين وتحمل معاني مختلفة، ومن تلكم الأكشاك:

كوشك (استراحة) روان: بنيت هذه الاستراحة في عهد مراد الرابع، تخليداً لذكرى استيلائه على قلعة أروان عام ١٦٣٥م، وكان تمام بنائها عام ١٦٣٦م، وتخطيط هذه الاستراحة مثنى الشكل، تحيط به ثلاثة ايوانات أسقفها خشبية، وتطل على غرفة رئيسة تغطيها قبة. وفي الجهة الرابعة توجد مدفأة بارتفاع ١٥ متراً. وقد كست البهجة هذا المبنى من الخارج، بفضل روعة البلاطات الخزفية التي تغطي جدرانه، أما فخامته وقوة تأثيره من الداخل فتتركز في البلاطات الخزفية التي كست الجدران من الأرض

إلى القبة، وفيما هناك من زخارف ناتئة من الملاط، حليت بها بواطن الأسقف، إلى جانب ما حليت به مصاريع الدواليب والنوافذ من أشغال التطعيم بالأصداف. وترجع زخارف هذه القبة إلى وقت متأخر من القرن التاسع عشر.

كوشك (استراحة) بغداد: خلد السلطان مراد الرابع استيلاءه الثاني على بغداد عام ١٦٣٨م، ببناء الكوشك الذي عرف باسم كوشك بغداد المجاور لكوشك روان، وكان السلطان قد أصدر أمره بالبناء، والحملة العسكرية تتأهب للخروج، أما تمامه فكان عام ١٦٣٩م، وله تخطيط متماثل وإيوانات أربعة أسقفها خشبية، وتطل على قاعة مركزية تعلوها قبة بقطر تسعة أمتار. ويمكن القول: إن هذا الكوشك يمثل تطويراً باروكياً، ظهر قبلاً وبوضوح في كوشك الخزف. ويحيط بكوشك بغداد من الخارج صف من البوائك ذات العقود المدببة قليلاً، والمحمولة فوق ٢٢ عموداً، وقد أضيفت إلى المبنى قاعة مستطيلة، في ركنه الجنوبي الشرقي. وتقع الأبواب في ثلاثة جوانب من الكوشك، وبين الإيوانات من كل جانب. أما الجانب الرابع فيضم مدفأة لها مدخنة نحيلة، ترتفع إلى جوار القبة.

قاعة الختان: يحتفل العثمانيون بمناسبة ختان الأمراء، وذلك قبل بلوغهم سن الرشد، وقد شيد السلطان إبراهيم عام ١٦٤١ قاعة صغيرة تعرف باسم قاعة السنة أو الختان، وتزين هذه القاعة بلاطات خزفية كبيرة، وبها أشعار ومدح مطولة ترجع إلى القرن السادس عشر. ويوجد عند نهاية المدرج، عريش للإفطار، وهو عبارة عن قبة صغيرة لها رفوف و تحمله أربعة أعمدة معدنية صغيرة.

الاستراحة المجيدية: بنيت هذه الاستراحة في عهد السلطان عبدالمجيد (١٨٣٩-١٨٦١) وفق أسلوب أوروبي، وتتميز بإطلالة على بحر مرمرة، وكانت أساسات هذه الاستراحة أساسات لبناء قديم يظن أنه يرجع إلى أيام الفاتح^{١٧}.

قاعة الحرم

أي قارئ كريم لو بحث في كتب السير وتطرق إلى موضوع ماكانت تلبسه نساء النبي صلى الله عليه وسلم وأزواج خلفائه الراشدين، ويقرأ أوصاف بيوت هؤلاء النسوة، ثم يدخل إلى طوب قابي ويطلع على ما في قاعة الحرم داخل المتحف، سيقنتع من صميم قلبه بأن هؤلاء كانوا يعلقون أنفسهم بأستار الخيرين دون متابعة هداهم،

١٧. من موقع: مركز شادروان للتراث العمراني .

وبناء عليه أراني ملزماً بأن أنقلكم أولاً إلى بعض ما كتبه أهل العلم من شروط ملابس المسلم رجالاً ونساءً، ثم إلى تلك القاعة المخصصة لبقايا آثار حريم السلاطين وأرجو المعذرة في الإطالة:

أولاً: ما يحرم على الرجال والنساء لبسه:

أ- ما يحرم على الرجال لبسه:

١- لبس ملابس الحرير: وقد حرمه الإسلام مطلقاً سواء كان ثوباً أم عمامة... الخ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث (من لبس الحرير في الدنيا فلن يلبسه في الآخرة) و السبب:

أ- انه أيام الرسول كانوا يظنون ان من يلبسه يمشي مثل النساء.

ب- ان العلم اكتشف ان الحرير يقلل من رجولة الرجل و يزيد من انوثة الانثي.

و يحل الاسلام على الرجل لبس الحرير في حالة واحدة اذا كان فيه مرض في جسده.

٢- لبس ثياب الشهرة و الاختيال: حرم الإسلام على المرء ان يطيل ثوبه او سرواله الى ان يتجاوز كعبيه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا ينظر الله من جر ثوبه خيلاء).

٣- لبس الذهب: حرم الإسلام على الرجل المسلم لبس الذهب فعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه و قال: (يعمد أحدكم الى جمرة من نار في يده) ففيل للرجل بعد ما ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم (خذ خاتمك و انتفع به) قال لا والله ((لا أخذ أبداً. و قد طرحه الرسول صلى الله عليه وسلم وفي رواية أخرى: (أحرم لباس الحرير و الذهب على ذكور امتي و احل لنسائهم).

٤- التزين بزى نساء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله المخنثين من الرجال و المرتجلات من النساء) و قال: (أخرجوهم من بيوتكم) قال: (فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم فلاناً و أخرج عمر فلانة) كما (لعن الرسول المتشبهين من الرجال بالنساء).

ب- ما يحرم على النساء لبسها:

١- لبس ملابس قصيرة: حرم الاسلام على المرأة ان تلبس ملابس قصيرة تكشف

عورتها و امرها ان تطيل لباسها حتى يستر قدميها.

و ان تسدل خمارها على رأسها فتستر عنقها و صدرها... إلخ كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث: (صنفان من اهل النار لم ارهما كان من ضمن الصنفين: (نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائل لا يدخلن الجنة و لا يجدن ريحها و ان ريحها لتوجد على مسيرة كذا و كذا).

٢- لبس ملابس خاصة بالرجال^{١٨}. و بعد هذا التوضيح المختصر لبعض الاحكام المتعلقة باللباس الشرعي، أنتقل بكم إلى قسم الحريم في قاعات طوب قابي:

ثانيا: قسم الحريم: (يعدّ قسم الحريم من أهم وأقدم أقسام قصر طوب قابي، وهو قسم مستقل بذاته، ويعود تاريخ بناء هذا القسم إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، فقد بني معظم أقسامه أيام السلطان سليمان القانوني، ونسب معظمها إلى المعماري سنان. ويتكون من ٢٠٠ غرفة تقريبا، ومن أهم أجنحته، مقصورة السلطان مراد الثالث (٩٨٣هـ الموافق ١٥٧٨م) التي نسبت إلى سنان، علت الصالة وحدة قبية مشابهة للمساجد العثمانية ذات الوحدة الواحدة، وزينت ببلاط أزرق زهري وبأنماط أوراق الأزهار. و في ركن الغرفة بعد النافذة يوجد فراغ صغير محدد بمظلة مدعومة بأعمدة في كل ركن. وفي إضافة بعد ذلك للمقصورة هي حجرة قراءة السلطان أحمد الأول (١٠١٧هـ، الموافق ١٦٠٨م) وتوجد بها دواليب ومصاريع ونوافذ وأبواب مرصعة بعرق اللؤلؤ وقشرة ذيل السلحفاة. أما حجرة طعام السلطان أحمد الثالث (١١١٧هـ، الموافق ١٧٠٥م) التي عرفت أيضاً بحجرة الفاكهة فتقع بعد حجرة قراءة السلطان أحمد الأول، وقد قسمت جدرانها في لوحات خشبية مستطيلة مثل اللوحات مرسوماً عليها مزهريات الورد وصحون الفاكهة. يوجد على التقاطع من الجناح الخاص للسلطان مراد الثالث شقق ولي العهد، وهي أجنحة مستقلة عرفت بالقفص. وقد زينت هذه الغرف بكثرة في القرن الحادي عشر/ السادس عشر. أما شقة والدة السلطان فقد زينت جدرانها بالبلاط المزخرف برسومات الأوراق الزهرية والحداثية. أما قاعة الإمبراطورية فهي أكبر غرفة في قسم حرم القصر. ويتم الوصول إليها عن طريق قاعة النافورة، وحجرة الفاكهة، وحجرة انتظار الجناح الخاص للسلطان مراد الثالث.

١٨. ينظر: موقع مرسى الهرم .

قسم الفراغ إلى منطقتين: المنطقة الأولى مربع تعلوها أكبر قبة في القصر وضعت تحتها مظلة السلطان، أما الثانية فعبارة عن ديوان تحت مظلة ذات سقف منخفض. وقد فرشت أرض الديوان بوسادات للجلوس ومعظم زينته من الباروك والروكوكو، وهي زينة القرن الثاني عشر/الثامن عشر الميلادي. وكان القصر يضم عدداً من الورش والمعامل الخاصة بما عُرف باسم "بلوكات أهل الحرف" في داخله مع وجود الأغلبية منهم بالطبع خارجه. كما يتبين أن القصر كان يضم قسماً خاصاً لما عُرف باسم الـ (نقش خانة) التي يقوم الخطاطون والمجلدون فيه بإعداد المخطوطات ذات الزخارف والزينات، وتعدّ فيه التصاميم المستخدمة في أفرع الفنون الأخرى كالنقش والخزف والأقمشة والمفروشات. وخلال تلك الحقبة رسّخت الإمبراطورية العثمانية وجودها في ثلاث قارات، وشرعت في صنع توليفة من التقاليد الإسلامية والتركية والأوربية لصياغة أسلوب إمبراطوري تختص به في الفنون الجميلة^{١٩}. وكان آخر المطاف في زيارتنا لمدينة استنبول المرور بـ (بيوك جامليجا) المظلة على معظم المدينة، وكان أجمل ما شد انتباهي فيها قبول الناس بعضهم بعضاً مع وجود الفوارق التي يتعجب منها أمثالي من مراعاة الشعور من قبل الجميع حيث التبرج من جهة والتحجب من جهة ثانية و مما تشكر الحكومة الحالية عليها من هذا الجانب، منع تناول المشروب في تلك الأماكن العامة، وذكرتي الدبدبات أو البالونات الطويلة بيدالباعة، بالمرحوم ملا قانع وهو يمسك بدبدبة أو بالون طويل كما يرويه (مام هه ژارفى چيشتى مجهور) عندما كان متخفياً في بغداد، وهو يبيع بعض السكريات والملاعب للأطفال من على عربة صغيرة، وقد نفخ في إحدى البالونات بغية اعجاب الأطفال وجلب انتباههم للاقبال على شرائها، قائلاً: إن مثل هذه البالونات من الأولى أن يلهي بها أمهات الأبناء!. وبهذه النكتة أكمل جولتي في استنبول متوجهاً إلى العاصمة الحالية للدولة التركية\ أنقرة^{٢٠}.

إلى آمد مرورا بأنقرة

كما أشرت أكثر من مرة، لم تكن سفرتي إلى البلد الجار للقيام بعمل صحفي أو سفرة سياحية بقدر ما كانت من أجل العلاج، وماصورته وكتبته، كان تطوعاً وخدمة بالدرجة الأولى لمجلتي (الصوت الآخر) والتي أكن لها وللقائمين عليها وقرائها الكرام، كل الحب

١٩. من موقع: مركز شادروان للتراث العمراني .

٢٠. إلى هنا تم نشر هذه المقالة في مجلة الصوت الآخر، ص، العدد ٢٦٢ في ١٠\٧\٢٠٠٩ .

والإحترام، وكان إعتيادي في التصوير على جهاز موبايلى و الكاميرا الصغيرة التي كانت بحوزة إبني إسماعيل، والصور التي استعرتها من غيري، سببها السلطات المشرفة على المتاحف، حيث لم تكن لتسمح لنا باستعمال الكاميرا في بعض تلك الأماكن فكان على إحضارها من المواقع الإلكترونية، وذلك لإثراء صفحات مجلتنا الموقرة، ولعل مما يحسن بي ذكره بيان أن السفر بين كثير من مدنها كان كأسهل مايمكن، والفضل في ذلك بعدالله يعود إلى القائمين على أمور البلدية، إذلم يكن طول الطريق الذي يستغرق ساعات، بحيث يمل المرء منه، أو بالأحرى مثلي لم يكن ليمل منه، لأسباب عدة.

اولا: وهو الأكثر أهمية عندي، كما في عموم البلد، رؤية المساجد الكثيرة، فلا يمر المرء بقرية الا ويرى فيها المنائر المرتفعة والمشيدة على الطراز التركي، مما يكون أول دليل على أن البلد وعلى الرغم ممن أرادوا للإسلام أن يمسح، لايزال يحتفظ بهويته الإسلامية، وإن كان هناك قصور في فهم معاني المسجد ومدى أهميته لديهم ولدى كثير من المسلمين، ف (قد ارتبط تاريخ الأمة الإسلامية بالمسجد ارتباطاً وثيقاً لأن الإسلام لم يقصر رسالة المسجد على أداء الصلاة فحسب بل أراد أن يكون له دور إيجابي وأهداف سامية تخدم المجتمع الأساسي، فالى جانب أداء الصلاة هو مكان تلاوة القرآن الكريم ومعهد للعلم ومجلس للقضاء وملقى التعاون والتكافل ومكان للرأي والمشورة.

وقد أضاف الله عز وجل إلى نفسه المساجد إضافة تشرىف وإجلال قال سبحانه وتعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) الجن (١٨) ٢١ .

ثانيا: جمال الطبيعة سيما الوقت كان الشهر السابع الحار في كثير من بلادنا في حين كانت الأمطار الموسمية تنزل و الأشجار والورود الكثيرة على طول الطريق، وبما أن الهدف من سفري كان لتلقي العلاج أكثر منه للسياحة، كانت حاجتي إلى رؤية تلك المناظر لاتخفي.

ثالثا: الإهتمام البالغ بالنظافة وتوفير الراحة داخل كثير من الحافلات، و في الإستراحات الكثيرة المهيئة، أضف إلى ذلك وجود مسجد صغير في كل محطة، وإن كان الدخول إلى المرافق الصحية يتطلب النقود، ومن لا يكون عنده يستره الله!.

رابعا: الإهتمام البالغ بالزراعة في تلك المناطق ولاستطيع الحكم على واقع البلد

٢١. دور المسجد في التنمية المهنية والعلمية، إعداد الدكتور أنور نصار، جامعة القدس المفتوحة .

ككل ولكن الذي رأيتُه أعجبني كثيرا، حقول الحنطة وهي تتراعى للناظر وكأنها ألوان حمرة أو أن الأرض ملونة بصبغ ذي طابع حنطوي وما أكثر حاجتنا لمثل تلكم الإهتمامات في بلادنا. وعلى أية حال، مهما طال بالمرء المقام وهو بعيد عن الأهل فلا بد له من العودة سيما والتأشيرات تحدد من وجود أحدنا في غير موطنه، فقد كان طريق العودة يمر بمدينة أمد أو ديار بكر، وكان لقائي الكثير فيها بالأئمة والمشائخ الكرام، حيث تطوعوا بإكرامي والتجوال معي داخل المدينة، وأقصر عبارة أقولها في حق هؤلاء السادة أنني تمنيت لو أنني لمست لدي غيرهم من أمثالهم هنا في جنوب كردستان ما وجدته ولمسته من الحس القومي والتمدن الحضاري لدى واحد منهم، جزاهم الله عن الاسلام والكرد خير جزاء، شيوخهم وشبابهم.

فقد وجدت العجب العجاب و أنا أتجول في القرى الكردية، وجدت الشيوخ ولديهم أجهزة كمبيوتر و خطوط أنترنت وعندما يدرسون طلابهم لا يكتفون بتدريس العلوم التقليدية، بل يربطونهم بواقعهم، و يعتنون كثيرا بكتاب مقدمة ابن صلاح الشهرزوري في علوم الحديث - المهجور تقريبا هنا- والذي يساعد طلبة العلم لينظروا بعقل متبصر إلى ما نسب إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فلا يأخذ بكل ما قيل ولا يحشو أفكاره بالخرافات والأحاديث الموضوعية، ووجدتهم ينظرون إلى قضيتهم القومية بمنظار ديني وقومي متزن، ويضعونها في أولويات أمورهم وعلى العكس تماما من غيرهم، وأهم ما شد انتباهي داخل المدينة:

أولا: السور التاريخي الذي لا يزال يحكي حفنا من تاريخ المدينة الحضاري، سيما الأطراف التي لم يبلغها الدمار، مازال يحكي ذلك التاريخ المشرق، وإن كان البعض منه بحاجة إلى الترميم وإعادة هويته إليه، فضلا عن تصحيح ما أتى عليه من التغيير الديموغرافي و تحت أسام متعددة!، وقد أشار هؤلاء المشائخ وأثناء تجوالنا حول السور إلى المكان الذي تم فيه وأد ثورة الشيخ سعيد بيران وإعدامه فيه.

ثانيا: المسجد الأثري الذي بني في الموقع الذي دخل منه الصحابة (ر) إلى المدينة، وبعد طول مكث وعناء كثير، حيث يوجد هناك مسجد بإسم مسجد سليمان ابن خالد ابن الوليد وبالقرب منه مقبرة ويشير الناس إلى أن بداخلها قبر سبعة وعشرين من الصحابة (ر)، قد أستشهدوا جميعا أثناء دخولهم من الثغرة المجاورة للمكان، وبداخل المسجد عين زلال، وكعادة الكرد في إعتنائهم بقبور الصالحين، يوجد هناك

زوار سيما من الجنس اللطيف و أمام باب المسجد قراء ومنشدون لقاء حصولهم على دراهم معدودة يزيدون الزوار بركة بقراءة بعض مما يحفظونه، سيما كتاب (مولود نامه) لملاي باته يي باللغة الكُردية، ومعالم المدينة ووصول يد العمران إليها وسرعة التحول فيها مما يفرح أمثالي، وتخطب الناس بصورة ظاهرة بلغتهم الأم الكُردية مما يشكرون عليها، أما ظاهرة الفقر وسوء الخدمات الملموسة داخل الأحياء القديمة سيماحوالي السور، حتى في المباني التي تحوي شققا سكنية، أيضا فهي لاتخفي على الناظر، وسأكتفي بهذا القدر عن مركز المدينة و أدع لغة الكاميرا تتكلم^{٢٢}.

دنيا الأمم مليئة بالقصص، منها ماهي أقرب ما يكون للخيال ومنها ما هي من الحقيقة بمكان، و نحن نغادر مدينة آمد، كان من رأى الأخوة المشايخ أن يكون مرورنا ببعض الأماكن الأثرية بدءاً بقرية (بسمل) - التي لأدري وجه تسميتها بذلك! هل لكثرة ترديد أهلها لبسم الله و تعوذهم من الجن أم ماذا؟ - وانتهاء بالحدود المارة أمام سلسلة جبال (جودي) فكان أول وصولنا إلى مدينة باطمان الكُردية بجميع أنواع دلالات الكلمة القومية والجغرافية منها، حيث لبس السكان والتكلم بلغتهم الأم الكُردية وسماع الأغاني الكُردية ذات الطابع الأنتشودي التحريضي و اليافتات وإن كانت مكتوبة جميعها بالحروف اللاتينية و باللغة التركية ولكن الأسامي والعناوين كانت معظمها لاتخلو من المعاني الكُردية، وهناك التقينا شيخا مسنا متقاعد، يدعى (ملاعماد الدين)، قال مضيقي الشاب (ملارمزي) الحروك البشوش دوما، قال، قبل أن نلتقي الشيخ: (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)^{٢٣}، وما أن جلسنا معه وفي إحد المقاهي داخل (باطمان) التم حولنا غيره الكثير من أرباب الأدب والعلم والسياسة، فاذا به رجل علم ودين وأدب وسياسة، و لم يخطيء ملارمزي في توصيفه، فكان من الإلمام بالعلوم الشرعية مما يغبطه عليه مثلي، وكان

٢٢. إلى هنا تم نشر هذه المقالة في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٦٣ في ١٤\١٠\٢٠٠٩ ص ٨-٩ .

٢٣. أراد الرجل أن يفهمني بأن الشيخ عالم متبصر وشاعر متبحر لكن شكله الخارجي ليس كما تحب، وأراد بالمثل: مايحكي أن شاعراً اسمه المعيدي، في عصر هارون الرشيد كان بارعا في إنشاده الشعر مما جعل هارون أن يطلب لقاءه، ولما حضر الرجل إلى ديوان الخليفة فينظر إلى ملامحه الكريهة يقول: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فيجيبه المعيدي بلباقته وسرعة بديهته الشعرية بقوله:

دقدقة ماء في كوز جديد خير من بغداد وهارون الرشيد.

ملما بالسياسة و متابعا لقضايا أمته في كل كُردستان المقسمة والمجزأة، سيما بواقعا نحن في جنوب كُردستان، وكان يعرف عنا ما لم أكن أعرفه، لدرجة أنه يحفظ أسامي كثيرة لم اسمع بهم ولن أفكر يوما لأستمع لهم! وكنا وقتها منشغلين في جنوب كُردستان بالانتخابات البرلمانية في دورتها وحلتها الجديدة، وقد أُلّف قصيدة يدعوننا فيها للتوجه إلى صناديق الإقتراع والتصويت لصالح القائمة الكُردستانية والسيد مسعود بارزاني، فأجريت معه لقاء و كان من رأيه أن يكون تناول غداًنا على شرفه في (حسن كيف) التي كنا بالأصل متوجهين نحوها، تلك المدينة الأثرية التي مما يحكي عنها أنها أول مكان عاش فيها البشرية في طورها الثاني بعد طوفان نوح (س) حيث لا يخفي على أحد من أهل العلم الراسخين، أن رسو السفينة واستواءها كانت على جبل الجودي القريب من مدينة (شرنخ) مدينة نوح، و قرية (حسن كيف)، وان كان الكثير من المسلمين يجهلون أو يتجاهلون هذه الحقيقة الدامغة التي يدلنا عليها قبل أية دلالة تأريخية، القرآن الكريم، حيث يقول جل وعلا: (وقيل يا ارض ابلي مائك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) (٤٤هود). ولو أنصفنا الناس لكان حقا لنا وعلى غيرنا أن ينظروا إلى بلاد الكُرد كأماكن مباركة، كيف لا؟ والقرآن الكريم يقول: (فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين * وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) (٢٨و٢٩ المؤمنون). نعم وصلنا إلى حسن كيف والتي أترك للغة الكاميرا الكلام عنها، فقد قيل عنها الكثير واكتفي بأن أقول: كل الدلالات التي تجدها هناك، تحكي كُرديتها وأصالتها في ذلك، ولا يخفى المحاولات الجادة التي تجري الآن لعدم الإبقاء عليها ومحوها من الوجود و تحت عناوين ومبررات شتى!، ومنها توجهنا إلى أقدم كنيسة أرثوذكسية في المنطقة و تقع بالقرب من مدينة (ماردين) وزرنا أهلها هناك وأجمل كلمة سمعتها فيها، قول أحد رجال الدين: (إن المسيحيين لا يشعرون بالأمان في مكان في الشرق، بقدر ما يشعرون به عندكم في كُردستان، وتحت رعاية الإدارة الكُردية). وهكذا أغلقنا ملف سفرنا هذا، وكان في جعبتنا الكثير، ولكن نزولا عند رأي بعض السادة، اكتفينا بهذا القدر ونرجو المعذرة فيما إذا كان فيما قلناه سوء أدب تجاه أحد ودون تعمد منا، ونعتذر على الإطالة^{٢٤}.

٢٤. إلى هنا تم نشر هذه المقالة في مجلة الصوت الآخر العدد ٢٦٤ في ٢١/١٠/٢٠٠٩ ص ٩٨.

